العطر الوردي

في

كرامات ومبشرات وعلوم سيدي الشيخ إسماعيل الجبرتي

قدس سره

تأليف

الشيخ محمد بن أبي بكر الأشكل

تحقيق وتعليق

الشيخ أحمد فريد المزيدي





العطر الوردي

في

كرامات ومبشرات وعلوم سيدي الشيخ إسماعيل الجبرتي

قدس سره

تأليف

الشيخ محمد بن أبي بكر الأشكل

تحقيق وتعليق

الشيخ أحمد فريد المزيدي

تقريظ

الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي
الحسيني الشاذلي الدرقاوي



DKI
دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

Title: Al-'Iṭr al-wardi fī karāmāt wamubašširāt wa'ulūm Sīdī al-šayḫ Ismā'īl al-Jabarti

(The charismas and Sciences of Ismail al-Jabarti)

classification: ***Sufism and biographies***

Author: Al-šayḫ Muḥammad ben Abi Bakr al-'Aškal

Editor: Aḥmad Farīd al-Mizyadi

Publisher: Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Pages: 440

Year: 2008

Printed in: Lebanon

Edition: 1st

الكتاب: العطر الوردي

في كرامات ومبشرات وعلوم

سيدي الشيخ إسماعيل الجبرتي

التصنيف: تصوف وسِيَر

المؤلف: الشيخ محمد بن أبي بكر الأشكل

المحقق: أحمد فريد المزيدي

الناشر: دار الكتب العلميـــة – بيروت

عدد الصفحات: 440

سنة الطباعة: 2008

بلد الطباعة: لبنان

الطبعة: الأولى



ISBN 2-7451-5655-1 (10 dig)

ISBN 978-2-7451-5655-6 (13 dig)



دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

بيروت - لبنان





الطبعة الأولى

٢٠٠٨م – ١٤٢٩هـ



دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

بيروت - لبنان

Mohamed Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Aramoun, al-Quobbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-lebanon
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون القبة
مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٨١٠/١١/١٢ ٨٠٤ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨١٣ ٨٠٤ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ٩٤٢٤-١١ بيروت - لبنان
رياض الصلح - بيروت ١١٠٧ ٢٢٩٠

http://www.al-ilmiyah.com
sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ

بسم الله القائل في محكم تنزيله: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝ ﴾ [يونس: 62 - 63] والحمد لله القائل: ﴿ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ ﴾ [الشورى: 9] ﴿ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ [الشورى: 42]. وصلى الله على سيدنا محمد القائل في الحديث القدسي حاكياً عن ربه عز وجل فيما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه عن سيدنا أبي هريرة ﷺ: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنتُ سمعَهُ الذي يسمعُ به، وبصره الذي يبصرُ به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته». والقائل ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» (رواه الترمذي).

وبعـــد ففـــي مجال الحديث عن الأولياء وكراماتهم تقدم دار الكتب العلمية لقرائها الكـــرام كتاب (العطر الوردي في كرامات ومبشرات وعلوم سيدي إسماعيل الجبرتي قدس سرُّه) للشيخ محمد بن أبي بكر الأشكل.

وتكمن أهمية هذا الكتاب وقيمته العلمية في مجال التراث الصوفي الفلسفي الذوقي، في عظمـــة شخـــصية الشيخ المترجم له، ألا وهو الشيخ إسماعيل الجبرتي، الشخصية الصوفية الكـــبيرة في مجال توحيد الشهود والعيان، الذي لم يبلغنا الكثير عنه لقلة المصادر والمراجع البيبلوغـــرافية في ذلك، سوى ما كتبه تلميذه الأكبر الشيخ عبد الكريم الجيلي، مجدد مدرسة وحـــدة الوجـــود في القرن السابع الهجري، وصاحب مدرسة فلسفة الإنسان الكامل النبي محمد ﷺ وورائه الكمل، حيث شرح في كتابه (الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل) وحـــدة الـــذات الإلهـــية من حيث عماؤها وصرافتها، وكثرة شؤونها من حيث تجلياتها وتنزلاتها في مظاهر أسمائها وصفاتها، والتي من أكملها الإنسان الكامل النبي محمد ﷺ.

وقـــد كـــان الـــشيخ الجبرتي مرشداً صوفياً كاملاً وخليفة محمدياً، أي كان إنساناً كـــاملاً، والدليل على ذلك ما ذكره تلميذه الشيخ عبد الكريم الجيلي في كتابه «الإنسان

الكامل»[1] : «ومن أن النبي ﷺ جرت سنته أنه لا يزال يَتَصَوّر في كل زمان بصورة أكملهم ليُعلي شأنهم ويُقيمَ مَيَلانهم، فهم خلفاؤه في الظاهر وهو في الباطن حقيقتهم». وفي سنة ست وتسعين وسبعمائة 796 - هجرية وفي مدينة زبيد - من مدن اليمن - تصور النبي ﷺ بصورة الشيخ الجبرتي، ويقول الجيلي مبيّنًا ذلك: «ولقد اجتمعت به ﷺ وهو في صورة شيخي الشيخ شرف الدين إسماعيل الجبرتي، ولست أعلم أنه النبي ﷺ، وكنت أعلم أنه الشيخ» فظهورُ النبي ﷺ بصورة شيخ الجيلي الشيخ الجبرتي دليل على أن هذا الأخير كان إنساناً كاملاً.

ومن الألقاب التي أطلقها الجيلي على شيخه إسماعيل الجبرتي، وصفه له بأنه سيده وشيخه، أستاذ الدنيا وشرف الدين، سيد الأولياء المحققين، والقطب الكامل والمحقق الفاضل أبو المعروف - الشيخ إسماعيل - بن إبراهيم الجبرتي نعم السيد الفاضل والشيخ الكامل. ذكر الجيلي هذه الأوصاف في الباب التاسع والخمسين[2]: في النفس وأنها محتد إبليس، وفي الباب السادس والخمسين[3]: في الفكر عند حديثه عن إنقاذ الشيخ الجبرتي له من بعض مخاطر ومهالك السلوك إلى الله تعالى التي كاد أن يقع فيها لولا إنقاذ الله له ببركة شيخه قُدِّس سرُّه.

وقد نظم الجيلي قصائد عديدة مدح فيها شيخه، ومن هذه القصائد القصيدة التي ذكرها في الباب التاسع والخمسين[4] والمؤلفة من خمسة وثلاثين بيتاً - ومن أبرز الأوصاف التي وردت فيها في مدحه شيخه وصفه له بأنه مَلَكيّ الصفات كامل الذات ملأ عصره الوجود شماله وجنوبه وبأنه مِلك الملوك تحت لوائه، بحرٌ خرج من أمواجه لآلئ التيجان التي وضعها الملوك على رؤوسهم، وبأنه قطب الحقيقة ومحور الشرع، ويصف الجيلي نفسه بأنه عبد شيخه الجبرتي، يرجو طيبه، وبأنه حِبُّ قلبه الوحيد ليس له مطلب غيره.

والأبيات التي تشير إلى هذه الأوصاف المتقدمة في حق شيخه هي التالية:

1 - مَلَكُ الصفات وكاملُ الذات الذي فاح الشمالُ بعطره وجنوبُه

(1) في الباب الستين عند حديثه عن الإنسان الكامل.

(2) انظر «الإنسان الكامل».

(3) انظر «الإنسان الكامل».

(4) انظر «الإنسان الكامل».

2 - مَلِكٌ ملوكُ الله تحت لوائه ... ما بينما موهوبه وسليبه
3 - بحرٌ لآلي التاج من أمواجه ... فوق الرؤوس على الملوك وهيبه
4 - قُطبُ الحقيقةِ محورُ الشرع الضيا ... فَلَكُ الولاءِ محيطُه وعجيبُه
5 - يا ابنَ إبراهيمَ يا بحرَ الندى ... يا ذا الجبرتي الجبورُ طبيبه
6 - ألعَبدك الجيلي منكَ عنايةٌ ... صباغةَ صَبْغِ المحبُّ حبيبَه
7 - أنتَ الكريمُ بغير شارة، وهوذا ... عبدُ الكريم ومنك يُرجى طِيبُه
8 - ما حَبُّ قلبي قطُّ شيئاً غيركُم ... كلا وليس سواكم مطلوبُه

إن كتاب (العطر الوردي في كرامات ومبشرات علوم سيدي الشيخ إسماعيل الجبرتي) للشيخ محمد الأشكل يعتبرُ ثروةً علمية فريدة، فهو أول كتاب يترجم لحياة الشيخ شرف الدين اسماعيل الجبرتي، أحد أقطاب صوفية القرن السابع الهجري، وهو يشكل فرصة نادرة للدارسين والباحثين في مجال التصوف الفلسفي الذوقي، لمعرفة هذه الشخصية الفذة ومحطاتها الروحية السامية، التي خلفت إنساناً كاملاً هو الشيخ عبد الكريم الجيلي، الذي بلور فلسفة الإنسان الكامل في الفكر الصوفي، من خلال كتابه (الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل).

وكل الفضل في ذلك يرجع إلى المحقق الأستاذ العارف بالمخطوطات الإسلامية عامة والصوفية خاصة الشيخ أحمد فريد المزيدي المصطفوي، الذي بذل جهداً كبيراً مذللاً الصعاب والعقبات في تحقيق هذا الكتاب وإخراجه في أبهى حلة، مخبراً عما في ثناياه من علوم ملكية، وأنوار ملكوتية، وأسرار جبروتية، من خلال سرد المؤلف لكرامات الشيخ الجبرتي وأخباره ومناقبه ومبشراته. فجزاه الله تعالى خير الجزاء، ونفعنا والمسلمين به آمين.

وكتبه الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي
الحسيني الشاذلي الدرقاوي.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أسعدنا بالأنبياء المصطفين المطهرين والمدعمين بالمعجزات إظهارًا للدين بتصديق المقالات لدعوة النبوة والرسالات، ثم أظهر أولياءه ونوَّر قلوبهم وأكرمهم بالكرامات، وأطلعهم على سرائر علم معرفته فعرفوه فاستقاموا على الطاعات واكتفوا بمعبودهم عمَّا سواه من جميع المخلوقات، وأخلصوا العمل له ولزموا الخَلوات، فصاموا نهارهم، وقاموا ليلهم، وتركوا الأقوات، فأشبعهم التحير فيه عن المطعم والمشرب، وحماهم عن الشهوات، وجعل غذاءهم بالذِّكر والعبادات والتسبيحات، وأفاض عليهم من أنواره، وكساهم الحُلاَّت، وتوَّجهم بكراماته، وحباهم العطيات ثم أظهرهم من بعد الخلوات الخفيات للجلوات الظاهرات نفعًا لعباده وسائر البريات، فداموا مدة حياتهم كما أمرهم عالم الخفيات، فمنهم أقطاب، ومنهم أنجاب، ومنهم عمد، ومنهم أوتاد، ومنهم أبدال كما صرحوا به في الكتب المنقولات، وكل ذلك فضل من الله تعالى لجميع المخلوقات، فهم نفع للعباد في كل أقطار البلاد ،كما صرح به الثقات أرباب المقامات.

ثم بعد موتهم يزدادون في الدرجات مع بقاء تلك الكرامات، فهم كذلك في قبورهم إلى يوم نُشورهم، وهذا أمر مشاهد معلوم لمن أنار الله تعالى بصيرته، وقيده لهم بالزيارات، فيرى أُنس ضريحهم، ويشم رائحة ريحهم، فيقرُّ لهم بالكرامات، فهنيئًا لهم بتلك السعادات، ولا ينكر كراماتهم إلا أعمى البصيرة محروم قد عَدَلَ عن جانب التوفيق والهدى إلى جانب الخذلان والضلال، ومال عن سنن عقيدة أهل السنة والجماعة إلى اعوجاج أهل البدعة والاعتزال، وطعن في طريقة أهل الصوفية، أهل الصفاء والسالكين بالله تعالى .

فنعوذ بالله من ذلك ونسأله ان يجعلنا ممن يعزُّ لهم الكرامات، ويحشر معهم في الزُّمرات؛ ليحصل له لمحة من لمحاتهم أو لحظة من لحظاتهم، فينال الباقيات الصالحات، ومحاسن الخاتمات آمين.

وبعد ... فهذا كتاب حافل في معرفة أخبار ومناقب وكرامات ومبشرات شيخ الإسلام سيدي إسماعيل الجبرتي، قطب الصوفية وإمامها في الطريقة المحمدية، قد أتحفنا به الشيخ محمد بن أبي بكر الأشكل اليمني، حيث ذكر الكثير من الأخبار ، وأسند الآثار،

وترجم للأعلام فذكر الكثير ممن كانوا في موضع الخفاء والإبهام.

فكان كتابه هذا منارة، وحُجَّة وبشارة لكل من يتعرف على صدق الكرامات، وصحة ما حوته من دلائل واضحات، ويعلم أن لا وجه للاعتراض؛ فالأمر أوضح من الشمس في النهار، وهو مستمر قائم إلى يوم العرض على الملك الديَّان.

هذا وقد قمت بتحقيقه على نسخته الوحيدة المحفوظة بدار الكتب المصرية، وذلك بنسخها وضبطها، وقد واجهنا الصعوبة البالغة في تحقيقها، حيث صعوبة الخط وغرابته، وتعرض المخطوط لآثار الرطوبة والتلف، مما أضرَّ ببعض ألفاظها.

ولله الحمد عالجنا ذلك، حتى كان الأمر كأن لم يكن ليظهر النص واضحًا سليمًا خاليًا من الأخطاء إن شاء الله تعالى.

وخرجنا أحاديثه، وعزونا الآيات إلى سورها، والتعليق على بعض المواضع، والترجمة لأكثر الأعلام الوارد ذكرهم، وعمل مقدمة في التعريف بمعنى الكرامة وما يتعلق بها، والتعريف بالشيخ الجبرتي، وصاحب الكتاب.

هذا ونسأل الله التوفيق والإخلاص لما يحبه ويرضاه، وأن يرضى عن شيخي وسيدي مصطفى بن عبد السلام- قدس الله سره ونور ضريحه- فهو الذي دعاني إلى تحقيق هذا الكتاب، وقال عنه: هو من أعظم الكتب في ذكر الكرامات والمبشرات.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا

كتبه

أبو الحسن والحسين

أحمد فريد المزيدي المصطفوي

مقدمة
في الكرامة وما يتعلق بها

الكرامة:

ظهور أمر خارق للعادة على يد الولي مقرون بالطاعة والعرفان، بلا دعوى نبوة، وتكون للدلالة على صدقه وفضله، أو لقوة يقين صاحبها أو غيره.

وهي جائزة وواقعة عند أهل السنة ولو بقصد الولي على الأصح، وإن كان الغالب خلافه، ومن جنس المعجزات على الصواب لشمول القدرة الإلهية، وذلك لأن وجود الممكنات مستندًا إلى قدرته تعالى الشاملة لكلها، فلا يمتنع شيء منها على قدرته، ولا يجب في أفعاله، ولا ريب أن الكرامة أمر ممكن؛ إذ لا يلزم من فرض وقوعها محال لذاته، فهي جائزة بل واقعة حسبما نطق به النص القرآني والحديث النبوي.

أما القرآن: فكقصة أهل الكهف؛ حيث أقاموا فيه ثلاثمائة سنة وأزيد نيامًا أحياءً بلا آفة ولا غذاء، وليسوا بأنبياء بإجماع الفرق[1].

وقصة مريم حيث حملت بلا ذَكَرٍ، ووجد الرزق عندها بلا سبب، وتساقط عليها الرطب من شجرة يابسة بلا موجب[2].

وقصة آصف حيث أحضر عرش بلقيس من مسافة بعيدة في طرفة عين[3].

وجعل الأول معجزة لزكريا أو إرهاصًا لعيسى.

والثاني معجزة لسليمان.

ولا يقول به منصف؛ لأن المعجزة يجب قرنها بالتحدي، وظهورها للقوم وحصولها بحضرتهم، وحضرة النبي ليمكن الاستدلال، وليس شيء منها كذلك، كيف ولو كانت

---

(1) وقصة أصحاب الكهف ضمنت أعاجيب قد ظهرت عليهم من كلام الكلب معهم وغير ذلك.

(2) ما جاء في كتاب الله العزيز من قصة مريم عليها السلام، وولادتها عيسى عليه وعلى سائر الأنبياء الصلاة والسلام، من غير زوج مع كفالة زكريا لها عليه السلام، وكان لا يدخل عليها غيره، وإذا خرج من عندها أغلق عليها سبعة أبواب، وكان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف كرامة على أن ما قصه الله تعالى علينا من قصة مريم قاطع في ظهور الكرامة على يدها، فقد قال الله تعالى في سورة مريم إكرامًا لها: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾ [مريم:16] إلى آخر ما اشتملت عليه الآيات من خوارق العادات مما لا يستطيع أحد إنكاره، وهي من الأولياء على الصحيح.

(3) وقصة آصف بن برخيا مع سليمان عليه السلام في عرش بلقيس في قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل:40].

معجزة لزكريا لعلم كيفية حدوثها وهو منتفٍ لقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران:37].

ولأنها لو كانت إرهاصًا لعيسى لما علمت مريم من أين حصل ذلك، على أن الحوادث سيقت لتعظيم حال مريم، ولا ذِكْرَ فيها لزكريا ولا عيسى.

وأما سليمان فلم تظهر على يده مقارنة لدعوى النبوة.

وأما السنة: فكحديث جريج الراهب[1] الذي كلمه الطفل الرضيع حين قال له: يا غلام من أبوك؟.... إلخ كما في الصحيحين.

وكحديث أصحاب الغار الذين انطبقت عليهم الصخرة كما فيهما أيضًا.

وحديث البقرة التي حمل عليها صاحبها أو ركبها فالتفتت إليه وكلمته وقالت: إني لم أخلق لهذا كما فيهما أيضًا.

فهذه نبذة من أدلة أهل السنة.

وأما إنكار المعتزلة، والأستاذ أبي إسحاق، والحليمي منا للكرامة محتجين بأمور:

الأول: إنها توجب التباس النبي بغيره لعدم تميزها عن المعجزة، فلا تدل المعجزة على النبوة.

الثاني: إنها تفضي إلى السفسطة لاقتضائها انقلاب الجبل ذهبًا إبريزًا، والبحر دمًا عبيطًا، ونحو ذلك.

الثالث: إنه لو ظهر لولي كرامةٌ لجاز الحكم له بمجرد دعواه أنه يملك حبة برٍّ أو فلسًا واحدًا بغير بينة لظهور كرامته المؤذنة بعلو درجته عند الله المانعة لكذبه، سيما في تافه وهو باطلٌ بإجماع المسلمين المؤيد بقول إمام المرسلين:

«والبيِّنة على المدعي، واليمين على من أنكر»[2].

الرابع: إن ظهورها يوجب نقض العادة؛ لتكثرها بتكثر الأولياء؛ فيخرج عن كونه خارقًا فيصير عادة.

الخامس: إنها تسد باب إثبات النبوة لاحتمال كونه المعجز إكرامًا لا تصديقًا، فيطوى بساط النبوة رأسًا.

السادس: إنها تخل بجلال كمال الأنبياء لمشاركة الأولياء لهم في ذلك.

السابع: إنها لا تتميز عن السحر.

فأجيب عن الأول: بأن المعجزة تقارن دعوى النبوة، والكرامة لا تقارنها، بل

(1) ذكره النووي في شرح مسلم (107/16).
(2) رواه البخاري (931/2).

يجب قرنها بالانقياد للنبي ﷺ وتصديقه، والسير على منهاجه، فلا التباس.

وعن الثاني: بأن ذلك لا يقتضي سفسطة فإنَّ ما ذكروه يردُ عليهم في زمن النبوة، فإنه يجوز ظهور المعجزة بذلك، ولا يؤدِّي إلى سفسطة، على أن التجويزات العقلية لا تقدح في العلوم العادية.

وعن الثالث: بأن الكرامة لا توجب العصمة للولي ولا تصديقه في كل أمر.

وقد سئل شيخ الطريق الجنيد: أيزني العارف؟ فقال: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَّقْدُوراً﴾ [الأحزاب:38].

وهب أنَّ الظنَّ حاصلٌ بصدقه في دعواه، لكن الشارع جعل لثبوت الدعوى منهجًا مخصوصًا، ورابطًا معروفًا لا يسوغ العدول عنه، ألا ترى أن كثيرًا من الظنون التي تكاد تقرب من اليقين لا يجوز الحكم بها لخروجها عن الضوابط الشرعية!.

وعن الرابع: بأن كثرتها تكون استمرارًا لنقض العادة فلا نسلم كونها خروجًا عنه، والكرامة وإن توالت على الولي حتى ألفها واعتادها، لا تُخرجه عن طريق الرشاد ووجه السداد.

وعن الخامس: بأن المقارنة للدعوى تفيد القطع بالصدق عادة.

وعن السادس: بأن الكرامة تفيد جلالة قدر الأنبياء؛ حيث بلغت أممهم ذلك ببركة الاقتداء بهم، فلا إخلال.

وعن السابع: بأنها تفارقه وتتميز عنه بأنها لا يجدي فيها التعلم والتعليم، ولا تمكن المعارضة لها ولا تجامع شرةَ النفس، ولا تكون بمزاولة أعمال مخصوصة بخلافه.

وبذلك تم الانفصال، وانــزاح غيهب الإشكال، واستبان أن ما ذكروه تمويهٌ لا طائل تحته، وقعقعة لا حاصل لها.

ومن تمام الكلام في هذا المقام أن أهل القبلة اتفقوا على أن الكرامات لا تظهر على الفسقة الفجرة، بل على الموفقين البررة، وبذلك لاح أن الطريق إلى معرفة الأنبياء لا تَنسدُّ، فإن الولي ينقاد للنبي إذا ظهرت المعجزة على يديه، ويقول: معشر الناس هذا نبي الله فاتبعوه، ويكون هو أول منقاد.

وأما قول القاضي الباقلاني بجواز ظهور خارق على يد فاسق استدراجًا، وظهوره على الرهبان، وأهل الصوامع المقيمين على الكفران، فقد قال إمام الحرمين: إن فيه نظرًا، قال: ولسنا نثبت لراهب كرامة، ولا حب ولا كرامة، نعم قد تظهر على يد فاسق إنقاذًا له مما هو فيه، ثم يتوب بعدها ويصير على أحسن حال، وينتقل إلى الهدى بعد الضلال، بدليل قصة أصحاب الكهف؛ فإنهم كانوا عبدة أوثان ثم حصل لهم ما حصل إرشادًا وتبصرة.

ثم ما ذكره الخصم من حديث اشتباه معجزة النبي بغيره إذا وافقت المعجزة الكرامة قد استبان الانفصال عنه.

قال السبكي: وأقول: معاذ الله أن يتحدى نبي بكرامة ظهرت على يد ولي، بل لابد أن يأتي النبي بما لا يوقعه الله على يد الولي، وإن جاز وقوعه فليس كل جائز في قضايا العقول واقعًا.

ولما كانت رتبة النبي أرفع من الولي كان الولي ممنوعًا مما يأتي به النبي على وجه الإعجاز والتحدي أدبًا معه.

ثم أقول: حديث الاشتباه والانسداد على بطلانه إنما يقع البحث فيه حيث لم تختم النبوة، أما بعد خاتم النبيين المثبتة نبوته بأوضح البراهين، وإخباره بأنه لا نبي بعده، فقد أمن الاشتباه.

فلو صح ما ذكروه لكان في أولياء الأمم الماضية لا في أولياء هذه الأمة لأمنهم وتيقنهم أنه لا نبي بعد نبيهم، هذا لو صح ومعاذ الله أن يتوهم عاقل صحة ترهاتهم التي منها أنه لو كان للكرامات أصل كان أولى الناس بها أهل الصدر الأول، و هم صفوة الإسلام وقادة الأنام، والمفضلون على الخليقة بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولم يؤثر عنهم من ذلك أمر مستفيض، وما ذكروه تعلل بالأماني والمحال، وهو قولٌ مرذولٌ مردود عند من له أدنى نظر، فضلاً عن فحول الرجال، والعقل يأباه، والوجدان لا يرضاه، ولو حاول متتبع استيعاب كرامات الصحب لأجهد الأنفاس، وملأ القرطاس.

فمن ذلك تسبيح الحصى بحضرة الصِّدِّيق، وإخباره في مرض موته بمولود يولد له بعده وهو أنثى، وتكثيره للطعام القليل، وأكله هو وأضيافه من قصعة صغيرة حتى شبعوا فصار ما فيها أكثر مما كان قبل.

ومخاطبة عمر وهو على منبر المدينة النبوية سارية، وهو بنهاوند مخاطبة من معه بـــ: يا سارية الجبل، تحذيرًا له من كمين فيه، فسمع سارية، وجيشه صوته فحذروا فنجوا. وجَرى النيل بكتابه لما كانت عادة أهل مصر أن يلقوا فيه أوان الزيادة جارية بكرًا، فتركوا ذلك بأمره، فلم يزد حتى أشرف أهلها على الجلاء، فكتب للنيل كتابًا فيه:

«إن كنت تجرى من قبلك فلا حاجة لنا بك، وإن كان الله هو مجريك فنسأله ذلك»، فألقي فيه فزاد فورًا

وضربه للأرض بدرته لما ارتجت، وقوله: أقري ألم أعدل عليك، فقرت وسكنت حالاً.

وحبسه للنار التي كانت تخرج من الجبل فتحرق ما أصابت، فخرجت في زمنه، فأمر أبا موسى أو تميمًا فجعل يسوقها بردائه حتى دخلت الكهف فلم تعد بعد.

ورده لطائفة من الجيش مرة بعد أخرى لما عرضوا عليه فتبين آخرًا أنه كان فيهم قاتل عثمان وعلي.

وكقول عثمان لرجل لقي امرأة في الطريق فتأملها بشهوة: يدخل عليَّ أحدكم وفي عينيه أثر الزنا.

وكقول أمير المؤمنين المرتضى لرجل جف أحد شقيه بدعاء أحد أبويه: قم بإذن الله فقام صحيحاً كما كان، وقال: لولا علمت رضا أبيك عنك ما فعلته.

وكقول سعد في شاعر قال فيه مقالاً، فبلغه: اللهم، اكفنا لسانه ويده، فخرس لسانه، وشُلت يده، وكان لا يدعو إلا أُجيب.

وكقول ابن عمر لأسد قطع الطريق على قافلة هو فيها: تنح؛ فبصبص بذنبه وذهب.

وكمشي العلاء الحضرمي على الماء هو وجيشه لما كان في غزوة، وحال بينه وبين مقصده البحر.

وكدعائه ألا يرى أحدٌ جسدَه إذا مات، فلم يجدوه في اللحد.

وكمشي جعفر بن أبي طالب في الهواء.

وكتسبيح القصعة أو ما فيها من الطعام بين يدي سلمان وأبي الدرداء.

وكسماع عمران بن حصين تسبيح الملائكة إلى أن اكتوى.

وكشرب خالد السم فلم يضره.

وكإضاءة السوط كالمصباح بين يدي أسيد بن حضير، وعباد بن بشر لما خرجا من عند المصطفى ﷺ في ليلة مظلمة.

وكان خبيب بن عدي أسيرًا عند المشركين بمكة فكان يؤتى بعنب يأكله، وليس بمكة عنبة واحدة.

وعرض لسفينة مولى المصطفى ﷺ الأسدُ فقال له: أنا مولى رسول الله، فمشى الأسد معه حتى أوصله لمقصده.

وكان البراء بن مالك إذا أقسم على الله أبره حالاً.

ودعا سعيد بن زيد على أروى لما كذبت عليه بالعمى فعميت.

وطلب الأسود العنسي لما ادعى النبوة أبا مسلم الخولاني فقال له: ألا تشهد أني رسول الله؟ فقال: لا، قال: تشهد أن محمدًا رسول الله؟ قال: نعم، فأمر بنار فألقي فيها، فوجدوه قائمًا يصلّي، وقد صارت عليه بردًا وسلامًا، فكان عمر بن الخطاب يقول: الحمد لله الذي لم أمت حتى رأيت من أمة محمد من فُعل به كما فعل بإبراهيم الخليل.

وكان عامر بن عبد قيس يأخذ عطاءه في كمه فلا يجد سائلا إلا أعطاه بغير عدد،

ثم يجيء إلى بيته فيجد الدراهم كلها كاملة، وغير ذلك مما لا يدخل تحت الحصر.

قال الإمام أحمد بن حنبل: وإنما كانت الكرامات بعد زمن الصحابة أكثر، لأنَّ قوّة إيمانهم لا يحتاج معها إليها، ولأن الزمن الأول كان كثير النور فلما حصلت لم تظهر كل الظهور لاضمحلالها في نور النبوة بخلاف من بعدهم، ألا ترى أنَّ القنديل لا يظهرُ نورُه بين القناديل، بخلاف الظلام، والنجوم لا يظهر لها نورٌ مع ضوء الشمس.

وقال القصري: كانت كراماتُهم أعظم لكنَّهم أقوى من غيرهم، فملكوا الأحوال ولم تملكهم الأحوال، وغيرهم ملكتهم الأحوال لضعفهم عنهم فظهرت عليهم آثار الأحوال.

قال السبكي: وإني لأعجب كل العجب من منكر الكرامة، وأخشى عليه المقت، ويزداد تعجبي عند نسبة إنكارها إلى الأستاذ الإسفراييني، وهو من أساطين أهل السنة والجماعة، على أن نسبة إنكارها إليه على الإطلاق كذبٌ، والذي ذكره الرجل في كتبه أنها لا تبلغُ مَبلغَ خرق العادة.

وقال: كل ما جاز معجزة لنبي لا يجوز مثله كرامة لوليّ، وإنما غاية الكرامات إجابةُ دعوة أو شربةُ ماء في مفازة، أو كسرة في منقطعة أو ما يضاهي ذلك.

وجرى على نحوه القشيري فقال: إن الكرامة لا تنتهي إلى وجود ابنٍ بغير أبٍ، وقلب جماد بهيمة.

ولكن الجمهور على الإطلاق، وقد أنكروا التفصيل على قائله، حتى وكده أبو نصر في «المرشد»، وإمام الحرمين في «الإرشاد» وقال: إنه مذهبٌ متروك.

وبالغ النوري فقال: إنه غلطٌ، وإنكارٌ للحسِّ، وأن الصواب وقوعها بقلب الأعيان ونحوه.

وقد عدّ بعضُ الأئمة الأنواعَ الواقعةَ من الكرامات عشرين، وهي أكثر بكثير:

النوع الأول: إحياء الموتى: وهو أعلاها، فمن ذلك أن أبا عبيد البُسْري غزا ومعه دابةٌ فماتت، فسأل الله أن يحييها حتى يرجع إلى بلده، فقامت تنفضُ أذنيها، فلما بلغ بلده سقطت ميتة.

ومنه: أن مفرجًا الدماميني الصعيدي أحضر له فراخٌ مشويةٌ فقال: طيري بإذن الله تعالى فطارت.

وكان للشيخ الأهدل هرّةٌ ضربها خادمُه فماتت، فرماها، فسأله الشيخ عنها بعد ثلاثة أيام فقال: لا أدري فناداها فجاءت تجري.

ووضع الكيلاني يده على عظم دجاجةٍ أكلها، وقال لها: قومي بإذن الله الذي يحيي العظام فقامت.

ومات لتلميذ أبي يوسف الدهماني ولدٌ فجزع عليه، فقال له الشيخ: قم بإذن الله

فقام وعاش طويلاً.

وسقط من سطح الفارقي طفلٌ فمات فدعا الله فأحياه.

النوع الثاني: كلام الموتى: وهو أكثر مما قبله بكثير، ووقع ذلك للجيلاني، ولجماعة آخرين، منهم بعض مشايخ السُّبكيِّ، وكان جدنا شيخ الإسلام الشرف المناوي يخاطب الإمام الشافعي فيكلمه من قبره.

النوع الثالث: انفلاق البحر وجفافه: حتى وقع أن بعضهم اعتلَّ في المركب ومات وجُهز، فلما أريد إلقاؤه في البحر انشق نصفين ونـــزلت السفينة للأرض وحفر له قبر ودفن، فلما تم استوى الماء وسارت المركب.

ومن ذلك المشي عليه، وذلك كثير، وممن وقع له ذلك ابن دقيق العيد.

النوع الرابع: انقلاب الأعيان: ومنه ما ذكر عن المختار اليمني أنه أرسل إليه بعض المستهزئين بإناءين من خمر فصب من أحدهما عسلاً والآخر سمنًا وأطعم الحاضرين.

النوع الخامس: انــزواء الأرض لهم: حكوا أنَّ بعضهم كان بجامع طرسوس فاشتاق لزيارة الحرم، فأدخل رأسه في جيبه ثم أخرجها في الحرم.

والقدر المشترك في هذا بالغ مبلغ التواتر، ولا ينكره إلا مباهت.

النوع السادس: كلام الحيوان والنبات والجماد: ولا شك في كثرته. ومنه أن ابن أدهم قعد تحت شجرة رُمّان فقالت: يا أبا إسحاق، أكرمني بأكلك مني فأكل منها، وكان رمانها حامضًا، فَحَلاَ، وحملت في العام مرتين، وسُمِّيتْ رمانةَ العابدين.

وأراد الشبليّ أن يأكل من شجرة فلما مدَّ يده قالت: لا تأكل مني فإني ليهودي.

وجاء إلى القمولي رجلان يختصمان في بقرة، وكان قاضيًا بالصعيد، فأقام كل منهما بينة بأنها له، فقالت له: أنا لهذا.

ومن ذلك أن جدنا الشرف المناوي زار الشرف الأنصاري وجلس معه بمنظرة بيته ببولاق فشكى إليه كثرة زرق الطيور على الكتب والفرش، فرفع رأسه إليها وقال: يا أيها الطيور لا تحومي حول هذا الحمى إلا بخير، فلم تعد بعد ذلك.

النوع السابع: إبراء العلل: كما روي أن الجيلاني قال لصبيٍّ مُقْعدٍ مفلوجٍ أعمى: قم بإذن الله تعالى؛ فقام لا عاهة به.

النوع الثامن: طاعة الحيوان لهم: كما حُكي أن المِيْهَني وغيره كان يركب الأسد، بل وأطاعه الجماد، كما في قول ابن عبد السلام في واقعة الفرنج للريح: يا ريح خذيهم، فأخذتهم.

النوع التاسع، والعاشر، والحادي عشر: طيُّ الزمان ونشره، وإجابة الدعاء:

وذلك كثير جدًا.

النوع الثاني عشر: إخبارهم ببعض المغيّبات والكشف، وهو درجات تخرج عن حدّ الحصر، وذلك موجود الآن بكثرة، ولا يعارضه قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن:26]. لأنَّا لا نسلم عمومَ الغيب، فيجوز أن يخص بحال القيامة بقرينة السياق.

النوع الثالث عشر: الصبر على عدم الطعام والشراب الأمد الطويل: وهو كثيّر مشاهد.

النوع الرابع عشر: مقام التصريف: وهو كثير في كلّ زمن، ولا ينكره إلا مُعاند.

النوع الخامس عشر: القدرة على تناول الكثير من الغذاء، كما نُقل عن الشيخ دمرداش: أن أحد الأمراء عمل له وليمة، ودعاه وجماعته؛ فتوجه إليه وحده، فتشوش لعدم حضور الفقراء، وقال: من يأكل الطعام؟ فمد السماط؛ فأكله الشيخُ كلّه.

النوع السادس عشر: الحفظ عن الحرام أن يدخل الجوف: كما حُكي عن الحارث المحاسبي أنه كان إذا حضر إليه طعامٌ فيه شبهةٌ تحرك فيه عرقٌ، وكان المرسيُّ يتحرك منه كلُّ عرقٍ.

النوع السابع عشر: رؤية الأماكن البعيدة من وراء الحجب، فمن ذلك أن الشيخ أبا إسحاق الشيرازي كان يشاهد الكعبة وهو ببغداد.

النوع الثامن عشر: الهيبة التي لبعضهم: بحيث مات من شاهده عند رؤيته كما حصل لأبي يزيد البسطامي مع ذلك الفقير، ووقع للشيخ أحمد البدوى وغيرهما.

النوع التاسع عشر: قصم الله تعالى لمن يريد بهم سوءًا:

كما وقع لأحدهم أنه زاحم رجلاً فضربه على وجهه، فطارت يده مع الضربة، فأبصره رجل، فشدد النكير عليه وقال له: كفٌّ بكفٍّ أن هذا لظلم عظيم فقال: و الله ما أردته، وإنما رب الجثة غار عليها.

النوع العشرون: التطور بأطوارٍ مختلفات وأشكال مُتباينات، ومنه ما وقع لقضيب البان الموصلي أن فقيهًا أنكر عليه لكونه لم يره يصلى فتطور له على الفور في صورٍ مختلفةٍ؛ فقال: في أي صورة من هذه الصور لم ترن أصلي؟ وسيجيء في ترجمته.

والصوفية يثبتون عالمًا متوسطًا بين عالمي الأجساد والأرواح يسمونه: عالم المثال وعالم الخيال واستأنسوا له بآية ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِياً﴾ [مريم:17].

ووقع أن أحد العلماء رأى فقيرًا يتوضأ في المدرسة السيوفية وضوءً مشوشًا غير مرتب، فقال: حرام عليك، فقال: لم أتوضأ إلا مرتبًا، وإنما أنت أعمى لو أبصرت

لأبصرت هكذا، وأخذ بيده فأراه الكعبة والطائفين وهو بمصر.

قال في «روض الرياحين»: وقد سمعنا سماعًا محققًا أن جماعة شوهدت الكعبة تطوف بهم طوافًا محققًا.

قال: ورأيت من شاهد ذلك من الثقات الأتقياء بل من السادات العلماء، وقال ابن عربي: كنت أنا وصاحب لي بساحل البحر المحيط فرأيت رجلاً وضع حصيرًا في الهواء ووقف يصلي عليه فوقفت تحته وقلت:

شــغل المحــبيب عن الحبيب بسره	في حــب من خلق الهواء وسخَّره
العارفــــون عقــــولهم معقـــولة	عـــن كـــل كـــون ترتضيه مُطهِّره
فهـــم لديـــه مكـــرمون وعـــنده	أســـرارهم محفـــوظة ومحـــرَّره

فأوجز في صلاته وقال: إنما فعلت ذلك لهذا المنكر الذي معك وأنا الخضر، قال ابن عربي: ولم أكن أعلم أن صاحبي ينكر كرامات الأولياء فقلت له: أكنت تنكر؟ قال: نعم وما بعد العيان إلا الإذعان.

والأخبار في ذلك كثيرة، وإنما ذكرنا هنا جملة مجملة وسيأتي بعض ذلك مفصلاً في التراجم وقدَّمناها ليتحرز الناظر في تضاعيف الكتاب، ويلزم الأدب فلا ينكر فيحل به العَطب.

وقد قال في الإحياء: ما حكي عن المشايخ من سماع صوت الهواتف، وفنون الكرامات خارج عن الحصر والحكاية لا تنفع الجاحد ما لم يشاهد في نفسه، ومن أنكر الأصل أنكر التفصيل، والدليل القاطع الذي لا يقدر أحد على جحده أمران: أحدهما: عجائب الرؤيا الصالحة الصادقة فإنه ينكشف بها الغيب، وإذا جاز ذاك في النوم فلا يستحيل في اليقظة فلم يفارق النوم اليقظة إلا في ركود الحواس وعدم شغلها بالمحسوس، وكم من متيقظ لا يسمع ولا يبصر لشغله بنفسه.

والثاني: إخبار الرسول ﷺ عن الغيب وأمور آتية، وإذا جاز ذلك لنبي جاز لغيره، إذ النبي رجل كوشف بحقائق الأمور، وشغل بإصلاح الخلق فلا يستحيل أن يكون في الوجود شخصٌ يكاشف بالحقائق ولا يشتغل بإصلاح الخلق وهذا يسمى وليًّا لا نبيًّا.

تنبيـــه: قال أحد الكاملين: إظهار الكرامة وإخفاؤها على حسب النظر لأصلها وفرعها؛ فمن عَبَّرَ من بساط إحسانه أصمتته الإساءة مع ربه، ومَنْ عَبَّرَ من بساط إحسان الله إليه لم يصمت إذا أساء.

وقد صح إظهار الكرامة من قوم، وثبت العمل في إخفائها من آخرين كالمرسي في الإظهار، وابن أبي جمرة في الأخفاء، حتى قال أحد أتباع ابن أبي جمرة: إن طريقهما

مختلف، فبلغه فقال: والله ما اختلفتْ قطُّ طريقتنا، لكنه بسطه العلمُ، وقبضني الورع.

وقال أحدهم: من الناس من يغلب عليه الفناءُ بالله، فيظهر الكرامات، وينطلق لسانه بالدعاوى من غير احتشام ولا توقف؛ فيدعي بحق عن حقٍّ لحقٍّ في حقٍّ كالكيلاني، وأبي يعزّى وعامَّة متأخِّري الشاذلية.

ومنهم من يغلب عليه الفقر إلى الله فيكل لسانه، ويقف مع جانب الورع.

ومنهم من تختلف أحواله فتارة وتارةً، وهو أكمل الكمال؛ لأنه حال المصطفى ﷺ لما أنه أطعم ألفًا من صاعٍ، وشدَّ الحجر على بطنه.

تتمـــــة: قال في «روض الرياحين»: الناس في الكرامات أقسام؛ منهم من ينكرها مطلقًا وهم أهل مذهب معروفون، وعن التقى والهدى مصروفون.

ومنهم من يصدق بكرامات من مضى دون أهل زمنه وهم كبني إسرائيل صدقوا بموسى حين لم يروه وكذبوا محمدًا حين رأوه مع كونه أعظم.

ومنهم من يصدق بالأولياء في زمنه لكن لا يصدق بأحد معين، وهذا محروم من الإمداد؛ لأن من لم يسلم بأحد معين لا ينتفع بأحد أبدًا.

خاتمـــــة: لا يبلغ وليٌّ درجة النبي خلافًا لما زعمه بعض الكَرَّامية، ولا تسقط عنه التكاليف بكمال الولاية كما ادعى بعض أهل الإلحاد والاتحاد: إن الولي إذا بلغ الغاية في المحـــبة وصـــفاء القلب وكمال الإخلاص سقط عنه الأمر والنهي ولا يضره ذنب، ولا يدخل النار بارتكاب الكبائر، وذلك باطل بإجماع المسلمين.

ولا تكون ولاية غير النبي أفضل من النبوة بحال، وإنما الكلام في ولايته فقيل: هي أفضل من النبوة لما فيها من معنى القرب وكمال الاختصاص، وقيل: بل نبوته لما فيها من الوساطة بين الحق والخلق، والقيام بمصالح الدارين مع شرف مشاهدة الملك وغير ذلك.

ثم إن ظهور الكرامة لا يدل على أفضلية صاحبها بل على فضله، وقد يكون غيره أفضل منه، فالأفضلية إنما هي بقوة الإيقان وكمال العرفان، ولهذا قال سيد الطائفة الجنيد: مشى رجال على الماء ومات بالعطش أفضل منهم. والله تعالى أعلم.

وهذا أوان الشروع في المقصود فأقول مستعينًا بالرب الرؤوف الودود:

واعلم وفقنا الله تعالى وإياك لمرضاته أن سيد الأولياء ومسود سادات الأصفياء وجوهر عقد الرسالة الأنظم، والقاموس الخضم المحيط الأعظم، الذي منه المدد بدوام المدد، هو المصطفي ﷺ فلنبتدئ بذكر شيء من ترجمته وإن كانت مفردة بمجلدات، بل هي أكثر من أن تحصى، وأكبر من أن تستقصى.

التعريف بالشيخ المترجم له

قال الشيخ المناوي: هو سيدي إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي الزبيدي.

العارف الكبير، شيخ شيوخ الطريقة على الإطلاق، وإمام الحقيقة بالاتفاق، صاحب الأحوال الصادقة والكرامات الخارقة، فريد دهره ووحيد عصره.

صحبه جمعٌ كثيرٌ فانتفعوا به، ولا نظير له من مشايخ اليمن في كثرة الاتباع من الملوك والعلماء والعامة.

وله كرامات منها:

أن رجلاً صلّى خلفه ومعه درهم، ففكر: هل يقع موقعًا من عياله أم لا؟ فنسي الفاتحة في ركعة، فلما فرغ قال له: أعد الصلاة، فقد تركت الفاتحة بفكرك في الدرهم.

ومنها: أن الشيخ عبد الرحيم الأميوطي كان لا يعتقده ويحط عليه، فبينما هو نائمٌ ويقظانٌ، إذا بالشيخ دخل وقال لرجلٍ معه: هات الوجع الفلاني، فجاء به، فوضعه عليه، ثم قال: هات الوجع الفلاني، فوضعه عليه، ولا زال يقول هات وجع كذا ووجع كذا، حتى وضع فيه عشرين وجعًا، فكاد يموت، فأتاه، فاستعفاه وتاب، فقام كأنما أنشط من عقال.

ومنها: أن الشيخ حسن الهبل مرض ولده وأشرف، فأتاه وهو ذاهلٌ فقال: الولد طيب، لكن غيره غير طيب، فبرئ الولد ومرض أبوه حالاً، فمات.

وله كلام عالٍ في الحقائق، فمنه ما قال: الواردات ثمرة الأوراد.

وقال: الإرادة ترك ما عليه العادة.

وقال: أهل السكون لو سقطت السماء على الأرض، ما اهتزوا لذلك.

وقال : أجمع أهل الطريق على أن العافية أن يتولاك الله، ولا يكلك إلى نفسك.

وقال: السماع محك الرجال، فمن لا ورد له، لا وارد له.

وقال: من لم يحسن إحالة الكلام، فالسماع عليه حرام.

وقال: السماع حسن لمن فُتح عليه فيه، وإلا فهو حرام على كل ذي نفس.

وقال: السماع طريقة أهل الله، يا فقراء، لا تكذبوا على الله.

وسمع قارئًا يقرأ: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾ فقال: قامت دولة الفقراء، يا لها من دولة!

وقال: السماع هو الصفاء الزلال الذي لا تثبت عليه إلا أقدام الرجال.

وقال: إن الله يغضب لأوليائه، وإن لم يغضبوا.

وقال: لا تجالس الأولياء إلا بأدب، فإنهم جواسيس القلوب.

وقال: التصوف: الخروج عن العادات وعن النفس، وما خرج عن الإنسان كان الله عوضًا عنه.

وسُئل عن الاسم الأعظم فقال: إنه من حيث هو: هو الاسم الذي له مزية على جميع الأسماء، ومن حيث الناس: كل من فتح عليه باسم كان في حقه الأعظم - وليس معنى الاسم الأعظم الذي يُستجاب به الدعاء - حتى قال بعضهم: الاسم الأعظم هو حضور القلب مع الرب سبحانه وتعالى.

انظر: ذيل الدرر الكامنة (141)، والبدر الطالع (139/1)، وجامع الكرامات (358/1)، وإنباء الغمر (162/5)، طبقات الخواص (37)، وجيز الكلام (374/1)، الضوء اللامع (282/2).

مصنف الكتاب

هو الشيخ الإمام العلامة سيدي محمد بن أبي بكر الأشكل، كما هو مثبت في الصفحة الأولى من المخطوط.

وقد اجتهدت في معرفة ترجمة له فيما لدي من مصادر فلم أجد سوى أنه من بني الأشكل، ومن قرية الناشرية، باليمن، نسبة للناشري، كما أشار إليه المناوي في الكواكب الدرية (579).

والناشري: بفتح النون وكسر الشين المعجمة وفي آخرها الراء.

هذه النسبة إلى ناشرة .

والمشهور بهذا الانتساب مالك بن أبي زيد مالك بن زيد الناشري المصري.

ومن أقاربه الشيخ يوسف بن عليّ الأشكل اليمني [1] كان من أكابر الصالحين، حسن السيرة، جميل السلوك، معظمًا عند الأكابر والملوك.

وله كرامات ومكاشفات.

وأصله من قرية الناشرية، خرج متجردًا للعبادة، فأقام مدة في كهف من جبل الظاهر بناحية نبهان، فأقحط أهل تلك الناحية، وتطاول القحط بهم فسألوه الدعاء فدعا، فأمطروا سريعًا، فأخصبوا، فانتقل إلى ناحية، ثم ناحية، وكل جهةٍ يحصل لها فيها ذلك، حتى استقرَّ في موضع، فزرع فيه، فطالبه أمير تلك الجهة بالخراج فلم يدفع، فحبسه، فكان يُرى يصلي مع الجماعة، فشدد الأمير على الموكلين بالسجن، فصاروا يقعدون معه على السرير، ولم يروه فارقهم أصلاً، ويوجد وقت الصلاة في الجامع، فأطلقه الأمير.

وعرفت كراماته بعد ذلك.

وكان له ولد اسمه علي، أخذ عن الحضرمي وغيره، وله كرامات أيضًا.

منها: أن ابن أخته كان يخدم الدولة، فغضب عليه السلطان، وأمر بشنقه، فجاءت أمه إلى أخيها وبكت فقال: لا تخافي، ما تشرق الشمس غدًا إلا وهو مقبل من هذه الجهة على فرس أحمر، فكان كذلك.

وأخبر بأن السلطان طلبه تلك الليلة وقال: دخل علي رجل من الكوفة، وبيده شعلة نار وقال: إن تغيرت على فلان، ما فيه إلا روحك. فقلت: من أنت؟ قال: يوسف

---

(1) طبقات الخواص (169)، كرامات الأولياء (295/2)، الكواكب (579).

الأشكل.

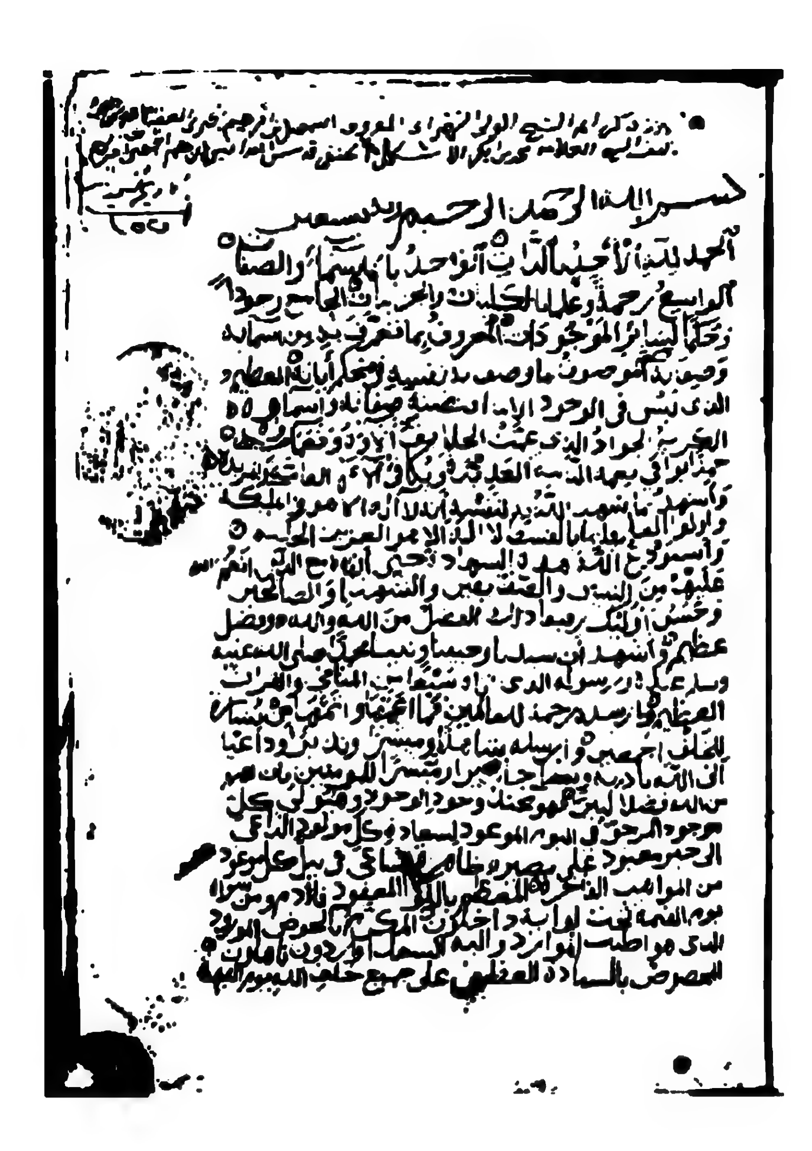
وكان ولده محمد من كبار الصالحين الأولياء أيضًا، رأى إبليس والده فقال له: يا فقيه، ولدك محمد ما لي به طاقة، ولا أحضر مجلسًا يحضره.

وتأخر المطر عن الناس في فصل الخريف، فلازموه، فقال: ما ثم خريف ولا شتاء، ولكن سيقع مطر في الربيع، ويكون مع الناس بعض دخن، فكان كما قال.

وكان ابن المكدش يقول: ما رأيت في الأولياء كمحمد بن عليّ الأشكل، قلت له: أحب أن تريني كرامة؟ فقال: انظر؟ فنظرت إلى إصبعيه، في أحدهما نار، والآخر يفور ماءً، فقال: رأيت؟ قلت: نعم. فقض إصبعيه.

قال المناوي: وبنو الأشكل بيت علم وصلاح، ومن متأخريهم محمد بن أبي بكر، تفقه وتصوف.

وجمع كراماتهم في مجلد حافل.



بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
الحمد لله الأحد بالذات الواحد بالأسماء والصفات
الواسع رحمة وعلماً الكليات والجزئيات الجامع وجوده
وحكمه لسائر الموجودات المعروف بما تعرف به من سماته
وصفاته الموصوف بما وصف به نفسه في محكم آياته العظيمة
الذي ليس في الوجود إلا ما تضمنته صفاته وأسماؤه
الكريم الجواد الذي عمت الخلائق آلاؤه ونعماؤه
حمداً يوافي نعمه [illegible] ويكافئ [illegible]
وأشهد بما شهد الله به لنفسه أنه لا إله إلا هو والملائكة
وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم
وأشهد [illegible] الشهادة [illegible] الذين أنعم الله
عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وحسن أولئك رفيقاً ذلك الفضل من الله وكفى بالله [illegible] فضل
عظيم وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً [illegible]
وسلم [illegible] رسوله الذي [illegible] المثاني والقرآن
العظيم وأرسله رحمة للعالمين [illegible]
الخلق أجمعين وأرسله شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً
إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً وبشر المؤمنين بأن لهم
من الله فضلاً كبيراً [illegible] وجود الوجود [illegible] كل
موجود [illegible] في اليوم الموعود [illegible] وكل مولود الداعي
إلى [illegible] على بصيرة [illegible]
من المواهب الفاخرة [illegible] المعظم بالمقام المحمود [illegible]
يوم القيامة [illegible] بالحوض المورود
الذي هو أطيب الموارد [illegible]
المخصوص بالسيادة العظمى على جميع خلق الله يوم القيامة

صورة الصفحة الأولى من المخطوط





صورة الورقة الأخيرة من المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المصنف

الحمد لله الأحد بالذات الواحد بالأسماء والصفات، الواسع رحمة وعلمًا بالكليات والجزئيات، الجامع وجودًا، المعروف بما تعرف به من أسمائه وصفاته، الموصوف بما وصف به نفسه في محكم آياته، العظيم الذي ليس في الوجود إلا ما اقتضته صفاته وأسماؤه، الكريم الجواد الذي عمت الخلائق آلاؤه ونعماؤه، حمدًا يوافي نعمه التامة العديدة ويكافئ آلاءه العامة والمزيدة، وأشهد بما شهد الله به لنفسه أنه لا إله إلا هو والملائكة وألوا العلم قائمًا بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم، وأستودع الله هذه الشهادة حتى ألقاه مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا، ذلك الفضل من الله والله ذو فضل عظيم.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا ونبينا محمدًا ﷺ عبده ورسوله الذي آتاه سبعًا من المثاني والقرآن العظيم، وأرسله شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، ومبشرًا للمؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيرًا، فهو محتك وجود الوجود، وهيولي كل موجود، المرجو في اليوم الموعود لسعادة كل مولود، الداعي إلى خير معبود على بصيرة ظاهرة، الساعي في نيل كل موعود من المواهب الفاخرة المعظم باللواء المعقود فآدم ومن سواه يوم القيامة تحت لوائه داخلون، المكرم بالحوض المورود الذي هو أطيب الموارد، وإليه الشهداء واردون ناهلون، المخصوص بالسيادة العظمى على جميع خلق الله يوم القيامة، المنصوص على أن الله تعالى يقعده على العرش وما أعظمها من رتبة وأكرمها من كرامة، وذلك هو المقام المحمود مقام الحمد، والوسيلة العظمى، وظهور المظهر الأعظم الأجلي الذي يتضاءل دونه كل مقام، ويتناول بجمعيته كل فيض إلهي ووهب على الدوام وهو ﷺ الشافع في الشافعين من الملائكة المقربين، والرسل، والنبيين، والأولياء، والمؤمنين، أي ليشفعوا للمذنبين فبشفاعته يشفع الشافعون، والكل بهول ذلك اليوم خاشعون، ولجلال المقام المحمدي خاضعون.

شعر

شفاعة خير المرسلين شفاعة لكل رفيع من مليك وآدمي

شفاعته مفتاح كل شفاعة لكل شفيع في عصى وآثم

فما الحمد في ذاك المقام لغيره ... فيحمده فيه جميع العوالم
عليه صلاة الله والخلق كلهم ... صلاةً تسليمًا ورحمة راحم

أما بعد...

فإن الله جعل في كل عصر وزمان رسولاً يحفظ به على خلفه الأديان، ثم لما ختم الله النبوة والرسالة بخير خلقه محمد الهادي من الضلالة، أبقى على هذه الأمة المحمدية حفظ الدين بالعلماء الوارثين للأنبياء والمرسلين، فهم في هذه الأمة كالأنبياء صديقون، وشهداء، وصالحون، وأصفياء، وأقام في كل عصر منهم وارثًا كاملاً ترجع أصولهم إليه غوثًا فردًا جامعًا لمراتبهم شاملاً تستمد أسرارهم مما لديه واسطة بين الله، وبين العباد موصلاً إليهم ما من الله من الأرزاق، والإمداد.

فالغوثية هي مرتبة الوراثة والخلافة ورتبة الرحمة للعاملين والرأفة، فما زالت هذه المرتبة تسعى على نجائب الأكوان، والأطوار تجر أذيالها وترعى في سباسب الأزمان، والأعصار تؤم أمالها تطلب من كل عصر ولي أمرها، ليظهر عليه جلي فخرها وتعقد له الرايات وتحتكم له البريات، ويبلغ كتابها فيه أجله ويبلغ هو منها مراده وأمله حتى أناخت في عصرنا هذا من آخر قرن ثمانمائة بحضرة ولي الله الأكبر القطب الغوث الفرد الأظهر العلم الأعلى الأنور شيخ مشايخ الإسلام الذي خفقت بنور رايات أعلامه على أعالي أعلام الأعلام، واتسعت دائرته في كافة الأمصار، وانتشرت دعوته في سائر الأقطار، وسار بشهرته ركبان البر وراكبو البحار.

شيخ قد انتشرت أعلام شهرته ... في الشرق والغرب واستكفت عن الخبر
قُطبٌ تَدينُ به الأقطاب قاطبةً ... مُحيي دِثَار طريق الله من دثر
ومرشد الخلق والإرشاد حائرة ... وفَاتح الرُتَج المستغلق العَكِر

الناطق بدقائق الحقائق، الفائق ما ارتتق من أحكام الطرائق منبع الأنوار، معدن الأسرار، مولانا وشيخنا أبو المعروف المعروف بالمعروف إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي، أنوار شوارق شموسه طالعة على أفلاك الوجود وبقي بوارق أقمار أتباعه لامعة في أبراج أفلاك السعود.

شعر

ما دامت الدنيا وأحكامها ... والتحق اللاحق بالسابق

ومـــا بقـــي الكـــون وأفلاكـــه وانمحـــق الغـــارب بالـــشارق
فحطـــت في ســـوحه الـــرَّحيب رحالها وألقـــت في ربعـــه الخـــصيب أثقالها
لـــه الـــولاية علـــى عـــوالي الأعلام وقلدتـــه مقالـــيد أمـــور الأنـــام

فقام بها لما أتته وكان في ولايتها أولى ولي وأعد لأعبائها أقوى وأحمل حامل، وأكمل في وصف الكمال وأفضل.

وقد استخرتُ الله تعالى واستعنت به في خدمة السادة الإخوان المؤمنين بكرامات أهل الله بحسن الظن، والاعتقاد لا أهل الخلان المنكرين لفضل الله بسوء الظن، والانتقاد بجمع يسير من كثير وغيض من فيض، وقل من كل قدر ما قدر لي مما لشيخنا أبي المعروف عرف الله من عوارفه من الكرامات الظاهرات، والآيات الباهرات، والأحوال العاليات، والمقامات المتعاليات، والعلوم الذاتيات، والحقائق الأحديات، والمعارف الإلهيات، والأسرار القدسيات، والتجليات السبحانيات، والمنازلات الربانيات، وخفيات السرائر، والضمائر، والخواطر، والقلوب، وهداية المريدين، ورعاية المرادين، وذلك مما حفظته، مما سمعته، ورأيته منه في المجالس، والسماعات، ومما رويته عنه بصحيح الراويات فنظمتها نظم الجواهر في نحور الحِسان ونثرتها نثر الزَّواهر من زهور البستان.

وقدمت ما جمعت إلى حضرة مولانا وشيخنا إمام العارفين وعلم العلماء الوارثين ولي الله محيي الدين أحمد بن أبي بكر الرداد[1] أفاض الله من بركاته على الإسلام والعباد

---

(١) أحمد بن القاضي رضي الدين الرداد التيمي القرشي.

شيخ الزمان والمكان، والمشار إليه بالبنان، إنسان الأعيان وعين الإنسان، إمام الطريقة وعين الحقيقة، ينبوع المعارف الإلهية، ومعدن العوارف الحقيقية.

انتهت إليه رئاسة الصوفية باليمن، وأقر له بالفضل علماء الزمن، وحببه الله إلى خلقه، ووضع له القبول في فعله ونطقه، كانت له رياضة حسنة، اجتهد فيها نحو عشرين سنة حتى رقي من رتب المعالي أعلاها، فعَلاها، وحوى من العلوم الإلهية فحولها، فحَواها، ودان له لذلك من في أدنى البلاد وأقصاها، ورزق من الأخلاق الفاضلة أرقاها وأسناها، فسبحان من حلاّه بحلي المعارف، بل به حلاّها، وأعطاه من المحاسن ما يرضاها. وفد إليه الناس من كل جانب، ووسعت أخلاقه الأقارب والأجانب، وجزم بنصب المشايخ، ورفع أقدارهم، فأكرم به من رافع جازم ناصب.

كان يحضر مائدته كل صباح ومساء نحو ثلاثمائة رجل، فلا يرى منه ضجر ولا عبوس، ولو أنه في غاية الفقر والبؤس.

وكان عريض الجاه، لا ترد شفاعته لمن أمه وجاءه.

وله تصانيف كثيرة منها: «موجبات الرحمة في الحديث» في مجلدين، غريب في بابه.

=

والبلاد؛ فإنه موقع نظرات الشيخ ومظهر أنواره، وموضع خصوصياته، ومعدن أسرار تلطفاته أن يأخذ منه ما هو من مرئيات ومرويات، ويضيف إليه من جواهر علومه وفتوحاته فالله علمه علمًا، وصرفه حكمًا، وأمده في كل تصنيف، وكان برهانه في كل مشكلة من العلوم، وترتيب وتأليف، فنظر فيه مدى، واستحسنه وأعاده علي وبشرني باختصاصي به، وألقى مقاليد هذا الأمر إليّ فلم يسعني إلا امتثال إشارته وقبول بشارته، وقمت به من غير أهلية لهذا الشأن، ولا مكانة لولايته ولا إمكان، ولكن لي بمن سبقني أسوة والسابق اللاحق إمام وقدوة، واستعنت بالله سبحانه وتعالى وطلبته الإمداد، واستهديته إلى سبيل الرشاد، واستحفظته من الزيغ والزلل، والخطأ، والخطل، والزيادة، والنقصان، والتصحيف، والكذب، والبهتان، والتحريف، وسألته حسن القصد وإصابة الصواب، وغفر الذنوب، ومضاعفة الثواب، وأستغفر الله الذي لا إله إلا هو، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين، والحمد لله رب العالمين.

ومما أيدني في جمعي هذا وازددت به تثبيتًا ويقينًا، وبشرني وسرني وطبت منه نفسًا وقررت به عينًا ما أخبرني به الشيخ النجيب، الولي القريب، العارف بالله بسر ولي الله رضي الدين جمال المقربين أبو بكر الصديق بن شيخنا وخليفته ﷺ أنه سمع شيخنا يقول: سبحان الله لم يتفق جمع ما لنا إلا لمحمد بن أبي بكر الأشكل مع كثرة أصحابي المتقدمين، والمتأخرين وهذا من التوفيق العظيم له والخصوصية به.

=

وله كلام في التصوف منثور ومنظم، فمنه ما قال: لا يصح التحكم في أسرار القدرة، إلا بعد التبرؤ من الحول والقوة.

وقال: من تحقق بحقائق التقوى، كاشفه الله بأسرار القلوب.

وقال: الفقراء قوم فرغوا عن الكل، وما دخلوا من حيث خرجوا، ولا خرجوا من حيث دخلوا.

وقال في معنى قولهم: «حسنات الأبرار سيئات المقربين»: هؤلاء يشهدون قربهم من الله فيما قامت به نفوسهم من أعمالهم وطاعاتهم، وأولئك يرون ثبوت آثارهم مع الحق في الأفعال آية بعدهم واعتلالهم.

وقال: التصوف التصفي من اختلاط أخلاق البشرية، والاتصاف بحقائق معاني الصمدية.

وقال: الطبع المعروف لأرباب السماع هو ما استقام بملاحظة من الحق للعبد، وهو نفس من الأنفاس الرحمانية، والطبع المذكور لأهل السماع هو ما استقام بملاحظة من العبد للحق، وهو من عيش النفس الحيوانية.

ولم يزل على طريق القوم حتى مات سنة إحدى وعشرين وثمانمائة.

ذيل الدرر الكامنة (265) بتحقيقنا، الضوء اللامع (1/260)، طبقات الخواص (30).

أخبرنا بمثل ذلك أيضا الشيخ النجيب الولي برهان الدين إبراهيم بن شيخنا، وقال أنه سمعه من الشيخ ﷺ في المسجد في جمع والحمد لله، وكذلك أخبرنا أيضا بعض أكابر أصحابنا بما هو بمعنى هذا القول، وكان هذا القول من شيخنا – قدس الله سره- ولم أكن قد جمعت إلا اليسير النادر لكنه تكلم بحكم نظره بنور الله أنه سيؤل إلى هذا القدر، وأخبرنا شيخنا الإمام محيي الدين أحمد الرداد ﷺ أنه هم بهذا الأمر، وكتب منه شيئًا فلم يتم له وذهب ما كان كتبه، وقال لي: هذا شيء خصصت به.

تنبيه: وجاء هذا الجمع بحكم الفتح من غير سؤال أحد إن هو إلا أن أسمع اتفاقًا، أو أقعد إلى أحد فيأتي سياق المحادثة بما يأتي منه، ثم وما أحببت أن أسمع من أحد شيئا من ذلك في الغالب إلا وسمعت منه، وهذا من مواد الإعانة، والحمد لله رب العالمين.

فصل

لا يزاد النص الذي أشرت إليه آنفًا على أن الله سبحانه يقعد نبينا محمد ﷺ على العرش، وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الوسيلة درجة عند الله ليس فوقها درجة؛ فاسألوا الله أن يؤتيني الوسيلة على خلقه»[1] رواه إسماعيل القاضي.

ويروى عن ابن مسعود ﷺ أن المقام المحمود أن يجلسه الله ﷻ على العرش[2]، وكذلك قال ابن عياض ﷺ: قال ابن عباس –رضي الله عنهما: سألت رسول الله ﷺ عن المقام المحمود، فقال لي: «القعود على العرش»[3].

وروى عن أنس ﷺ عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: سألت النبي ﷺ عن ما وعده ربه ﷻ؛ فقال: «وعدني المقام المحمود وهو القعود على العرش».

وروى أبو الفضل التميمي بسنده إلى ابن مسعود مرفوعًا وابن عباس ومجاهد مرفوعًا «يقعد على العرش»[4].

قال شيخنا أحمد: وإذا كانت الوسيلة منـــزلة في الجنة وأعلى درجة فيها فلا يبعد أن تكون هي المقام المحمود.

وقد قال ﷺ فيما خرَّجه البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ: «إن في الجنة مائة

---

(1) رواه أحمد في مسنده (11357).

(2) ذكره القرطبي في تفسيره (311/10)، والهيثمي في «مجمع الزوائد» (51/7).

(3) رواه ابن أبي شيبه في مصنفه (412/7).

(4) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (305/1).

درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيله كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله ﷻ فاسألوه الفردوس؛ فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة»[1].

قال: فتشابه القول في شأن الوسيلة والمقام فكأنها هو وكأنه هي، فإنه ليس شيء فوق الفردوس إلا العرش، ولا يكون هناك درجة عالية هي أعلى الدرجات على الفردوس إلا فيما فوقه وهو العرش، فكانت الوسيلة من الوجه الذي يتلقى الفيض الإلهي هي المقام، وكان المقام من الوجه الذي يلقي الفيض الرحماني على عالم الرحمة هو الوسيلة، والله أعلم.

وقال الشيخ المحقق صدر الدين محمد بن إسحاق القونوي الرُّومي[2] في كتاب

---

(1) رواه البخاري (2581)، (6873).

(2) محمــد بن إسحاق بن محمد الرومي.الصوفي، العارف الكبير الإمام الشهير صدر الدين القونوي، أجل تلامذة ابن عربي.
كان عارفًا على المقام، متكلمًا بما تقتصر عنه الأفهام، وهو شيخ أهل الوحدة بقونية وما والاها.
كان يسلك طريق شيخه الحاتمي في جميع أحواله ومقالاته التي تفرد بها، والوقوف عند نص أقواله، وكان بكتبه سيما الفتوحات مغري، وهي أجود ما يعرفه، وخير دينار يخرجه من كيس معاليمه ويصرفه.
وكان ذا حظ عند الأكابر موفور، وقبول تام، كل ذنب معه عندهم مغفور.
وله تصانيف في السلوك منها «شرح التجليات» وله تفسير شهير، وكتاب «النفحات الإلهية» و«النصوص في فك الفصوص» و«مفتاح غيب الغيب» وغير ذلك.
وحكى عن نفسه قال: «اجتهد شيخي العارف ابن عربي أن يشرفني إلى المرتبة التي يتجلى فيها الحق للطالب بالتجليات البرقية في حياته فما أمكنه، فزرت قبره بعد موته ورجعت، فبينما أنا أمشي في الفضاء بين عدن وطرسوس، في يوم صائف، والزهور يحركها نسيم الصبا، فنظرت إليها وتفكرت في قدرة الله وجلاله وكبريائه، فشغفني حب الرحمن حتى كدت أغيب عن الأكوان، فتمثل لي روح الشيخ ابن عربي في أحسن صورة كأنه نور صرف، فقال: يا محتار، انظر إلي، وإذا الحق جل وعلا تجلى لي بالتجلي البرقي من المشرق الذاتي، فغبت مني به فيه على قدر لمح البصر، ثم أفقت حالاً، وإذا بالشيخ الأكبر بين يدي، فسلم سلام المواصلة بعد الفرقة، وعانقني معانقة مشتاق، وقال: الحمد لله الذي رفع الحجاب، وواصل الأحباب، وما خيب القصد والاجتهاد، والسلام».
ومن كلامه: كن فرداني المقصد لكمال عبوديتك التي خلقك الحق لها، فإني رأيت عندك أمرًا زائدًا على هذه الوحدة في التوجه، فالزائد علّة.
وقال: الحلال التام، كل ما لا ضرر فيه من حيث مزاجه، ولا تعلق به حدٌ لا حد يستلزم توجه نفسه إليه، فإن لتوجهات النفوس إلى الأشياء خواص رديئة تسرى في بدن الإنسان المباشر لذلك
=

المواطن: الموطن السادس: الكثيب وهو حضرة الإشهاد، وآخر حدود الجنات، وأول

الشيء أكلاً أو لباسًا أو مسكنًا أو غيرها من التصرف.
وقال: الملابس إذا فُصلت وخُيطت في وقت رديء، اتصل بها خواص رديئة، وكذا ما ورد التنبيه عليه في الشرع من شؤم المرأة والفرس والدار، وشهد بصحته التجارب المكررة، فإن ذلك يؤثر في بواطن أكثر الناس، بل ولو في ظواهرهم خواص مضرة تعدى إلى نفسه وأخلاقه وصفاته، فيحدث بسببها للقلوب والأرواح تلويثات هي من قسم النجاسات المعنوية.
وقال: كما أن طهارة القلوب والأرواح من الكدورات البشرية، والأحكام الإمكانية يوجب مزيد الرزق المعنوي، وقبول العطايا الإلهية، ووفور الحظ منها فكذا الطهارة الظاهرة الصدرية تستلزم مزيد الرزق الحسي، ومن جمع بين الطهارتين فاز بالرزقين.
وقال: صور الأعمال أعراض جواهرها مقاصد العمال وعلومهم واعتقاداتهم ومتعلقات هممهم.
وقال: الكرسي هو أرض الجنة وسقفها هو العرش.
وقال: إذا كملت المضاددة، وقع القتل؛ لأن الضد يطلب إزالة ضده.
وقال: لا ريب عند المحققين بالتجربة المكررة والعلم المحقق، إن الآلام النفسانية تخمد وهج القوى الطبيعية، وتنعش القوى الروحانية الموجبة لتنوير الباطن، فلذلك جعل المصطفى الصبر شطر الضياء.
وقال: ليس في الوجود وقفة لأحد، الإنسان سائر إلى المرتبة التي قدر الحق أنها غايته من مراتب الشقاء، ومراتب السعادة.
وقال: مسمّى الإنسان بالتعريف العام عبارة عن مجموع جسمه الطبيعي، ونفسه الحيوانية، وروحه المجرد المدبر لهيكله، فكل فعل صدر عنه من حيث جملته المذكورة، فلكل من الثلاثة فيه دخل.
وقال: الغيب لا يعلمه إلا الله، لكن قد يعلم بتعريف الله تعالى وإعلامه.
وقال: من ثبتت المناسبة بينه وبين الكمل من أرواح الأنبياء والأولياء، اجتمع بهم متى شاء، يقظةً ومنامًا. وقد رأيت شيخنا ابن عربي مرارًا.
كذلك وقع له مرارًا .
مات بقونية سنة اثنين وسبعين وستمائة.
وكان شافعيًا، وقد أفحش ابن أبي حجلة في سبه، والله حسبه حيث قال:
«كلب الروم، وتلميذ ابن عربي المذموم، زوجه أمه، وخالف باتباعه الأمة، فجحد النعمة، وزعم أنه يبرئ الأكمة بالحكمة، فزاد عليه بالسفه، وتنــزيل الحادة على قواعد الفلسفة، فضل وأضل، وحل المربوط وربط المنحل، وإليه تنسب الطائفة الإسحاقية فسحقًا لهم.
ومن تصانيفه: الفكوك الكثيرة الشكوك، والنصوص التي خالف بها النص، واطلع بشرحها على كل عين أقبح فعمى، فازداد بها مع عمى البصيرة، وفتح بمفتاح غيب الجمع باب شر، فهو مثل شيخه السفيه، وأقل من أن يكثر الكلام فيه». وإلى هنا كلامه.
وقد قامت عليه القيامة، وعزّره بسبب هذه القضية السراج الهندي قاضي قضاة الحنفية
طبقات السبكي (45/8)، طبقات الأولياء (467)، طبقات الشعراني (203/1)، كرامات الأولياء (133/1).

أبواب الحضرة عرضة المسكن المشار إليه في الحديث المنسوب إلى الحق سبحانه، وهذا المسكن هو مقام الاستواء الرحماني فإن العرش كما قلنا سقف الجنات، وعدن الذي أخبر الرسول ﷺ أنه المسكن هو أعلى الجنات، وأعلى مرتبة فيه مرتبة هي ذات وجهين: وجه: يلي الكون واسمه الوسيلة، وصاحبها النبي ﷺ، والوجه الآخر: هو مقام الاستواء الرحماني المذكور، وكما أن النبي ﷺ مظهر الحق وظله كان منـــزله ظل مقام ربه المسمى مسكنًا فاعلم ذلك، وفي هذا الموطن يتعين رتب علم العلماء، وأهل الشهود، وأهل الاعتقادات الصحيحة، وفي الجنة يتعين رتب أعمالهم، والعلوم المتعلقة بالأعمال والأكوان.

قلت: فصح بهذا أن المقام المحمود هو الوسيلة، والدرجة الرفيعة هو القعود على العرش وأنه أعلى مقام ودرجة ومنـــزلة عند الله ليست لنبي مرسل ولا لملك مقرب اختص الله بها نبينا محمدًا ﷺ دون كل خصيص، ولهذا يغبطه في هذا الخصوص الأولون، والآخرون، والأدنون من سائر العوالم، والأعلون فهو مجلى الحق للخلق، ومجلى الخلق للحق، بل وتجلى الحق للحق وإلى حضرة جمعيته بتوجه الفيض الإلهي والوهب الرحماني على الدوام، فيعطي كل ذي حق حقه وكل شيء هداه وخلقه مما سوى الله من الأنام ﷺ صلواته التي يصليها عليه من هذا المقام وجعلنا من أهل الفضل والإنعام لا إله إلا هو ذو الجلال والإكرام.

وقولي: في الخطبة المرجوة في اليوم الموعود لسعادة كل مولود هو من المطلق المحمول على المقيد، وقد جاء ذلك في التبليغات الإلهية كثيرًا كقوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107].

باب الكتاب

ومنه يكون الدخول إلى معرفة وضعه على بينة وصواب

فصل

اعلم أنه لا بدَّ أن تدعو الحاجة إلى إيراد شيء من الأحاديث النبوية فنوردها مسندة بطريق شيخنا أبي المعروف ؓ إلى مخرجيها من الحفاظ متصلة برسول الله ﷺ، إما من مسموعاته، أو مروياته لتحصل المناسبة للكتاب فإنه موضوع لمناقبه، وعلومه، وآياته، وتبركًا بالإسناد الذي هو من خصائص هذه الأمة، وتصحيحًا لاتصال السيد برسول الله ﷺ بمصطلح الأئمة وغنية لطائفته عن غيره فيما يروونه إلا يسيرًا، أو ما جاء في كلام أسرده، أو نقله فإني قد أسنده إن ناسب الوضع وقد أرسله.

فصل

وأرجو من الله سبحانه أن أكون إن شاء الله تعالى بما قيدته من الأحاديث النبوية، والعلوم الإلهية ممن دعا لهم رسول الله ﷺ بالنظارة بغلب جراحة حديثه إلى من بعدهم كما أخبرنا شيخنا قطب الأولياء أبو المعروف ؓ فيما أذن لنا قال:

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الرحمن المنبجي الشهير بابن خطيب المرة في كتابه بعموم الإجازة، قال: أخبرنا المعمر الأصيل أبو نصر محمد بن محمد بن أبي نصر بن محمد بن هبة الله بن عميل الشيرازي إجازة أنا جدي أبو نصر سماعًا، قال أنا نصر بن سيار بن صاعد الهروي، قال: أخبرنا أبو عامر محمود بن القاسم بن محمد الأزدي، قال: أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد بن الجراح الجراحي، قال أنا أبو العباس محمد بن أحمد بن محبوب المحبوبي، قال حدثنا أبو عيسى الحافظ الترمذي رحمه الله، قال: حدثنا محمود بن غيلان، قال: أنا أبو داود، قال: أنبأنا شعبة عن سماك بن حرب، قال: سمعت عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ؓ يحدث عن أبيه ؓ قال: سمعت النبي ﷺ يقول:

«نضر الله امرأ سمع منا شيئًا فبلغه كما سمعه؛ فرب مبلغ أوعى من سامع»[1].

وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

وأخبرني الحافظ جمال الدين محمد بن ولي الله موسى المراكشي أن هذا الإسناد أعلى ما يروي به الترمذي في هذا الزمان، وأحسنه.

وقال بعض شيوخنا الأكابر المحققين: إن العارف إذا مات فتنقل عنه تلميذه مسألة في توحيد الله وأفادها فإن ذلك العارف يجني ثمرتها عند الله، ويجازي الله بها الميت جزاء وجوب فإنها من سعيه، فلذلك له عند الله بطريق الوجوب الإلهي الذي أوجبه على نفسه. انتهى كلامه، فعلى هذا فمن حق الشيوخ على المريدين حفظ علومهم، وفوائدهم، وإبلاغها إلى من بعدهم ليستفاد منهم ويكثر بأجور من استفاد بها أجرهم ويعرف بها ما لهم من الله ويحيى بها ذكرهم فكم مات بعدم الذكر من كبير، وكم فات بالنسيان من العلوم من كثير، وكم ستر الإهمال من شهير، وفي ذلك قلت:

تموت الخبايا في الزوايا وما لها	من الناس بين الناس للناس ذاكر
تفوت كرامات الرجال شواردًا	إذا لم تقيدها علينا الدفاتر

ورحم الله الشيخ الإمام عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليافعي وجزاه خيرًا حيث

---

(1) رواه أحمد (3942)، والترمذي (2580)، وأبو داود (3175)، وابن ماجه (226).

استدرك بقايا لبعض أولياء اليمن وغيرهم، بعد أن كادت تفوت، فعُرِف بها من كان قد جهل، وتعرف بها من كان قد أنكر وأهمل، وقد أمرنا رسول الله ﷺ بالتبليغ عنه، والحديث عن بني إسرائيل فيما نرويه عن شيخنا أبي المعروف -قدس الله سره- بالسند المقدم إلى الترمذي -رحمه الله- بسنده إلى عبدالله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»[1].

فإذا كنا مأمورين بالحديث عن بني إسرائيل؛ فكيف لا نحدث عن أولياء هذه الأمة وعلمائها الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل»[2].

بلى نحن أولى أن نحدث بالذي ... رَويناه عنهم من عُلوم المواهِب
ونثبتْ مَا أولاهم الله مِنَّة ... من علوم وأسرار وأسنى المنَاقِب

فصل

ولما كان هذا الكتاب مقصودًا لإثبات كرامات، وبيان علوم وآيات، وإظهار أنوار وتجليات، وإبراز أسرار وتنزلات، وإثبات الأخبار عن المغيبات، والاطلاع على الغيبيات في العوالم العلويات والسفليات، وجواز قلب الأعيان، وخرق العادات؛ وجب أن نقدم للناظر فيه أصولاً يستند إليها، وقواعد يعتمد عليها ليسلم من مأثم موبقات الإنكار، والحرمان ويغنم من مغانم موجبات التصديق، والإيمان، ويزداد بذلك من علم التقوى وتنبعث همه إلى الغاية القصوى، وإن طال بذلك منا المطال واتسع المقال فهو أمر مقصود وقصد محمود.

القاعدة الأولى: في إثبات الكرامات للأولياء كما تثبت المعجزات للأنبياء.

القاعدة الثانية: في وجوب التصديق بالكرامات كما وجب التصديق بالمعجزات والتحذير من التكذيب والإنكار الموجبان للحرمان ودخول النار.

القاعدة الثالثة: في إثبات ما جاز كونه للأول أن يكون للآخر إذ لا مانع من ذلك ولا حاجز.

القاعدة الرابعة: في أن النظر في حكايات المواهب والكرامات، والعلوم الإلهيات يثير الهمم إلى طلب الأمور العاليات وإن حسن الظن، والمحبة الصافية الصادقة يلحقان الأصاغر بالأكابر في أعالي درجات المقامات العالية.

---

(1) رواه البخاري (3202).

(2) ذكره المناوي في «فيض القدير» (384/1)، والعجلوني في «كشف الخفاء» (83/2).

القاعدة الأولى:

في إثبات الكرامات للأولياء كما تثبت المعجزات للأنبياء.

اعلم أن ثبوت الولاية للأولياء وظهور الكرامات كقلب الأعيان، وخرق العادات، والإخبار عن المغيبات، والاطلاع على العوالم العلويات، والملكوتيات، والجبروتيات، والغيوب الرحمانية كالملائكة، والجن، وسائر الهياكل الناريات، والنوريات، والغيوب الجسدانية المتخيلة في عالم الخيال ترى في اليقظة، وهي من العوالم المعنويات، والغيوب المعنوية كالقدر، والعلوم، والإرادات، والغيوب الإلهية كالمعارف، والتجليات والتنزيلات وسريان الحياة في الحيوانات، والنباتات، والجمادات، وسائر الموجودات، وإحياء الموتى، وإماتة الأحياء، واستجابة الدعوات، ومعرفة الشقي من السعيد، وإيجاد المعدوم، وقضاء الحاجات، وشهود الأجل في العاجل، وما كان وما لم يكن في الآن الحاصل، واختراق الهواء، والمشي على الماء، والتصور بالصور في الأمكنة من غير تنقل، والكون في الأزمنة من غير تحرك، وكشف غيوب البواطن، والضمائر، والفكر، والخواطر، والقلوب، والسرائر، كل ذلك جائز وقوعه للأولياء عقلاً ونقلاً.

فأما جوازه عقلاً فلكونه ليس بمستحيل في قدرة الله تعالى، بل هو جائز الإمكان ومن أنكر ذلك وجحده فقد عجَّز القدرة الإلهية ووصفها بالعجز والنقصان نعوذ بالله من الجهل والكفران.

قال إمام المتكلمين إمام الحرمين -رحمه الله- الذي صار إليه أهل الحق: انخراق العادات في حق الأولياء وأطبقت المعتزلة على ذلك؛ فإن قيل: ما دليلكم على جوازها؟

قلنا: ما من أمر بخرق العوائد إلا وهو من مقدور الرب سبحانه، وكذلك قال بتجويز وقوع جميع خوارق العادات أئمة الأصول المحققون وأكابر المتكلمين المعتمدين.

وقال شيخنا شهاب الدين أحمد السهروردي -رحمه الله تعالى[1]: وأجمعوا على

---

(1) يحيى بن حبش الشهاب السهروردي كذا سماه بعضهم: عمر شهاب الدين السهروردي.
وهو صاحب التصانيف المشهورة.
قال ابن خلكان: كان شافعي المذهب واتهم بانحلال العقيدة.
وقال الآمدي: اجتمعت به فرأيت علمه أكبر من عقله.
وقال غيره: كان أوحد زمانه في علم الحكمة، عارفًا التصوف، ماهرًا في أصول الفقه، مفرط الذكاء عجيب القريحة، متوقد الذهن، فصيحًا مفوهًا، طاف البلاد على طريق الفقر والتجريد بحيث كان عليه دلق وعلى رأسه فوطة مفتولة ومعه إبريق وعكاز لا يزيد على ذلك.
وقدم حلب فناظر أهلها واستهتر بهم وشطح وتهتك بكلمات الحكماء والصوفية وجهر بذلك،
=

إثبات الكرامات للأولياء، وجوازها في عصر النبي ﷺ وفي غير عصره.

وقال شيخنا الإمام أبو القاسم القشيري[1] -رحمه الله تعالى: وفي الجملة فالقول

=

فأجمعوا على كيده ورتبوا فتاوى وكتبوا عليها بإهدار دمه، فقتله الملك الظاهر غازي بعد اختصاصه به بأمر عمه صلاح الدين.

فقيل: حبس بمكان ومنع الطعام والشراب حتى مات.

وقيل: سلخ فأملى على بعض طلبته قصيدة من نظمه ارتجالاً كل بيت منها قاعدة لعلم من علوم الحكمة يستخرج من جميع قوانينه وأساليبه.

وذلك بحلب سنة ست وثمانين وخمسمائة وعمره ست وثلاثون سنة.

ومن تصانيفه: كتاب حكمة الأشراق، والألواح العمادية، والتلقيحات في أصول علم الشافعية، والتلويحات اللوحية والعرشية والمطارحات والمقاومات وهياكل النور والمعارج وغير ذلك.

وهو المراد بالشهاب المقتول حيث أطلقه علماء الحكمة والأصول.

ومن كلامه:

من صبر نفسه عن الشهوات ملكها، ومن ملكها أمكنه أن يعتزل الناس، ومن اعتزلهم قلت همومه، ومن قلت همومه قلت فكرته، ومن قلت فكرته حسنت عبادته، ومن حسنت عبادته اتصلت نفسه بالروحانيات، ومن اتصلت نفسه بها انصبغت بنور الحق، وإذا انصبغت به أقبلت جواهر النفوس الإنسانية على مراده كيف كان. وانظر: وفيات الأعيان (6/268)، مرآة الجنان (3/434)، الشذرات (4/290).

(1) الأستاذ أبو القاسم القشيري، الملقب زين الإسلام الإمام مطلقًا وصاحب الرسالة التي سارت مغربًا ومشرقًا، والأصالة التي تجاوز بها فوق الفرقدين. إمام الأئمة، ومجلي ظلمات الضلال المدلهمة، شيخ المشايخ، أستاذ الجماعة، مقدم الطائفة الجامع للطريقين.

ولد سنة سبع وسبعين وثلاثمائة. وسمع الحديث من الحاكم والأهوازي والسلمي وغيرهم، وروى عنه الخطيب وغيره.

وكان فقيهًا من فقهاء الشافعية، أصوليًا متحققًا متكلمًا سنيًا محدثًا حافظًا مفسرًا مفتيًا نحويًا لغويًا أديبًا كاتبًا شاعرًا، مليح الخط جدًا، شجاعًا بطلاً، أجمع أهل عصره على أنه سيد زمانه وقدوة وقته وأوانه، لم ير مثل نفسه ولا رأى الراؤون مثله في كلامه وبراعته، جمع بين الشريعة والحقيقة، وأما المجالس في التذكير والقعود بين المريدين وأجوبة أسئلتهم عن الوقائع فأجمعوا على أنه عديم النظير فيه، وتصانيفه في ذلك مشهورة، وقد ترجمه في دمية القصر فقال: الإمام شيخ الإسلام الجامع لأنواع المحاسن تنقاد إليه صعابها لوقوع الصخر بسوط تحذيره للذاب، ولو ربط إبليس في مجلس تذكيره لتاب، وله «فصل الخطاب في فضل النطق المستطاب»، ماهرٌ في التكلم على مذهب الأشعري،خارج في إحاطته العلوم عن الحد البشري، كلماته للمستفيدين فوائد، وعتبات منبره للعارفين وسائد، وقد بلغ أتباعه الوفًا، وحضر درسه الجمع الكثير من الأكابر، مرض له ولد بحيث أيس منه فشقّ عليه، فرأى الحق تعالى في النوم فقال: اجمع آيات الشفاء واقرأها عليه، واكتبها في إناء واسقه إياها، ففعل فعوفي.

ومن تصانيفه: «التفسير الكبير»- قال ابن خلكان: من أجود التفاسير والرسالة المشهورة التي

=

بجواز إضمارها على الأولياء واجب، وعليه جمهور أهل المعرفة، ولكثرة ما تواتر بأجناسها والأخبار والحكايات صار العلم بكونها وظهورها على الأولياء في الجملة علمًا قويًا انتفت عنه الشكوك.

وقيل لسهل بن عبد الله التستري [1] -رحمه الله: كيف تظهر الكرامة للولي؟ فقال: يأخذ ما يشاء كما يشاء من حيث يشاء.

وقال الإمام أبو بكر بن فورك -رحمه الله: المعجزات دلالات الصدق، ثم إن ادعى صاحبها النبوة؛ فالمعجزة تدل على صدقه في حالته، وإن أشار صاحبها إلى الولاية دلت المعجزة على صدقه في حالته فتسمى كرامة ولا تسمى معجزة، وإن كانت من

=

قلما تكون في بيت - و«التحرير في التذكير وآداب الصوفية»، و«لطائف الإشارات» وكتاب «الجواهر» و«عيون الأجوبة في أصول الأسئلة»، وكتاب «المناجاة»، وكتاب «نحو القلوب»، وكتاب «الكبير والصغير»، وكتاب «أحكام السماع» و«الأربعين» وغير ذلك، وخلّف ستة رجال عباد كلهم من السيدة فاطمة ابنة الأستاذ أبي الدقاق ﷺ.

ومن كلامه: التوحيد في كلمة واحدة: كل ما تصورته الأوهام والأفكار فالله بخلافه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:11].

وقال: الاستقامة توجب الكرامة.

وقال: الإخلاص إفراد الحق في الطاعة بالقصد أو يقال: تصفية الفعل عن ملاحظة مخلوق.

وقال: المريد لا يفتر آناء الليل وأطراف النهار، فهو في الظاهر بنعت المجاهدات، وفي الباطن بوصف المكابدات، فارق الفراش، ولازم الانكماش، وتحمل المصاعب، وركب المتاعب، وعالج الأخلاق ولازم المشاق، وعانق الأهوال وفارق الأشكال.

وقال: الخلوة صفة أهل الصفوة، والعزلة من أمارات الوصلة، ولا بد للمريد في ابتداء أمره من العزلة عن أبناء جنسه، ثم في نهايته من الخلوة لتحققه بأنسه.

وقال: حقيقة العزلة الاعتزال عن الخصال المذمومة، وتبديل الصفات بالصفات، لا البعد عن السكن والوطن، ولهذا قيل: العارف كائن بائن - أي كائن مع الخلق بائن عنهم بسره-

وقال: زال الورع وطوى بساطه واشتد الطمع وقوى رباطه.

مات سنة خمس وستين وأربعمائة ودفن بجانب أستاذه الدقاق رضي الله عنهما. انظر: وفيات الأعيان (205/3)، سير الأعلام (227/18)، طبقات السبكي (153/5).

(1) قال السلمي: سهل بن عبد الله التستري وهو سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع وكنيته أبو محمد أحد أئمة القوم وعلمائهم والمتكلمين في علوم الرياضات والإخلاص وعيوب الأفعال صحب خاله محمد بن سوار وشاهد ذا النون المصري سنة خروجه إلى الحج بمكة. وأسند الحديث. توفي قدّس سرُّه العزيز سنة ثلاث وثمانين وقيل: سنة ثلاث وتسعين ومائتين وأظن أن ثلاثًا وثمانين أصح، والله أعلم.

وانظر: الحلية (189/10)، وطبقات الصوفية (ص206)، والطبقات الكبرى للشعراني (90/1).

جنس المعجزات.

وسمعت شيخنا قطب الأولياء المحققين أبا المعروف إسماعيل بن ابراهيم الجبرتي ﷺ يقول: المعجزة هي الكرامة، والكرامة هي المعجزة، فبالنسبة إلى النبي تسمى معجزة، وبالنسبة إلى الولي تسمى كرامة، والنبي له أن يتحدى بها والولي ليس له أن يتحدى بها.

وقال جمهور الأئمة المحققين من أهل السنة: إن كل ما جاز للأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم من المعجزات جاز للأولياء مثله من الكرامات بشرط عدم التحدي، والممتنع على الأولياء التحدي لأنفسهم، أما التحدي للولي بما يثبت به أمرًا من أمور النبوة فجائز فليعلم.

وأما وقوعه نقلاً فقد جاء في كتاب الله ﷻ وسنة رسول الله ﷺ مما هو معجزات للأنبياء وكرامات للأولياء ما لا يمكن حصره، ولا يدخل تحت الوسع سطره، فأما قسم المعجزات فأمر مفروغ منه وشيء أغنانا الله بالإيمان عنه.

وأما قسم الكرامات؛ فنورد مما جاء فيه من الأيات الإلهيات، والأحاديث النبويات ما يكون ترفيعًا لشأن المؤمنين وكبحًا وتفريقًا لشوارد المنكرين، وبعد ذلك فمن شاء فليؤمن وأجره على الله، ومن شاء فليكفر فقد باء بغضب من الله وما ظلمهم الله، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: 32].

قال الله تعالى: ﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس: 62، 63، 64].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: 54].

وقال عزَّ وعلا: ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ﴾ [البقرة: 251].

وقال سبحانه: ﴿فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً﴾ [النساء: 69].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: 42].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: 56].

وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف: 28].

وجاء في ذلك من الأحاديث النبويات ما يشهد بصحة الولاية للأولياء، وما أكرم الله به عبادًا ليسوا بأنبياء.

أخبرنا شيخنا شيخ الإسلام علم الأولياء الكمل الأعلام شيخ شيوخ العارفين، وأئمة المحققين المعرفين قطب الملة والدين أبو المعروف إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي -قدس الله سره- فيما أذن لنا مشافهة قال: كتب إلى الشيخ المسند المعمر أبو إسحاق برهان الدين إبراهيم بن محمد بن صديق المؤذن الرسام الصوفي أن الشيخ المسند المعمر الرحلة أبا العباس أحمد بن أبي طالب المنعم الحجار أخبره فيما أذن له عن أبي عبد الله الحسين بن أبي بكر الزبيدي وابن المنجا عبد الله بن عمر بن علي بن زيد اللتى وغيرهما عن الأستاذ المسند أبي الوقت عبدالأول بن عيسى بن شعيب السجزي، قال: أنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن عفيف الكلاري، قال: أنا أبو علي منصور بن عبد الله بن خالد الخالدي، قال: أنا أبو بكر محمد ين بكر بن محمد بن عبد الرازق المعروف بابن راسة التمار، قال: أنا الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني -رحمه الله- قال: أنا زهير بن حرب وعثمان بن شيبة قالا: حدثنا جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن عمرو بن جرير أن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال النبي ﷺ:

«إن من عباد الله تعالى لأناسًا ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله تعالى» قالوا: يا رسول الله! تخبرنا من هم؟ فقال: «هم قوم تحابوا بروح الله، على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى نور لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس» وقرأ هذه الآية ﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1] [يونس: 62].

قال بعض أكابر المحققين في الدين: يغبطهم الأنبياء هم المحمديون يغبطوهم للبركة المحمدية التي نالتهم من المقام الأعم، قلت:وهذا الحديث أرويه عن شيخنا أبي المعروف -قدس الله سره- عن الشيخ المعمر أبي العباس بإذنه العام واجتمعت أنا بالشيخ برهان الدين ابن صديق بالمدينة الشريفة في شهر رمضان سنة سبع وتسعين وسبعمائة وسمعت

(1) رواه أحمد (21824)، وأبو داود (3060).

عليه في الروضة الجنانية شيئًا مما قُرأ عليه، ثم اجتمعت به بمكة المشرفة في شهر رمضان سنة أربع وثمانمائة وسمّعت عليه تجاه الكعبة المعظمة وأجاز لي رواية مروياته لفظًا وخطًا في التاريخين، وكان من عباد الله الصالحين نفع الله به آمين.

وأخبرنا شيخنا أبو المعروف ﷺ فيما أذن لنا بما يرويه عن الشيخ المسند أبي إسحاق برهان الدين إبراهيم بن محمد المؤذن الصوفي قال: أنا الشيخ المسند أبو العباس أحمد بن أبي طالب الصالح سماعًا، قال أنا الحسين بن المبارك، قال: أخبرنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب الصوفي، قال: أنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد المظفر الداودي، قال: أنا أبو محمد عبد الله بن أحمد السرخسي، قال: أنا أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفريري، قال: أنا محمد بن إسماعيل البخاري –رحمه الله تعالى– قال: أنا سلمان بن حرب، قال: أنا محمد بن طلحة عن طلحة عن مصعب عن سعد، قال: رأى سعدٌ ﷺ أن له فضلاً على من دونه، فقال رسول الله ﷺ: «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم»[1].

وأخبرنا شيخنا أبو المعروف بهذا الإسناد إلى البخاري بسنده إلى أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله ﷻ تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى سماء الدنيا»[2].

وفيه أنه سبحانه يغفر لأهل ذلك المجلس، وفيه «يَقُولُ مَلَكٌ مِنْ الْمَلاَئِكَةِ: فِيهِمْ فُلاَنٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: هُمْ الْجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»[3].

وبإسناد شيخنا أبي المعروف ﷺ إلى البخاري بسنده إلى أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ: «إن الله ﷻ قال: وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي عليها»[4].

وفي رواية: «وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه»[5].

وفي روايات هذا الحديث عند غير البخاري: «كنت سمعًا، وبصرًا، ولسانًا، وقلبًا، وعقلاً، ومؤيدًا»[6].

---

(1) رواه البخاري (2681).

(2) رواه البخاري (6045).

(3) رواه البخاري (5929).

(4) رواه البخاري (6021).

(5) رواه البخاري (6137).

(6) رواه الترمذي في «نوادر الأصول» (2/232).

قلت: فإن كان الله سبحانه من عبده عين سمعه، وبصره، ويده، ورجله، سمع نطق الحيوانات، والنباتات، والجمادات، وسائر المخلوقات واستوى عنده في ذلك القرب والبعد؛ فإن الله تعالى عين سمعه، ونظر المغيبات في الأرضين والسماوات، وسائر العوالم العلويات، والسفليات، والدنيويات، والبرزخيات، والأخرويات فإن الله عين بصره وقبض وبسط ومحى وأثبت ونقض وأبرم؛ فإن الله عين يده، واخترق المسافات البعيدة، ومشى على الماء والهواء في أدنى من لمحة وطرفة فإن الله عين رجله، ويقول للشيء: كن فيكون؛ فإن الله عين لسانه وكون الله من عبده هكذا من أكبر المواهب والكرامات وأعظم المنح والعطيات.

قال الحسين بن منصور الحلاج [1]: بسم الله من العبد بمنـــزلة كن من الحق.

وقال شيخنا قطب الممكنين محيي الدين عبد القادر الجيلاني [2] -أعاد الله علينا من بركاته: بسم الله من العارف ككن من الله.

---

(1) هو الحسين بن منصور الحلاج البيضاوي، ثم الواسطي صوفي أضاء في أفق المشرق بدره ثم اشتهر في أقطار المغرب ذكره، وله خوارق سيوفها مجردة وعجائب سننها محددة، أصله من بيضاء فارس، ونشأ بواسط، وصحب الجنيد والثوري وغيرهما.

وكان – قدس سره- من أهل الشطح، وقد اختلف فيه الناس ما بين مكفّر له، ومعتقد ولايته، وهم الجمهور ومنهم القشيري في الرسالة وابن الحاج في المدخل وغيرهما. وانظر: الكواكب الدرية للمناوي (329)، والانتصار للموصلي الكردي (569) بتحقيقنا.

(2) قال الحافظ الذهبي في تاريخه: عبد القادر بن أبي صالح عبد الله جنكادوست، وزاد البعض في نسبه إلى أن وصله بالحسن ﷺ؛ فقال: ابن أبي عبد الله بن عبد الله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ. وقال الإمام الحافظ بن رجب في كتابه الذي جعله ذيلاً على كتاب طبقات الحنابلة، للقاضي أبي يعلى بن الفراء : عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن جنكادوست بن أبي عبد الله، وبعض الناس يذكر له نسبًا إلى علي بن أبي طالب، فذكره.

وقال الإمام الصفدي في تاريخه: عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن جنكادوست، وينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب.وقال الحافظ شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطي في معجمه، في ترجمة الفضل بن عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر الجيلي، وجزم به الحافظ تقي الدين أبو المعالي محمد بن رافع السلامي في تاريخه الذي جعله ذيلاً على تاريخ الحافظ محب الدين بن النجار.

قلت: وقد أثبت نسبه كاملا العلامة محمد بن مكي عزوز في كتاب أسماه «السيف الرباني في عنق المعترض على الغوث الجيلاني»، كان سبب تأليفه أن بعض الجهلة شك في نسب الشيخ عبد القادر ومدى صحة نسبته للسيد الأعظم ﷺ ؛ فأقام المصنف – جزاه الله خيرًا – بذكر تلك النسبة واثبات صحتها من خلال أدلة ساطعة، ونقول من كتب التاريخ بما لا يدع مجال للشك في صحة تلك النسبة الشريفة؛ (طبع العلمية مع كتاب فتوح الغيب لسيدي عبد القادر بتحقيقنا).

وقال شيخنا شيخ المحققين محيي الدين محمد بن علي بن العربي[1]: لكن بعض العباد

(1) قال المناوي في ترجمته: هو محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي.
العارف الكبير، محيي الدين بن عربي، ويقال ابن العربي.
قال شيخنا الشعراوي: ورأيته بخطه في كتاب «نسب الخرقة»كان مجموع الفضائل، مطبوع الكرم والشمائل، قد فض له فضلة ختام كل فن، وبلّ له وبله رياض ما شرد من العلوم وعن، ونظمه عقود العقول، وفصوص الفصول.
وحسبك بقول زروق وغيره من الفحول ذاكرين أحد فضله: هو أعرف بكل فن من أهله، وإذا أطلق الشيخ الأكبر، في عرف القوم، فهو المراد.
ولد بمرسية، سنة ستين وخمسمائة، ونشأ بها، وانتقل إلى إشبيلية سنة ثمان وسبعين، ثم ارتحل وطاف البلدان، فطرق بلاد الشام، والروم، والمشرق، ودخل بغداد وحدث بها بشيء من مصنفاته.
وأخذ عنه أحد الحفاظ، كذا ذكره ابن النجار في الذيل.
وقال ابن الحافظ في لسان الميزان: «وهو ممن كان يحط عليه، ويساء الاعتقاد فيه».
كان عارفًا بالآثار والسنن، قوي المشاركة في العلوم، أخذ الحديث عن جمع، وكان يكتب الإنشاء لأحد ملوك المغرب، ثم تزهد وساح، ودخل الروم، والحرمين، والشام، وله في كل بلد دخلها مآثر.
وقال أحدهم: برز منفردًا، مؤثرًا للتخلي والانعزال عن الناس ما أمكنه، حتى أنه لم يكن يجتمع به إلا الأفراد، ثم آثر التأليف، فبرزت عنه مؤلفات لا نهاية لها، تدل على سعة باعه، وتبحره في العلوم الظاهرة والباطنة، وأنه بلغ مبلغ الاجتهاد في الاختراع والاستنباط، وتأسيس القواعد والمعاقد التي لا يدركها، ولا يحيط بها إلا من طالعها بحقها، غير أنه وقع له في تضاعيف بعض تلك الكتب، كلمات كثيرة أشكلت ظواهرها، فكانت سببًا لإعراض كثيرين لم يحسنوا به الظن، ولم يقولوا كما قال غيرهم من الجهابذة المحققين، والعلماء العاملين، والأئمة الوارثين إن ما أوهمته تلك الظواهر ليس هو المراد، وإنما المراد أمور اصطلح عليها متأخرو أهل الطريق، غيرة عليها حتى لا يدعيها الكذابون، فاصطلحوا على الكناية عنها بتلك الألفاظ الموهمة، خلاف المراد، غير مبالين بذلك؛ لأنه لا يمكن التعبير عنها بغيرها.
وقد تفرق الناس في شأنه شيعًا ، وسلكوا في أمره طرائق قددًا.
فذهب طائفة إلى أنه زنديق لا صديق.
وذهب قوم إلى أنه واسطة عقد الأولياء ورئيس الأصفياء.
وصار آخرون إلى اعتقاد ولايته وتحريم النظر في كتبه.
وغول جمع على الوقف والتسليم قائلين: الاعتقاد ضيعة، والانتقاد حرمان.
وإمام هذه الطائفة شيخ الإسلام النووي، فإنه استفتي فكتب: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة:134] وتبعه على ذلك كثيرون، سالكين سبيل السلامة.
وقد حكي عن شيخه النووي أنه سئل عنه فقال: اختلف فيه من الكفر إلى القطبانية، والتسليم واجب، ومن لم يذق ما ذاقه القوم، ويجاهد مجاهداتهم لا يسعه من الله الإنكار عليهم.
والمنكرون عليه فريقان:

=

=

- فريق قصد بإنكاره تنفير الناس عن مطالعة كلامه لما اشتمل عليه من المشكلات وغويص المعضلات، فلم يقصدوا بإنكارهم خطأً نفسانيًا بل سلامة الناس من السقوط في تلك الطامات، كما هو مشاهد من حال كثير ممن اعتقده، وأكب على مطالعة كتبه، فوقع في الخطأ والخطل، حتى ضل وأضل، ولهذا بالغ ابن المقري في روضه، فحكم بكفر من شك في كفر طائفة ابن عربي، فحكمه على طائفته بذلك يشير إلى أنه إنما قصد التنفير عن كتبه، وإن من لم يفهم كلامه، ربما وقع في الكفر باعتقاده خلاف المراد.

وللقوم اصطلاحات أرادوا بها معاني غير المعاني المتعارفة، فمن حمل ألفاظهم على معانيها المتعارفة بين أهل العلم الظاهر ربما كفر، كما قال الغزالي.

وقد حكى الشيخ الإمام ناصر الدين الطبلاوي أنه دخل القاهرة رجل أعجمي، عليه لوائح العارف، فكثر أتباعه جدًا، وألحوا عليه في قراءة الفصوص فامتنع، فما زالوا يلحون ويبرمون، حتى وعدهم بعد الاستخارة مرارًا بشرط ألاّ يقرلهم إياه إلا فيما وراء النيل من أرض الجيزة، وألاّ يحضر معهم غيرهم، فقرره لهم هناك تقريرًا بديعًا بلسان الحقيقة المؤيد بالشريعة، ولزم ذلك مدة، ثم انقطع يوم النوبة، فسألوه عن السبب، فقال: نظرت الليلة في الدرس، فأشكل علي موضع منه، فكررت النظر، فرأيت الأمر أشكل، فتوجهت، وأخلصت إلى الله في التوجه ليكشف لي ذلك فكشف لي، فرأيت الشيخ في هذه المسألة اختل كشفه، فانتقل نظره، فأمسكت عن هذا الكتاب بخصوصه.

- وفريق قصد بالإنكار عليه وعلى أتباعه الانتصار لحظ نفسه، لكونه وجد قرينه وعصريه يعتقد، وينتصر له، فحمله حمية الجاهلية على معاكسته، فبالغ في خذلانه وخذلان أتباعه ومعتقديه، وقد شوهد عود الخذلان والخمول على هذا الفريق، وعدم الانتفاع بعلومهم، وتصانيفهم على حسنها.

وممن كان يعتقده سلطان العلماء ابن عبد السلام، فإنه سئل عنه أولاً، فقال: شيخ سوء كذاب، ولا يحرم فرجًا، ثم وصفه بعد ذلك بالولاية بل بالقطبانية، وتكرر ذلك منه. وحكي عن اليافعي أنه كان يطعن فيه ويقول هو زنديق. فقال له أحد أصحابه يومًا: أريد أن تريني القطب. فقال: هو هذا. فقيل له: فأنت تطعن فيه. قال: حتى أصون ظاهر الشرع.

ومنهم الزملكاني، قال في كتابه المؤلف في النبي والملك: كان الشيخ ابن عربي بحرًا زاخرًا في المعارف الإلهية.

ومنهم اليافعي في إرشاده، ووصفه بالمعرفة والتحقيق، فقال: اجتمع الشيخان الإمامان العارفان المحققان الربانيان السهروردي وابن عربي، فأطرق كل منهما ساعة، ثم افترقا من غير كلام، فقيل لابن عربي: ما تقول في السهروردي؟ قال: مملوء سنة من قرنه إلى قدمه. وقيل للسهروردي: ما تقول في ابن عربي؟ قال: بحر الحقائق.

ومنهم قاضي القضاة الشمس الباسطي المالكي، فإنه حضر مجلس فيه العلاء البخاري، فبالغ البخاري في ذمه، وتكفير معتقديه، فانتصر له الباسطي وقال: أما ينكر الناس عليه ظاهر الألفاظ التي يقولها؟ وإلا فكيف في كلامه ما ينكر إذا حمل مراده، وضرب من التأويل -وكان من كلام البخاري الإنكار على من يعتقد الوحدة المطلقة- فقال الباسطي: أنتم ما تعرفون الوحدة المطلقة؟ فاستشاط غضبًا، وحلف إن لم يعزله السلطان خرج من مصر. فعزم السلطان على ذلك فما تم،

=

=

واستمر الباسطي في منصبه بعد ذلك إحدى عشرة سنة حتى مات، ولم يتفق له عزل قط بعدها.
ولما جرت كائنة البقاعي، وعقدت بسببها المجالس، وأجمع أكثر أهل ذلك العصر على اعتقاد ابن عربي وتأويل كلامه، أراد أحد الناس أن يوقد نار الفتنة بين المعتقدين والمنكرين، وسعى بذلك إلى السلطان، فأمر بأخذ خطوط العلماء، فامتنع شيخ الإسلام زكريا السبكي من الكتابة خوف الفتنة، فتأثر منه المعتقدون، فخرج من درسه بجامع الأزهر، فلقيه سيدي محمد الإسطنبولي المجذوب الصاحي، فتعرض له وقال: يا زكريا، نحن رفعناك من الأرض إلى السماء ومع ذلك تتوقف في الكتابة؟ فاعتذر الشيخ وبالغ وكتب.
ثم آل الأمر إلى نصرة المعتقدين على المنكرين.
وأقوى ما احتج به المنكرون أنه لا يؤول إلا كلام المعصوم.
ويرده قول الإمام النووي في «بستان العارفين» بعد نقله عن أبي الخير التيناني والعة ظاهرها الإنكار: «وقد يتوهم من يتشبه بالفقهاء، ولا فقه عنده أن ينكر هذا، وهذا جهالة وغباوة، ومن يتوهم ذلك، فهي جسارة منه على إرسال الظنون في أولياء الرحمن، فليحذر العاقل من التعرض لشيء من ذلك، بل حقه إذا لم يفهم حكمهم المستفادة، ولطائفهم المستجادة، أن يتفهمها ممن يعرفها. وربما رأيته من هذا النوع ممن يتوهم فيه من لا تحقيق عنده أنه مخالف ليس مخالفًا، بل يجب تأويل أفعال أولياء الله». إلى هنا كلامه. وإذًا: وجب تأويل أفعالهم، ووجب تأويل أقوالهم، لا فرق.
وكان المجد صاحب القاموس عظيم الاعتقاد في ابن عربي، ويحمل كلامه على المحامل الحسنة، وطرّز شرحه للبخاري بكثير من كلامه.
وقد عظم انتشار كتبه بالأقطار وبأرض الروم، فإنه أخبر في أحدها بصفة جد السلطان سليمان، وفتحه لبلدهم في وقت كذا، فكان كذلك.
فلذلك بني على قبره قبة عظيمة، وجعل فيها طعامًا وخيرات، حتى احتج أحد المنكرين عليه من الفقراء لدخولها بعدما كانوا يبولون ويروثون على قبره.
وأخبر الشعراوي عن أحد إخوانه، أنه شاهد رجلاً أتى ليلاً بنار ليحرق تابوته، فخسف به، وغاب بالأرض، فأتى أهله فحفروا، فوجدوا رأسه، فكلما حفروا نزل في الأرض، فعجزوا، فأهالوا عليه التراب.
وكان شيخنا شيخ الإسلام، فقيه عصره، الشمس الرملي، يوصي من يميل إليه من تلامذته، بتعظيم ابن عربي واعتقاده، وينقل ذلك عن أبيه.
وحكى الشيخ شهاب الدين بن حجر الهيتمي عن أحد مشايخه أنه كان من المنكرين فمرض، واشتد به ضيق النفس حتى منعه الطعام والمنام وقال: فقلت له هذا من الإنكار. فسبّني، ثم رجع وقال: لعلك صادق. فقلت له: إذن، اعقد التوبة عن الإنكار عليه، وأنتم يحصل لكم الشفاء فورًا. فقال: تبت، ولا أعود. فشفي.. وصار يأكل ويشرب وينام مدة.
ثم جاءه رجل من معتقدي ابن عربي، فبحث معه شأنه، فحمله حنقه منه على أن قال: اشهدوا على أني باقٍ على الإنكار، فعاد إليه المرض بأشد ما كان إلى أن مات. وكان ألّف كتبًا فاقت على جميع أهل عصره، فلم ينفع الله بشيء منها.
ومن تأمّل سيرة ابن عربي، وأخلاقه الحسنة، وانسلاخه من حظوظ نفسه، وترك العصبية، حمله

=

وخوارق العادات.

وكذلك كما أخبر الله عن آصف بن برخيا الذي عنده علم من الكتاب وهو ولي ﷺ في قوله لسليمان ﷺ: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ﴾ يعني: عرش بلقيس، ﴿قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل:40]، وهو على مسافة بعيدة، وحتى قيل: إنه جاء به من تحت الأرض، وقطع المسافة البعيدة قبل ارتداد الطرف واختراق الإنس الأرض من خوارق العادات وأعجب الكرامات.

وكذلك قصة سيدنا موسى ﷺ مع الخضر ﷺ مع كون موسى نبيًّا ورسولاً كريمًا، وكون الخضر وليًّا في كسر السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار، كما أخبرنا الله ﷻ عنهما فكان فعل الخضر لذلك كله على علم الغيب علمه الله إياه لم يعلمه موسى، وكذلك تمثل جبريل ﷺ لمريم بشرًا سويًا كما أخبر الله ﷻ في كتابه، قيل: ظهر لها بصورة العابد الإسرائيلي، وظهور الملائكة للأولياء من خوارق العادات.

وكذلك قصة ذي القرنين وهو ولي مكنه الله ما لم يمكن لغيره، وأتاه من كل شيء سببًا، وإخباره عن اندكاك السد وهو غيب.

وكذلك السامري رأى الملك قائمًا عند موسى فقبض القبضة من أثره وهو غيب، وكل هذه أمور ناقضة للعادة لا تقع إلا لعباد الله الصالحين.

وجاء في سنة رسول الله ﷺ ما أخبرنا به شيخنا أبو المعروف ﷺ إجازة مشافهة بالإسناد المتقدم إلى البخاري –رحمه الله– بسنده عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى بن مريم ﷺ، وكان في بني إسرائيل رجل يقال له: جريج يصلي، فجاءته أمه فدعته؛ فقال: أجيبها أو أصلي؟ فأقبل على صلاته ولم يجيبها، فقالت: اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات، وكان جريج في صومعته، فتعرضت له امرأة فكلمته فأبى فأتت راعيًا فأمكنته من نفسها، فولدت غلامًا فقالت: من جريج؛ فأتوه فكسروا صومعته، وأنزلوه وسبوه وضربوه، وتوضأ وصلى ثم أتى الغلام؛ فقال: من أبوك يا غلام؟ فقال: فلان الراعي، فقالوا: نبني صومعتك من ذهب، قال: لا إلا من طين، وكانت امرأة ترضع ابنًا لها من بني إسرائيل فمر بها رجل راكب ذو إشارة؛ فقالت: اللهم اجعل ابني مثله، فترك ثديها، فأقبل على الراكب، فنظر إليه، فقال: اللهم لا تجعلني مثله، ثم أقبل على ثديها يمصه، قال أبو هريرة: كأني انظر إلى رسول الله ﷺ يمص بإصبعيه ثم مرَّ بأمة، فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثل هذه، فترك ثديها ونظر إليها، فقال: اللهم اجعلني مثلها، فقالت: له في ذلك؛ فقال: الراكب جبار من الجبابرة، وهذه الأمة يقولون سرقت،

زنت ولم تفعل»[1].

قلت: في هذا الحديث كلام الطفل لجريج، وهو ولي من أولياء بني إسرائيل، وفيه كلام الطفل الآخر لأمه، وفيه استجابة دعاء أم جريج، وفيه كلام الأطفال قبل أوان الكلام من خوارق العادات واستجابة الدعاء، من أجل الكرامات.

وأخبرنا أيضًا شيخنا أبو المعروف -رحمه الله- ورحمنا بالإسناد إلى البخاري -رحمه الله- بسنده إلى ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال:

«بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون إذ أصابهم مطر، فآووا إلى غار فانطبق عليهم، فقال بعضهم لبعض: إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق؛ فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه...»[2].

وساق الحديث فدعى كل واحد منهم بدعوة، وتوسل بعمل صالح عمله؛ ففرَّج الله عنهم فخرجوا.

وأخبرنا شيخنا أبو المعروف ﷺ بهذا الإسناد إلى البخاري -رحمه الله- بطريقة عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«بينما راع في غنمه غدا عليه الذئب فأخذ منها شاة، فطلبه الراعي، فالتفت إليه الذئب، فقال: من لها يوم السبع، يوم ليس لها راع غيري، وبينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها، فالتفتت إليه فكلمته، فقالت: إني لم أخلق لهذا لكني خلقت للحرث، فقال الناس: سبحان الله! فقال النبيُّ ﷺ: فإني أؤمن بهذا أنا وأبو بكر وعمر»**[3].

وفي رواية: **«وما هما يومئذ في القوم»**[4].

وفي رواية لمسلم: **«فقال الناس: سبحان الله تعجبًا وفزعًا بقرة تتكلم»**[5].

قلت: فبإيمانه ﷺ بوقوع هذا وخرق العادة به وجب الإيمان به وألبس في الإيمان بمثله متفاوتون وهذه الواقعة نوع من جملة أنواع كثيرة خرق العبادة وجنسه قد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع جواز وقوعه، وما وقع في النوع أطرد في الجنس، وفي هذا الحديث إشارة إلى تخصيص أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- بما لم يكن لغيرهما من الكمالات الإيمانية والزيادات الإيقانية، وقوة الإطلاع على الأمور الغيبية وخرق العادة

---

(1) رواه البخاري (3181)، ومسلم (4626).

(2) رواه البخاري (3206).

(3) رواه البخاري (3463)، ومسلم (2388).

(4) رواه البخاري (2156).

(5) رواه مسلم (4401).

وكمال الوراثة المحمدية، حيث جعل ﷺ إيمانه إيمانهما مع غيبتهما فنطق ﷺ بالإيمان بذلك عنهما مع غيبتهما لعلمه بأن ذلك من الله لهما رضي الله عنهما.

وأخبرنا أيضا شيخنا -قدس الله سره العزيز- بإسناده إلى البخاري -رحمه الله- فيما يرويه من حديث أنس ﷺ:

«إن رجلين خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين يضيئان بين أيديهما، فكلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد حتى أتى أهله»[1].

وفي رواية: «فأضاءت عصى أحدهما لهما حتى مشيا في ضوئها حتى إذا افترقت بهما الطريق، أضاءت للآخر عصاه، فمشى كل واحد منهما في ضوء عصاه حتى بلغ أهله»[2].

وفي رواية: قال أنس ﷺ: «كانا أسيد بن حضير وعباد بن بشر»[3].

وأورد الإمام محمد بن علي الترمذي الحكيم رواية: «إن مطرف بن عبدالله صار ليلة مع صاحب له، فأضاء له طرف عصاه كالسراج معه، فقال له صاحبه: لو حدثنا بهذا كذبنا، فقال مطرف: المكذب بنعم الله يكذب بهذا»[4].

قلت: إضاءة العصا من غير نار من خوارق العادات، وأعجب الكرامات.

وأخبرنا شيخنا ﷺ فيما أسنده إلى البخاري بسنده إلى جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اهتز العرش لموت سعد بن معاذ»؛ فقال رجل لجابر: فإن البراء يقول: اهتز السرير، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اهتزَّ عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ»[5].

وفي رواية للترمذي عن أنس ﷺ قال: لما حملت جنازة سعد بن معاذ قال المنافقون: ما أخف جنازته، وذلك لحكمة في بني قريظة، فبلغ ذلك النبي ﷺ؛ فقال: «إن الملائكة كانت تحمله»[6].

قلت: وجاء في رواية لغير البخاري: «كانوا سبعين ألفًا»، واهتزاز العرش لموت سعد، وحمل الملائكة جنازته من أعظم الإكرام، والإجلال، والإعظام.

---

(1) رواه البخاري (453). (2) رواه أحمد (11955).

(3) رواه البخاري (3521). (4) رواه الترمذي في «نوادر الأصول» (1/235).

(5) رواه البخاري (3519)، ومسلم (4512). (6) رواه الترمذي (3849).

وأخبرنا شيخنا ﷺ بسنده إلى البخاري بسنده إلى أبي هريرة قال: «بعث النبي ﷺ سرية، وأمَّر عليها عاصم بن ثابت ...»، وساق الحديث.

وفيه: وكانت بعض بنات الحارث تقول: «مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ خُبَيْبٍ لَقَدْ رَأَيْتُهُ يَأْكُلُ مِنْ قِطْفِ عِنَبٍ، وَمَا بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ ثَمَرَةٌ، وَإِنَّهُ لَمُوثَقٌ فِي الْحَدِيدِ، وَمَا كَانَ إِلاَّ رِزْقٌ رَزَقَهُ اللَّهُ».

وفي هذا الحديث: « وَبَعَثَ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى عَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ حِينَ حُدِّثُوا أَنَّهُ قُتِلَ أَنْ يُؤْتَوْا بِشَيْءٍ مِنْهُ يُعْرَفُ، وَكَانَ قَتَلَ رَجُلاً عَظِيمًا مِنْ عُظَمَائِهِمْ، فَبَعَثَ اللَّهُ لِعَاصِمٍ مِثْلَ الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبْرِ، فَحَمَتْهُ مِنْ رُسُلِهِمْ، فَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَقْطَعُوا مِنْهُ شَيْئًا»[1].

الدبر -بفتح الدال المهملة وسكون الباء: الزنانير، وقيل: النحل، وحصول العنب في غير أوانه، أو مكانه من خوارق العادات، والحماية من الآفات من أجل الكرامات.

وفي بعض روايات البخاري لهذا الحديث إلى هشام بن عروة قال: فأخبرني أبي قال: «لَمَّا قُتِلَ الَّذِينَ بِبِئْرِ مَعُونَةَ، وَأُسِرَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ، قَالَ لَهُ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ: مَنْ هَذَا؟ فَأَشَارَ إِلَى قَتِيلٍ، فَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ: هَذَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، فَقَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُهُ بَعْدَمَا قُتِلَ رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى إِنِّي لأَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الأَرْضِ ثُمَّ وُضِعَ»[2].

وأخبرنا شيخنا ﷺ بسنده إلى البخاري بسنده إلى أسيد بن حضير ﷺ قال: «بَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَفَرَسُهُ مَرْبُوطَةٌ عِنْدَهُ إِذْ جَالَتِ الْفَرَسُ فَسَكَتَ، فَسَكَتَتْ فَقَرَأَ فَجَالَتِ الْفَرَسُ فَسَكَتَ وَسَكَتَتِ الْفَرَسُ، ثُمَّ قَرَأَ فَجَالَتِ الْفَرَسُ فَانْصَرَفَ، وَكَانَ ابْنُهُ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهَا، فَأَشْفَقَ أَنْ تُصِيبَهُ، فَلَمَّا اجْتَرَّهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى مَا يَرَاهَا فَلَمَّا أَصْبَحَ حَدَّثَ النَّبِيَّ ﷺ؛ فَقَالَ: اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ! اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ! قَالَ: فَأَشْفَقْتُ يَا رَسُولَ اللهِ! أَنْ تَطَأَ يَحْيَى، وَكَانَ مِنْهَا قَرِيبًا، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَانْصَرَفْتُ إِلَيْهِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ الْمَصَابِيحِ، فَخَرَجَتْ حَتَّى لاَ أَرَاهَا، قَالَ: وَتَدْرِي مَا ذَاكَ؟ قَالَ: لاَ، قَالَ: تِلْكَ الْمَلاَئِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لأَصْبَحَتْ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا لاَ تَتَوَارَى مِنْهُمْ»[3].

كذا في صحيح البخاري لجميع رواته، ورواية مسلم: «فعرجتْ في الجو حتى ما

(1) رواه البخاري (2818)، (3690)، (3777).

(2) رواه البخاري (3784).

(3) رواه البخاري (4630).

أراها»[1]، وهو الصواب.

وفي رواية: «تلك السكينة تنزلت للقرآن»[2].

وفي رواية: «وتنزلت عليه عند القرآن».

فرؤية الملائكة خرق عادة؛ فهي كرامة لأسيد بن حضير، والسكينة معنى من المعاني تصورت صورة محسوسة، وتصور المعاني من خرق العادات وتنزل السكينة من أجل الكرامات.

وأخبرنا شيخنا أبو المعروف- عرف الله من عوارفه- بسنده إلى البخاري بسنده إلى عبد الرحمن بن أبي بكر -رضي الله عنهما- قال: إن أصحاب الصفة كانوا أناسًا فقراء، وأن النبي ﷺ قال: «مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ اثْنَيْنِ....»، وساق الحديث.

وفيه: «وإن أبي جاءنا بثلاثة»، وفيه: «وَايْمُ الله مَا كُنَّا نَأْخُذُ مِنْ لُقْمَةٍ إِلاَّ رَبَا مِنْ أَسْفَلِهَا أَكْثَرُ مِنْهَا، قَالَ: يَعْنِي حَتَّى شَبِعُوا».

وفيه: «وَصَارَتْ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا أَبو بَكْرٍ، فَإِذَا هِيَ كَمَا هِيَ أَوْ أَكْثَرُ مِنْهَا، فَقَالَ لاِمْرَأَتِهِ: يَا أُخْتَ بَنِي فِرَاسٍ! مَا هَذَا؟ قَالَتْ: لا، وَقُرَّةِ عَيْنِي لَهِيَ الْآنَ أَكْثَرُ مِنْهَا قَبْلَ ذَلِكَ بِثَلاَثِ مَرَّاتٍ، فَأَكَلَ مِنْهَا أَبو بَكْرٍ، وَقَالَ: إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مِنْ الشَّيْطَانِ يَعْنِي يَمِينَهُ ثُمَّ أَكَلَ مِنْهَا لُقْمَةً ثُمَّ حَمَلَهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَصْبَحَتْ عِنْدَهُ، وَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمٍ عَقْدٌ فَمَضَى الْأَجَلُ؛ فَفَرَّقَنَا اثْنَا عَشَرَ رَجُلاً مَعَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أُنَاسٌ اللَّهُ أَعْلَمُ كَمْ مَعَ كُلِّ رَجُلٍ، فَأَكَلُوا مِنْهَا أَجْمَعُونَ»[3].

هذه كرامة من الله تعالى لأبي بكر ﷺ بتكثير القليل، وهو من خوارق العادات.

وأخبرنا شيخنا قطب الأولياء أبو المعروف -أعاد الله علينا من بركاته- بالسند إلى البخاري -رحمه الله- بسنده إلى جابر بن سمرة ﷺ قال: «شكى أهل الكوفة سعدًا إلى عمر...»، وساق الحديث.

وفيه: «فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلاً أَوْ رِجَالاً إِلَى الْكُوفَةِ، فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلَ الْكُوفَةِ، وَلَمْ يَدَعْ مَسْجِدًا إِلاَّ سَأَلَ عَنْهُ، وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا حَتَّى دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ: أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ، يُكْنَى أَبَا سَعْدَةَ، قَالَ: أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا؛ فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لاَ يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ وَلاَ يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلاَ يَعْدِلُ فِي الْقَضِيَّةِ، قَالَ سَعْدٌ: أَمَا وَاللَّهِ لأَدْعُوَنَّ بِثَلاَثٍ

(1) رواه مسلم (1327). (2) رواه مسلم (795).

(3) رواه البخاري (577)، ومسلم (2057).

اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً فَأَطِلْ عُمْرَهُ وَأَطِلْ فَقْرَهُ وَعَرِّضْهُ بِالْفِتَنِ، وَكَانَ بَعْدُ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ.

قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الْكِبَرِ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ»[1].

وأخبرنا أيضا شيخنا ﷺ بإسناده إلى البخاري -رحمه الله- بسنده إلى أنس ﷺ أن عمر بن الخطاب ﷺ كانوا إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب ﷺ فقال: «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون»[2].

وفي هذا الحديث كراماتان للعباس بقبول وسيلته، وكرامة لعمر بإجابة دعوته.

وأخبرنا شيخنا ﷺ بإسناده إلى البخاري -رحمه الله- بسنده إلى جابر ﷺ قال: «لما حضر أحد دعاني أبي من الليل؛ فقال: ما أراني إلا مقتولاً في أول ما يقتل من أصحاب النبي ﷺ وإني لا أترك بعدي أعز عليَّ منك غير نفس رسول الله ﷺ وإن عليَّ دينًا فاقض واستوص بأخواتك خيرًا فأصبحنا فكان أول قتيل»[3].

قلت: أنه أول قتيل ويقتل معه غيره ويقتل والاطلاع على الغيب من أكبر الكرامات .

وأخبرنا شيخنا شيخ الإسلام أبو المعروف ﷺ بالسند إلى البخاري -رحمه الله- تعالى بسنده إلى أنس ﷺ: «لما غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر؛ فقال يا رسول الله! غبت عن أول قتال قاتلت المشركين؛ لأن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون، قال: ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ؛ فقال: يا سعد! الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أحد، قال أنس: وجدنا به بضعًا وثمانين ضربة بالسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل، وقال -يعني: أنسًا-: إن أخته، وهي تسمى الرُّبيع كسرت ثنية امرأة، فأمر رسول الله ﷺ بالقصاص، فقال أنس: يا رسول الله! والذي بعثك بالحق نبيًا لا تكسر ثنيتها؛ فرضوا بالأرش، و تركوا القصاص؛ فقال رسول الله ﷺ : «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره»[4].

قلت: شمَّ أنس بن النضر ريح الجنة، وهو في الدنيا فصح له اتحاد الأكوان والأزمان، ووجود الآجل في العاجل، وهذه كلها من خوارق العادات، وأكرم الكرامات،

---

(1) رواه البخاري (713). (2) رواه البخاري (954).

(3) رواه البخاري (1264). (4) رواه البخاري (2595)، ومسلم (3174).

ثم أبر الله قسمه بإرضاء خصوم أخته بالأرش، وهذا أيضًا من الإكرام، وهو ﷺ لا يستفزه الغضب، فيحلف على غير بينة من ربه، ويرد أمر الحاكم ﷺ بل حلف على بصيرة من الله أن له من الله أن يرضي خصوم أخته بالأرش، وهذا غيب اطلع عليه ﷺ.

وأخبرنا شيخنا أبو المعروف ﷺ بالسند إلى البخاري -رحمه الله- من طريقة إلى عبد الله بن الزبير ﷺ قال: «لما وقف الزُّبير يوم الجَمَل دعاني أبي، فقمت إلى جنبه، فقال: يا بني لا يقتل اليوم إلا ظالم، أو مظلوم، وإني لأراني إلا سأقتل اليوم مظلومًا، قال عبد الله: وجعل يوصيني بدَينه فقتل الزبير ﷺ»[1].

قلت: اطلع الزبير على أنه يقتل، وعلى أنه يقتل اليوم، وعلى أنه يقتل مظلومًا، فعلم الزبير بأنه يقتل علم بغيب قضاء الله، وعلمه يوم قتله على بغيب قدر الله، وعلمه بأنه يقتل مظلومًا على بغيب إرادة الله، فهذه ثلاثة غيوب اطلع عليها فهي ثلاث كرامات له ﷺ.

أخبرنا شيخنا الأكبر أبو المعروف -رحمه الله- بالسند إلى البخاري -رحمه الله- بسنده إلى سعد بن زيد بن عمرو بن نفيل ﷺ: «إن أروى خاصمته في بعض داره...» وساق الحديث.

وقال: «اللهم إن كانت كاذبة فاعم بصرها، واجعل قبرها في دارها، قال: فرأيتها عمياء تلتمس الجدر، تقول: أصابتني دعوة سعيد بن زيد فبينما هي تمشي في الدار، مرت على بئر في الدار، فوقعت فيها فكانت قبرها»[2].

وفي رواية لمسلم: «إذا وقعت في حفرة فماتت»[3]

قلت: استجيبت دعوة سعيد بن زيد ﷺ في أروى بأمرين: بعماها، وجعل قبرها في دارها؛ فهاتان كرامتان.

وأخبرنا ﷺ بالسند إلى البخاري -رحمه الله- بسنده إلى عبد الله قال: «كنا نعد الآيات بركة، وأنتم تعدونها تخويفًا، كنا مع رسول الله ﷺ في سفر...»، وساق الحديث.

وقال: «ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام، وهو يؤكل»[4].

قلت: ظهور سريان الحياة في الجمادات، وسماع تسبيحها من خوارق العادات،

---

(1) رواه البخاري (2827). (2) رواه البخاري (2959).

(3) رواه مسلم (3021). (4) رواه البخاري (3314).

وأعجب الكرامات.

وأخبرنا شيخنا أبو المعروف -رحمه الله- بإسناده المقدم في صدر الكتاب إلى أبي عيسى الترمذي -رحمه الله- بسنده إلى أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس، وحتى يكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله، وتخبره فخذه، بما أحدث أهله بعده»[1].

قلت: أقسم رسول الله ﷺ أن كلام السباع، والجماد، والأعضاء، واقع كائن في أمته وهو من خوارق العادات، فوجب الإيمان بما أخبر به، وأقسم عليه.

وخرَّج الحافظ أبو القاسم خلف بن عبد الله بن بشكوال في «أدعية المستغيثين» قال: أنا محمد بن عتاب عن أبيه مروان عن ابن رشيف عن أحمد بن مروان عن أبي بكر بن أبي الدنيا قال: أنا أبو بكر الشيباني قال: ثنا عطاء بن مسلم العمري عن خوات بن جبير قال:

«أصاب الناس قحط شديد على عهد عمر ﷺ فخرج عمر بالناس فصلى ركعتين وخالف بين طرف ردائه فجعل اليمين على اليسار، واليسار على اليمين، ثم بسط يديه فقال: اللهم إنا نستغفرك ونستسقيك، فما برح مكانه حتى مطروا فبينما هم كذلك إذا أعراب قد قدموا فأتوا عمر، فقالوا يا أمير المؤمنين! بينما نحن في بوادينا في يوم كذا في ساعة كذا إذ طلع غمامة، فسمعنا فيها صوتًا: أتاك الغوث يا أبا حفص»[2].

قلت: في هذا الحديث سرعة إجابة دعاء عمر ﷺ، وهي من الكرامات، وسماع الأعارب صوت الملك من السحاب مجيبًا لعمر وهو من خوارق العادات.

وخرَّج أيضًا قال: أخبرنا القاضي الشهيد أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف النجشي قال: أخبرنا أبو علي حسين بن محمد الغساني قال: أخبرنا أبو عمر النمري قال: ثنا عبد الوارث بن سفيان قال: ثنا قاسم بن أصبغ قال: ثنا عبدالوارث أبو بكر بن أبي خيثمة قال: ثنا معين قال: ثنا يحيى بن عبد الله بن بكر المصري قال: ثنا الليث بن يعد قال: «بلغني أن زيد بن حارثة اكترى من رجل بغلاً إلى الطائف، اشترط عليه أن ينـــزله حيث شاء، قال: فمال بنا إلى خربة، فقال له: أنزل فنـــزل، فإذا في الخربة قتلى كثيرة، فلما أراد أن يقتله قال له: دعني أصلى ركعتين، قال: صل، فقد صلى قبلك هؤلاء؛ فلم

(1) رواه الترمذي (2107).

(2) رواه ابن أبي الدنيا في «مجابو الدعوة» (54/1)، و«هواتف الجنان» (16/1).

تنفعهم صلاتهم شيئًا، قال: فلما صليت، أتاني ليقتلني، قال: فقلت: يا أرحم الراحمين! قال: فسمع صوتًا لا تقتله، قال: فهاب ذلك فخرج يطلب فلم ير شيئًا، فرجع إليَّ، فناديت فقلت: يا أرحم الراحمين! فعل ذلك ثلاث مرات، فإذا بفارس أتى على فرس في يده حربة من حديد في رأسها شعلة من نار فطعنه بها، فأنفذه من ظهره فوقع ميتًا، ثم قال لي: لما دعوت المرة الأولى يا أرحم الراحمين كنت في السماء السابعة، فلما دعوت في المرة الثانية يا أرحم الراحمين كنت في سماء الدنيا، فلما دعوت في المرة الثالثة يا أرحم الراحمين أتيت».

قلت: في هذا استجابة الدعاء، ورؤية الملك، والحديث معه؛ فهذه ثلاث كرامات لزيد بن حارثة

وأخبرنا شيخنا أبو المعروف -قدس الله سره- إجازة من لفظة عن الإمام الحافظ القاسم بن مظفر بن محمود بن عساكر إجازة عامة عن الشيخ محيي الدين محمد بن علي بن العربي قال في فتوحاته: قال: روينا من حديث عن سباه بن محمد بن أبي المعالي العلوي النوفي الحبوشاني كتابة قال: حدثنا محمد بن الحسين بن سهل العباسي الطوسي قال: أنا خالي أبو المحاسن علي بن أبي الفضل الفرامند قال: أنا أحمد بن الحسين بن علي قال: أنا أبو عبد الله الحافظ قال: أنا أبو عمرو عمر بن أحمد بن السماك ببغداد إملاءً قال: ثنا يحيى بن أبي طالب قال: ثنا عبد الرحمن بن إبراهيم الراسي قال: ثنا مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وهو بالقادسية: أن وجه نضلة بن معاوية الأنصاري إلى حلوان العراق؛ فليغر على ضواحيها، قال: فوجد سعد نضلة في ثلاثمائة فارس، فخرجوا حتى أتوا على حلوان العراق، وأغاروا على ضواحيها وأصابوا غنيمة وسبيًا فأقبلوا يسوقون الغنيمة والسبي حتى رهقت بهم العصر، وكادت الشمس أن تغرب فالجأ نضلة الغنيمة والسبي إلى صفح جبل، ثم قام فأذن فقال: الله أكبر، الله أكبر، قال: ومجيب من الجبل يا نضلة! كبرت كبيرًا يا نضلة، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، فقال: كلمة الإخلاص يا نضلة، وقال: أشهد أن محمدًا رسول الله، فقال: وهو الدين وهو الذي بشرنا به عيسى بن مريم -عليهما السلام- وعلى رأس أمته تقوم الساعة، ثم قال: حي على الصلاة، فقال: طوبى لمن مشى اليها وواظب عليها، ثم قال: حي على الفلاح فقال: قد أفلح من أجاب محمدًا ﷺ وهو البقاء لأمته فقال الله أكبر، الله أكبر فقال: كبرت كبيرًا فقال: لا إله إلا الله، قال: أخلصت الإخلاص يا نضلة فحرم

الله جسدك على النار، قال: فلما فرغ من آذانه قمنا فقلنا: من أنت يرحمك الله أملك، أم ساكن من الجن، أم من عباد الله أسمعتنا صوتك فأرنا شخصك فإنا وفد الله ووفد رسوله ﷺ ووفد عمر بن الخطاب ﷺ قال: فانفلق الجبل عن هامة كالرحى أبيض الرأس واللحية عليه طمران من صوف فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقلنا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، من أنت يرحمك الله؟ فقال: أنا زريب بن برثملا وصي العبد الصالح عيسى بن مريم -عليهما السلام- اسكنني هذا الجبل ودعا لي بطول البقاء إلى نزوله من السماء؛ فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويبرأ مما نحلته النصارى، ثم قال: ما فعل النبي ﷺ؟ قلنا: قبض فبكى بكاًء طويلاً حتى خضب لحيته بالدموع قال: فمن قام فيكم بعده؟ قلنا: أبو بكر ﷺ قال: فما فعل؟ قلنا: قبض، قال: فمن قام فيكم بعده؟ قلنا: عمر بن الخطاب، قال: إذا فاتني لقاء محمد ﷺ فاقرؤوا عمر مني السلام، وقولوا له: يا عمر سدد وقارب فقد دنا الأمر، وأخبروه بهذه الخصال التي أخبركم بها: يا عمر إذا ظهرت هذه الخصال في أمة محمد ﷺ فالهرب الهرب، إذا استغنى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، وانتسبوا في غير مناسبهم، وانتموا إلى غير مواليهم، ولم يرحم كبيرهم صغيرهم، ولم يوقر صغيرهم كبيرهم، وترك الأمر بالمعروف فلم يؤمر به، وترك النهي عن المنكر فلم ينته به، وتعلم عالمهم العلم ليجلب به الدنانير والدراهم، وكان المطر قيظًا، والولد غيضًا، وطولوا المنابر، وفضضوا المصاحف، وزخرفوا المساجد، وأظهروا الرشا، وشيدوا البناء، واتبعوا الهوى، وباعوا الدين بالدنيا، واستخف بالدماء، وتقطعت الأرحام، وبيع الحكم، وأكل الربا، وصار التسلط فخرًا، والغنى عزًا، وخرج الرجل من بيته فقام إليه من هو خير منه، وركبت النساء السروج، قال: ثم غاب عنا فكتب بذلك نضلة إلى سعد، وكتب سعد إلى عمر فكتب عمر أنت أنت ومن معك من المهاجرين والأنصار حتى تنـــزل هذا الجبل، فإذا لقيته فاقرءه مني السلام؛ فإن رسول الله ﷺ قال:

«إن بعض أوصياء عيسى بن مريم ﷺ نزل بذلك الجبل بناحية العراق»؛ فنـــزل سعد في أربعة آلاف من المهاجرين، والأنصار حتى نزل الجبل أربعين يومًا ينادي بالأذان في وقت كل صلاة فلا يجدون جوابًا ولا يسمعون خطابًا[1].

قال الشيخ محي الدين: لم يتابع الراسي على قوله عن مالك بن أنس، والمعروف في

(1) ذكـــره اللالكائـــي في «كـــرامات الأولـــياء» (131/1)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (55/10).

هذا الحديث مالك بن الأزهر مجهول، وهذا الحديث وإن تكلم في طريقه؛ فهو صحيح عند أمثالنا كشفًا، فهذا الرجل ممن هو على بينة من ربه وعلمه ربه من عنده ما فرض عليه من شرع نبينا محمد ﷺ على الطريق التي اعتادها من الله.

قلت: وروى هذا الحديث الحاكم في «المستدرك»، وفيه طول اكتفيت بمطلوبي منه.

وأخبرنا به شيخنا أبو المعروف عن الحافظ الحجار إجازة عامة عن عجيبة بنت الحافظ أبي بكر محمد بن غالب الباقلاوي إجازة عن أبي سعيد عبد الوهاب بن الحسن الكرماني إجازة عن أبي بكر أحمد بن علي بن عمر بن خلف الشيرازي إجازة عن الحاكم بسنده، وبهذا يروي الحجار جميع تآليفه ما بين سماع وإجازة، فجاء في هذا الحديث سماع المسلمين صوت هذا الوصي العيسوي، وهو في صميم الجبل، وفيه أيضًا بقاؤه حيًا فيه يتحرك كيف يشاء مع عدم قبول الحجر اللين لمن يتحرك فيه ولا كان متجوفًا، أو كان متجوفًا، ولا باب له بدليل انغلاق الجبل لظهوره لهم، وبهذا علم أيضًا أن غذاء هذا الراهب العيسوي كان بغير الأمور المعتادة، ولا على سبيل العادة، وفيه انفلاق الجبل عنه حتى رأوه كلهم وهم ثلاثمائة فارس، وهذه كلها أمور ناقضة للعادة أوجدتها القدرة الإلهية، وقد ثبت إنما كان مقدورًا لله فغير مستحيل وجوده، وما لم يستحل وجوده جاز كونه وشهوده.

وأخبرنا شيخنا أبو المعروف ﷺ إذنًا عن أبي محمد القاسم بن مظفر بن عساكر عن الإمام محيي الدين بن العربي قال: ثنا أحمد الشاهد عن محمد بن عبد الله عن سعد بن عبد الله عن أبي الفضل عن أحمد عن أحمد بن عبد الله عن عبد الله بن محمد جعفر عن محمد بن العباس بن أيوب عن يحيى بن محمد بن السكن عن يحيى بن كثير أبو غسان عن الهيثم بن جرموز عن حمران عن سليمان التيمي عن أسلم العجلي عن أبي الضحاك الجرم عن هرم بن حيان قال: قدمت الكوفة فلم يكن لي هم إلا أويس أسأل عنه، فوقفت إليه بشاطئ الفرات يتوضأ ويغسل ثوبه، فقالت: السلام عليكم يا أويس كيف أنا يا أخي؟ قال: وأنت فحياك الله يا هرم بن حيان من دلك عليّ، قلت: الله ﷻ قال: سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا، قلت: يرحمك الله من أين عرفت اسمي واسم أبي فوالله ما رأيتكم قط ولا رأيتني، قال: عرف روحي روحك حين كلمت نفسي نفسك؛ لأن الأرواح لها أنفس الأجساد، وإن المؤمنين متعارفون بروح الله ﷻ، وإن نأت بهم الديار، وتفرقت بهم المنازل، وساق الهرم ما كان بينه وبين أويس من الكلام حتى قال: ومات أخي وصديقي وصفي عمري واعمراه واعمراه، قال: وذلك في آخر خلافة عمر، قال:

قلت: يرحمك الله إن عمر لم يمت، قال: بلى إن ربي ﷻ قد نعاه إليّ، وقد علمت.

قلت: عرف أويس ﷺ هرم بن حيان بمعرفة الأرواح وعلم بموت عمر قبل أن يكون، وهذا غيب قد اطلع عليه ﷺ، وقوله: إن ربي نعاه إليّ دليل على أنه ممن يأخذ علمه من الله، وهذا من أعظم المواهب، وأكرم المناقب.

وقد خرج الإمام الحافظ العارف أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم المؤذن الترمذي -رحمه الله- من حديث عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أرواح المؤمنين لتلاقى على مسيرة يوم، وما رأى صاحبه قط»[1].

وقال: فالأرواح شأنها عجيب، وهي حقيقة سماوية.

وخرّج أيضًا من حديث عبد الله بن سلمة قال: «دخلنا على عمر معاشر وفد مذحج، وكنت من أقربهم مجلسًا، فجعل عمر ﷺ ينظر إلى الأشتر ويصوب نظره، فقال لصاحب: أمنكم هذا؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين! هذا مالك بن الحويرث فلأي ماله تسأل قال: ماله قاتله الله، كفى الله أمة محمد شره، والله إني لا أحسب أن للمسلمين منه يومًا عصيبًا، قال ابن عمر -رضي الله عنهما: ما حذر عمر شيئًا قط، فتكلم به إلا كان.

قال الحكيم الترمذي: فظهر الذي قال عمر بعد عشرين سنة يوم الجمل وصفين.

وخرّج أيضًا أن عمر حذر الجيش ونادى، وهو على المنبر يوم الجمعة: «يا سارية الجبل الجبل»[2].

قال الترمذي: يعني انحازوا إلى الجبل، فسمع الجيش ندائه وهم منه على مسيرة شهر، وانحازوا إلى الجبل فسلموا.

قلت: هذا غيب قد اطلع عليه عمر ﷺ، وأسمع على بعد المسافة، وهذا من خرق العادات.

قال الشيخ الإمام صدر الدين القونوي تلميذ الشيخ محيي الدين بن العربي: إن هذا من الكشف الصوري الذي لا يمنع الحجب، والحوائل بين نظر الرائي، والمرئي، مثل بعد المسافة، والجبال، والحوائط، وكأنه بين يديه، وذكر أن سارية كان مقدم عسكر عمر الذي بعثه إلى نهاوند من العراق، جعل العدو عليه كمينًا عن يسار الجبل فرآه عمر من المدينة، ورأى الكمين في الخطبة يوم الجمعة فناداه «يا سارية الجبل الجبل»، وأسمعه النداء

---

(1) رواه أحمد في مسنده (6347)، (6751).

(2) ذكره المناوي في «فيض القدير» (507/4)، والعجلوني في «كشف الخفاء» (514/2).

والمسافة بين المدينة ونهاوند أكثر من مسيرة شهرين.

وقال الشيخ الإمام الحكيم الترمذي في كتاب «ختم الأولياء»:

إن عائشة -رضي الله عنها- قالت: «ولما مات النجاشي كنا نحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور»[1].

وقال: وأخطأ سفينة مولى رسول الله ﷺ الجيش بأرض الروم، وأسر وهرب يطلب الجيش، فإذا هو بالأسد، فأخبره أنه مولى رسول الله ﷺ، وأخبر خبره، فأقبل إليه وله بصبصة، ومشى إلى جنبه، حتى بلغ به الجيش، ثم رجع.

وقال أيضًا: قال الصحابة ﷺ: «وكنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل، وكانوا يسمعون الهواتف كالهاتف الذي أمرهم بغسل النبي ﷺ في ثيابه»[2] انتهى كلامه.

ودخل رجل على عثمان ﷺ فعندما وقعت عينه، قال: «سبحان الله! ما بال رجال لا يغضون أبصارهم عن محارم الله، وكان ذلك الرجل قد أرسل نظره فيما لا يحل، فقال له الرجل: أوحي بعد رسول الله ﷺ؟ قال: لا، ولكنها فراسة المؤمن ألم تسمع إلى قول رسول الله ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن؛ فإنه ينظر بنور الله»، وعندما دخلت عليَّ رأيت ذلك في عينيك[3].

قال الشيخ محيي الدين: إن كل عضو من الإنسان يصدر منه فعل يؤثر ذلك الفعل أثرًا في ذلك العضو، يكون علامة يعرفها صاحب الفراسة من طاعة، أو معصية.

قال السهيلي في «شرح السيرة»[4]: وتكلم زيد بن خارجة بعد الموت فيما رواه الثقات من أهل الحديث لا يختلفون في ذلك، وذلك أنه مات في خلافة عثمان ﷺ فلما سُجِّي عليه سمعوا جلجلة في صدره، ثم تكلم أحمد أحمد في الكتاب الأول صدق صدق، وأبو بكر الصديق الضعيف في نفسه القوي في أمر الله في الكتاب الأول صدق صدق، عمر بن الخطاب القوي الأمين في الكتاب الأول صدق صدق، عثمان بن عفان على منهاجهم مضت أربع وبقيت سنتان أتت الفتن، وأكل الشديد الضعيف، وقامت الساعة، وسيأتيكم خبر بئر أريس، وما بئر أريس؟[5].

قلت: كلام الميت من خرق العادة، وقد كان كثير من الصحابة، والتابعين

(1) رواه أبو داود (2161). (2) رواه البخاري (3314).

(3) رواه الترمذي (3052). (4) انظر: الروض الأنف (4/435).

(5) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (6/195)، والطبراني في «المعجم الكبير» (5/159).

وغيرهم، وقول زيد بن خارجة: «وبقيت سنتان» إشارة إلى ما بقي لعثمان ﷺ، وقوله: «وسيأتيكم خبر بئر أريس» إشارة إلى قتل عثمان الذي أشار إليه رسول الله ﷺ يوم استأذن عليه عثمان، وهو في الجنة أريس بقوله للذي استأذن له أبو موسى الأشعري: «ائذن وبشِّره بالجنة مع بلوى تصيبه»[1] أورد ذلك مسلم بن الحجاج في جامعه بسنده إلى أبي موسى الأشعري ﷺ.

أخبرنا شيخنا قطب الأولياء أبو المعروف ﷺ فكلام زيد بن خارجة وإخباره عن غيب سيكون من خوارق العادات.

وقال السهيلي أيضًا، وقال سعيد بن المسيب: ثم هلك رجل من بني خطمه فسُجيَّ بثوب؛ فسمعوا جلجلة في صدره، ثم تكلم فقال: إن أجابني لقد أجابني الحرث بن الخزرج صدق صدق، وكانت وفاته في خلافة عثمان ﷺ.

وقال أيضًا ربعي بن خراش: مات أخي –يعني: ربيع بن خراش– فسجيناه جلسنا عنده، فبينما نحن كذلك، إذ كشف الثوب عن وجهه، فقال السلام عليكم: فقلت: سبحان الله أبعد الموت كلام؟! قال: إني لقيت بروح، وريحان، وربًا غير غضبان، وكساني ثيابًا خضرًا من سندس واستبرق، اسرعوا بي إلى رسول الله ﷺ فإنه قد أقسم ألا يبرح حتى آتيه، أو أدركه، وأن الأمر أهون مما تذهبون إليه فلا تفتروا، ثم والله كأن نفسه حصاة ألقيت في طست[2].

وأورد الحافظ أبو نعيم –رحمه الله– في حلية الأولياء حديث ربعي بن حراش بسنده إلى ربعي بن خراش قال: كان أربعة أخوة، وكان الربيع أخونا أكثرنا صلاة وأكثرنا صيامًا في الهواجر، وأنه توفي فبينما نحن حوله، وقد بعثنا من يبتاع له كفنًا، إذ كشف الثوب عن وجهه فقال السلام عليكم، فقال: القوم عليكم السلام يا أخا عبس أبعد الموت؟! قال: نعم، إني لقيت ربي ﷻ بعدكم فلقيت ربًا غير غضبانًا واستقبلني بروح، وريحانًا، واستبرق، ألا إن أبا القاسم ينتظر الصلاة عليَّ فعجلوا بي ولا تؤخروني، ثم كان بمنزلة حصاة رمي بها في طست، فنمى الحديث إلى عائشة –رضي الله عنها– فقالت: أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يتكلم رجل من أمتي بعد الموت»[3].

---

(1) رواه مسلم (4417).

(2) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (7/338).

(3) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (4/368)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (7/340).

وقال: هذا حديث مشهور، وفي رواية قال: «فما شبهت خروج نفسه إلا كحصاة ألقيت في ماء فرسبت» فذكر ذلك لعائشة فصدقت بذلك، وقالت: قد كنا نحدث أن رجلا يتكلم بعد موته، وأخبرنا به شيخنا أبو المعروف -رحمه الله- وفيما أجاز لنا عن الحافظ شيخ الإسلام أبي الحجاج جمال الدين يوسف بن الزكي عبد الرحمن المزي إذنًا عامًا عن أحمد بن أبي الخير الحداد سماعًا عن مسعود بن أبي منصور الجمال عن أبي على الحسن بن أحمد بن الحسين الجلاد سماعًا عن أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الحافظ سماعًا بسنده إلى ربعي بن خراش.

فصل

قد أوردنا من الأحاديث، والروايات ما فيه من أكبر أنواع الكرامات، وخوارق العادات كالاطلاع على المغيبات، وسماع كلام الحيوانات، والجمادات، ورؤية الملائكة، واستجابة الدعوات، وتصور المعاني، وكلام الأموات، وإيجاد المعدوم، وحصول الأجل في العاجل، ودفع الآفات، وتسخير السباع الضواري العاديات، واستواء القرب والبعد في الرؤيا، وسماع الأصوات، وتكثير القليل، والعلم بخائنة الأعين وما تخفي الصدور من الخفيات، وأخذ العلم من الله سبحانه وهو أعلى هذه المقامات، وكل ذلك صح وقوعه للصحابة والتابعين بصحيح الروايات، وقد تقدم النقل عن الجمهور: أن ما جاز أن يكون معجزة للنبي جاز أن يكون كرامة للولي، فمن فرق بين الأولياء صحابيهم وتابعيهم وأجازها لقوم ومنعها عن قوم فقد خالف الإجماع وشذ وأخطأ بلا نزاع، وكان كمن قال الله فيهم: ﴿يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا﴾ [التوبة: 37]، وكالذين يقولون: ﴿نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ [النساء: 150]، والعياذ بالله من الابتداع وعدم الاتباع.

فصل

واعلم أن معجزات الأنبياء -صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين- من معجزات نبينا محمد ﷺ فإن أصولهم أولية كونه راجعة إليه، وأسرارهم مستمدة مما لديه ومقاماتهم مقسومة على أرواحهم من يديه، وكذلك حكم من ورثهم من أممهم، ومن هذه الأمة المحمدية كراماتهم من معجزاته ﷺ بحكم الأخذ عنه أولاً في عالم الأرواح، وبحكم الإرث منه أخرًا في عالم الأشباح، فلا يزال أحكام الإرث النبوي المحمدي في العلماء موجودة وآياته ظاهرة عليهم مشهودة، قال رسول الله ﷺ: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل»[1].

(1) سبق تخريجه.

قال شيخنا محيي الدين إمام المحققين أحمد الرداد -فجر الله علومه للمسلمين: ثم لا شكٌ أن كل عالم وإرث، وكل إرث نبي بخصص بإرثه، أو بالإرث منه فبنسبة إلهية جامعة بينهما، ورقيقة محمدية شاملة لهما، والمواريث تختلف وتتنوع، والورثة متفاوتون في الإرث، فمن مستوعب، وغير مستوعب، ومن مقل، ومن مكثر ونبينا ﷺ الذي كان نبيًّا وآدم بين الماء والطين الذي قال: «كل سبب ونسب منقطع إلا سببي ونسبي»[1] الذي أوتي علم الأولين والآخرين؛ ليؤتى الأولين والآخرين مما أتاه الله هو واسطة الكل من الله وينبوع العلم، والحكمة المبعوث بجوامع الكلم، الذي أرسله الله رحمة للعاملين، هو الذي أفاض عليهم من فيض نبوته الشريفة المنيفة الخاصة العامة للعلوم، والأحوال، والأنوار، والأسرار، حيث كان نبيًا عند الله في مقام الفضيلة ودرجة الوسيلة، وإذ ذاك آدم بين الماء والطين فتلقى كل واحد من الأنبياء منه بحسب ما حد له من سر إلى سر، ثم لما انتهت بهم الحال إلى ما آلت إليه من الماء وتصرمت تلك الآجال خلفوا ما استخلفوا به في أممهم إلى أمته الخيرة المختارة الرجال، وأي رجال من أقطاب، وأوتاد، وأفراد، وعرفاء، ونجباء، وأبدال، وكان ﷺ هو الذي ختم الأمر الذي افتتحه في تلك المباعث إلا وزيد بأولياء أمته في هذه المباعث الآخر حتى أن النبي من أولئك الأنبياء ليأتي على صورة حقيقته من أولياء هذه الأمة كذا، وأولياء الله تعالى إلى العدد الكثير الذي يتعذر حصره ويكبر قدره من الورثة الكاملين الدائمين في درجة الاستعداد، والقيام لا في درجة الرتبة والمقام، ثم أن الأصل المحمدي والمحتد الأحمدي ليعطهم من سر النشأتين ما هو المقصود في قضية الحكمين ليوفي منه به ما نقص عليهم من قدر انحطاط درجة التشبيه عن درجة من شبه به إلى أن ينختم الأمر في آخر العهد بالختم الذي نبه عليه نبينا ﷺ الذي هو المهدي المؤيد بروح الله وكلمته في نزوله من الملكوت الأعلى بالأمر الإلهي العلي وتكون الكلمة واحدة، والحكم واحد، ويظهر المسيح عيسى ﷺ هنالك بحكم التبعية لُيعلم اليهود، والنصارى، والمؤمنين أن الأمر قد عاد بمحلى يديه ولا يبقى يومئذ يهودي، ولا نصراني، ولا غيره إلا آمن بنبينا محمد ﷺ بآية نزوله عيسى التي هي من بقايا الأيات المحمدية والبينات المصطفوية.

قال الله تعالى ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾ [النساء: 159].

---

(1) رواه البيهقي في «الكبرى» (7/63)، والطبراني في «المعجم الكبير» (3/44).

وقال شيخنا أحمد ﷺ: وإنما قال ﷺ: «كأنبياء بني إسرائيل»؛ لأن أنبياء بني إسرائيل سادات الأنبياء، وأكابرهم، وأفاضلهم كموسى، وعيسى، وهارون، ويحيى، وزكريا، ويوسف، وأيوب، وداود، وسليمان وغيرهم.

وقد سمعنا كثير لكثير من علماء العارفين من أولياء هذه الأمة المحمدية من الكرامات وخوارق العادات ما هو شبه المعجزات انتهى ما أوردته من كلام شيخنا أحمد هنا لا ما تكلم به في الورثة، والوراثة فمن أراد استيفاءه ليقف عليه في «كتاب الشهاب الثاقب» له يجد فيه من هذا وغيره العجائب، والغرائب ما يعلم به ما أعطاه الله من العلوم الإلهية وقوة البيان عنها.

وقال شيخنا قطب المحققين محيي الدين محمد بن العربي: فإن أنبياء بني اسرائيل كانت تحفظ على بني إسرائيل بشرائع رسلهم، وتقوم بها فيهم وكذلك علماء هذه الأمة وأئمتهم يحفظون عليها أحكام رسولها ﷺ وطائفة أخرى من علماء هذه الأمة يحفظون عليها أحوال الرسول ﷺ وأسرار العلوم، والعلم اللدني والسر الإلهي.

وقال أيضًا: واعلم أن محمدًا ﷺ هو الذي أعطى جميع الأنبياء والرسل مقاماتهم في عالم الأرواح فأولياء الأنبياء الذين سلفوا يأخذون عن أنبيائهم، وأنبياؤهم يأخذون عن محمد ﷺ.

وقال شيخنا شهاب الدين السهروردي: وكرامات الأولياء من تتمة معجزات الأنبياء، وكل رسول كان له أتباع ظهرت لهم كرامات وخرقات للعادات، وقال شيخنا الأستاذ أبو القاسم القشيري، وكل نبي ظهرت كرامته على يد واحد من أمته فهي معدودة من جملة معجزاته، وقال شيخنا محيي الدين «في فتوحاته»: كرامات الولي وخرق العادة له إنما كانت بإتباع الرسول والجري على سنته فكأنها من آيات ذلك النبي إذ بإتباعه ظهرت للمتحقق بالاتباع.

وقال شيخنا قطب الممكنين محيي الدين عبد القادر الجيلاني ﷺ في أثناء ثناء على الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم: ولا رقى صاعدًا إلى مقامات القرب إلا كانت بقواهم معارجه، ولا سلك ولي سائرًا إلى مولاه إلا كانت في منهاجهم مدارجه، ولا رفع علم كرامة لسر إلا كان شرفهم عماده، ولا شُيد بنيان مكانه لعب إلا كان على تأسيس أثرهم ثابت له.

فصل

واعلم أن الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- مائة ألف نبي وأربعة وعشرون

ألف نبي، جاء ذلك عن رسول الله ﷺ.

أخبرنا به شيخنا أبو المعروف إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي ﷺ فيما أذن لنا عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن محمد بن داود بن حمزة المقدسي قال: أنا القاضي المسند سليمان بن حمزة قال: أنا أبو المنجا عبد الله بن عمر بن اللَّتي قال: أنا أبو الفرج يحيى بن محمود بن سعد الثقفي الأصبهاني قال: أنبأنا أبو علي الحسن بن أحمد بن الحسن الحداد حضورًا قال: ثنا الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد قال: ثنا الحافظ أبو بكر محمد بن الحسين الآجري -رحمه الله- قال: ثنا أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي قال: ثنا إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني قال: حدثني أبي عن جدي عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر ﷺ قال: دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس وحده، فجلست إليه؛ فقال: «يا أبا ذر إن للمسجد تحية قم فاركع ركعتين، فقمت فصليت ركعتين، وجلست فقلت: يا رسول الله! إنك أمرتني بالصلاة فما الصلاة؟ قال: خير موضوع؛ فاستكثر أو استقلل»[1]، وذكر حديثه الطويل.

وفيه قال: قلت: يا رسول الله! كم الأنبياء؟ قال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا جم غفير قلت: كثير طيب قلت: من كان أولهم؟ قال: آدم».

ورواه ابن حبان في صحيحه، ولفظه وعن أبي ذر ﷺ قال: دخلت المسجد وإذا رسول الله ﷺ جالس وحده قال: «يا أبا ذر إن للمسجد تحية وتحيته ركعتان فقم فاركعهما»، وساق الحديث.

وفيه قال: قلت: يا رسول الله! كم الأنبياء؟ قال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا» قلت: يا رسول الله! كم الرسل من ذلك؟ قال: «ثلاثمائة وثلاثة عشر جمًا غفيرًا» قال: قلت: يا رسول الله! من كان أولهم؟ قال: «آدم» قلت: يا رسول الله! أنبي مرسل؟ قال: «نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وكلمه قبلاً، ثم قال: يا أبا ذر أربعة سريانيون: آدم، وشيث، وأخنوخ، وهو إدريس، وهو أول من خط بالقلم ونوح، وأربعة من العرب: هود، وشعيب، وصالح، ونبيك محمد ﷺ» قلت: يا رسول الله! كم كتاب أنزله الله؟ قال: «مائة كتاب وأربعة كتب أنزل على شيث خمسين صحيفة، وأنزل على أخنوخ ثلاثين صحيفة، وأنزل على إبراهيم عشر صحائف، وأنزل على

(1) رواه الحاكم في «المستدرك» (652/2)، وابن حبان في صحيحه (76/2).

موسى قبل التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان»[1]، واستوفى الحديث بطوله أخذنا منه حاجة هذا الكتاب.

أخبرنا به شيخنا أبو المعروف -قدس الله سره- فيما أجاز لنا عن أبي عبد الله محمد بن محمد بن داود بن حمزة المقدسي أجازة مكاتبة عن رضي الدين إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الطبري المكي عن محمد بن عبد الله بن أبي الفضل المرسي سماعًا، قال: أنا أبو روح وأخبرنا به شيخنا ﷺ عن الشيخة عائشة بنت محمد بن الهادي المقدسي إجازة مكاتبة عن محمد بن أحمد بن أبي الهيجاء الجريري الشهير بابن الزداد إجازة عن الحافظ صدر الدين أبي علي الحسن بن محمد بن محمد بن محمد البكري سماعًا، قال أنا أبو روح عبد المعز بن محمد بن أبي الفضل الهروي البزار، قال أنا أبو القاسم تميم بن أبي سعد بن أبي العباس الجرجاني نزيل هداه، قال أنا الحاكم أبو الحسن عليّ بن محمد التجاني قال أنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن هارون الروزني قال أنبأنا الحافظ أبو حاتم بن حبان بسنده إلى أبي ذر ﷺ، ورواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد.

قال الشيخ محيي الدين «في فتوحاته»[2]: واعلم أن من رحمة الله بخلقه أن جعل على كل قدم نبي وليًا وارثًا له، فما زاد فلابدَّ أن يكون في كل عصر مائة ألف ولي وأربعة وعشرون ألف ولي على عدد الأنبياء ويزيدون ولا ينقصون، فإن زادوا قسم الله علم ذلك النبي على من ورثه فإن العلوم المنزلة على قلوب الأنبياء لا ترتفع من الدنيا وليس لها إلا قلوب الرجال، فتقسم عليهم بحسب عددهم، فلا بدَّ أن يكون في الأمة من الأولياء على عدد الأنبياء وأكثر من ذلك.

وروينا عن خضر أنه قال: ما من يوم حدثت فيه نفسي أنه ما بقي ولي لله في الأرض إلا قد رأيته واجتمعت به، فلابد أن أجتمع في ذلك اليوم مع ولي الله لم أكن قد عرفته قبل ذلك.

وقال أيضًا: واعلم أن لله في كل نوع من المخلوقات خصائص وهذا النوع الإنساني هو من جملة الأنواع، ولله فيه خصائص وصفوة وأعلى الخواص فيه الرسل -عليهم السلام- ولهم مقام النبوة، والولاية، والإيمان، فهم أركان بيت هذا النوع الذي يحفظ الله بهم العالم كما يحفظ البيت بأركانه، فلو زال ركن منها زال كون البيت بيتًا ألا

(1) رواه ابن حبان في صحيحه (77/2).

(2) انظر: الفتوحات المكية (207/5).

إن البيت هو الدين، ألا إن أركانه هي الرسالة والنبوة، والولاية، والإيمان ألا إن الرسالة هي الركن الجامع للبيت وأركانه، فلا يخلو هذا النوع أن يكون فيه رسول من رسل إلا أن ذلك الرسول هو القطب المشار إليه الذي ينظر الحق إليه، فيبقى به هذا النوع في هذه الدار ولو كفر الجميع وهو على الحق من آدم إلى يوم القيامة، ولما كان الأمر على ما ذكرناه، ومات رسول الله ﷺ أبقى الله تعالى بعده من الرسل الأحياء بأجسادهم في هذه الدار الدنيا ثلاثة: إدريس عليه السلام وأسكنه الله في السماء الرابعة، وأبقى في الأرض إلياس، وعيسى وكلاهما من المرسلين، وأما الخضر وهو الرابعة فهو من المختلف فيه عند غيرنا لا عندنا، فهؤلاء باقون بأجسادهم في هذه الدار الدنيا فكلهم الأوتاد، والإثنان منهم الإمامان، وواحد منهم القطب الذي هو موضعه نظر الحق من العالم، فبالواحد يحفظ الله الإيمان، وبالثاني يحفظ الله الولاية، وبالثالث يحفظ الله النبوة، وبالرابع يحفظ الله الرسالة، وبالمجموع يحفظ الله الدين الحنيفي، ولكن واحد من هؤلاء الأربعة في هذه الأمة في كل زمان شخص على قلوبهم مع وجودهم هم نوابهم، فأكثر الأولياء من عامة أصحابنا لا يعرفون القطب والإمامين والوتد،إلا النواب لهؤلاء المرسلين الذين ذكرناهم، فمن كرامة رسول الله ﷺ أن جعل من أمته وأتباعه رسلاً، وإن لم يرسلوا كما ذكرنا، فلما انتقل - صلوات الله عليه- بقي الأمر محفوظًا بهؤلاء الرسل، فثبت الدين قائمًا بحمد الله ما انهد منه ركن إذ كان له حافظ يحفظه، وإن ظهر الفساد في العالم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فهذه نكتة فاعرف قدرها.

وقال أيضًا في كلام طويل أثبتنا منه هنا تثبيتًا ليتيقن المؤمنون في معرفة الولاية، وعلو شأنها أن الأولياء وإن حصل بسردها الإسهاب، فهو من تمام ما قصدناه في مقدمات هذا الكتاب.

واعلم أن رجال الله ما من طبقة منهم إلا لها لقب مخصوص، ومنهم يحصرهم عدد في كل زمان، ومنهم من لا عدد لهم لازم فيقلون ويكثرون، فأهل الأعداد منهم الأقطاب وهم الجامعون للأحوال والمقامات، ولا يكون منهم في الزمان إلا واحد هو الغوث أيضًا، وهو من المقربين وهو سيد الجماعة في زمانه، ومنهم الأئمة ولا يزيدون في كل زمان على اثنين، الواحد عبد الرب، والآخر عبد الملك، والقطب عبد الله، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾ [الجن: 19] يعني: محمدًا ﷺ فلكل رجل اسم إلهي يختص به يدعى به ولو كان اسمه ما كان، ومنه ما يتلقى ما يكون عليه من أسباب الخير وهو بحسب ما تعطيه حقيقة ذلك الاسم، فالأقطاب كلهم عبد الله، والأئمة في كل زمان عبد الملك،

وعبد الرب، وهما اللذان يخلفان القطب إذا مات، وهما للقطب بمنزلة الوزيرين، الواحد منهم مقصور على مشاهدة عالم الملكوت، والآخر مع عالم الملك، ومنهم الأوتاد وهم أربعة في كل زمان، الواحد منهم يحفظ الله به المشرق وولايته فيه، والآخر المغرب، والآخر الجنوب، والآخر الشمال، وحكم هؤلاء في العالم حكم الجبال في الأرض؛ فإنه بالجبال يسكن ميد الأرض، ومنهم الأبدال، وهم سبعة يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة لكل بدل إقليم فيه ولايته، الواحد منهم على قدم الخليل، والثاني على قدم الكليم، والثالث على قدم هارون، والرابع على قدم إدريس، والخامس على قدم يوسف، والسادس على قدم عيسى، والسابع على قدم آدم عليهم السلام، فمنهم عبد الحي، وعبد العليم، وعبد الودود، وعبد القادر، وهذه الأربعة هي أيضًا أسماء الأوتاد، ومنهم عبد الشكور، وعبد السميع، وعبد البصير، وسموًا أبدًا لكونهم إذا فارقوا موضعًا يتركون فيه شخصًا على صورتهم لا يشك أحد ممن يرى ذلك الشخص أنه غير ذلك الرجل وليس هو، بل هو شخص روحاني يتركه بدله بالقصد على علم منه، ومنهم النقباء وهم اثنا عشر نقيبًا في كل زمان على عدد بروج الفلك الأثني عشر كل نقيب عالم بخاصة كل برج، وقد جعل الله بأيديهم علوم الشرائع المنزلة ولهم استخراج خبايا النفوس وغوائلها ومعرفة مكرها، وأما إبليس فمكشوف عندهم يعرفون منه ما لا يعرف من نفسه وهم من العلم، بحيث إذا رأى أحدهم أثر وطأة شخص في الأرض علم أنها وطأة سعيد، أو شقي، ومنهم النجباء وهم ثمانية في كل زمان وهم الذين تبدوا منهم وعليهم أعلام القبول وأحوالهم، وإن لم يكن لهم في ذلك اختيار، مقامهم الكرسي، ومنهم الحواريون وهو واحد في كل زمان لا يكون فيه اثنان وكان في زمان رسول الله ﷺ الزبير بن العوام، فالحواري من جمع بين نصرة الدين بالسيف والحجة، ومقامه التحدي في إقامة الحجة على صحة الدين المشروع، فهو يرث المعجزة ولا يقيمها إلا على صدق نبيه ﷺ، فمن ظهر منه مثل هذا فهو حوارى ذلك العصر، ومنهم الرجبيون وهم أربعون نفسًا في كل زمان حالهم القيام بعظمة الله، وسموا رجبيين؛ لأن حال هذا المقام لا يكون لهم إلا في شهر رجب من أول استهلاله إلى يوم انفصاله، ثم يفقدون ذلك الحال من نفوسهم فلا يجدون إلى دخول رجب من السنة الأتية، وقليل من يعرفهم وهم متفرقون في البلاد، ومن كشفهم أنهم يرون الروافض خنازير جرى لبعضهم هذا مع رجلين ما عرف منهما قط التشيع ولم يكونا من بيت التشيع ولم يظهرا ذلك وأصرا عليه بينهما وبين الله، فكانا يعتقدان السوء في أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- ويتغالون في علي ﷺ تغالي الشيعة، فلما مرا به ودخلا عليه أمر

بإخراجهما من عنده، وكانا قد علما من نفوسهما أن أحدًا من أهل الأرض ما اطلع على حالهم فقالا له في ذلك: فقال: أراكما خنزيرين وهي علامة بيني وبين الله فيمن كان من همه هذا، فأضمرا التوبة في نفوسهما؛ فقال لهما: إنكما الساعة قد رجعتما عن ذلك المذهب فإني أراكما إنسانين فتعجبا من ذلك وتابا إلى الله ﷻ، وهؤلاء الرجبيون أول يوم يكون في رجب يجدون كأنما أطبقت عليهم السماء فيجدون من الثقل بحيث لا يقدرون على أن يطوفوا، ولا تتحرك فيهم جارحة ويضطجعون فلا يقدرون على حركة أصلاً، ولا قيام، ولا قعود، ولا حركة يد ولا رجل، ولا جفن عين تبقى عليهم، ذلك أول يوم ثم يجف في ثاني يوم قليلاً، وفي ثالث يوم يكون أقل، وتقع لهم الكشوفات، والتجليات، والاطلاع على المغيبات فإذا فرغ الشهر قام كأنما نشط من عقال، فيسلب عنه جميع حاله إلا من شاء الله أن يبقى عليه شيئًا من ذلك أبقاه عليه هذا حالهم وهو حال غريب مجهول السبب، ومنهم الختم وهو واحد في كل زمان، بل هو واحد في العالم يختم الله به الولاية المحمدية فلا يكون في الأولياء المحمدين أكبر منه، ثم ختم آخر يختم الله به الولاية العامة من آدم إلى آخر ولي وهو عيسى عليه السلام هو ختم الأولياء كما كان ختم دورة الملك فله يوم القيامة حشران يحشر في أمة محمد ﷺ ويحشر رسولاً مع الرسل صلوات الله عليهم، ومنهم ثلاثمائة نفس على قلب آدم عليه السلام في كل زمان، وقد أخبر رسول الله ﷺ عن هؤلاء الثلاثمائة أنهم على قلب آدم عليه السلام، ومعناه أنهم يتقلبون في المعارف الإلهية بقلب ذلك الشخص إذا كانت وأورد أن العلوم الإلهية إنما ترد على القلوب، فكل علم يرد على قلب ذلك الكبير من ملك، أو رسول فإنه يرد على هذه القلوب التي هي على قلبه، وربما يقول بعضهم: فلان على قدم فلان وهو بهذا المعنى ولكل واحد من هؤلاء الثلاثمائة من الأخلاق الإلهية ثلاثمائة خلق إلهي من تخلق بواحد منها صحت له السعادة، وهؤلاء هم المجتبون المصطفون، ومنهم أربعون شخصًا على قلب نوح عليه السلام في كل زمان هكذا ورد الخبر عن رسول الله ﷺ في هذه الطبقة أن في أمته أربعين على قلب نوح عليه السلام وهو أول الرسل، وعلى معارج هؤلاء الأربعين عملت الطائفة الأربعينيات في خلواتهم، وهي خلوات الفتح، ومنهم سبعة على قلب الخليل عليه السلام في كل زمان، ورد به الخبر المروي عن رسول الله ﷺ.

وقد أرسل الله بينهم وبين الشرور التي هم عليها الناس حجابًا، وأطلعهم على النسب التي بين الله وبين عباده، ونظر الحق إلى عباده بالرحمة التي أوجدهم بها، فكل خير في الخلق من تلك الرحمة، فذلك هو المشهود لهم من عباد الله، ومنهم خمسة على قلب

جبريل ﷺ في كل زمان ورد الخبر بذلكم عن رسول الله ﷺ هم ملوك أهل هذه الطريقة لهم من العلوم على عدد ما لجبريل من القوي المعبر عنها بالأجنحة التي بها يصعد وينزل، لا يجاوز علم هؤلاء الخمسة مقام جبريل وهو المدد لهم من الغيب، ومعه يقفون يوم القيامة في المحشر، ومنهم ثلاثة على قلب ميكائيل ﷺ في كل زمان لهم الخير المحض، والرحمة، والحنان، والعطف الغالب على هؤلاء الثلاثة البسط، والتبسم، ولين الجانب، والشفقة المفرطة، لهم من العلوم على قدر ما لميكائيل من القوي، ومنهم واحد على قلب إسرافيل ﷺ في كل زمان، ورد بذاك الخبر المروي عن رسول الله ﷺ، وكان أبو يزيد البسطامي منهم.

وأما رجال عالم الأنفاس، فهم على قلب داود ﷺ في كل زمان ومنهم رجال الغيب فهم عشرة هم أهل خشوع، فلا يتكلمون إلا همسًا لغلبة تجلي الرحمن عليهم دائمًا وهؤلاء هو المستورون الذين لا يعرفون خبأهم الحق في أرضه وفي سمائه فلا يناجون سواه، ولا يشاهدون غيره، ﴿يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾ [الفرقان:63]، ومنهم ثمانية عشر نفسًا هم الظاهرون بأمر الله في كل زمان على مدارج الأنبياء والرسل لا يعرفون إلا الله ظاهرًا وباطنًا، ولا يرون سوى الله في الأكوان، والأكوان عندهم مظاهر الحق، ومنهم ثمانية رجال يقال لهم رجال القوة الإلهية آيتهم من كتاب الله ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح :29] لهم من الأسماء الإلهية ﴿ذُو القُوَّةِ المَتِينُ﴾ [الذاريات: 58] لا تأخذهم في الله لومة لائم لهم همم فعالة في النفوس، ومن نمط هؤلاء خمسة رجال في كل زمان هم على قدم هؤلاء الثمانية في القوة غير أن فيهم لينًا، وهم على قدم الرسل، ومنهم خمسة عشر نفسًا هم رجال الحنان، والعطف الإلهي لهم شفقة على عباد الله مؤمنهم وكافرهم ينظرون إلى الخلق بعين الوجود والسجود لا بعين الحكم، والقضاء لا يولي الله منهم قط أحد ولاية ظاهرة من قضاء، أو ملك لأن ذوقهم ومقامهم لا يحتمل القيام بأمر الخلق فهم مع الحق في الرحمة المطلقة التي قال الله فيها ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 156]، ومنهم أربعة أنفس في كل زمان هم رجال الهيبة والجلال، وهم الذين يمدون الأوتاد الغالب على أحوالهم الروحانية قلوبهم سماوية مجهولون في الأرض معروفون في السماء، أحدهم على قلب محمد ﷺ، والثاني على قلب شعيب ﷺ، والثالث على قلب صالح ﷺ، والرابع على قلب هود ﷺ ينظر إلى أحدهم من الملأ الأعلى عزرائيل، وإلى الآخر جبرائيل، وإلى الآخر ميكائيل، وإلى الآخر

إسرافيل، ومنهم أربعة وعشرون نفسًا في كل زمان يسمون رجال الفتح بهم يفتح الله على قلوب أهل الله ما يفتحه من المعارف والأسرار، وجعلهم الله على عدد الساعات لكل ساعة رجل منهم، وهم متفرقون في الأرض لا يجتمعون أبدًا كل شخص منهم لازم مكانه لا يبرح، منهم باليمن اثنان ومنهم ببلاد الشرق أربعة، ومنهم بالمغرب ستة والباقي بسائر الجهات، ومنهم سبعة أنفس في كل زمان هم رجال العُلى لهم في كل نفس معراج إلى الله لتحصيل علم خاص من الله يتخيل بعض الناس أنهم الأبدال لما يرى أنهم سبعة، ولله في العالم في كل زمان من العباد المصطفين الذين يحفظ الله بهم العالم يزيدون وينقصون، كالأفراد ورجال الماء، والأمناء، والأحباء، والأخلاء، وأهل الله، والمحدثين، والسمراء، وهم المصطفون ومنهم أحد وعشرون نفسًا وهم أهل النفس الذين يتلقونه من الله لا نظر لهم إلا فيما يرد من عند الله مع الأنفاس، وهم أهل حضور مع الدوام ومنهم ثلاثة أنفس في كل زمان وهم رجال الإمداد الإلهي والكوني، فهم يستمدون من الحق ويمدون الخلق قد أهلهم الله للسعي في حوائج الناس وقضائها من عند الله لا عند غيره، وصفة هؤلاء إذا أفادوا الخلق ترى فيهم من اللطف، وحسن التأني حتى يظن أنهم هم الذين يستفيدون من الخلق، وأن الخلق هم الذين لهم اليد عليهم، الواحد منهم فتحه دائم لا ينقطع على قدم لا يتنوع في المقامات، وهو مع الله واقف وبالله في خلقه قائم، والثاني له عالم الملكوت جليس للملائكة تتنوع عليه المقامات والأحوال، ويظهر في كل صورة من صور العالم له التروحن إذا شاء كقضيب البان، والثالث له عالم الملك جليس للناس لين المعاطف تتنوع عليه المقامات، ومنهم ثلاثة أنفس في كل زمان يشبهون الأبدال في بعض الأحوال، ومنهم رجل واحد وقد يكون امرأة في كل زمان آتيه ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: 18] له الاستطالة على كل ما سوى الله شهم شجاع مقدام يقول حقًا ويحكم عدلاً، كان صاحب هذا المقام إمامنا وشيخنا عبد القادر الجيلي ببغداد كانت له الصولة والاستطالة بحق على الخلق، ومنهم رجل واحد في كل زمان يشبه عيسى عليه السلام متولد بين الروح والجسد لا يعلم له أب بشري، كما يحكى عن بلقيس أنها تولدت بين الجن والإنس، وهو رجل البرزخ به يحفظ الله عالم البرزخ دائمًا، ومنهم رجل واحد في كل زمان له رقائق ممتدة إلى جميع العالم يتخيل أنه القطب وليس بالقطب، ومنهم رجل واحد يسمى مقامه سقيط الرفرف ابن ساقط العرش شغله بنفسه وبربه، ومنهم رجلان يقال لهما رجال الغنى بالله في كل زمان للواحد منهما إمداد عالم الشهادة، والآخر منهما له إمداد عالم الملكوت والذي يستمدان منه هذان الرجلان روح علوي متحقق بالحق

غناه الله ما هو غناه بالله، ومنهم شخص واحد يتكور بقلبه في كل نفس لا يرى في الرجال أعجب حالاً منه، وليس في أهل المعرفة بالله أكثر معرفة منه لا يزال ترتعد فرائصه من خشية الله، ومنهم عشرة أنفس في كل زمان، وحالهم زيادات الإيمان بالغيب واليقين، واثنا عشر نفسًا يقال لهم البدلاء وما هم الأبدال، وهم في كل زمان وسموا أبدالاً لأن الواحد منهم لو لم يوجد الباقون ناب منابهم وقام بما يقوم به جميعهم وما على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد يشبهون النقباء من حيث العدد ومنهم خمسة أنفس يقال لهم رجال الاشتياق والأشواق تقلقهم في عين المشاهدة وهم من ملوك أهل طريق الله وبهم يحفظ الله وجود العالم ولهم سلطان على الجهات الست وبالجملة فما من أمر محصور في العالم في عدد ما إلا ولله رجال بعددهم في كل زمان يحفظ الله بهم ذلك الأمر.

وأما الذين لا عدد لهم فمنهم الملامتية وهم سادات أهل هذه الطريق وأئمتهم وسيد العالم فيهم ومنهم محمد ﷺ وهم الحكماء الذين وضعوا الأمور مواضعها فزدوا الأسباب ولم يعتمدوا عليها بجهولة أقدارهم ومنهم الفقراء الذين يفتقرون إلى كل شيء من حيث أن ذلك الشيء هو مسمى الله فإن الحقيقة تأبى أن تفتقر لغير الله وقد أخبر الله أن الناس فقراء إلى الله على الإطلاق فالناس محجوبون بالأشياء عن الله وهؤلاء السادة ينظرون الأشياء مظاهر الحق تجل فيها لعباده حتى في نفوسهم فيفتقر الإنسان إلى سمعه وبصره وجميع ما يفتقر إليه من جوارحه وإدراكاته.

وقد أخبر الحق في الحديث الصحيح أن الله سمع العبد، وبصره، ويده فما افتقر هذا الفقير إلا إلى الله فما ألطف سريان الحق في الموجودات ومنهم الصوفية وهم أهل مكارم الأخلاق تظهر عليهم خرق العوائد فيمشون على الماء، وفي الهواء، ومنهم العباد، وهم أهل الفرائض خاصة قال تعالى مثنيًا عليهم: ﴿وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: 73] ولم يكونوا يؤدون سوى الفرائض كان أبو مسلم الخولاني من أكابرهم كان يقول: يظن أصحاب محمد ﷺ أن يفوزوا بمحمد ﷺ دوننا كلا والله، والله لنزاحمنهم عليه حتى يعلموا أنهم خلفوا بعدهم رجالاً.

ومنهم الزهاد وهم الذين تركوا الدنيا عن قدرة، هم الذين آثروا الحق على الخلق وعلى نفوسهم، ومنهم رجال الماء، وهم قوم يعبدون الله في قعار البحار، والأنهار لا يعلم بهم كل أحد.

حكي عن أبي السعود بن الشبل[1] قال: كنت بشاطئ الدجلة فخطر في نفسي هل لله عباد يعبدونه في الماء؟ قال: فما استتممت الخاطر إلا وإذا بالنهر قد انشق عن رجل فسلم عليّ، وقال: نعم يا أبا السعود لله رجال يعبدون الله في الماء وأنا منهم، ومنهم

(1) العارف الأفخم والصوفي الأعظم، إمام كملت بالله أدواته، وصفت لي مشاهد الحق ذاته، وعرفت في مسالك العرفان خلواته وجلواته، أجل أتباع الشيخ العارف بالله عبد القادر الجيلاني ﷺ الذي قال في حقه العارف ابن عربي ﷺ: إنه أعلى مقامًا من شيخه -كما سيجيء عنه في ترجمته- وقال في موضع آخر من الفتوحات: كان إمام وقته في الطريق.
وقال: كنت بشاطئ دجلة بغداد فخطر في نفسي: هل لله عباد يعبدونه في الماء؟ فما تم الخاطر إلا والنهر قد انفلق عن رجل، فسلّم علي وقال: نعم يا أبا السعود، لله رجال يعبدونه في الماء وأنا منهم، أنا رجل من تكريت خرجت منها، لأنه بعد كذا وكذا يومًا يقع كذا وكذا- فذكر أمورًا تحدث- ثم غاب في الماء، فما انقضت خمسة عشر يومًا حتى وقع ذلك.
وقال في موضع آخر في الفتوحات: لقد أنصف رئيس الطائفة عاقل زمانه المتصفة بحاله أبو السعود بن شبل حيث قال: نحن تركنا الحق يتصرف لنا فلم نـــزاحم الحضرة الإلهية.
وقال في موضع آخر: حال الصدق يناقض مقامه، ومقامه أعلى من حاله في الخصوص، وحاله أشهر وأعلى في العموم، وكان الإمام عبد القادر ﷺ في حال الصدق لا مقامة وصاحب الحال له الشطح، وكذلك كان العارف أبو السعود ﷺ تلميذه مقامه الصدق لا حاله، فكان في العلم مجهولاً لا يعرف، ونكرة لا تتعرف، نقيض عبد القادر ﷺ في حال الصدق ولا مثل أبي السعود في مقام الصدق.
وقال السهروردي ﷺ كان أبو السعود ﷺ من أرباب الأحوال السنية، والواقفين في الأشياء مع فعل الله متمكنًا في حاله، تاركًا لاختياره، سبق كثيرًا من المتقدمين في تحقيق ترك الاختيار، شاهدنا منه أحوالاً صحيحة عن قوة وتمكين.
وقال له رجل: أريد أن أعين لك شيئًا كل يوم من الخبز أحمله إليك فقال: الصوفية تقول المعلوم شؤم، فقال: ما تقول ذلك، فإن الحق تصفى لنا وفعله مرئي، فكل ما يقيم لنا نراه مباركًا ولا نراه شؤمًا.
وقال كشيخه العارف الجيلاني ﷺ: شرط من يتصدر للمشيخة والتربية أن يعرف تلامذته من يوم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف:172] ويعرف من يفتح له على يديه ممن لا يفتح له.
ومن كلامه: لله قوم يتكلمون على الخاطر وما هم مع الخاطر، يعني يجرى الله على لسان أحدهم ما هو الخاطر عليه من الحال فيقول من سمعه: قد تكلم الشيخ على خاطره، والشيخ ليس معه حتى لو قيل له: ما في ضمير هذا الشخص لا يعرفه.
وقال: الرزق في طلب المرزوق وليس المرزوق في طلب رزقه حائرًا، وبسكون أحدهما يتحرك الآخر.
وقال: لا يتكبر أحد على إبليس إلا كان أسوأ حالاً منه، ولولا علو مرتبته في العلم وعزيمته في الفعل ما خوف الله منه أحدًا. انظر: الفتوحات المكية (1/19)، الكواكب الدرية (404)،جامع الكرامات (1/274).

الأفراد وهم المقربون بلسان الشرع خارجون عن دائرة القطب ونظيرهم من الملائكة الأرواح المهيمة في جلال الله وهم الكروبيون معتكفون في حضرة الحق سبحانه لا يعرفون سواه مقامهم بين الصديقية والنبوة الشرعية جهله أكثر الناس، ومنهم الأمناء طائفة من الملامتية أكابرهم وخواصهم يزيدون على سائر الطبقات أنه لا يعرف بعضهم بعضًا بما عنده فكل واحد يتخيل في صاحبه أنه من عامة المؤمنين قال النبي ﷺ: «إن لله أمناء».

وقال في أبي عبيدة بن الجراح: «إنه أمين هذه الأمة»[1].

ومنهم القراء وهم أهل الله قال النبي ﷺ: «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته»[2].

وأهل القرآن هم الذين حفظوه بالعمل به وحفظوا حروفه فاستظهروه حفظًا وعملاً كان أبو يزيد البسطامي منهم، ونال هذا المقام سهل بن عبد الله التستري وهو ابن ست سنين، ومنهم الأحباب وهم على قسمين: قسم أحبهم ابتلاءً وقسم استعملهم في طاعة رسوله ﷺ طاعة لله فأظهر لهم ذلك محبة الله إياهم، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: 31] علامتهم الصفاء فلا يشوبهم كدر أصلاً، ومنهم الأخلاء، ومن شرط الخلة أن يكون الخليل بحكم خليله فلا تكون إلا بين الله وبين عبده فمن اتخذ خليلاً غير الله ﷻ فقد جهل مقام الخلة.

ومنهم المحدثون وعمر بن الخطاب ﷺ منهم، وهم صنفان: صنف يحدثه الحق من خلف حجاب الحديث، وهذا الصنف على طبقات كثيرة، والصنف الآخر تحدثهم الأرواح، والملائكة في قلوبهم وأحيانًا في آذانهم، وقد تكتب لهم، ومنهم السمراء، وهم صنف خاص من أهل الحديث ولا حديث لهم مع الأرواح؛ فحديثهم مع الله، وهم من أهل الغيب في هذا المقام لا من أهل الشهادة.

ومنهم الورثة قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: 32].

وقال ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء»[3]. فالوارث الكامل من ورثه ﷺ علمًا، وعملاً، وحالاً.

واعلم أن الله تعالى قد وصف أقوامًا من النساء والرجال بصفات إذ كان الزمان لا

---

(1) رواه البخاري (4119)، ومسلم (2419).

(2) رواه أحمد (11831)، وابن ماجه (211)، والنسائي (1181).

(3) رواه الترمذي (2606)، وأبو داود (3157).

يخلو أبدًا عن رجال ونساء قائمين بهذا الوصف مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: 35]

فأعد لهم المغفرة قبل وقوع الذنب المقدر عليهم عناية منه فدل ذلك على أنهم من العباد الذين لا تضرهم الذنوب.

وقد ورد في الصحيح من الخبر الإلهي: «اعمل ما شئت؛ فقد غفرت لك»[1] فما وقعت من مثل هؤلاء الذنوب إلا بالقدر المحتوم لا انتهاكًا للحرمة الإلهية.

قيل لأبي يزيد: أيعصي العارف؟ قال: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَّقْدُوراً﴾ [الأحزاب: 38] فتقع معصية العارفين أهل العناية بحكم التقدير لإنفاذ القضاء السابق.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء :69].

وكذلك قوله تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة :112]؛ فهؤلاء نذكرهم ولا بدَّ من ذكر الأواهين والحكماء وأولي النهى وأولي الأحلام وأولي الأبصار فمنهم الأولياء.

قال الله تعالى: ﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: 62] مطلقًا، ولم يقل في الآخرة، فالولي من كان على بينة من ربه في حاله فعرف ما له بإخبار الحق إياه على الوجه الذي يقع به التصديق عنده، فالمراد بالولي من حصلت له البشرى من الله، كما قال: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [يونس :64].

وأهل الولاية على أقسام كثيرة؛ فإنها أعم فلك إحاطة منها ما مضى وما سيأتي، فمن الأولياء الصديقون قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد : 19]؛ فالصديق من آمن بالله ورسوله على قول المخبر لا عن دليل سوى النور الإيماني الذي يجده في قلبه.

---

(1) رواه مسلم (4953).

ومن الأولياء الشهداء تولاهم الله بالشهادة فهم من المقربين وهم أهل الحضور معه على بساط العلم به، قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَآئِماً بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: 18]، فجمعهم مع الملائكة في بساط الشهادة فهم موحدون عن حضور إلهي وعناية أزلية.

ومن الأولياء الصالحون تولاهم الله بالصلاح، وهم الذين لا يدخل علمهم بالله ولا إيمانهم بالله ولا بما جاء من عند الله خلل، فهذا هو الصلاح الذي رغبت فيه الأنبياء – صلوات الله عليهم.

ومن الأولياء المسلمون تولاهم الله بالإسلام، وهو انقياد خاص لما جاء من عند الله لا غير، فإذا أوفى العبد الإسلام بجميع لوازمه، وشروطه وقواعده فهو مسلم وإن انتقص شيئًا من ذلك فليس بمسلم فيما أخل به من الشروط.

ومن الأولياء المؤمنون تولاهم الله بالإيمان الذي هو القول، والعمل، والاعتقاد، فالمؤمن من كان قوله وفعله مطابقًا لما يعتقده في ذلك الفعل، وله علامتان في نفسه: أن يصير الغيب له كالشهادة في عدم الريب، وأن يسري الأمان منه في نفس العالم كله.

ومن الأولياء القانتون، والقانتات تولاهم الله بالقنوت، وهو الطاعة لله في كل ما أمر به ونهى عنه، وهذا لا يكون إلا بعد نزول الشرائع، وما كان منه قبل نزول الشرائع؛ فلا يسمى قنوتًا ولا طاعة، ولكن يسمى خيرًا ومكارم خلق.

ومن الأولياء الصادقون، والصادقات تولاهم الله بالصدق في أقوالهم، وأحوالهم، فقال تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: 3]؛ فهذا من صدق أحوالهم ولا يقع الوفاء بالصدق في الحال والقول إلا من الأشداء الأقوياء ولاسيما في القول، فإنك لو حكيت كلامًا عن أحد كان بالفاء فجعلت بدله واوًا لم يكن من هذه الطائفة.

ومن الأولياء الصابرون، والصابرات تولاهم الله بالصبر وهم الذين حبسوا مع الله على طاعته، فجعل الله جزاءهم على ذلك من غير توقيت؛ فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:10] عن صبرهم في جميع المواطن فكما حبسوا نفوسهم على الفعل حبسوها أيضًا على ترك ما نهوا عن فعله، وحبسوها أيضًا عند وقوع البلايا والرزايا بهم عن سؤال ما سوى الله في رفعها عنهم بدعاء الغير، أو شفاعة، أو طب ولا يقدح في صبرهم لشكواهم إلى الله في رفع البلاء عنهم.

ألا ترى أيوب سأل ذلك إلى ربه، فكشف ما به من ضر بقوله: ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ [الأنبياء :83] أي: أصاب مني قلبي، فبث ذلك إلى ربه، ومع هذا أثنى عليه بالصبر؛ فقال: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾ [ص: 44]؛ فلو كان الدعاء يناقض الصبر لم يثن الله على أيوب بالصبر، بل من سوء الأدب مع الله ألا يسأل العبد رفع البلاء عنه؛ لأن فيه رائحة من مقاومة القهر الإلهي بما يجده من الصبر وقوته، فالعارف وإن وجد القوة الصبرية فليفر إلى موطن الضعف والعبودية، فيسأل ربه رفع البلاء عنه أو عصمته منه إن توهم وقوعه وهذا لا يناقض الرضا بالقضاء، فإن البلاء هو المقضى ما هو القضاء فيرضى بالقضاء، ويسأل الله رفع المقضى به عنه فيكون راضيًا صابرًا.

ومن الأولياء الخاشعون، والخاشعات تولاهم الله بالخشوع من ذُلّ العبودية القائم بهم لتجلي سلطان الربوبية على قلوبهم في الدار الدنيا، وينظرون إلى الحق سبحانه من طرف يوجده الله لهم في قلوبهم في هذه الحالة خفي عن إدراك كل مدرك إياه، بل لا يشهد ذلك النظر منهم إلا الله فيشبه القنوت من وجه إلا أن القنوت يشترط فيه الأمر الإلهي والخشوع لا يشترط فيه إلا التجلي الذاتي.

ومن الأولياء المتصدقون، والمتصدقات تولاهم الله ليجودوا بما استخلفهم فيه مما افتقر إليه خلق الله، فأحوج الله الخلق إليهم لغناهم بالله، فالكلمة الطيبة صدقة والأمانة لهم في الذي يوصلونه إلى الناس أو إلى خلق الله من جميع الحيوانات وكل متغذ لكونهم مؤدين أمانة كانت بأيديهم أوصلوها إلى مستحقها.

ومن الأولياء الصائمون، والصائمات تولاهم الله بالإمساك الذي يورثهم الرفعة عند الله تعالى عن كل شيء أمرهم الحق تعالى أن يمسكوا عنه نفوسهم وجوارحهم فمنهم ما هو واجب ومندوب.

ومن الأولياء الحافظون لحدود الله، والحافظات تولاهم الله بالحفظ الإلهي، فحفظوا به ما تعين عليهم أن يحفظوه.

ومن الأولياء الذاكرون الله كثيرًا أي في كل حال، والذاكرات تولاهم الله بإلهام الذكر فيذكروه فيذكرهم فالذكر أعلى المقامات كلها، والذاكر هو الرجل الذي له الدرجة على غيره من أهل المقامات، كما أشار تعالى في قوله: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: 228]، ومن الذكر سمي الذَّكَر الذي هو نقيض الأنثى.

ومن الأولياء التائبون، والتائبات، والتوابون تولاهم الله بالتوبة إليه في كل حال،

ووصف الله سبحانه نفسه بالتواب وذكر محبته للتوابين وهم الراجعون منه إليه، وأما من رجع إليه من غيره فهو تائب خاصة، فالتائب راجع إليه من عين المخالفة ولو رجع ألف مرة في كل يوم وهو القابل للتوب، والتواب ينتقل في الأنات مع الأنفاس من الله إلى الله بالموافقات.

ومن الأولياء المتطهرون من رجال ونساء تولاهم الله القدوس بتطهيره من كل صفة تحول بين العبد وبين دخوله على ربه وهي كل صفة ربانية لا تكون إلا لله، وكل صفة تدخله على ربه ويقع بها لهذا العبد التطهير فهي صفاته التي لا يستحقها إلا العبد ولا تكون إلا له، ولو خلع الحق عليه جميع الصفات التي لا تنبغي إلا له ولابد من خلعها عليه لا تبرح ذاته من حيث تجلي الرب له موصوفة بصفاته التي له.

ومن الأولياء الحامدون والحامدات تولاهم الله بعواقب ما تعطيه صفات الحمد، فالحامدون من عباد الله من يرى الحمد المطلق على ألسنة العالم كله، سواء كان الحامدون من أهل الله، أو لم يكونوا، وسواء كان المحمود الله، أو كان مما يحمد الناس به بعضهم بعضًا، فإن في نفس الأمر ترجع عواقب الثناء كله إلى الله لا إلى غيره، فالحمد إنما هو لله خاصة بأي وجه كان.

ومن الأولياء السائحون وهم المجاهدون قال ﷺ: «سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله»[1]، والسياحة المشي في الأرض للاعتبار برؤية آثار القرون الماضية، ومن هلك من الأمم السالفة، وذلك أن العارفين بالله لما علموا أن الأرض تزهو وتفتخر بذكر الله عليها وهم ﷺ أهل إيثار وسعي في حق الغير، ورأوا أن المعمور من الأرض لا يخلو عن ذاكر لله من عامة الناس، وأن المفاوز المهلكة البعيدة من العمران لا يكون فيها ذاكر لله من البشر، فلزم بعض العارفين للسياحة صدقة منهم على البيداء التي لا يطرقها إلا أمثالهم وسواحل البحار، وبطون الأودية، وقلل الجبال، والشعاب، والجهاد في أرض الكفر التي لا يوحد الله تعالى فيها ويعبد فيها غير الله، ولذلك جعل النبي ﷺ سياحة أمته الجهاد فإن الأرض وإن لم يكفر عليها ولا ذكر الله فيها أحد من البشر فهي أقل همًّا، وحزنًا من الأرض التي عبد غير الله فيها، وكفر عليها فكانت السياحة بالجهاد أفضل من السياحة في غير الجهاد أفضل من لقاء العدو، فالمقصود إعلاء كلمة الله في الأماكن التي يعلو فيها ذكر غير الله.

(1) رواه أبو داود (2127).

ومن الأولياء الرّاكعون، وهو الخضوع، والتواضع لله من حيث هويته سبحانه ولعزته، وكبريائه حيث ظهر من العالم فتواضع العارفون للجبابرة، والمتكبرين من العالم للصفة لا لعينهم إذ كان الحق هو مشهودهم في كل شيء.

ومن الأولياء الساجدون ثنى الله السجود، ولم يثن حالة من حالات الصلاة لشرفه في حق العبد، وأكده بتثنيته في كل ركعة فرضًا واجبًا وركنًا لا تنجبـــر إلا بالإتيان به.

ومن الأولياء الآمرون بالمعروف تولاهم الله بالأمر بالله إذ كان هو المعروف الذي لا ينكر فالآمرون بالمعروف هم الآمرون على الحقيقة بالله لأنه لسانهم، فإنه إذا أحب عبده كان لسانه الذي يتكلم به فهؤلاء هم الطبقة العليا في الأمر بالمعروف.

ومن الأولياء الناهون عن المنكر تولاهم الله تعالى بالنهي عن المنكر بالمعروف.

ومن الأولياء الحُلماء تولاهم الله بالحلم، وهو ترك الأخذ بالجريمة في الحال مع القدرة على ذلك.

ومن الأولياء الأواهون أثنى الله بذلك على نبيه إبراهيم ﷺ؛ فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود: 75]؛ فالأواه هو الذي يكثر التأوه لبلواه ولما يقاسيه ويعانيه، وهو من باب العبـــرة والحيـــرة.

ومن الأولياء الأجناد الإلهيون الذين لهم الغلبة على الأعداء، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: 173]؛ فأضافهم إليه سبحانه وتعالى من اسمه الملك فهم عبيد الملك، والأعداء الذين في مقابلة هؤلاء الأجناد وإبليس، والهوى، والمصارف المذمومة كلها وسلطانهم الهوى، وعدة هؤلاء الأجناد التقوى، والمراقبة، والحياء، والخشية، والصبـــر، والافتقار، والميدان الذي تكون فيه المصاف والمقابلة بينهم وبين الأعداء هو العلم في حق بعض الأجناد، والإيمان في حق بعضهم، والإيمان والعلم معًا في حق الطبقة الثالثة.

ومن الأولياء الأخيار قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ [ص: 47] تولاهم الله بالخيرة، قال تعالى: ﴿وَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ﴾ [التوبة: 88] جمع خيـــرة، وهي المفاضلة من كل شيء، ومنه: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن :70].

ومن الأولياء الأوابون وهم الرّاجعون إلى الله في كل حال من كل ناحية التي يأتي منها إبليس إلى الإنسان من ناحية أيديهم، ومن خلفهم، وعن أيمانهم، وعن شمائلهم يرجعون في ذلك كله إلى الله أولاً وآخرًا فيما ذم وحمد من ذلك، ولما اقتضى الأدب ألا

يرجعوا في حصول ما ذم إلى الله واقتضى لهؤلاء هذا الحال يرجعوا فيه إلى الله سمى نفسه غفورًا للأوابين أي: يغفر لهم هذا القدر الذي يصحبه من مقام آخر من سوء الأدب.

ومن الأولياء المخبتون تولاهم الله بالإخبات، وهو الطمأنينة والخبت المطمئن من الأرض أمر الله نبينا ﷺ في كتابه أن يبشرهم؛ فقال له: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ * الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الحج: 34-35] ساكنون تحت مجاري الأقدار راضون بذلك، من خبت النار إذا سكن لهبها.

ومن الأولياء المنيبون تولاهم الله بالإنابة إليه سبحانه وتعالى، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود: 75] أمرهم الله بالرجوع عنه مع شهودهم في حالهم إنهم نواب عن الله في رجوعهم، إذ الرجوع على الكشف إنما هو لله.

ومن الأولياء المتبصرون تولاهم الله بالإبصار، وهو من صفات خصائص اليقين.

ومن الأولياء المهاجرون فالمهاجر من ترك ما أمره الله ورسوله بتركه، وبالغ في ترك ذلك لله خالصًا من كل شبهة عن كرم نفس وطواعية لا عن كره، وإكراه، ولا رغبة في جزاء.

ومن الأولياء الموفون تولاهم الله بالوفاء، قال تعالى: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ [البقرة: 177]؛ فالوفاء من شيم خاصة الله فمن أتى في أموره التي كلفه الله أن يأتي بها على التمام وكثر ذلك في حالاته كلها فهو وفي، ومن كان بهذه المثابة على ما أخبـــر الله به من المعارف عن أكثر عباده يقال: أوفى على الشيء إذا أشرف.

ومن الأولياء الواصلون قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾ [الرعد :21] يعني: من صلة الأرحام، وأن يصلوا من قطعهم من المؤمنين بما أمكنهم من الإحسان، ولا يؤاخذوا بالجريمة، ولا يقطعوا أحدًا من خلق الله إلا من أمرهم الله بقطعه.

ومن الأولياء الخائفون تولاهم الله بالخوف منه أو مما خوفهم به منه امتثالاً لأمره؛ فقال: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران :175]، وأثنى عليهم بأنهم يخافون يومًا تتقلب القلوب فيه والأبصار، ويخافون سوء الحساب، فمن أدبهم مع الله أنهم خافوا اليوم لما يقع فيه لكون الله خوفهم منه، فإن كثيــرًا من أهل الله لا يتفطنون لهذا الأدب ولا يعرجون على ما خوفوا به من الأكوان وعلقوا أمرهم بالله.

أوحى الله إلى رسوله موسى ﷺ: «يا موسى خفني وخف نفسك»[1] ، يعني: هواك، «وخف من لا يخافني»[2] ، وهم أعداء الله فأمره بالخوف من غيره، وهذا صراط دقيق خفي على العارفين فما ظنك بالعامة.

ومن الأولياء المعرضون عما أمرهم الله بالإعراض عنه قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: 3]، وقال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾ [النجم: 29].

ومن الأولياء الكرماء تولاهم الله بكرم النفوس، ولو استوفينا ما ذكر الله تعالى من صفات أوليائه في كتابه، وشرحنا ما خصوا به لم يفِ بذلك الوقت، وقال: إن منازل الأولياء حسية ومعنوية؛ فالحسية تزيد على المائة، فكل منــزل يتضمن منازل كثيــرة، وأما منازلهم المعنوية في المعارف فهي مائتا ألف منــزل وثمانية وأربعون ألف منــزل محققة لم ينلها أحد من الأمم قبل هذه الأمة، وهي من خصائص هذه الأمة.

وقد كان للأولياء في سائر الأمم من هذه العلوم نفثات روح في روع، وما كمل إلا لهذه الأمة تشريفًا لهم، وعناية بهم لمكان نبيهم سيدنا محمد ﷺ.

وقال أيضًا ﵁: وجعل الله ورثته يعني محمدًا ﷺ في منازل الأنبياء والرسل، فأباح لهم الاجتهاد في الأحكام وتعبدهم بذلك ليحصل لهم نصيب وافر من التشريع، فلم يتقدم عليهم سوى نبيهم، فتحشر هذه الأمة أعني: علماءها في صفوف الرسل لا في صفوف الأمم، انتهى كلام الشيخ محيي الدين بن العربي.

وسئل بعض العارفين عن أولياء العدد أينقصون في زمان؟ فقال: لو نقص منهم واحد ما أرسلت السماء قطرها، ولا أبرزت الأرض نباتها.

وقال بعض العارفين: الصالحون كثير مخالطون للعوام لصلاح الناس في دينهم ودنياهم، والنقباء في العدد أقل منهم، وهم للخواص لمزيد أحوال الناس بهم في بركات الدين، والدنيا، والأبدال في العدد أقل منهم نازلون في الأمصار العظام لا يكون منهم في المصر إلا الواحد بعد الواحد فطوبى لأهل بلدة كان فيها اثنان منهم، فإذا أراد الله أن يقيم الساعة أماتهم أجمعين، وبهم يدفع الله عن عباده البلاء، وينــزل قطر السماء، وقال تعالى: «يا موسى لولا من يحملني من خلقي لسيلت جهنم على الأرض تسييلاً»[3] .

(1) ذكره في الفتوحات (6/3).

(2) ذكره سيدنا في الفتوحات (6/3).

(3) ذكره في الفتوحات (305/7).

وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله[1]: وفساد الوقت لا يكون بذهاب أعدادهم ولا بنقص أمدادهم، ولكن إذا فسد الوقت كان مراد الله سبحانه وقوع اختفائهم مع وجود بقائهم فإذا كان أهل الزمن معرضين عن الله مؤثرين لما سوى الله لا تنفع فيهم الموعظة ولا تميلهم إلى الله التذكرة لم يكونوا أهلاً لظهور أولياء الله فيه، ولذلك قالوا: أولياء الله عرائس، ولا يرى العرائس المحرومون.

وأخبرنا بعض الصالحين حكاية عن الشيخ الكبير الولي الكامل الشهير جمال

---

(1) أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الشيخ تاج الدين أبو الفضل الجذامي السكندري الشاذلي.

إمام تاج علمه مرتفع، وشمل فضله مجتمع، وخبر نعته مشتهر، ودر حكمه منتشر، ومصنفاته مفيدة، وحلل ذكره على مر الأيام جديدة. هجر النوم وقلاه، ولو لم يكن له غير كتاب التنوير لكفاه. قال التاج السبكي: أراه كان شافعيًا، وقال غيره: كان مالكيًا. وله اليد الطولى في العلوم الظاهرة، والمعارف الباطنة، إمام في التفسير والحديث والأصول، متبحر في الفقه، وله وعظ يجذب في القلوب، ويحلو في النفوس.

وكان قد تدرب بقواعد العقائد الشرعية، وهذبته العلوم، فاستدل بالمنطوق على المفهوم، فساد بذلك العصابة الصوفية، فكان له من الرياسة شرب معلوم، وهو صاحب كتاب الحكم الذي من تأمله قال ما هذا منثور، إن هذا إلا لؤلؤ منثور، كل سطر منه جنة قد حُفت بالثمار، وأحدقت بأنوار الأزهار، وكل شطر من سطر لو يباع بثمن بخس لاشتري بألف دينار.

صحب العارف المرسي، وأخذ عنه جمع من الأعيان، وانتفع به خلق كثر، منهم شيخ الشافعية التقي السبكي.

وأصله من الإسكندرية، ثم قطن مصر، وصار يعظ الناس ويرشدهم، وله الكلمات البديعة المفردة بالتدوين.

توفي سنة تسع وسبعمائة، ودفن بالقرافة بقرب بني الوفا قدس الله أسرارهم.

ومن كراماته أن الكمال بن الهمام زار قبره، فقرأ عنده سورة هُود حتى وصل إلى قوله: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود:105] وأجابه من القبر بصوت عال:

يا كمال، ليس فينا شقي. فأوصى بأن يُدفن هناك.

ومنها أن رجلاً من تلامذته حج، فرأى الشيخ في المطاف، وخلف المقام، وفي المسعى، وفي عرفة. فلما رجع سأل عن الشيخ: هل خرج من البلد في غيبته إلى الحج؟ قالوا: لا.. فدخل إليه وسلم عليه، فقال له: من رأيت في سفرك هذه من الرجال؟ قال: يا سيدي، رأيتك.. فتبسم وقال: الرجل الكبير يملأ الكون، لو دُعِيَ القطب من جحر لأجاب. انظر: مرآة الجنان (246/4)، طبقات السبكي (23/9)، الدرر الكامنة (273/1)، المنهل الصافي (120/2)، الطبقات الشعرانية (20/2)، جامع كرامات الأولياء (317/1)،الديباج المذهب (70)، الوافي بالوفيات(57/8)، حسن المحاضرة (424/1)، وطبقات الشاذلية (97).

الدين محمد بن أبي بكر الحكمي [1] -نفع الله به- أنه أثنى على بعض الأولياء حين مات، وقال: أنه كان سرًّا من أسرار الله، وما دفن سر من أسرار الله في بقعة من بقع الله إلا يغفر الله لأهل تلك البقعة.

وأخبرنا بعض الإخوان أنه سمع شيخنا الأكبر شيخ الإسلام أبا المعروف إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي -قدس الله سره- يقول: قال الفقيه محمد بن الحسين البجلي- نفع الله به: لولا وجود خاصة الله مع عامة الله فيما هم فيه من معاصي الله لعجل الله عقوبة من عصاه، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة:251] تفضل الله سبحانه بوجود الخواص على العوام ليكون ذلك سببًا لتأجيل العقوبة، وربما كان ذلك سببًا لصفحها، وربما كان سببًا لتبديلها إحسانًا لقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان: 70].

وقال مالك -رحمه الله تعالى: بلغني عن ابن عباس ﷺ أنه قال: «لا يزال في الأرض لله ولي ما دام فيها للشيطان ولي».

فصل

ولما كان المراد بتقديم هذه القاعدة تقعيد الإيمان بوجود الأولياء في كل زمان، وأنهم هم الذين يحفظ الله بهم عالم الإنسان ويدفع بهم عن الخلق حوادث الأكوان أوردت من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وأقوال السلف الماضين من الصحابة، والتابعين لهم إلى

(1) هو الشيخ أحمد بن محمد الحكمي اليمني.

صوفي سَمَا شرفه، علت في جنان المعرفة غرفة، مشهور بالولاية التامة، معروف بنفع الخاصة والعامة، كان صاحب رياضة في البداية، وكرامة في النهاية، وكان سلوكه بمواظبة سورة الإخلاص.

وكان يقيم عشرة أيام لا يأكل. وصحبه رجل اسمه علي الحائم، كان يلقاه في المساجد المشهورة، فيهديه يربيه حتى فتح عليه، وظهرت له كرامات لا تحصى، وأقبل الناس عليه. وكانت له معرفة بعلوم الحقائق، وغوص على دقائق السلوك وتربية المريدين. وله كلام حسن في التصوف، فمنه ما قال: المربّون ثلاثة: مربّي مقال. ومربّي فعال. ومربّي حال، فالأول يقول لمريده: افعل كذا واصنع كذا من أنواع العبادة، والثاني لا يكلمه بل يفعل بحضرته فيفعل كفعله، والثالث يلتجئ إلى الله في بلوغ المريد ما يراه فيحصل، وربما ألبسه الشيخ بتلك الحلاة بتصرف باطن بحيث لا يعلم أصحابه ذلك.

مات سنة إحدى وثمانمائة، قال المناوي: وأفردت ترجمته بتأليف حافل.

طبقات الخواص (29).

هذا العصر في ذكر الأولياء، وإثبات وجودهم وكراماتهم، وطبقاتهم، وأعدادهم، ومراتبهم، ومقاماتهم، ما أرجو أن ينتفع به أهل الإنكار وتندفع به عنهم المآثم، والأوزار، وإن طال بما أوردناه الكلام وأشبه أن يكون خروجًا عن المرام فهو لغرض صحيح مقصود وقصد مرضي محمود، فإن أهل كل زمان قد غلب عليهم تنقيص زمانهم وأهله وتكميل من كان في الأزمنة من قبله، هذا حكم من يدعي الكرامات، والإيمان؛ فكيف بمن يكفر بها رأسًا كأهل البدع، والضلالات؟!

أنشدنا الإمام جمال الدين محمد بن محمود الكرماني لنفسه في هذا المعنى:

أولـــع الـــناس بامـــتداح القـــديم وبـــذم الحـــديث غـــير الـــزميم

لـــيس إلا لأنهـــم جـــسدوا الحـــي ورقـــوا علـــى العظـــام الـــرميم

فصل

إن قال قائل: لِمَ لَمْ يظهر على الصحابة ﷺ من خوارق العادات ما ظهر على كثير ممن بعدهم؟ قلنا له: إن أنوار الأولياء ظهرت في زمن الغالب عليه شواذ ظلام محبة الدنيا، ومطاوعة الشيطان، والنفس، والهوى، والإدبار عن الله، والاستغراق في بحار الغفلات واتباع الشهوات وباستيلاء الظلام يظهر النور، وأنوار الصحابة ﷺ كانت في زمان إشراق شمس النبوة المحمدية، وظهور أنوار الوحي الإلهي بالآيات الظاهرة الإلهية وبيان الحق وانطماس الباطل فكان زمانهم نورًا كله، بل نهارًا لا ليل له فلا أثر لسراج مع الشمس، بل ولا لكوكب، بل ولا لبـــرق، بل ولا لقمر، وكان الأمر إذ ذاك ظاهرًا لكل عين، والآخرة نصب أعينهم والدنيا وراء ظهورهم فلهذا بذلوا مهجهم لله، وأسالوا نفوسهم على صفائح وأسنة الرماح، فشغلهم اكتساب المقامات العاليات عن ظهور الأحوال القاطعات.

وقيل للإمام أحمد بن حنبل: يا أبا عبد الله! إن الصحابة لم يرو عنهم من الكرامات ما روي عن الأولياء والصالحين؟ فقال: إن الصحابة كان إيمانهم قويًا فما احتاجوا إلى زيادة شيء يقوون به، وغيرهم كان إيمانهم ضعيفًا لم يبلغوا إيمان أولئك فقووا بإظهار الكرامات.

القاعدة الثانية

وجـــوب التصديق بالكرامات والعلوم الإلهيات كما وجب التصديق بالمعجزات، وبمـــا جـــاء في الأحاديث النبويات، والتحذير من التكذيب والإنكار الموجبين للحرمان ودخول النار.

اعلم أن ما جاء في كتاب الله العزيز الحكيم من الآيات البينات، وما جاء في سنة نبيه الحبيب الكريم من الأحاديث المرويات في إثبات الولاية للأولياء، وما منحهم الله به من المحامد، والكرامات موجب للتصديق فلا يكذب بالأنبياء ومعجزاتهم، والأولياء وكراماتهم إلا كافر زنديق.

أخبرنا شيخ الإسلام قطب الأولياء الكمل الأعلام أبو المعروف إسماعيل ابن إبراهيم الجبرتي ﷺ بإسناده المقدم في صدر الكتاب إلى البخاري -رحمه الله- بسنده عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى قال: من عادى لي وليًا؛ فقد آذنته بالحرب»[1].

وأخبرنا ﷺ فيما يرويه عن الإمام أبي عبد الله الترمذي الحكيم بسنده إلى أنس بن مالك ﷺ عن رسول الله ﷺ عن جبريل ﷺ عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «من أهان لي وليًا؛ فقد بارزني بالمحاربة، وإني لأسرع شيء إلى نصرة أوليائي، إني لأغضب لهم، كما يغضب الليث الحرد»[2].

قال شيخنا أبو المعروف ﷺ : إن الله يغضب لأوليائه، وإن لم يغضبوا.

وأخبرنا شيخنا القاضي الكبير قاضي القضاة بالمدينة المشرفة شيخ علماء الحرم الشريف النبوي زين الدين أبو بكر الحسين العثماني المراغي الشافعي -رحمه الله- إجازة خطًا، ولفظًا بالمسجد الشريف النبوي سنة سبع وتسعين وسبعمائة قال: أنا المسند معمر صدر الدين أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم الميدوي سماعًا عليه في سنة أربع وخمسين وسبعمائة بالقاهرة أنا الشيخ الإمام تقي الدين أبو القاسم عبيد بن محمد بن عباس الأشعري سماعًا عليه، قال: أنا أبو القاسم عبد الرحمن بن مكي بن عبد الرحمن الطرابلسي سماعًا عليه، أنا أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال الأنصاري القرطبي إجازة، قال: أنا أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب قرأه مني عليه مرارًا، قال أخبرني أبو عمرو عثمان بن أبي بكر الصدفي وكتبه لي بخطه، وحدثني به قال: ثنا القاضي أبو عبد الله أحمد بن محمد بن بنان قرأه عليه بجرجرايا، قلت له: حدثكم أبو بكر محمد بن نصر قال سمعت أبا عمرو عثمان بن خطاب المعروف بابن أبي الدنيا قال سمعت علي بن أبي طالب ﷺ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا أعرض الله عن العبد أورثه

(1) رواه البخاري (6137).

(2) رواه الترمذي في «نوادر الأصول» (232/2).

الإنكار على أهل الديانات».

قلت: وهذا الحديث مما يرويه شيخنا ﷺ عن القاضي زين الدين بالإجازة لفظًا، وخطًا.

وقيل: إنه ورد أن: «من احتقر وليًا لله ابتلاه الله بالمقت بين الخلق».

وقال أبو تراب النخشبي[1]: إذا ألف القلب الإعراض عن الله صحبته الوقيعة في

---

(1) أبو تراب النخشبي بفتح النون وسكون الخاء وفتح الشين المعجمتين نسبة إلى نخشب بلدة بما وراء النهر، عربت فقيل لها (نسف)، واسمه عسكر بن حصين، ولم يشتهر إلا بكنيته حتى كاد لا يعرف إلا بها، وكان شيخ عصره بالاتفاق جامعًا بين العلم والدين والزهد والتصوف بلا شقاق، متقشفًا متوكلاً، متخشعًا متبتلاً قد أضاء في سماء المعالي بدره، واشتهر في الآفاق حسنه وذكره وخدمه أكابر الصوفية وتطفلوا عليه لهمته السرية، وخضع المريدون له ودانوا، وتطامنوا لرفعته واستكانوا له الرياضيات المذكورة السياحات المشهورة، صحب حاتمًا الأصم والخواص والطبقة.

وكتب الحديث الكثير وتفقه على مذهب الشافعي.

وأخذ عنه: أحمد بن حنبل وابن الجلاء وآخرون من الأجلاء.

قال ابن الجلاء: لقيت ست مائة شيخ ما رأيت فيهم مثل أربعة أولهم: أبو تراب،

ووقف خمسًا وخمسين وقفة بعرفة، ومرَّ به أحد الأمراء وهو يحلق رأسه فأعطاه ألف دينار فقال له: أدفعها للمزين، فردها المزين، فردها أبو تراب.

وكان إذا وجد من أتباعه فترة جدد توبة.

وقال: بشؤمي وقعوا فيما وقعوا ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[الرعد: 11].

وقال: لقيت غلامًا في التيه يمشي بلا زاد فقلت في نفسي إن لم يكن معه يقين هلك، فقلت: يا غلام، في مثل هذا الموضع بلا زاد؟! قال: يا شيخ، ارفع رأسك، هل ترى غير الله؟! قلت: الآن اذهب حيث شئت.

ومن فوائده العلية المقدار: إن الله تعالى ينطق العلماء في كل وقت بما يشاكل أعمال أهل ذلك الزمن.

وقال: إذا تواترت على أحدكم النعم فليبك على نفسه، فإنه قد سلك به غير منهج الصلحاء، فإن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل.

وقال: العارف الذي لا يكدره شيء ويصفو به كل شيء.

وقال: الناس يحبون ثلاثة وليست لهم: النفس، والروح، وهما لله والمال وهو للورثة، ويطلبون اثنتين ولا يجدونهما: الفرح والراحة هما في الجنة.

وقال: لابد للأستاذ من أربعة أشياء تميز فعل الله من فعل الخلق، ومعرفة مقامات العمال، ومعرفة الطبائع والنفوس، وتمييز الخلاف من الاختلاف.

وقال: عرض عليَّ طعام فامتنعت فبليت بالجوع أربعة عشر يومًا فعلمت أنه عقوبة.

وقال: الفقير قوته ما وجد، ولباسه ما ستر، ومسكنه حيث نزل.

وقال: من شغل مشغولاً بالله أدركه المقت للوقت.

=

وقال: شرط التوكل طرح البدن في العبودية، وتعلق القلب بالربوبية، والطمأنينة إلى الكفاية فإن أعطي شكر، وإن منع صبر.

وقال: صحبت مائة شيخ ما نفعني شيء مثل سد رأس الجراب.

يعني: القنع والتقلل من الدنيا.

وكـــان يكثر ذكر أبي يزيد البسطامي ويقول لتلميذ حظي عنده: لو رأيته، فقال: قد أكثرت من ذكـــر أبي يـــزيد البـــسطامي من يتجلى له الحق كل يوم مرات ما يصنع بأبي يزيد؟ فقال: لو رأيته لـــرأيت مرأى عظيمًا، فلم يزل يشوقه حتى ارتحل إليه فقيل له: إنه في الغيضة مع الســباع، وكان يـــأوي إلـــيها فقعد على طريقه فعندما وقع بصر الفتى عليه خر ميتًا فعجب أبو تراب من ثبوته لتجلي الحق دون رؤية أبي يزيد فقال أبو يزيد:كان الحق يتجلى له كل يوم على حسب ما عنده فلما رآني تجلى له الحق على قدري فلم يطق فلا عجب.

قال ابن المنير: واصطلاح أهل الطريق معروف في التجلي، وحاصله رتبة من المعرفة جلية وحالة بـــين اليقظة والنوم سوية، والإيمان يزيد وينقص ولا تظنهم يعنون بالتجلي رؤية البصر التي قيل فـــيها لموسى على خصوصيته ﴿ لَن تَرَانِي ﴾ [الأعراف:143] والتي قيل فيها على العموم:﴿لاَّ تُدْرِكُـــهُ الأَبْـــصَارُ﴾ [الأنعام:103] فإذا فهمت أن مرادهم الذي أثبتوه غير المعنى الذي حصل الناس منه على اليأس في الدنيا ووعد به الخواص في الآخرة، فلا ضير عليك ولا طريق لـــسوء الظن إليك والله يتولى السرائر.

قال السبكي: وكلامه -أعني ابن المنير- في تفسير التجلي يقرب من قول شيخه ابن عبد السلام في قـــواعد التجلـــي والمشاهدة عبارة عن العلم والعرفان، واعلم أن القوم لايقتصرون في تفسير التجلي على العلم، ولا يعنون به إياه، ثم لا يفصحون بما يعنون، بل يلوحون تلويحًا، ثم يصرحون بالـــبراءة مما يوجب سوء الظن تصريحًا، ولم يفصح القشيري في رسالته بتفسيره، ولعله خاف على فهم من ليس من أهل الطريق، وحاصل ما قاله متأخروهم: إن التجلي ضربان:

ضـــرب للعـــوام: وهـــو أن يكـــشف صورة كما جاء جبريل في صورة دحية، وكما جاء في حديث:«رأيت ربي في صورة شاب» قالوا: وهذا تجلي الصفة، ويضربون له مثلاً المرآة، فأنت تنظـــر وجهك فيها وليست محلاً لوجهك، ولا وجهك حال فيها وإنما هناك مثال تعالى الله أن يكون له مثال، وحديث «في صورة شاب أمرد» موضوع.

وضـــرب للخواص: وهو تجلي الذات نفسها ويذكرون هناك لتقريب الفهم الشمس فإنك ترى ضـــوء الـــنهار فتحكم بوجودها وحضورها برؤية الضوء، وهذا تقريب؛ فنور الباري لو سطع لأحرق الوجود بأسره.

وقـــال: وقـــد سألت العارف الأردبيلي عن الذي يراه العارف في الدنيا أهو الذي وعده الله في الآخرة؟ قال: نعم، قلت: فبما تتميز رؤية الله يوم القيامة؟ قال: بالبصر والرؤية في الدنيا إنما هي البـــصيرة لا بالبصر، ثم ضرب مثل المرآة؛ فقلت: هذا نوع من الحلول وهو كفر، قال: لا فإن الحلول معناه أن الذات تحل في ذات أخرى والمرآة لا يحل فيها إلا صورة؛ قلت: فالمشاهدة غير التجلـــي، قال: المشاهدة دوام تجلي الذات، والتجلي يكون معه مشاهدة، وهو ما إذا دام، وقد لا، انتهى،

=

أولياء الله.

ونقل عن السلف الصالحين ﷺ: إن من أنكر الكرامات خيف عليه سوء الخاتمة.

وقال إمامنا الشافعي ﷺ: من أحبَّ أن يقضي الله له بالخير؛ فليحسن الظن بالناس.

وقيل: كان رجلٌ من وجوه أهل سِنجار كثـــــير الوقيعة في السلف بغير سبب، فلما احتضر جعل يتكلم بكل شيء إلا الشهادة، فإذا قيل له قل: لا إله إلا الله يقول: لم يؤذن لي في ذلك فضج الناس وأتوا إلى الشيخ سويد السنجاري ﷺ أتاه وجلس عنده واطرق طويلاً، ثم قال له: قل لا إله إلا الله فقالها وكررها مرارًا، فقال الشيخ: إنه عوقب لوقيعته في السلف، وإني شفعت فيه، فقيل لي: قد شفعناك فيه إن رضي عنه أولياؤه السالفون، فدخلت الحضرة الشريفة واستوهبت ذنبه من معروف الكرخي، وسري السقطي، والجنيد، والشبلي، وأبي يزيد، وغيرهم فأطلق لسانه في الشهادة فقال الرجل: إني كلما أردت أن أتشهد وثب عليَّ شيء أسود وشد الثقل على لساني يمنعني النطق، ويقول لي: أنا وقيعتك في أولياء الله تعالى، ثم جاء بعده نور يتلألأ وطرد ذلك السواد عني، وقال لي: أنا رضى أولياء الله عنك.

وقال الشيوخ: أقل عقوبة المنكر على الصالحين أن يحرم بركتهم.

قلت: ويشهد لهذا القول، قول رسول الله ﷺ: «ومن بلغه عن الله ﷻ فضيلة فلم يصدق بها لم يبلغها»[1].

وقال الأستاذ أبو القاسم القشيري -رحمه الله: ومن خذل بتركه حرمه الشيوخ فقد

=

وأقول: إذا تبرأ القوم من تفسير التجلي بما لا يمكن و لا يجوز وصف الرب به فلا لوم عليهم ولا اعتراض.

ومـــن كراماته: أنه لما حج قال له أحد أصحابه: أنا عطشان، فضرب بيده الأرض وناوله قدحًا من الزجاج أبيض كأحسن ما رأيت فشرب وأسقاهم، وما زال القدح معهم لمكة.

ومـــنها: أنـــه حج مرة أخرى فأصاب أصحابه جوع فعدل عن الطريق وأخرج لهم موزًا وعنبًا وقـــثاء وكـــان معـــه محمد البناء، فقال له كل، قال: الذي أعتقده ترك المعلومات وصرت أنت معلومي فلا أصحبك، فقال: كن مع ما وقع لك.

مات أبو تراب سنة خمس وأربعين ومائتين بالبادية، قيل: نهشته السباع وقيل:بل وجد بها قائمًا ميتًا لا يمسكه شيء، فأراد بعض صحبه حمله ليواريه فما أمكنه، وسمع هاتفًا يقول: دع ولي الله مع الله بلا تكلف.

حلية الأولياء (45/10)، طبقات الشعراني (83/1)، الشذرات (108/2).

(1) ذكره المناوي في «فيض القدير» (95/6)، والعجلوني في «كشف الخفاء» (198/2).

أظهر رقم شقاوته وذلك لا يخطئ.

وقال الشيخ الإمام فخر الدين قطب المحققين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أبي الفوارس الخيري الفارسي في كتابه دلالة المستنهج إلى معالم المعارف ورسالة المستنهج إلى عوالم العوارف ﷺ: ومنكر الكرامة بين أمرين: إما جحد قدرة الصانع أصلاً، أو اعتقاد كون القدرة قاصرة عن إيجادها فإن الكرامات لا تخلو إما أن تكون من الواجبات القطعية، أو من المستحيلات، أو من الجائزات بطل أن تكون من الواجبات إذ الواجب ما وجب وجوده وهي توجد تارة وتفقد أخرى، وبطل أن تكون من المستحيلات لوجودها في كل وقت تتعين أن تكون من الجائزات العقلية كالمعجزات وكرؤية الله وسماع كلامه منه بلا واسطة عند حصول الإلهية.

وقال الشيخ أبو عمران موسى بن عمران المارتلي الإشبيلي للخطيب أبي القاسم بن غفير، وقد أنكر أبو القاسم ما يذكره أهل هذه الطريقة: يا أبا القاسم لا تفعل فإنك إن فعلت هذا جمعنا بين جرمانين لا ترى ذلك في أنفسنا ولا نؤمن به من غيرنا، وما ثم دليل يرده ولا قادح يقدح فيه شرعًا، وعقلاً.

وقال بعضهم: كفى بالمرء شرًا ألا يكون صالحًا وهو يقع في الصالحين، وقال أحمد بن أبي الحواري قلت لأبي سليمان: إن فلانًا لا من قلبي فقال أبو سليمان: ولا يقع من قلبي أيضًا، ولكن يا أحمد لعلنا أتينا من قبلنا لسنا من جملة الصالحين فلسنا نحبهم.

وقال الإمام الحافظ أبو القاسم بن عساكر: اعلم يا أخي أن لحوم العلماء مسمومة، وعلامة الله في مبغضهم معلومة، ومن أطلق لسانه فيهم بالسب ابتلاه الله قبل موته بموت القلب، ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: 63].

وقال شيخنا الشيخ العالم قاضي القضاة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي الصديقي: واعلم أن الاعتراض على أكابر الدين وعلمائه لا يصدر إلا عن ضعف العقل وقلة الحياء، فالحياء ثمرة الإيمان، وثمرة الإيمان نور العقل، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور : 40].

ثم أوصيك بإحسان الظن بالناس كافة خصوصًا بالأئمة العلماء، ومن جملة إحسان الظن بالعلماء أن تطلب لكلامهم ما أمكنك وجهًا، وعذرًا فإن لم تعثر عليه فاتهم نفسك، وإياك أن تكون مشغوفًا بالنقد، والاعتراض، وتزييف كلام الناس، وكن مؤمنًا تطلب

المعاذير ولا تكن منافقًا تطلب العثرات؛ فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «المؤمن يطلب المعاذير، والمنافق يطلب العثرات»[1].

وكن مع الذين قال الله فيهم: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: 18].

وقال أبو محمد رويم[2]: من قعد مع الصوفية وخالفهم في شيء مما يتحققون به

---

(1) ذكره المناوي في «فيض القدير» (2/4)، (73/6).

(2) هو من جلة مشايخ بغداد، وجده رويم بن يزيد حدث عن ليث بن سعد وغيره وقيل: كنيته أبو بكر.

وكان فقيهًا على مذهب داود الأصبهاني، وكان مقرئًا فقرأ على إدريس بن عبد الكريم الحدّاد.

قال محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن شاذان: سمعت رويمًا وقد سئل عن أدب المسافر؟ فقال: لا يجاوز همه قدمه، وحيثما وقف قلبه يكون منـــزله.

وكان يقول: لا يزال الصوفية بخير ما تنافروا، فإن اصطلحوا هلكوا.

وقال رويم: من حكم الحكيم أن يوسع على إخوانه في الأحكام، ويضيق على نفسه فيها، فإن التوسعة عليهم اتباع العلم، والتضييق على نفسه من حكم الورع.

وقال أيضًا: إن الله تعالى غيب أشياء في أشياء: غيب مكره في حلمه، وغيب خداعه في لطفه، وغيب عقابه في كرامته.

وقيل له: هل ينفع الولد صلاح الوالدين؟ فقال: من لم يكن بنفســه لا يكون بغيره، بل من لم يكن بربه لا يكون بنفسه.

وسئل عن الشاطر؟ فقال: من شطرت نفسه عن الباطل.

وسئل عن حقيقة الفقر؟ فقال: أخذ الشيء من جهته، واختيار القليل على الكثير عند الحاجة.

وقال رويم: قعودك مع كل طبقة من الناس أسلم من قعودك مع الصوفية، فإن كل الخلق قعدوا على الرسوم، وقعدت هذه الطائفة على الحقائق، وطالب الخلق كلهم أنفســهم بظواهر الشرع، وطالبوا هم أنفسهم بحقيقة الورع ومداومة الصدق، فمن قعد معهم وخالفهم في شيء مما يتحققون فيه، نزع الله نور الإيمان من قلبه.

وقال: لما عظمت فيهم البلية استحكمت عليهم الفتنة، واستصغروا عند ذلك كل مقام وعَزَب عنهم التدبير والنظام.

وكان رويمًا يقول: الإخلاص ارتفاع رؤيتك من الفعل.

وسئل عن الفتوة؟ فقال: أن تعذر إخوانك في زلاتهم ولا تعاملهم بما تحتاج أن تعتذر منه.

وقال محمد بن خفيف: سألت رويم بن أحمد فقلت له: أوصني؟ فقال: أقل ما في هذا الأمر بذل الروح، فإن أمكنك الدخول مع هذا فيه، وإلا فلا تشتغل بترهات الصوفية.

وقال: الصبر ترك الشكوى.

وقال: الرضا استلذاذ البلوى.

وقال: اليقين هو المشاهدة.

=

نزع الله نور الإيمان من قلبه.

وقال صاحب كتاب «الأنوار»: من رأيتموه يزدري الأولياء وينكر كرامات الأصفياء فاعلموا أنه محارب لله مبعود مطرود عن حقيقة قرب الله.

ولله رد القائل في القادح في أولياء الله:

أتقدح فيمن شرف الله قدره ومازال مخصوصًا به طيب الثنا

رجال لهم سر مع الله صادق ولا أنت من ذاك القبيل ولا أنا

وقال إمام المحققين محيي الدين بن العربي : ينبغي للعاقل المنصف أن يسلم لهؤلاء القوم ما يخبرون به، فإن صدقوا في ذلك فذلك الظن بهم، فإن لم يصدقوا لم يضر المسلم بل انتفعوا بالتسليم، حيث لم يردوا ما هو حق في نفس الأمر، بل انتفعوا حيث تركوا الخوض فيما ليس به قطع، وردوا علم ذلك إلى الله تعالى فوفوا الربوبية حقها إذ كل ما قاله أولياء الله ممكن فالتسليم أولى بكل وجه، وقال أيضًا: فإن تعرض لك من ينفرك عن الطريق، وقال لك: طالبهم -يعني أهل الطريق- بالدليل والبرهان فيما يتكلمون به من الأسرار الإلهية فأعرض عنه وقل له مجاوبًا له: ما الدليل على حلاوة العسل؟ ما الدليل على لذة الجماع؟ فلابد أن يقول لك: هذا علم لا يحصل إلا بالذوق، ولا يدخل تحت حد، ولا يقوم عليه دليل فقل له: وهذا مثل ذلك فالواجب علينا التسليم، والتصديق، وتحسين الظن، وترك الاعتراض، فإن الله قد يخص من يشاء من عباده بما شاء من علومه، كما قال: ﴿يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: 269]، وقال: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً﴾ [الكهف: 65].

ويا ليت شعري طالب الدليل على هذا العلم هل أحاط علمًا بمعاني الكتاب، والسنة فلدراك يا أخي دراك قبل حلول الهلاك، ويموت الإنسان على ما كان عليه، ويحشر على ما عليه مات وحذار حذار من فوت هذه الأسرار والاستضاءة بهذه الأنوار، فافترش بساط

=

وقال: يعاتب الخلق بالإرفاق، ويعاتب المحب بالغلظة.

وقيل له: كيف حالك؟ فقال: كيف يكون حال من دينه هواه، وهمته شقاه ليس بصالح تقي ولا عارف نقي.

وسئل رويم عن الشوق؟ فقال: أن تشوقه آثار المحبوب، وتفنيه مشاهَدتُه.

انظر: حلية الأولياء (10/296)، وتاريخ بغداد (8/430)، وصفوة الصفوة (2/249)، والبداية والنهاية (11/125)، وطبقات الصوفية (5)، والطبقات الشعرانية (1/103)، والمنتظم (6/136).

التسليم، واخرج عن رق الإنكار.

وقال أيضًا في التحذير من إنكار الاطلاع على غوامض حقائق العلوم الإلهية: بالله يا أخي أنصفني فيما أقوله لك لا تشك إنك قد جمعت معي عليه أنه كلما صح عن رسول الله ﷺ من الأخبار في كل ما وصف به فيها ربه تعالى من الفرح، والضحك، والتعجب، والتبشبش، والغضب، والتردد، والكراهية، والمحبة، والشوق، وأن ذلك وأمثاله يجب الإيمان به والتصديق فلو هبت نفحات من هذه الحضرة الإلهية كشفًا، وتجليًا، وتعريفًا إلهيًا على قلوب الأولياء بحيث أن يعلموا بإعلام الله، ويشاهدوا بإشهاد الله من هذه الأمور المعبر عنها بهذه الألفاظ على لسان الرسول ﷺ، وقد وقع الإيمان مني ومنك بهذا كله إذا أتى بمثله هذا الولي في حق الله تعالى ألست تزندقه كما قال الجنيد : لا يبلغ درجة الحقيقة حتى يشهد فيه ألف صديق بأنه زنديق، وذلك لأنهم يعلمون من الله ما لا يعلمه غيرهم، وهم أصحاب العلم الذي كان يقول فيه عليّ بن أبي طالب ﷺ عنه حين يضرب بيده إلى صدره ويتنهد: «إن هاهنا علومًا جمًة لو وجدت لها حملة»، ولم يسمع هذا من غيره في زمانه إلا من أبي هريرة ﷺ ذكر مثل هذا.

خرَّج البخاري في صحيحه عنه أنه قال: «حملت عن النبي ﷺ جرابين، أما الواحد فبثثته فيكم، وأما الآخر فلو بثثته لقطع مني هذا البلعوم»[1]، البلعوم: مجرى الطعام.

ألست تقول: إن هذا أشبه هذا عابد وثن كيف وصف الحق بما وصف به المخلوق ما فعلت عبدة الأوثان أكثر من هذا، كما قال عليّ بن الحسين بن عليّ أبي طالب زين العابدين -عليهم الصلاة والسلام- بقوله:

يا رب جوهر علم لو أبرح به	لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي	يرون أقبح ما يأتونه حسنا

ألست كنت تقتله، أو تفتي بقتله كما قال عبد الله بن العباس البحر -كان يلقب به لاتساع علمه- في قوله ﷻ: ﴿اللَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق: 12] «ولو ذكرت تفسيره لرجمتموني»، وفي رواية «لقلتم إني كافر» فبأي شيء آمنت، وسلمت أما سمعت ذلك من رسول الله ﷺ في حق الله من الأمور التي تحيلها الأدلة العقلية ومنعت من تأويلها، والأشعري يتولها على وجوه من التنزيه في زعمه فأين الإنصاف، فهلا قلت: القدرة واسعة أن تعطي لهذا الولي ما أعطت للنبي من علوم

(1) رواه البخاري (17).

الأسرار، فإن ذلك ليس من خصائص النبوة، ولا حجر الشارع على أمته هذا الباب ولا تكلم فيه بشيء، بل قال:« إن يكن من أمتي محدثون فعمر بن الخطاب منهم»[1].

فقد أثبت النبي ﷺ أن ثم من يحدث ممن ليس بنبي، وقد يحدث بمثل هذا فإنه خارج عن تشريع الأحكام من الحلال والحرام فإن ذلك أعني التشريع من خصائص النبوة وليس الاطلاع على غوامض العلوم الإلهية من خصائص نبوة التشريع، بل هي سارية في عباد الله من رسول، وولي، وتابع، ومتبوع يا ولي فأين الإنصاف منك، والله يقول: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: 282]، وقال: ﴿إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: 29]، ثم الطامة الكبرى أنك إذا قلت لواحد هذه الطائفة المنكرة: اشتغل بنفسك يقول لك: إنما أقوم حماية لدين الله وغيـــرة له، والغيـــرة لله من الإيمان وأمثال هذا ولا يسكن ولا ينظر هل ذلك من قبيل الإمكان أم لا أعني أن يكون الله قد عرف وليًا من أوليائه بما يجريه في خلقه، وآمن بها هذا المنكر على زعمه إذ جاء بها رسول الله ﷺ فوالله لو كان مؤمنًا بها ما أنكرها على هذا الولي لأن الشارع ما أنكر إطلاقها في جناب الحق، وما ورد عنه ﷺ قط أنه حجرها على أحد من عباد الله.

وقال أيضًا: أقل درجات الطريق التسليم فيما لا تعلمه، وأعلاه القطع بصدقه، وما عدا هذين المقامين فحرمان كما أن المتصف بهذين المقامين سعيد، وقال أيضًا: وعذاب كل فرعون على مقدار نعيم نبيه الذي كفر به وسفله على قدر علو نبيه، وكذلك المنكرون على العارفين الصالحين ينقص من نعيمهم في الدار الآخرة على قدر مرتبة العارف الذي أنكروا عليه، وعليهم أيضًا نقص أتباعهم المقلدين لهم في ذلك الإنكار انتهى كلامه ﷺ.

وقال الشيخ المحقق صدر الدين محمد بن إسحاق القونوي الرُّومي في كتاب «مفتاح الغيب»: ولا تحكم فيما أخبرك به عن نفسه بعقلك، ولا تظنن أنه يلزم من عدم معرفتك بما قيل عدم صحته أو من عدم وجلانك ما ذكر لك عدم وجوده فغيرك قد وجد، بل قد شهد واستمر شهوده وساعده فيما أدرك شرعته، وعقله، ومشهوده.

قلت: ثم وما وجه إنكار كرامات الأولياء التي هي إكرام الله من يشاء من عباده بما شاء من فضله: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد : 21].

---

(1) رواه البخاري (3210)، ومسلم (4411).

أليس قد جاء في صحيح البخاري ما أخبرنا به شيخنا أبو المعروف -أعاد الله علينا من بركاته- بإسناده السابق عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ يقول الله: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»[1].

وجاء أيضًا بما يرويه شيخنا ﷺ من طريق الإمام الولي أبي عبد الله محمد بن علي الترمذي الحكيم يرفعه إلى رسول الله ﷺ أنه قال:

«إن لله عبادًا ليسوا بأنبياء، ولا شهداء يغبطهم النبيون، والشهداء لقربهم ومكانهم من الله تعالى وليتمنين اثنا عشر نبيًّا أنهم كانوا من أمتي»[2].

قال بعض أكابر المحققين في الذين «يغبطهم النبيون»: إنهم هم الأقطاب المحمديون، وقال في وصفهم: وكما يحشر كل نبي مع أمته يحشر القطب مع أهل زمانه صالحيهم، وطالحيهم وأعجب ما عندنا من العناية الإلهية التي صحت لنا بمحمد ﷺ أن الرسول يحشر جزئي الحكم لاقترانه بطائفة مخصوصة، والقطب ليس كذلك فإنه عام جامع لكل زمانه من بر وفاجر وإن كان ورثه عيسويًا، أو موسويًا فلا يقدح ذلك فإنه من مشكاة محمدية فله المقام الأعم، وقد نبّه ﷺ فقال عن طائفة: «ليسوا بأنبياء يغبطهم الأنبياء» للبركة التي نالتهم من المقام الأعم انتهى كلامه.

فيا لها من كرامة لهذه الأمة وهي من فيض قدس المقام المحمود وظهور خصوصيات حظوظ نبينا محمد ﷺ في ذلك المشهد الأعظم في اليوم المشهود والحمد لله رب العالمين.

وجاء أيضًا مما يرويه شيخنا أبو المعروف ﷺ بإسناده إلى مسلم -رحمه الله- بسنده إلى أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل الجنة ليتراؤون أهل الغرف من فوقهم كما تتراؤون الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم، قالوا: يا رسول الله! تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»[3].

قال في كتاب «مشارق الأنوار» الغابر وقع في مسلم بالمعجمة والباء الموحدة ومعناه البعيد وقيل الذاهب الماضي، كما في رواية للبخاري الغارب بالمعجمة.

وفي كتاب ابن الحداد من البخاري «الغاير» بياء باثنتين تحتها كأنه الداخل في

---

(1) رواه البخاري (3005)، ومسلم (5050).

(2) رواه الترمذي (2312)، وأحمد (21821)، وأبو داود (3060).

(3) رواه البخاري (3016)، ومسلم (5059).

الغروب، وروى «العابر» بالمهملة.

وخرَّج هذا الحديث الإمام الترمذي الحكيم في «جامع الأصول»، وقال: قال الشعبي: إني لأرجو من الله تعالى مؤمني هذه الأمة يدخلون مداخل الأنبياء.

وقال الترمذي: هم الذين وصفهم الله في تنزيله؛ فقال: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: 63] إلى قوله: ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الفرقان:75]؛ فهم المقربون من الأنبياء حتى دخلوا مداخلهم وأهل الغرف أهل عليين الذين ارتفعت درجاتهم إلى قرب العرش، والاغتراف، والارتفاع، والفردوس محل الصديقين، والأولياء وهي سرة الجنة بحيال باب العرش، والأنبياء فوق الغرف في جنات عدن، وعدن دار الرحمن ومقصورته وهي كالمدينة، والفردوس جنات عدن كالقرى حولها، انتهى كلام الترمذي وهو كلام عجيب.

خرَّج أيضًا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لو أقسمت لبررت لا يدخل قبل سابقي أمتي الجنة إلا بضعة عشر رجلاً منهم إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ومريم ابنة عمران»[1].

قلت: فمن أنكر فضل الله في أمة رسول الله ﷺ فمثله كما قال سبحانه ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[الأنعام : 33].

ومما شهد به رسول الله ﷺ من فضل أمته: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل»[2].

وفي رواية «العلماء ورثة الأنبياء»[3] فأي كرامة أكرم من هذه الكرامة، وأي مصيبة أعظم من إنكارها الذي به خسران الدنيا، ودار المقامة.

قال أبو تراب النخشبي لأبي العباس الرقي: ما يقول أصحابك في هذه الأمور التي يكرم الله بها عباده؟ فقال: ما رأيت أحدًا إلا وهو يؤمن بها، فقال: من لم يؤمن بها فقد كفر، وقال محمد بن الفضل البلخي: علامة الشقاوة ثلاثة أشياء: ترزق العلم وتحرم العمل، وترزق العمل وتحرم الإخلاص، وترزق صحبة الصالحين ولا تحترم لهم.

وأخبرنا بعض الإخوان أن شيخنا أبو المعروف قال له: لا تجالس أولياء الله إلا بالأدب؛ فإنهم جواسيس القلوب.

ونقل ابن بشكوال عن أبي الوليد بن الفرضي قال: ذاكرت الشيخ الصالح أبا فرار

---

(1) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (22/11)، والهيثمي في «مجمع الزوائد» (69/10).

(2) سبق تخريجه. (3) سبق تخريجه.

الخطاب بن مفرج اليوتي في براهين الصالحين، وما أعطوا من الكرامات، وخصوا به من ظهور الآيات فقال لي: هذه الأمور صحاح لا يشك فيها إلا أهل الزيغ، وما لقيت أحدًا ممن أدركت من الصالحين والعباد في المشرق المغرب ينكرها ولا يطعن على شيء منها ولا يطل شيئًا من هذه المعجزات التي تظهر على الصالحين.

وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله -رحمه الله: ومن الناس فرقة صدقوا بكرامات الأولياء الذين ليسوا في زمنهم كمعروف وسري، والجنيد، وأشباههم وكذبوا بكرامات أولياء زمنهم فهم كما قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﷺ: والله ما هي إلا إسرائيلية صدقوا موسى وعيسى عليهما السلام وكذبوا بمحمد ﷺ لأنهم أدركوا أزمنة، وفرقة أخرى صدقوا أن في مملكة الله أولياء لهم كرامات من غير أن يسلموا ذلك لأحد من أهل زمنهم معين، فكل من ذكر لهم أنه ولي، أو نسب إليه كرامة دافعوا إثبات ذلك بمقاييس اقتضتها عقولهم المعقولة بعقال الغفلة المخدوعة بمتابعة الهوى فلن يجدي عليهم التصديق.

وقال شيخنا الإمام العارف بالله أحمد بن أبي بكر الرداد في كتابه «ذي الفقار»: وقد أجمعت الأمة على لو أنه آمن رجل بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله ولم يؤمن بالنبي الذي أرسله الله إليه لم يقبل الله منه صرفًا، ولا عدلاً ولم يعد مؤمنًا من وجد وهو كذلك إذا لم يؤمن بالخلفاء الراشدين والأئمة الهادين وعلماء الدين، وأراه أنه لو آمن ببعض منهم وكفر ببعض لكان كذلك، وما يؤمن من ينكر بعض أسرار أوليائه، وأهل حضرته، وملائكته، وحمال أمانته، وأمثال رسله، وأنبيائه، وخلفائه في خليفته أن يضرب به الله بسوط غضبه ويخرجه من بسط رحمته، ويدخله في عدة الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً﴾ [النساء:150-151].

وقال أيضًا في كتاب «لوامع الأنوار»: لما ذكر طائفة الصوفية أن الله يأخذ لهم وإن سكتوا ويغار عليهم إن خذلوا وهتكوا أقصر عنهم لسانك واكسر دونهم بنانك، وإياك ومحاربة من تولى الله؛ فإن الله يتولى محاربتك دونه، كما قال تعالى: «من عادى لي وليًا فقد آذنته الحرب»[1]، وفي رواية أخرى «بالمحاربة»[2].

(1) سبق تخريجه.

(2) سبق تخريجه.

وقال في محكم تنـــزيله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: 56].

وقال الفقيه الكبير الولي الشهير العارف بالله قطب أولياء الله المحبوب الموهوب أبو بكر بن محمد بن يعقوب الشهيـــر بابن أبي حربة[1] نفع الله به: ينبغي للعبد استعمال حسن الظن، وترك الإنكار على أهل الخير والمعارضة لهم، وليحسن الظن بصلحاء السلف وصلحاء الخلف دومًا إلى أن تقوم الساعة، والحذر من أن يحسن أحدكم الظن بصلحاء السلف مع إنكاره على أهل عصره، وعدم تصديقه بكراماتهم وهل يحصل نفع لمن آمن بموسى وعيسى عليهما السلام ولم يؤمن بنبينا محمد ﷺ.

وقد قال الله سبحانه وتعالى في مثل ذلك: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: 85].

---

(1) أبو بكر بن محمد بن يعقوب.

المعروف والده بأبي حربة اليمني كان فقيهًا عابدًا، عارفًا ناسكًا، طاهر القلب واللسان، جليل التربية واسع الإحسـان.

تخرج بوالده، واشتغل بالعلم، ونال منه منالاً تامًا، ثم أقبل على العبادة والاشتغال بعلوم الطريق، حتى صار له بذلك معرفة تامة بحيث كان يحل مشكلات القوم أحسن حل، ثم فتح عليه بفتوحات كثيرة، ونال مكانة رفيعة حتى كان يقال أنه القطب.

أقام في القطبية نحو عشرين سنة، وكان يعرف الأولياء، ويكشف لهم عن منازلاتهم.

وله كرامات ظاهرة، وآيات باهرة، منها أن الأمير محمد بن ميكائيل كان نائبًا ببلد من قبل الملك المجاهد، فسجن رجلاً ، فشفع الشيخ في إطلاقه فقال: لا يمكن إلا بإذن السلطان قال: فإذا أمرك، ما حجتك؟ قال: مالي حجة. فقال الشيخ: هذا السلطان، اسمع منه، فرفع الأمير رأسه، فرأى السلطان مشرفًا عليه من شباك هناك فقال: أطلقه.. فأطلقه. كان السلطان في تعز، وبينهما مسيرة أيام، فجاء الخبر بعد ذلك من السلطان بإطلاقه.

ومنها أنه أتاه أحد الشعراء وقال: أريد أن أمدح السلطان فقال: اقدم على اسم الله، فلك عنده مقطع وثلاثون دينارًا .

فلما قدم الشاعر عليه وأنشده قصيدته أعطاه ذلك، لا زائد ولا ناقص.

ومنها أنه كان يحضر للوافدين طعامًا لم يكن موجودًا عنده، كل واحد قدر كفايته وحاله.. وكراماته ومناقبه كثيرة.

مات سنة أربع وسبعين وسبعمائة، بيع لباسه بأعلى الأثمان، حتى بيعت جبة قطن بستين دينارًا.

وبنو حربة هؤلاء، بيت علم وصلاح وسيادة، ولا يخلو موضعهم من قائم.

جامع كرامات الأولياء (1/261)، طبقات الخواص (173)، العقود اللؤلؤية (2/152).

وأهل السنة والمقتدرون بهم يؤمنون بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وجميع أوليائه ونحن كذلك إن شاء الله تعالى.

وسمعت شيخنا أبا المعروف ﷺ يقول: واعلموا أن مذهب الفقراء حسن الظن على الإطلاق، ولا ينتقدون على الناس.

فصل

في فضل المشايخ وثناء الأئمة والعلماء على الصالحين، والأولياء، وإقرارهم بفضلهم وترددهم على مجالسهم، وحضراتهم، واستفادتهم من علومهم وبركاتهم، ومجالستهم بالاحترام والأدب، ومواجهتهم بالتبجيل، والإكرام.

أخبرنا شيخنا العارف بالله أحمد بن أبي بكر الرداد قراءة وإجازة، قال: أخبرنا شيخنا قاضي القضاة مجد الدين أبو الطاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي -أتم الله نعمته عليه- من عواليه العزيزة قراءة وإجازة، قال: أخبرني المسند المعمر القاضي فتح الدين أبو الحزم محمد بن محمد بن حمد بن أبي الحزم القلانسي بقراءتي عليه بسنده إلى الوكيل وأبي الهيثم والجلاب وابن قولويه وابن محمود قالوا: أخبرنا القاضي أبو الفضل المهراني قال: أنا عبد الله بن محمود السعدي أنا محمد بن عبد الملك أنا إسماعيل بن إبراهيم عن أبيه رافع بن أبي رافع ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «والشيخ في قومه كالنبي في أمته»[1].

وبالإسناد إلى السعدي قال: ثنا صخر بن محمد بن صخر الحاجبي ثنا الليث بن سعد عن الزهري عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «بجلوا المشايخ؛ فإن تبجيل المشايخ من إجلال الله ﷻ»[2].

قلت: وأخبرني مولانا الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب -عليهما السلام- في مبشرة رأيته فيها، وسألته هل سمعت من جدك شيئًا؟ قال: سمعته يقول: «من سرُّه أن يجلس مع الله؛ فليجلس مع أهل التصوف».

وفي الرؤيا غير هذه فبهذه البشرى إن شاء الله أرجو الله الكريم بجاه نبيه محمد ﷺ أن يحقق لي قرب الصلة النبوية، والنسبة المحمدية وأن يكون ظاهرها شاهدًا لصحة باطنها، وتصحيحًا لحكم قواعد علوم الأسرار الذي نطق بها لسان الوحي الإلهي، والحديث النبوي، والعلماء الورثة أن الأنبياء والشيوخ آباء الدين، فيكون الحسين ﷺ أبي وأنا ولده

---

(1) ذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (22/2، 312)

(2) ذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (22/2)، وابن عدي في «الكامل» (93/4).

كما هو ولد رسول الله ﷺ وما ذلك على الله بعزيز، وقد رأيت رسول الله ﷺ، وقال لي فيما قال: «أعلمت أنك مغفور لك، وقال اللهم اجعله من أهل بيتي ووالديه، ومشايخه، وأصحابه، وأهله، وأقاربه وجميع المسلمين، والحمد لله رب العالمين».

وحدثني بهذا عبودية وامتثالاً لأمر الله لقوله جل وعلا: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: 11]، ورويناه- أعني: هذا الحديث- من رواية أبي هريرة ﷺ أخبرنا به شيخنا الإمام محيي الدين أحمد بن أبي بكر الرداد قراءة وسماعًا غير مرة قال: حدثنا النشاوري فيما أجاز لنا ثنا الطبري الإمام ثنا قال: شيخنا أحمد وقرأته على ابن أبي الجاجر الفقيه وأخبرني به عن برهان الدين العلوي والمقري على ابن شداد عن الإمام الطبري قال: أنا إسحاق القاضي قال: أنا ابن أبي الفوارس الحيري الفارسي قال أنا أبو طاهر السلفي قال أنا الحافظ أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمي البغدادي والرئيس أبو عبد الله القاسم بن الفضل بن أحمد الثقفي قال: أنا الشيخ الحافظ أبو عبد الله الرحمن محمد بن الحسين بن موسى السلمي قال: أنا عبد الله بن أحمد بن جعفر الشيباني قال: أنا أحمد بن محمد بن علي بن زريق قال: ثنا أحمد بن عبد الله قال: ثنا مسلم بن سالم عن عباد بن كثير عن مالك بن دينار عن الحسن عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن يجلس مع الله فليجلس مع أهل التصوف».

وبهذا الإسناد روينا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تطعنوا على أهل التصوف والخرق فإن أخلاقهم أخلاق الأنبياء ولباسهم لباس الأنبياء»[1].

وبه قال ﷺ: «وارغبوا في دعاء أهل التصوف أصحاب الجوع، والعطش؛ فإن الله ينظر إليهم فيسرع إجابتهم».

وبه قال ﷺ: «إن الله ينظر إلى هذه الأمة بالعلماء، والفقراء، فالعلماء ورثتي، والفقراء أحبابي».

وقيل: إن الإمام أبا عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ﷺ كان يدرس يومًا لأصحابه إذ عبر هناك قوم من الصوفية الفقراء فدهش الفقهاء من هيبتهم وذهبوا عن فهم الدرس وما يقول لهم الإمام؛ فقال لهم الإمام: «ما لكم اشتغلتم عن سماع العلم لعلكم هبتم من القوم؟ فقالوا: بل يا سيدي نتفكر في قوم هربوا من طلب العلم واكتساب لقمة

---

(1) ذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (2/471)، وأبو شجاع في «الفردوس بمأثور الخطاب» (5/37).

الحلال»، فقال الشافعي ﷺ: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما خلق الله خلقًا أكرم عليه منهم لأمرين:

أحدهما: لقوله ﷺ: «إن الله خلق الخلق من طين الأرض، وخلق الأنبياء، والفقراء من طين الجنة».

والثاني: إن خصَّ العباد بمائة خصلة واحدة منها ركبت، وركب في هؤلاء الصوفية تسعة وتسعون خصلة معناها مكارم الأخلاق الذي قال فيها رسول الله ﷺ: «إن الله بعثني بتمام مكارم الأخلاق، ومحاسن الأفعال»[1].

وفي رواية «لأتمم مكارم الأخلاق»[2].

وقيل: اجتمع الناس عند الإمام أحمد بن حنبل ﷺ فقالوا: يا أبا عبد الله إن الصوفية يجلسون في المساجد بلا علم على سبيل التوكل، فقال الإمام أحمد بن حنبل: العلم أجلسهم فقيل له: ليس مرادهم من الدنيا غير كسرة، وخرقة، فقال الإمام: لا أعلم أحدًا على وجه الأرض ولا قوماً أفضل منهم فقيل له :إنهم يسمعون ويتواجدون فقال: دعوهم مع الله يفرحون ساعة قيل: منهم من يغشي عليه، ومنهم من يموت، فقال: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: 47].

وكان الإمام أحمد بن حنبل ﷺ مع جلالته يتردد إلى بعض الصوفية العارفين فقيل له: أتتردد لرواية عن هذا الشيخ؟ فقال: عنده رأس الأمر تقوى الله، أو قال معرفة الله.

وقيل: اجتاز أبو العباس بن سريج الفقيه -رحمه الله- بمجلس الجنيد فسمع كلامه فقيل له: ما تقول في هذا؟ فقال: لا أدري ما يقول ولكن أرى لهذا الكلام صولة ليست بصولة مبطل.

وقيل: كان الفقراء بمجلس سفيان الثوري كأنهم الأمراء.

وقيل لعبد الله بن سعيد بن كلاب: أنت تتكلم على كلام كل أحد وها هنا رجل يقال له: الجنيد؛ فانظر هل تعترض عليه أم لا؟ فحضر حلقته فسأل الجنيد عن التوحيد فأجابه الجنيد فتحير عبد الله فقال: أعد علي ما قلت فأعاد لا بتلك العبارة فقال عبد الله: هذا شيء آخر لم أحفظه تعيده عليَّ مرة أخرى فأعاد بعبارة أخرى فقال عبد الله: ليس يمكنني حفظ ما تقول أمله علينا فقال: إن كنت أجريه فأنا أمليه، وقام عبد الله وقال

---

(1) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (231/6)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (74/7).

(2) رواه البيهقي في سننه (191/10)، والترمذي في «نوادر الأصول» (43/4).

بفضله واعترف بعلو شأنه.

وقال بعض المشايخ قال لي أبو القاسم الكعبي من أئمة المعتزلة: رأيت لكم شيخًا ببغداد يقال له الجنيد ما رأت عيناي مثله، كأن الكتبة يحضرونه لألفاظه، والفلاسفة لدقة كلامه، والشعراء لفصاحته، والمتكلمون لمعانيه، وكلامه نأى عن فهمهم، وقال الشيخ عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليافعي أعاد الله علينا من بركاته في إنكاره على ابن الجوزي فيما يتكلم به على مشايخ الصوفية وطريقهم في كتابه «تلبيس إبليس» وزعم أن إبليس لبس عليهم ولم يدر أنه هو الذي لبس عليه في كلامه هذا واعتقاده فيهم وهو لا يشعر أمامهم، أما علم أن أعلام العلماء الصالحين الحكماء لم يزالوا قديمًا، وحديثًا يعتقدون طائفة الصوفية ويزورونهم، ويتبركون بمجالستهم، ودعائهم، وآثارهم، ويحترمونهم ويجلسون بين يدي الواحد منهم، كما يجلس الصبي بين يدي المعلم، ويتأدبون معهم كالإمام الشافعي، والإمام أحمد، والإمام سفيان الثوري، والإمام أبي العباس أحمد بن سريج، والإمام ابن فورك، وإمام الحرمين، والإمام حجة الإسلام الغزالي، والإمام عز الدين بن عبد السلام، والإمام تقي الدين بن دقيق العيد، والإمام محي الدين النواوي وغيرهم ممن لا يحصى من المتقدمين، والمتأخرين في حكايات مشهورات.

وقال الشيخ الإمام أبو القاسم القشيري -رحمه الله: والناس إما صاحب النقل والأثر، وإما أرباب العقل، والفكر، وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا عن هذه الجملة فالذي للناس غيب فلهم ظهور، والذي للخلق من المعارف مفقود فلهم من الحق سبحانه موجود فهم أهل الوصال، والناس أهل الاستدلال وهم كما قال القائل:

ليلي بوجهك مشرق وظلامه في الناس ساري

فالناس في سدف الظلام ونحن في ضوء النهار

ولم يكن عصر من الأعصار في مدة الإسلام إلا وفيه شيخ من شيوخ هذه الطائفة ممن له علوم في التوحيد، وإمامة القوم إلا وأئمة ذلك الوقت من العلماء استسلموا لذلك الشيخ وتواضعوا له وتبركوا به، ولولا مزية وخصوصية لهم لكان الأمر بالعكس، هذا أحمد بن حنبل كان عند الشافعي فجاءه شيبان الراعي فقال أحمد: يا عبد الله أريد أن أنبه هذا على نقصان علمه ليشتغل بتحصيل بعض العلوم، فقال الشافعي: لا تفعل فلم يقنع فقال لشيبان: ما تقول فيمن نسي صلاة من خمس صلوات في اليوم، والليلة ولا يدرى أي صلاة نسيها ما الواجب عليه يا شيبان؟

فقال شيبان: يا أحمد هذا قلب غفل عن الله تعالى فالواجب أن يؤدب بإعادة الخمس حتى لا يغفل عن مولاه بعد، فغشي عليه فلما أفاق قاله له الشافعي رحمه الله: ألم أقل لك لا تحرك هذا، وشيبان الراعي كان أميًا منهم فإذا كان محل الأمي منهم هكذا فما الظن بأئمتهم، وسألاه عن الزكاة فقال: على مذهبنا، أو على مذهبكم؟ إن كان على مذهبنا فالكل لله لا نملك شيئًا، وإن كان على مذهبكم ففي كل أربعين شاة من الغنم شاة.

وقد حكي أن فقيهًا من أكابر الفقهاء كانت حلقته بجانب حلقة الشبلي ببغداد ﷺ في جامع المنصور، وكان يقال لذلك الفقيه أبو عمران، وكان يتخطل عليهم حلقتهم لكلام الشبلي فسأل أصحاب أبي عمران يومًا الشبلي عن مسألة في الحيض وقصدوا اخجاله، فذكر مقالات الناس في تلك المسألة والخلاف فيها فقام أبو عمران وقبل رأس الشبلي، وقال: يا أبا بكر استفدت في هذه المسألة عشر مقالات لم أسمعها وكان عندي مما قلت ثلاثة أقاويل.

وقال القشيري: ولقد سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت الشبلي يقول: ما ظنكم بعلم علم العلماء فيه تهمة، وسمعته يقول: سمعت محمد بن علي المخزومي يقول :سمعت محمد بن عبد الله الفرغاني يقول :سمعت الجنيد يقول: لو علمت أن لله تعالى علماً تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم الذي يتكلم فيه مع أصحابنا وإخواننا لسعيت إليه، ولقصدته، وقال الإمام محيي الدين النواوي رحمه الله: قال السيد الجليل صاحب الكرامات، والمعارف، والمواهب، واللطائف إبراهيم الخواص ﷺ: دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبر، وإخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين.

وقال أيضًا في «شرح مسلم» في كلامه على قوله ﷺ: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه»[1]: وقد ندب أهل الحقائق إلى مجالسة الصالحين ليكون ذلك مانعًا من تلبسه بشيء من النقائص احترامًا لهم واستحياءً منهم.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألف ألف مجلس من مجالس السوء»[2].

---

(1) رواه البخاري (48)، ومسلم (10).

(2) رواه الديلمي في «الفردوس» (1/158).

وقال بعض العلماء: من جلس مع الصالحين زاده الله الرغبة في الطاعات.

وقال شيخنا قاضي القضاة مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي الصديقي -رحمه الله: الصوفية سادات العالمين، وصفاوة الخلق أجمعين، وطريقتهم على الصراط المستقيم، ودينهم هو الدين القويم.

وكان شيخنا مجتهد زمانه وعالم عصره وأوانه تقي الدين عليّ بن عبد الكافي السبكي قدس الله سره يقول: طريق الصوفية هي طريق الرشاد التي كان عليها السلف الماضون إليها مستندون، وعليها يعتمدون، ولكنه مسلك صعب.

قلت: ومن تطلع على مصنفات الأئمة وأكابر العلماء وجدهم قد طرزوها بعلوم شيوخ الطريق، وهداة معالم التحقيق، ومبرزوها بالفضل وأقروا لها بالإيمان والتصديق، وحلوها بها حلى العقود بالجواهر في نحور الحسان، وجلوها بها جلى المصابيح لليالي التراويح من شهر رمضان؛ فعليهم من الله السلام والرضوان.

وأخبرنا القاضي الأجل العالم الصالح جمال الدين محمد بن علي النويري القريشي المكي أنه رأى عمه القاضي الإمام الكبير السعيد الرئيس قاضي القضاة بالبلد الحرام حبيب الأولياء شيخ العلماء الأعلام أبا الفضل رحمه الله في أيام رئاسته، وظهوره، وشهرته قاعدًا بين يدي فقير قعود أدب وتعظيم وهو يقبل قدم ذلك الفقير ويمرغ شيبته عليه، فقال له في ذلك، قال: فأخذ بأذني وسحبها وقال: ألست تراني إذا جاءنا الأمراء في الموسم من مصر كيف أمشي الى أبوابهم، وأسلم عليهم، وأكرمهم ليثنوا على عند الملك فكيف لا أفعل ذلك مع من أرى عليه فضل أهل الله نعم أفعل ذلك معهم فإن صدقوا فلي ولهم، وإن كذبوا فلي وعليهم.

وأخبرنا بمثل ذلك الشيخ الصالح جمال الدين محمد المرشدي الشافعي قال: كان القاضي أبو الفضل يفعل ذلك بالفقراء ولا يلتفت إلى الأمراء، ولهذا لم تجر عليه نكبة إلى أن مات -رحمه الله.

قلت: سبحان الله ما أحسن أبا الفضل بالله ظنًا، وحسن ظنه وإيمانه ولم يقطعه علو مرتبته، ورياسته عن مداومة تواضعه للأولياء وكياسته.

وفيه قلت:

أبى الفضل إلا أن يكون ملازمًا ... أبا الفضل للفضل كان أبا الفضل

تواضع في ذات الإله فحاز من ... عوالي المعالي ما يعز عن الفعل

القاعدة الثالثة

في إثبات ما جاز كونه للأول أن يكون للآخر إذ لا مانع من ذلك ولا حاجز وإن تأخر الوقت والزمان لا يقضي على الآخر بالنقص والحرمان فإن رسول الله ﷺ أفضل الخلائق أجمعين، وأكمل الأنبياء، والمرسلين الأقدمين وهو آخرهم بعثًا وأكثرهم في الروع نفعًا، وقال الله تعالى في أمته وهي آخر الأمم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران: 110].

وقال تعالى في السابقين الأولين منها من المهاجرين، والأنصار: ﴿لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۞ وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: 8- 9].

وقال في وصف اللاحقين الآخرين: ﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: 10].

ووصف الله المهاجرين الأولين بـ ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾، ووصف الأنصار بـ ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، ووصف الآخرين بالدعاء لمن سبقهم فحصل لهم مرتبة الدعاء وهي مرتبة كاملة، ورتبة عالية شاملة، مرتبة الأنبياء، والمرسلين، والملائكة المقربين.

قال الله تعالى آمرًا لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: 19]، وقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ [طه: 114].

وقال تعالى حكاية عن ابراهيم ﷺ: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: 41].

وقال تعالى حكاية عن نوح ﷺ: ﴿رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [نوح: 28].

وقال إخبارًا عن الملائكة -عليهم السلام : ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: 7].

وجاء في فضل الآخرين وبقاء وجود عباد الله الصالحين إلى يوم الدين ما نورد

بعضه مما أخبرنا به شيخنا شيخ الإسلام قطب الأولياء الكمل الأعلام أبو المعروف إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي أعاد الله علينا من بركاته بسنده المقدم إلى الحافظ أبي عيسى الترمذي -رحمه الله- بسنده عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل أمتي مثل المطر لا يدري أوله خير، أم آخره»[1].

وزاد رزين: «وأنه لا مهدي إلا عيسى، وأنا أولى الناس به ليس بيني وبينه نبي»[2].

قال: وسمعته يقول: «لن تهلك أمة وأنا أولها، ومهديها وسطها، والمسيح آخرها»[3].

وأخبرنا أيضًا شيخنا أبو المعروف ﷺ قال: أنا الشيخ الكبيـــر المعمر المسند أبو العباس أحمد بن أبي طالب الحمار الدمشقي في إذنه العام، وأخبرنا عنه برهان الدين إبراهيم بن صديق في كتابه مكاتبة قال: أنبأنا أبو طالب عبد اللطيف بن محمد بن علي بن حمزة القبيطي قال: أنا أبو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي قال: أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد الدوني قال: أنا القاضي أبو نصر أحمد بن الحسين الكسار قال: أنا القاضي أبو بكر أحمد بن محمد بن السني الدينوري قال: أنا الحافظ أبو عبد الرحمن بن شعيب النساي، ورفعه إلى جعفر عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: «أبشروا، وأبشروا إنما مثل أمتي مثل الغيث لا يُدرى آخره خير أم أوله، والحديقة أُطعم منها فوج عامًا، ثم أطعم منها فوج عامًا لعل آخرها فوجًا أن يكون أعرضها عرضًا، وأعمقها عمقًا، وأحسنها حسنًا، كيف تهلك أمة أنا أولها، والمهدي وسطها، والمسيح آخرها»[4].

وأخبرنا أيضًا شيخنا أبو المعروف أمدنا الله من سره بسنده إلى البخاري بسنده إلى المغيرة بن شعبة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال ناس من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون»[5]، قال أبو عبد الله: هم أهل العلم.

---

(1) رواه الترمذي (2869)، وابن حبان (210/16).

(2) رواه الحاكم في «المستدرك» (488/4).

(3) ذكره المناوي في «فيض القدير» (301/5)، وأبو شجاع في «الفردوس» (292/3).

(4) سبق تخريجه.

(5) رواه البخاري (2984)، ومسلم (2920).

وأخبرنا شيخنا أبو المعروف ﷺ بإسناده إلى البخاري -رحمه الله- بسنده إلى معاوية ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم، ويعطي الله، ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيمًا حتى تقوم الساعة، أو حتى يأتي أمر الله»[1].

وأخبرنا أيضًا شيخنا أبو المعروف -قدس الله سره- قال: أنا الحافظ شيخ الإسلام أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن المزي إذنًا عامًا، وأنبأنا عنه أحمد بن يكتم الجامي إجازة مكاتبة أن القاسم بن عتيمة الأربلي أخبره قال: أنا المريد بن محمد بن علي الطوسي، قال: أنا محمد بن الفضل الفراوي، قال: أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي، قال: أنا محمد بن عيسى الجاردي، قال: أنا إبراهيم بن محمد سفيان، قال: ثنا مسلم بن الحجاج النيسابوري، قال: حدثنا الوليد بن شجاع وهارون بن عبد الله وحجاج بن الساعر قالوا: أنا حجاج وهو ابن محمد عن جريج قال: أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله ﷺ يقول: سمعت النبي ﷺ يقول:

«لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينـــزل عيسى بن مريم فيقول: أميرهم تقدم صل لنا فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة»[2].

وأخبرنا شيخنا أبو المعروف عرف الله من عوارفه بهذا الإسناد إلى الحافظ مسلم بن الحجاج بسنده إلى أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ،وددت أنا قد رأينا إخواننا قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟! قال: أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعدي»[3].

قلت: جعل ﷺ أهل عصره أصحابه والذين لم يأتوا بعد إخوانه، وتمنى رؤيتهم، والفرق بين الصحبة، والأخوة ظاهر وإن كان الآخر في ميزان الأول.

وقد صار إلى فضل الآخرين عليّ بن أبي طالب ﷺ في حديث كميل بن زياد النخعي بقوله: «اللهم لا تخل الأرض من قائم لله أولئك الأقلون عددًا، الأعظمون عند الله قدرًا، قلوبهم معلقة بالمحل الأعلى، أولئك خلفاء الله في عباده وبلاده آه شوقًا إلى

(1) رواه البخاري (69)، ومسلم (1719).

(2) رواه مسلم (225). (3) رواه مسلم (367).

رؤيتهم»[1].

وأخبرنا شيخنا ﵁ فيما يرويه من حديث أبي عبيدة بن الجراح قال: تغدينا مع رسول الله ﷺ؛ فقلت: يا رسول الله! أهم خيـــر منا آمنا بك وهاجرنا معك قال: «نعم، قوم يؤمنون بي ولم يروني»[2].

وأخبرنا ﵁ فيما يرويه من طريق الحافظ الولي أبي عبد الله الترمذي الحكيم من حديث عبد الله بن سمرة ﵁ قال: جئت مبشرًا من غزوة مؤتة فلما ذكرت قتل جعفر، وزيد، وابن رواحة بكى أصحاب رسول الله ﷺ فقال ﷺ: ما يبكيكم؟ فقالوا: وما لنا لا نبكي وقد قتل خيارنا وأشرفنا وأهل الفضل منا؛ فقال ﷺ: «لا تبكوا إنما مثل أمتي كمثل حديقة قام عليها صاحبها فأجنى واكبها، وهيأ مساكنها، وحلف سعفها فأطعمت عامًا فوجًا، ثم عامًا فوجًا، فلعل أخرها طعمًا يكون أطيبها قنوانًا، وأطولها شراخًا، والذي بعثني بالحق ليجدن ابن مريم في أمتي خلفاء من حواريه»[3].

وفي رواية: «ليدركن المسيح من هذه الأمة أقوامًا إنهم لمثلكم، أو خير منكم ثلاث مرات، ولن يخزي الله أمة أنا أولها والمسيح آخرها»[4].

وقال الإمام أبو عبد الله الحكيم: فمن الله على هذه الأمة خصوصًا ثم عدد المنة؛ فقال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110]، وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: 143] أي: عدلاً، والعدل لا يميل إلى إفراط ولا إلى نقصان فالميزان لسانه في وسطه وباستواء الكفتين يستوى لسان الميزان، ويقوم الوزن فجعل أول هذه الأمة، وآخرها ككفتي الميزان وما بينهما من الكدر كلسان الميزان ينجو هذا الوسط بهاتين الكفتين فإنه إن مال الوسط إلى أي الجانبين مال إلى ركن وثيق. انتهى كلامه.

قلت: كلام الإمام أبي عبد الله الحكيم هذا على مقتضى قوله ﷺ: «ولن يخزي الله أمة أنا أولها، والمسيح آخرها»[5].

وفي إحدى الروايات: «خير أمتي أولها، ومهديها وسطها، والمسيح في آخرها

(1) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (1/80).

(2) رواه الدارمي (2744)، وأحمد (17017).

(3) رواه البخاري (3488).

(4) رواه الترمذي في «نوادر الأصول» (2/93)، وابن أبي شيبة (36971).

(5) سبق تخريجه.

فلا ميل؛ فإن المهدي حافظ للسان الميزان وهو الوسط، وإن قدر ميل فإلى ركنين شديدين أصليين بدرين كريمين رسولين».

وأخبرنا شيخنا ﷺ من طريق الترمذي الحكيم بسنده إلى سهل بن سعد الساعدي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في أصلاب، أصلاب، أصلاب رجال من أصحابي رجال ونساء يدخلون الجنة بغير حساب، ثم تلا: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: 3: 4]»[1].

وأخبرنا أيضًا ﷺ بطريق الترمذي من حديث بن عجلان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «في كل قرن من أمتي سابقون»[2].

وبه عن رسول الله ﷺ: «لا يزال من أمتي أربعون صديقًا كلما مات رجل بدل الله مكانه آخر منهم ثلاثون على قلب إبراهيم ﷺ»[3].

وبه إلى أبي الدرداء ﷺ قال: «إن الأنبياء كانوا أوتاد الأرض فلما انقطعت النبوة أبدل الله مكانهم قومًا من أمة محمد ﷺ يقال لهم الأبدال، وهو خلفاء من الأنبياء قوم اصطفاهم الله لنفسه، واستخلصهم بعلمه لنفسه، وهم أربعون صديقًا منهم ثلاثون رجلاً على مثل يقين إبراهيم خليل الرحمن بهم تدفع المكاره عن أهل الأرض والبلايا عن الناس، وبهم يمطرون، وبهم يرزقون، لا يكون الرجل منهم أبدًا حتى يكون الله قد أنشأ من يخلفه»، ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: 22][4].

ويروى أن أبا مسلم الخولاني لما اجتمع بالأسود العنسي صاحب صنعاء قال له الأسود: أتشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ فقال أبو مسلم: نعم، فقال: وتشهد أني رسول الله قال: لا؛ فربطوا يديه ورجليه وجمعوا عليه حطبًا كثيرًا وأحرقوه فأكلت النار الحطب، ولم يحترق من أبي مسلم شيء، فجاء إلى عمر بن الخطاب ﷺ وكان رجلاً طوالاً حسنًا يكاد وجهه يقطر، فلما سلم قال له عمر: أنت أبو مسلم الخولاني، قال: نعم، فقال عمر: الحمد لله الذي أراني في أمة محمد ﷺ من هو مثل إبراهيم الخليل[5].

---

(1) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (134/1)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (201/6).

(2) رواه الترمذي في «نوادر الأصول» (369/1)، وأبو نعيم في «الحلية» (8/1).

(3) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (27/9)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (419/12).

(4) رواه الترمذي في «نوادر الأصول» (262/1).

(5) ذكره المناوي في «فيض القدير» (44/1).

وأخبرنا شيخنا قطب الأولياء أبو المعروف أمدنا الله من عنايته عن الشيخ الإمام علي بن إسماعيل بن قريش إذنًا عامًا عن عبد الرحيم بن عبد المنعم الدميري عن الشيخ الإمام فخر الدين قطب العارفين أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن أبي الفوارس الخيري الفارسي الغريب -رحمه الله- قال: أخبر رسول الله ﷺ عن وجود القوم في كل عصر، ثم أشار إلى أن بقاء العالم واقع بهم إلى يوم القيامة.

قال: ومراتب القوم في المبادئ، والغايات، وحصول الأهلية والتقدمة، والمزيد في الحديث الذي أنا الحافظ أبو طاهر الأصبهاني في شهور سنة سبع وستين وخمسمائة، أنا أبو نصر الفضل بن علي بن أحمد الحنفي بقراءتي عليه بأصبهان سنة تسعين وأربعمائة، أنا أبو سعيد محمد بن علي بن عمر بن مهدي النقاشي الحافظ في سنة ثلاث عشرة وأربعمائة، أنا أبوبكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي في سنة أربع وخمسين وثلاثمائة، أنا أحمد بن يونس بن بكر الخليل ثنا عبد الرحمن بن يحيي الأرميتي ثنا عثمان بن عمارة عن المعافى بن عمران عن سفيان الثوري عن منصور عن إبراهيم عن الأسود عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله في الأرض ثلاثمائة قلوبهم على قلب آدم، وله أربعون قلوبهم على قلب موسى، وله سبعة قلوبهم على قلب إبراهيم، وله خمسة قلوبهم على قلب جبرائيل، وله ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل، وله واحد على قلب إسرافيل، فإذا مات الواحد- أي: الغوث- أبدل الله مكانه من الثلاثة، فإذا مات من الثلاثة أبدل الله مكانه من الخمسة فإذا مات من الخمسة أبدل مكانه من السبعة، فإذا مات من السبعة أبدل مكانه من الأربعين، وإذا مات من الأربعين أبدل مكانه من الثلاثمائة، وإذا مات من الثلاثمائة أبدل الله مكانه من العامة بهم يرفع الله البلاء عن هذه الأمة»[1].

ثم قال الغريب الحيـــري: إن الواحد يقال له القطب، وهو الغوث مكانه ومكانته منهم كالنقطة من الدائرة التي هي مركزها، به يقع صلاح العالم إذ ليس في الملأ الأعلى أشرف وجودًا من إسرافيل فشبهه به لوصول الأفهام إلى مطلق وجوده وإلا فهو أعز عند الله تعالى في وجوده منه صفاتٍ ورتبةً، ثم أعرض رسول الله ﷺ عن ذكر قلبه في جملة الأولياء، والأنبياء، والملائكة إذ لم يخلق في عالمي الخلق والأمر أعز، وألطف، وأشرف من قلبه فقلوب الملائكة، والأنبياء، والأولياء بالإضافة إلى قلبه كإضافة سائر الكواكب إلى

(1) رواه الترمذي في «الفردوس» (1/187).

كمال الشمس، ولذلك قال: «لست كأحدكم»[1].

وقال الإمام الحكيم الترمذي[2]: إن الولي والصديق رحمة الله تعالى في خلقه وغياث

---

(1) رواه الترمذي (778)، والدارمي (1704)، وأحمد (4752).

(2) محمد بن عليّ بن الحسن الترمذي الصوفي الشافعي:
صاحب التصانيف المشهورة، زاهد اشتهر بملازمة العبادة، وتفرد بين الصوفية بكثرة الرواية وعلو الإسناد، وناسك سلك طريق القوم وهجر في وصله التهجد وصل النوم، رحل في طلب الحديث والعلم، وتلفع بمروط التقوى والحلم، ولقي الأكابر وأخذ عن أرباب المحابر، ومع ذلك كان صدرًا معظمًا وصوفيًا محدثًا مفخمًا، كثير الكيس واللطافة غزير المعارف التي تحف أخلاقه وأعطافه، تحلى بعقوده جيد زمانه وتأرجت الأرجاء بعرف عرفانه، لقي أبا تراب النخشبي والبلخي وتلك الطبقة وسمع الكثير من الحديث بالعراق وغيره وهو من أقران البخاري.
قال الحافظ ابن النجار في تاريخه: كان إمامًا من أئمة المسلمين له الصفات الكبار في التصوف وأصول الدين ومعاني الحديث وفي شيوخه كثرة.
وقال السلمي في طبقاته: له الشأن العالي والكتب المشهورة.
نفوه من ترمذ وشهدوا عليه بالكفر بسبب تفضيله الولاية على النبوة، وإنما كلامه في ولاية النبي ﷺ.
وقال أبو نعيم في الحلية: له التصانيف الكثيرة في الحديث، وهو مستقيم الطريقة يَرُدُّ على المرجئة وغيرها من المخالفين، تابع للآثار.
قال ابن الجوزي: من أكابر مشايخ خراسان له التصانيف المشهورة، وكان يقول: ما صنعت شيئًا ينسب إلي لكن إذا اشتد عليّ وقتي أتسلى بمصنفاتي.
وقال القشيري في الرسالة: هو من كبار الشيوخ.
وقال الكلاباذي في التعرف هو من أئمة الصوفية.
وقال ابن عطاء الله: كان الشاذلي والمرسي يعظمانه جدًا، ولكلامه عندهما الحظوة التامة ويقولان: هو أحد الأوتاد الأربعة، فلا يلتفت لخرافات بعض المحرفين وطعنهم فيه بالبهتان.
وله حكم عليه الشأن، فمنها قوله: كفى بالمرء عيباً أن يسره ما يضره.
و سئل عن الإنسان فقال: ضعف ظاهر حاضر ودعوى عريضة.
وقال: إذا مكنت الأنوار في السر، نطقت الجوارح بالبر.
وقال لا ينكر الكرامات إلا القلوب المحجوبة عن الله، فإن الكرامة إنما هي صنع الحق.
وقال: الولي أبدًا في ستر حاله والكون ناطق بولايته، ومدعي الولاية ناطق بولايته والكون كله يكذبه.
وقال: الاستهانة بالأولياء من قلة المعرفة بالله، وما وصل العبد لمقام إلا وهو محترم لأهل ذلك المقام؛ إذ الإخلال بواجب حقهم يطرده عن حضرتهم.
وقال: لا يسمى عالمًا إلا من لم يتعد حدود الله في عمره.
وقال: ما استصغرت أحدًا من المسلمين إلا وجدت نقصًا في معرفتي وإيماني.
وقال: ما منع الناس من الوصول إلا لركضهم في الطريق بغير دليل وأكلهم الشهوات، وارتكاب
=

الخلق، وأمانهم لأنهم دعاة إلى الله تعالى على بصيرة فهم في وقت الحاجة أحرى أن يكونوا، فماذا يكبر في الصدور أن يكون في آخر الزمان من يوازي أولهم لحاجة الخلق إليهم، أولم يقل عليٌ بن أبي طالب كرم الله وجهه في حديث كميل بن زياد النخعي: «اللهم لا تخل الأرض من قائم لله أولئك الأقلون عددًا الأعظمون عند الله قدرًا قلوبهم معلقة بالمحل الأعلى، أولئك خلفاء الله تعالى في عباده وبلاده، آه شوقًا إلى

=

الرخص التأويلات.

وقال: رأس مالك قلبك ووقتك، وقد شغلت قلبك بهواجس الظنون وضيعت أوقاتك بشغلك بما لا يعنيك، فمتى يربح من خسر رأس ماله.

وقال: أقرب القلوب إلى الله قلب رضي بصحبة الفقراء، وآثر الباقي على الفاني، وشهد سوابق القضاء مع اليأس من الأفعال.

وقال: القناعة رضا النفس بما قسم لها.

وقال: الفتوة أن تكون خصمًا لربك على نفسك.

وقال: اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره إليك، واجعل شكرك لمن لا تنقطع عنك نعمه، وخضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه.

وقال: ذكر الله يرطب القلب ويلينه، فإذا خلا عن ذكر الله أصابته حرارة النفس ونار الشهوات فقسى ويبس وامتنعت الأعضاء عن الطاعات، فإذا مددتها تكسرت كالشجرة إذا يبست، لا تصلح إلا للقطع وتصير وقودًا النار.

وقال: نور المعرفة في القلب وإشراقه في عين الفؤاد في الصدر.

وقال: ما من نور في القلب إلا ومعه رحمة من الله بقدر ذلك فهذا أصل، والعبد مادام في الذكر فالرحمة دائمة عليه كالمطر، فإذا غفل قحط.

وقال: ليس في الدنيا حمل أثقل من البر، فإن من بَرّك فقد أوثقك، ومن جفاك فقد أطلقك.

وقال: من جهل أوصاف العبودية فهو بنعوت الربوبية أجهل.

وقال: رأيت رب العزة في المنام ألف مرة أسأله خاتمة الخير، فقال لي: قل أربعين مرة- وفي رواة إحدى وأربعين مرة- «يا حي يا قيوم يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا الله يا الله يا الله».

وقال: الدنيا عروس الملوك ومرآة الزهاد.

وقال: إذا خلا القلب عن الذكر أصابته حرارة النفس ونار الشهوات وامتنعت الأركان من الطاعة.

ومن كراماته: أنه لما قام عليه معاصروه وكفروه، جمع كتبه كلها وألقاها في البحر، فالتقطتها سمكة وابتلعتها ثم لفظتها بعد سنين وانتفع الناس بها.

وقال الحافظ ابن حجر: مات في حدود العشرين وثلاثمائة.

طبقات الصوفية (217)، صفة الصفوة (167/4)، سير أعلام النبلاء (439/13).

رؤيتهم»[1].

وقيل: قد يدخر لبعض المتأخرين ما روى عن كثير من المتقدمين.

وقال الإمام أبو عبد الله الترمذي الحكيم -رحمه الله: فما الذي خزن رحمة الله عن أهل هذا الزمان حتى يكون فيهم لا سابق، ولا مقرب، ولا مجتبى، ولا مصطفى أوليس المهدي كائنًا في آخر الزمان فهو في الفترة يقوم بالعدل أو ليس كائن في آخر الزمان من له ختم الولاية وهو حجة الله على الأولياء، فكما أن محمدًا ﷺ آخر الأنبياء على ختم النبوة فهو حجة الله تعالى على جميع الأنبياء فكذلك هذا الولي آخر الأولياء في آخر الزمان.

وروينا في ذلك عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يأتي على الناس زمان العامل فيه يؤتى أجر خمسين، قالوا: منا أو منهم، قال: منكم، قالوا: وبم يا رسول الله؟ قال: لأنكم تجدون على الخير أعوانًا، ولا يجدون على الخير أعوانًا»[2].

أخرجه ابن السني وغيـــره، وهو حديث حسن.

وسمعت شيخنا أبي المعروف ﷺ يقول: يصل المتأخرون باليسير من العمل إلى ما لم يصله المتقدمون بالكثير من العمل، وجاء ذلك في الحديث النبوي مما أخبرنا به هو ﷺ بإسناده إلى الترمذي وأبي داود من حديث أبي أمية الشعباني قال: سألت أبا ثعلبة الخشني قال قلت: يا أبا ثعلبة كيف تقول في هذه الآية عليكم أنفسكم؟ أما والله لقد سألت عنها خبيرًا سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: «ائتمروا بالمعروف وانتهوا عن المنكر حتى إذا رأيتم شحًا مطاعًا، وهوىً متبعًا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بنفسك ودع عنك العوام؛ فإن من ورائكم أيامًا الصبر فيهن مثل القبض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم»[3].

وزاد أبو داود في حديثه: «قيل: يا رسول الله! أجر خمسين رجلاً منا، أو منهم قال: أجر خمسين منكم»[4]، وأخرجه عنهما صاحب جامع الأصول.

وروى الترمذي الحكيم عن ابن مسعود: «إن الرجل من هذه الأمة يبلغ عمله

---

(1) سبق تخريجه.

(2) رواه أبو داود (3778)، والترمذي (2984).

(3) رواه أبو داود (3778)، والترمذي (2984)، وابن ماجه (4004).

(4) رواه أبو داود (3778).

يومًا واحدًا ما يكون أثقل من سبع سماوات وسبع أرضين في الوزن»[1].

وروى عن أبي موسى عن رسول الله ﷺ أنه نظر إلى جبل أحد فقال: «رُب رجل من أمتي يعدل الحرف الواحد من تسبيحه هذا الجبل، وقال: فاللحظة من سرائرهم – يعني: المقربين– أعظم من أعمال الثقلين وعمر نوح ﷺ»[2].

وقال: إمام المحققين محيي الدين محمد بن علي بن العربي ﷺ: إن الزمان اليوم ليس هو كالزمان الماضي، وسبب ذلك قربه من الدار الآخرة فكثر الكشف في أهله اليوم، وصارت لوائح الأرواح تبدو وتظهر، فأهل زماننا اليوم أسرع كشفاً، وأكمل شهودًا، وأعز معرفةً، وأتم في الحقائق وأقل عملاً من الزمان المتقدم، فإنهم كانوا أكثر عملاً، وأقل فتحًا، وكشفًا منا اليوم، وذلك لأنهم أبعد الأزمان الصحابة ﷺ لشهودهم النبي ﷺ ونزول الأرواح عليه فيما بينهم مع الأنفاس كان المنورون منهم عندهم هذا مثل أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وأمثالهم ﷺ فالعمل فيما مضى كان أغلب، والعلم في وقتنا هذا أغلب والأمر في مزيد إلى نزول عيسى بن مريم ﷺ فإنه يكثر، والركعة اليوم منا كعبادة شخص ممن تقدم عمره كله، كما قال ﷺ: «للعامل منهم أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم»[3].

وما أحسنها من عبارة، وألطفها من إشارة، وهذا مما ذكرنا من اقتراب الزمان، وظهور حكم البرزخ ألا ترى إلى قوله ﷺ:

«لا تقوم الساعة حتى يكلم الرجل فخذه بما فعل أهله وعذبة سوطه، وتقول الشجرة هذا يهودي خلفي اقتله»[4]، وهذا في الدنيا فهل هذا إلا من ظهور موطن الآخرة التي هي دار الحيوان.

القاعدة الرابعة

في أن النظر في حكايات المواهب، والكرامات، ومعارف العلوم الإلهيات تثير الهمم إلى طلب المراتب العاليات، وترفعها عن حضيض مقاعد قواعد الخوالف إلى أوج أفلاك فوائد من سيف من القروب السوالف، وإن حسن الظن والمحبة الصافية يلحقان الأصاغر بالأكابر في أعالي المقامات العالية.

---

(1) رواه الترمذي في «نوادر الأصول» (1/141)، (2/304).

(2) رواه الترمذي في «نوادر الأصول» (2/359).

(3) سبق تخريجه. (4) رواه أحمد (11365).

فصل

والنظر فيها وسماع حكاياتها تقوي قلوب المريدين، ويثبت أفئدة المرادين، قال شيخنا الأكبر سيد الطائفة الجنيد بن محمد ﷺ فيما رويناه عنه حين سئل ما للمريدين في مجارات الحكايات؟ فقال: الحكايات جند من جنود الله يقوي بها قلوب المريدين، فقيل له: فهل في ذلك شاهد، فقال: نعم قوله تعالى: ﴿وَكُلاً نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: 120].

وقال أيضًا: تنـــزل الرحمة على الفقراء في ثلاثة مواطن عند السماع فإنهم لا يسمعون إلا بحق، ولا يقومون إلا عن وجد، وعند أكل الطعام فإنهم لا يأكلون إلا عن فاقة، وعند مجارات العلم فإنهم لا يذكرون إلا صفة الأولياء، وقال بعض الصالحين أئمة العلماء، وأكابرهم ندبوا إلى ذكر حكاياتهم تبركًا بهم واستمدادًا لبركاتهم.

قال الإمام محيي الدين النووي -رحمه الله: ويستحب أن يقعد عند الميت بعد الفراغ من دفنه ساعة، ويشتغل القاعدون بتلاوة القرآن، والدعاء للميت، والوعظ، وحكايات الصالحين.

وقال الإمام الغزالي: من آداب الطعام أن يتحدثوا في حال أكله بالمعروف، ويتحدثوا بحكايات الصالحين في الأطعمة وغيرها.

فصل جليل

ومن نظر فيها بعين القبول وحسن الظن والإيمان رزقه الله حصول ما آمن به وقبله بالحال والذوق والعيان، وقال بعض مشايخنا الأكابر المحققين: ثم لتعلم أنه إذا حسن عندك وقبلته وآمنت به يعني تقف عليه من علوم الحقائق فأبشر إنك على كشف منه ضرورة، وأنت لا تدرى لا سبيل إلى هذا.

قلت: وقد ظهر ذلك على بعض إخواننا وأحد طبقتنا وفقراء شيخنا، وهو الفقيه العالم النجيب الصالح شهاب الدين أحمد بن عبد اللطيف الشرحي رحمه الله عند موته ولم يكن له من علوم المحققين في مدة حياته فيما نعلم إلا مجرد النظر فيها بالتصديق، والقبول، والإيمان لا إنها له بالذوق والحال والعيان.

أخبرنا شيخنا الإمام محيي الدين أحمد بن أبي بكر الرداد -رحمه الله- أنه حضره في الحال التي لا يكون فيها من الإنسان إلا الحق ولا ينطق فيها إلا بالصدق حال الاحتضار، وسياق الروح، قال: فسمعته يقول: كلما وقفت عليه من علوم المحققين وقعت فيه ذوقًا، وحالاً، وعياناً وأطلعني الله على الأنبياء، والأولياء، ومراتبهم فسررنا والله لهذه الحكاية،

واستبشرنا بهذه البشارة ورجونا من فضل الله ومنه ما حصل لأخينا هذا، وما بشرنا به مشايخنا من هذه المنة الكبرى وما ذاك على الله بعزيز.

وهذه نكتة لطيفة ونبذة شريفة وأصل هذا قوله ﷺ: «من بلغه عن الله شيء فيه فضيلة فأخذ له إيمانًا به، ورجاء ثوابه أعطاه الله ذلك، وإن لم يكن كذلك»[1].

وقوله ﷺ: «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق، أو المغرب لتفاضل ما بينهم. قالوا يا رسول الله: تلك منازل الأنبياء فلا يبلغها إلا هم قال: بلى، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»[2].

قال أبو عبد الله الترمذي الحكيم: فلم يذكر هنا عملاً، ولا شيئًا سوى الإيمان، والتصديق للمرسلين.

وسمعت شيخنا الأكبر أبا المعروف عرف الله من عوارفه يقول: لو درس الناس هذا العلم يعني علم الحقائق كما يدرسون العلم الظاهر لانطبع فيهم، وقال الجنيد ﷺ: التصديق بعلمنا هذا ولاية، وقال قطب الأحوال أبو يزيد ﷺ لأبي موسى: يا أبا موسى إذا لقيت مؤمنًا بكلام أهل هذه الطريقة قل له: يدعو لك فإنه مجاب الدعوة، وقال الشيخ الإمام عبد الرحمن بن محمد الصقلي: التصديق بهذا العلم مزيد في أنوار القلوب، والفهم لهذا العلم مزيد في انشراح الصدور، والنطق به على ترتيبه في المقامات، والدرجات تول من الحق.

وسمعت شيخنا أبا المعروف يقول: في هذا العلم من النعم الكبار، وسمعته ﷺ يقول من المريدين من يسمع من كلام الشيوخ فينفتح له ما لم يكن عنده فإن كلمات المشايخ مفاتيح القلوب.

وأخبرنا الشيخ رضي الدين أبو بكر الصديق بن شيخنا ﷺ أنه سمع شيخنا ﷺ يقول: كلامي يفتح أقفال القلوب.

فصل

قال شاه بن شجاع الكرماني ﷺ[3]: ما تعبد متعبد بأكبر من التحبب إلى أولياء الله

(1) ذكره المناوي في «فيض القدير» (6/95)، والعجلوني في «كشف الخفاء» (2/309).

(2) رواه البخاري (3016)، ومسلم (3059).

(3) كان له دين متين وسلطان في التقوى مكين، وفيه بر ومعروف وجود على الفقراء والصلحاء، موصوف ظريفًا في الفتوة عريقًا في المروءة، وأصله من أبناء الملوك فتشمر للسلوك وتعرى من =

=

الأعراض وتحرز من الأغراض وصحب التخشبي وتلك الطبقة.

وأصل توبته أنه خرج يتصيد في برية، وإذا بشاب راكب أسدًا وحوله سباع، فلما رأته ابتدرت نحوه فزجرها الشاب ثم قال: يا شاه، ما هذه الغفلة؟ اشتغلت بهواك عن أخراك، وبلذاتك عن خدمة مولاك، أعطاك الدنيا لتستعين بها على خدمته فجعلتها ذريعة إلى الاشتغال عنه، ثم خرجت عجوزًا بيدها شربة ماء فشرب وناوله سأله عنها، فقال: هي الدنيا، وكُلت بخدمتي، أما بلغك أن الله لما خلقها قال: من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه.

فخرج عن الدنيا وسلك الطريق، وأقام شهرًا كاملاً لا ينام فغلبه النوم فرأى الحق تعالى فيه فكان بعد ذلك يتكلف النوم ويقول:

رأيــتُ سُــرورَ قلــبي في مَنامِي   فأحبــبتُ التَّــناعُسَ والمــناما

وورد على أبي حفص النيسابوري فوقف على حلقته وكان عليه قباء فعرفه بالفراسة فقال: الذي كنا نطلبه تحت العباءة وجدته اليوم تحت القباء.

وخطب ابنته ملك كرمان فاستمهله، ثم طاف المساجد فرأى غلامًا يحسن صلاته فقال له: ألك زوجة؟ قال: لا، قال: أزوّجك، فخذ بدرهم خبزًا وبدرهم أدمًا وبدرهم طيبًا والأمر مفروغ منه، وزوجه إياها، فلما دخلت بيته وجدت رغيفًا يابسًا على رأس جرة، فقالت: ما هذا؟ قال: بقي من أمس فتركته لأفطر عليه، فولّت راجعة فقال: عرفت أن بنت شاه لا تقنع بفقري، فقالت: ليس خروجي لفقرك بل لضعف يقينك، ولست أعجب منك بل من أبي حيث قال: زوجتك لشاب عفيف، كيف وصف بالعفة من لا يعتمد على الله إلا بادخار رغيف؟ فقال: أنا معتذر، فقالت: أما العذر فأنت أعرف بشأنك، وأما أنا فلا أقيم ببيت فيه معلوم.

ومن كلامه: من عرف ربه طمع في عفوه ورجا فضله.

وقال: علامة الحياء ثلاث: وجدان الأنس بفقدان الوحشة، والامتلاء من الخلوة بإدمان التذكر، واستشعار الهيبة بخالص المراقبة.

وقال: من صحبك ووافقك على ما يحب وخالفك فيما يكره فإنما يصحب هواه. وقال: الفتوة من طباع الأحرار واللؤم من شيم الأنذال، وما تعبد متعبد بأكثر من التحبب للأولياء، لأن محبتهم محبة الله وكان حاد الفراسة لا يخطئ أبدًا.

وكان يقول: من غضّ بصره عن المحارم وأمسك نفسه عن الشهوات وعمر باطنه بدوام المراقبة وزين ظاهره باتباع السنة وتعوّد أكل الحلال لم تخطئ فراسته أبدًا. وقال: من نظر إلى الخلق بعينه طالت خصومته معهم، ومن نظر إليهم بعين الله عذرهم فيما هم فيه وقل اشتغاله بهم.

وقال: علامة الأنس بالله الاستيحاش من الغافلين، والسكون إلى الوحدة، ومرافقة الأحبة.

وقال: علامة المحبة الرضا عنه في المكروه، وحسن الظن به في المجهود، والانقياد لاختياره في المحذور.

وقال: التوكل سكون القلب إلى الله في حالتي الوجود والفقود.

وقال: علامة الخائف الخوف الدائم.

وقال: لأهل الفضل فضل ما لم يروه، فإذا رأوه فلا فضل لهم، ولأهل الولاية ولاية ما لم يروها، فإذا رأوها فلا ولاية لهم.

=

لأن محبة أولياء الله دليل على محبة الله عز وجل، وقال شيخنا أبو المعروف -قدس الله سره: محبتكم لي أنفع لكم من كل عمل، ويستأنس لقوله هذا، بل يستشهد له من السنة بما أخبرنا به ﷺ بإسناده المتقدم إلى أبي عيسى الترمذي -رحمه الله- بسنده إلى عليّ بن أبي طالب ﷺ أن النبي ﷺ أخذ بيد حسن وحسين، وقال:

«من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة»[1]؛ فإن قيل: هذا من خصائص النبي ﷺ.

قلت: لا كلام بيننا في الخصائص إنما كلامنا في أثر المحبة من حيث هي، ولهذا أطرد الحكم في محبة من كان: «المرء مع من أحب»[2]، «وأنت مع من أحببت»[3].

أخبرنا شيخنا أبو المعروف بسنده إلى البخاري بسنده إلى أبي موسى قال: قيل للنبي ﷺ: الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم قال: «المرء مع من يحب»[4].

وبه عن أنس ﷺ أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن الساعة، قال: «وما أعددت لها؟ قال: لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله؛ فقال: أنت مع من أحببت»[5].

قال أنس: فما فرحنا بشيء كفرحنا بقول النبي ﷺ أنت مع من أحببت، قال أنس

=

وقال: علامة الركون إلى الباطل التقرب إلى المبطلين.

وقال: المعجب بنفسه محجوب عن ربه.

وكان بينه وبين يحيى بن معاذ صداقة وجمعهما بلد، فكان شاه لا يحضر مجلسه فقيل له في ذلك فقال: هذا هو الصواب، فما زالوا به حتى حضر وجلس ناحية بحيث لا يشعر به، فأخذ يحيى في الكلام فألقي عليه السكوت فلم ينطق، فقال: هاهنا من هو أولى بالكلام مني، وارتجّ عليه فقال شاه: قلت لكم الصواب فأبيتم.

وأخرج أبو نعيم: بينما سهل التستري جالسًا إذ سقطت حمامة لا تتحرك فجعل ينحيها فقال لأحد جماعته: أطعمها واسقها وطارت، فقال: مات أخ لي بكرمان وهو الشاه، فجاءت هذه تُعزيني، فأرّخ ذلك اليوم، فكان وقت سقوط الحمامة وقت خروج روحه.

وكان من الأبدال، قلت: إنك أثبتُّه في هذا القرن تبعًا لبعضهم، ثم رأيت ابن الجوزي قال: أظنه مات بعد سبعين ومائتين ﷺ.

طبقات الصوفية (192)، طبقات الأولياء (360)، طبقات الشعراني (90/1).

(1) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (82/3، 85).

(2) رواه البخاري (5819)، ومسلم (2640).

(3) رواه البخاري (3412)، ومسلم (4775).

(4) رواه أبو يعلى في مسنده (36/6).

(5) رواه البخاري (5701)، ومسلم (4777).

وأنا أحب النبي وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل أعمالهم.

قلت: فعلى هذا فأفضل ما تعبد المتعبدون بالمحبة فأي عمل يبلغ درجة النبي ﷺ، ومن خصائص المحبة وخصوصياتها من حيث هي ما أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله: «إن من عباد الله لأناسًا ما هم بأنبياء ولا شهداء تغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله، قالوا: يا رسول الله: أخبرنا من هم؟ قال: قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى نور، ولا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس، وقرأ هذه الآية: ﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: 62]»[1].

فصل

قال شيخنا أبو المعروف -قدس الله سره: يبلغ المريد بنظر الشيخ إليه ما لا يبلغه باجتهاده وعبادته ألف سنة.

وقال الفقيه الكبير العارف بالله محمد بن الحسين البجلي -نفع الله به: رأيت رسول الله ﷺ فقلت له: يا سيدي يا رسول الله! أي الأعمال أفضل؟ فقال: «وقوفك بين يدي ولي الله كحلبة شاة، أو كشي بيضة خير لك من أن تعبد الله حتى تتقطع إربًا إربًا؛ فقلت له حيًا كان أو ميتًا؟ قال: حيًا كان، أو ميتًا».

وقال سيد العارفين الفقيه الكبير الولي الكامل الشهير أبو بكر محمد بن يعقوب ﷺ في معنى هذا: لأن الواقف بين يدي الولي يندرج فيه ويدخل تحت استيلاء شموله، فيكون الولي واسطته إلى الله فيحصل له بتلك الوقفة بوساطة الولي ما لا يحصل له بعبادته حتى يتقطع إربًا إربًا.

قلت: يكون الحاصل من الله على قدر استعداد الولي فإن الإمدادات على قدر الاستعدادات.

فصل
في حُسن الظن

أخبرنا شيخنا أبو المعروف ﷺ فيما يرويه عن أبي داود الترمذي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن حسن الظن بالله من حسن عبادة الله»[2].

وسمعت شيخنا ﷺ يقول: لا يدخل عمل العبد على الله إلا حسن ظنه بالله، وقيل

(1) سبق تخريجه.

(2) رواه أحمد (8694)، والترمذي (3533)، والحاكم في «المستدرك» (4/269).

له: اجعل خاطرك معنا، فقال ﷺ: اعلموا أن الخواطر مرتبة على حسن الظن، ولهذا انفعل بالحجر ما انفعل من ظنه ولو بحجر نفعه الله به.

وسمعت عنه أنه دخل على بعض شيوخه فوجده يفلي ثوبه من القمل قال: فوقع عندي أنه يتشاغل بفلي ثوبه عن الأحوال فوقع لي زيادة عظيمة، أو قال خير كبير في تلك الساعة، فقلت له: سألتك بالله هل اشتغالك بفلي ثوبك تشاغل عن الأحوال؟ فقال: لا إنما أفلي ثوبي من القمل، فعلمت أن تلك الزيادة التي حصلت لي إنما هي من حسن الظن.

وأخبرني عنه الشيخ جمال الدين محمد المزجاجي أنه ذكر للشيخ أبي بكر بن سلامة أشياء مما كان الناس فيه يومئذ من الغلاء والشدة وسأل منه الدعاء، فقال له: قد وكلتك تتصرف لي فقال له: وكيف لي بذلك؟ فقال: ما ثم إلا حسن الظن، ما ثم إلا حسن الظن.

وأخبرني أيضًا عنه ﷺ أنه كان في بعض مهماته يحضر في قلبه الفقيه أبا بكر بن محمد أبي حربة والشيخ أبا بكر بن سلامة، والفقيه علي بن موسى، ويقول بلسانه: [شيء لله] فيكون ما أراد.

قلت: ويكفي في حسن الظن ما جاء عن الله بلسان رسول الله ﷺ بإخبار شيخنا فيما يرويه عن الترمذي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن الله تبارك وتعالى يقول: «أنا عند ظنِّ عبدي بي»»[1].

وما أعظمها من إشارة وأكرمها من بشارة لمن كان ظنه بالله حسنًا فإنه يجد الله عند ظنه بالحسنى، وما أطمها من نذارة وخسارة لمن كان ظنه بالله سيئًا فإنه يجد الله عند ظنه بمثله، فاحذر أن يكون الله عند ظنك السيئ فتشقى، واجهد أن يكون الله عند ظنك الحسن فتسعد في الآخرة والأولى؛ فهو سبحانه يقول: «فليظن بي ما شاء»، ويقول: «أنا عند ظن عبدي بي إن ظن خيرًا فله، وإن ظن شرًّا فله»[2]؛ فهو سبحانه لك حيث هو منك، وأنت منه حيث هو منك أيضًا، والحكم في خلقه منه لهم كذلك له وعليك، فهم عياله، وأما أهله وخاصته من خلقه فهم حماه المنيع الحمى وجنابه الرفيع الأعلى.

وقال بعض أكابر المحققين من أهل الله: إن الله عند ظن عبده به؛ فإذا ظن به أنه لم يستجب له لم يستجب له بعد ذلك، فإن رسول اله ﷺ يقول: «إن الله يستجيب للعبد

---

(1) رواه البخاري (6856)، ومسلم (4832).

(2) سبق تخريجه.

ما لم يقل العبد لم يستجب لي».

فاحذر من مكر الله بك من حيث لا تشعر لاسيما وقد علمت أن لكل أمر شرطًا في حصوله وليس إلا الاستعداد، وقال أيضًا في قول رسول الله ﷺ: يقول الله ﷻ: «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرًا»[1]، وقال الله تعالى: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ﴾ [فصلت: 23].

فالظن الخير بالله ينجي من الردى، فإذا رجوت الله في أمر فلا بدَّ من ذلك الأمر أن يكون لك، أو مثله فلا تستبطئ ذلك فإن الأمور عند الله مؤقتة، فإذا جاء الوقت ظهر الأمر، وكن على ثقة من الله لا بدَّ لك أن يحصل لك ما تعلقت بتحصيله همتك، أو مثله، أو اعظم منه.

وروى عن جدي لأم أمي بالأبِ، ولأبيها أيضًا وجدها بالأمهات الفقيه الإمام شيخ فريقي الأنام الولي المحبوب –قدس الله سره العزيز– أنه كان يقول لأصحابه: لا توحشك الذنوب من الله على كل حال، وعلى أي حال كنتم ولجوء الباب، فلقد جرى على مقام بين يدي الله ﷻ حتى رأيت الخوف من الكبائر.

فصل

استلزمت هذه القاعدة تنبيه الناظر في سير الأولياء والسلف الصالح أن يحترز من النكبة الخفية، ومدرجة المكر التي هي أكبر فتنة وبلية، وذلك أن كثيرًا من المريدين السالكين إذا وقفوا على ما منح الله به الأولياء المتقدمين، وما أقدرهم عليه من مشاق المجاهدات مما يخرج عن طور حكم العادات، فتروا عن الطلب وانقلبوا إلى أسوأ المنقلب، كما إذا وقفوا على ما رواه الجنيد عن السري أنه أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رُؤي مضطجعًا إلا في علة الموت، وما روى عن الصياد أنه سجد سجدة واحدة سنة كاملة حتى بفت الرياح عليه التراب، ونبتت عليه الأشجار والأعشاب.

وما روى عن الشيخ عيسى بن حجاج أنه صام أربعين سنة عن الطعام والشراب.

وما روى عن الشيخ علي الأهدل[2] أنه وقف سنة كاملة يأكل ولا يشرب، وسنة

---

(1) سبق تخريجه.

(2) أبو بكر بن علي عمر بن الأهدل اليمني.

كان من كبار الصلحاء المتمكنين ، من أرباب الكرامات والمكاشفات، طال عمره حتى زاد على المائة.

ومن كرامته: أن جماعة من جيرانهم في القرية، كانوا يؤذون أولاد الشيخ وأولاد أخيه، فيشكون =

يشرب ولا يأكل، وسنة لا يأكل ولا يشرب، وما روى سهل بن عبد الله أنه كان إذا أكل ضعف وإذا جاع قوي، وما روى عن أبي عقال المغربي أنه قام بمكة أربع سنين لم يأكل، ولم يشرب إلى أن مات، وما روى عن الشيخ عبد القادر الجيلاني أنه أحيا ليلة خمس عشرة سنة على رِجل واحدة، وما روى عن الذي قام على رِجل أربعين سنة، أو كثر من هذا كله ما روى عن شيخنا أبو المعروف ﷺ أنه وقف في أيام البداية عينًا على قلبه لا يخطر به غير الله خمس عشرة سنة.

وأمثال هذه الآثار المروية المدونة، ويقول القائل من الناظرين فيها: ليس هذا في وسع البشر ولا سبيل لي هذا ولا ذرة، وهب أني شرعت في عمل مثل هذه الأعمال فلعل القدر لا يساعدني أو لا يفي عمري بمدة أحد هؤلاء الرجال، فإذا لا لحاق لي بنهاياتهم، ولا سباق إلى غاياتهم فيكون ذلك سبب انقطاعه عن الله والعياذ بالله، فيقطعه عن لحاق أهل الله الحرمان، ويمنعه من نيل ما نالوه من المكر والخذلان.

شعر:

ويصير في سجن الأياس مقيدًا ... خدن البطَالة في الحَضيضِ الأسفل

سقطت به الهمم الجواني فانثنى ... عن شأو وصف السَّابقين الأول

وسمعت شيخنا -قدس الله سره العزيز- يقول: قد يسمع بعض المريدين بأحوال الشيوخ، وما وقع لهم فلا هو ممن ترتفع به همته ولا هو ممن يبقى على عبادته؛ فينقطع.

وقد قيل شعر:

اطلب ولا تيأس من مطلب ... فآفة الطالب أن يضجرا

إليه، فيقول: اصبروا فإنهم يفنون عن قرب، ولم يبق منهم إلا من يخدمكم، فكان كذلك.
وكان يخبر بأمور لم يتخلّف منها شيء.
منها أنه سافر فمر بقرية، فشكا أهلها إليه قلة المطر ولازموه، فقال الفقير: هل ترى سحابًا؟ قال: سحابة بعيدة كالترس، قال: قف في محل عال وقل لها: أجيبي الشيخ، ففعل، فما زالت تنتشر حتى ملأت الجو وأمطرت مطرًا عظيمًا.
ومنها أن ولده خرج بعد موته إلى قبره يشكو له الملك الأفضل - قال الراوي- فركّب سهمًا في قوسٍ من قبره، ثم رمى به جهة الأفضل حتى سمع الحاضرون طنين السهم منذ حين انفصل عن القوس من القبر، فجاء الخبر بعد ذلك بموته.
مات سنة سبعمائة، رضي الله تعالى عنه.
جامع كرامات الأولياء (1/259)، طبقات الخواص (173).

أمــا تــرى الحــبل بتكــراره في الحجــر الــصماء قــد أثــرا

فصل

ومنهم من يقول: ما هو لنا لا يفوتنا، ولا نحتاج فيه إلى كَل ولا عناء، فهذا قول حق أرادوا به باطلاً فإن ما جعل الله جند أحد من لوازم العبودية عاطلاً لا من النبيين، والمرسلين ولا من الملأ الأعلى من الملائكة المقربين ولا من سائر عباد الله أجمعين، بل الأمثل منهم على الأمثل من الأعمال ولم يقل بإسقاط الأعمال إلا الإباحية أهل التعطيل والضلال.

أليس قد قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنس إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]، وما أثنى الله سبحانه على أحد قط إلا بعمل، ولا ذم أحدًا إلا على ترك عمل، ولا أثاب إلا على عمل، ولا عاقب إلا على ترك عمل، ولا تقرب إلى من يقرب إليه إلا بعمل، ولا أعرض عن معرض عن عمل، ولا تمنى أحد الرجوع من الآخرة إلى الأولى إلا ليزداد من العمل، أو ليستبدل بعمل، ولا التغابن في الدار الآخرة إلا في أعمال: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: 16]، ولم يفوّت بترك الأعمال من الفضائل والمواهب والكمالات: ﴿لاَ يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ﴾ [النساء: 95].

يقول الله تعالى: «من تقرب إليَّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا، ومن تقرب إليَّ ذراعًا تقربت إليه باعًا، ومن جاءني يمشي جئته هرولة»[1].

وقال رسول الله ﷺ: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر» – وفي رواية: «حين يمضي ثلث الليل الأول – فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له، فلا يزال كذلك حتى يطلع الفجر»[2].

يطلب منا سبحانه وتعالى أن نعمل عبودية، ودعاء، وسؤالاً واستغفارًا ليستجيب ويعطي ويغفر مكررًا ذلك كل ليلة، هل هذا منه بنا إلا من شديد العناية وبذل الفضل لنا، وأكيد الرعاية، وطلبًا لنا منه إليه، وترغيبًا لنا في جزيل ما لديه، فإياك أن تحجر على

---

(1) رواه البخاري (6856)، ومسلم (4832).

(2) رواه البخاري (1077)، ومسلم (1261).

نفسك ما ليس بمحجور وتهجر من فضل ربك ما ليس بمهجور، فيفوتك ما يحصل للعاملين من المواهب، والدرجات، والمراتب، بل وفِّ عبوديتك حقها: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر : 99]؛ لتنال الزيادة، والسيادة في مقامات المقربين.

قال رجل للجنيد ﷺ: مَن أهل المعرفة بالله أقوام يقولون بترك الحركات من باب البر والتقوى، فقال الجنيد: إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال وهو عندي عظيم، والذي يسرق ويزني أحسن حالاً من الذي يقول هذا، فإن العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله، وإلى الله رجعوا فيها، ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة إلا أن يحال بي دونها، ودخل عليه رجل وهو في سياق الموت فسلم عليه فأبطأ عليه في رد السلام، ثم رد عليه وقال: اعذرني فإني كنت في وردي.

قال الشيخ محيي الدين بن العربي: وهذه الأعمال ليس لها زوال عن شخص حتى يموت فإن عدمها فهو مخدوع، والواصل لا يتصور منه ترك لها أصلاً.

فصل

في علو الهمّة وطلب الأعلى

اعلم أن الهمم هي التي يصعد عليها الكلم الطيب إلى المستوى الأعلى مستوى حضرة الصفات والأسماء. سمعت شيخنا أبا المعروف ﷺ يقول: ما تفاوت الناس إلا بالهمم، وقيل:

وأشرفهم من كان أشرف همة ... وأكثر قدمًا على كل معظم

وقال معاوية ﷺ: هموا بمعالي الأمور فإني هممت بالخلافة وما كنت لها أهلاً فبلغتها.

قال الإمام الغزالي -رحمه الله- في الإحياء: وفي الأثر أن رجلين كانا عابدين من العباد متساويين في العبادة، قال: فإذا أُدخلا الجنة رُفع أحدهما في الدرجات العلى على صاحبه فيقول: يا رب ما كان هذا في الدنيا أكثر مني عبادة فرفعته عليَّ في عليين؛ فيقول الله ﷻ: «إنه كان يسألني في الدنيا الدرجات العلا، وأنت كنت تسألني النجاة من النار فأعطيت كل عبد سؤاله».

قال الغزالي: وهذا يدل على أن العبادة على الرجاء أفضل؛ لأن المحبة أغلب على الراجي منها على الخائف، وكذلك أمر الله تعالى بحسن الظن، ولذلك قال ﷺ: «سلوا الله الدرجات العُلا؛ فإنكم تسألون كريمًا».

وسمعت شيخنا -قدس الله سره- يقول: اطلب الله وإن أعطاك خلة إبراهيم

ومكالمة موسى، فاطلب ما وراء ذلك.

وقوله هذا أبلغ ما قيل في علو الهمة:

لــه همــة لا منتهــى لكــبارها وهمــته الــصغرى أجــل من الدهر

وشاهد هذا قول رسول الله ﷺ:

«إذا دعا أحدكم؛ فليعظم الرغبة فإنه لا يتعاظم على الله شيء»(1).

وقد يكون قول الشيخ ﷺ إشارة إلى طلب مقام المحبة فإنه أعلى المقامات، والأحوال، وأصلها، والسارى فيها فكل ما سواه فرع منه، كما قال شيخ المحققين محيي الدين بن العربي في مقام المحبة ومما يؤيدك أنه الأمر الجامع، والأصل الكلي كونه مقام أصل الوجود، وسيده ومبدأ العالم وممده وهو محمد ﷺ فاتخذه حبيبًا حيث اتخذ غيره فأعطى الله أصل المقامات، وهو الحب أصل الموجودات وهو محمد ﷺ وبالحب كان الوجود المحدث وإن اختص بها محمد ﷺ فما اختص إلا بالكمال فيها، ولكل موجود فيها شرب منها لكن تتفاضل بتفاضل المشارب فإن تحققت المحبة أنها هي الأصل وأنها أعلى ما يوهب من الحُلي، فلا يؤنسك علوها عن طلبها.

وقد قيل:

لا يؤنــسك مــن مجــد تــباعده فــإن للمجــد تــدريجًا وتــرتيبًا

إن القــناة الــتي شــاهدت رفعهــا تــنمو فتنــبت أنــبوبًا فأنــبوبًا

وقال الشيخ محيي الدين أيضًا: والله يقول آمرًا لنبيه ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ [طه: 114] مع كونه قد حصَّل علوم الأولين والآخرين، وأوتي جوامع الكلم فإنه لا يتعاظم على الله شيء طلب منه، فإن المطلوب منه لا يتناهى فوسع في طلب المزيد إن كنت من العلماء بالله، وإذا كان اتساع الممكنات لا يقبل التناهي فما ظنك بالاتساع الإلهي.

وقال أيضًا: واجتهد أن لا تتهيب لسؤال شيء من أنواع الخير وإن بعد عنك، فليس ببعيد عليك كلما يمكن أن يكون لبشر مما لم يقع النص بانسداد بابه إذ من شأن الكمل من الرسل، والأنبياء، والأولياء أنهم لا يرون شيئًا متعذر الحصول عليهم بالنسبة إلى قبولهم على الإطلاق إلا ما أخبرهم الحق باستحالة حصوله.

وقال أيضًا: إذا رجوت الله في أمر؛ فلا بدَّ من ذلك الأمر أن يكون لك، أو مثله

(1) رواه ابن حبان (176/3)، (481/9).

فلا تستبطئ ذلك فإن الأمور عند الله مؤقتة فإذا جاء الوقت ظهر الأمر، وكن على ثقة من الله لا بدَّ لك أن تحصل ما تعلقت همتك بتحصيله، أو مثله، أو أعظم منه، ولا يحملك تأخير ذلك والاستبطاء على ترك العمل والذكر وهو أن تذكره مع الأنات، فإن الله يحب الملحين في الدعاء، ولذلك كثرت من النبي ﷺ يوم بدر مناشدته ربه في النصرة لعلمه بذلك، وغاب عن أبي بكر ما علم رسول الله ﷺ من ربه الذي جعله يكثر مناشدته في ذلك، وقد علمت أن لكل أمر شرطًا في حصوله وليس إلا الاستعداد فإنه ﷺ علم أن النصرة في ذلك اليوم مشروطة بمناشدته ولا علم لغيره بذلك.

وقال بعض المشايخ: من شق عليه ركوب الأهوال لم يرتق إلى معالي الأحوال، ومن لم يرتق إلى معالي الأحوال لم يبلغ مبالغ الرجال.

وقد قيل:

مـــن طلـــب العلـــياء لـــوح وجلـــف المهـــادي والزماع المخيم
فلا تعظمي يا نفس خوض كريهة فـــإن الـــذي تبغـــي من المجد أعظم

هذا آخر ما قصدناه في القواعد والحمد لله رب العالمين يا رب.

للإشارة إلى شيء من شمائل شيخنا شيخ الإسلام قطب الأولياء الكمل الأعلام أبي المعروف -أعاد الله من بركاته، وإلى شيء من صفته، وسيرته، وأحواله، وطريقته وما كان له في الله من خوف ورجاء، ومحبة، ووفاء، وولع، وحضور دائم، ومعرفة، وشوق ملازم، وما كان له وعليه من الله من نعم وحفظ أحوال وظهور رفعة، وهيبة، وجلال، وبهاء، وأنس، وجمال وما كان للمسلمين منه من خدمة، ورعاية، ونفع، وعناية، ومكارم أخلاق، ومحاسن أفعال بكتابات، وإشارات، وضرب أمثال، وأقدم بين يدي ذلك المعذرة إلى الله، وإلى ولي الله في تهجمي على هذا الجناب الأعظم، ودخولي أخطار هذا العباب الخضم، فإن لساني مقصور عن العبارة عما يستحقه شأنه العالي الرفيع، وبياني محصور عن الإشارة إلى شأو حماه العزيز المنيع، وعلمي قاصر عن إدراك علمه، ومقامه، بل طرفي حاسر عن درك نور نار أعلامه، ولكن قد سبقت إلى ذلك في جناب الله ورسله، وأنبيائه، وخاصته، وأوليائه، وقد قيل:

ومـــا شـــرط المعـــبر أن تـــوفي عـــبارته الحقائـــق حقهـــا لا
فقـــد وصـــف الإلـــه بكل وصف وســـبح نفـــسه عـــنه تعـــالى

فأقول كان ﷺ رحمة للخلق أجمعين قاطعًا عمره في خدمة الله وأموات المسلمين من

هذه الأمة المحمدية، وسائر أمم الرسل الأقدمين بتلاوة القرآن العظيم، والصلاة والسلام على نبيه الحبيب الكريم، والهداية لهم ما له على ذلك من جزيل الثواب الذي أوجبه الله سبحانه على فضله للعالمين جزاءً بنص الكتاب، وسؤال الرحمة لهم، والغفران، والعفو، والتجاوز، والرضوان مجتهدًا في ذلك أكثر الأوقات دائمًا عليه آناء الليل وأطراف النهار وسائر الساعات هو ومن صحبه أو انتسب إليه في بلده وغيره من البلدان، والأمصار، والأقاليم والجهات، والأقطار وقلما مات ميت في البلد فلم يشهد جنازته وكان تشييع الجنائز وزيارة القبور فنه وعادته ولا يجلس حتى يوضع الميت في قبره ولو طال الوقت حتى في كبره وآخر عمره، ويظهر عليه عند الأموات الرقة، والخشوع، وتسيل عيونه عيونًا من الدموع، ويكون هو المتولي أمر الميت مع حضور الأهل، والأقارب حتى يكونوا معه فيما هنالك كالأباعد، والأجانب.

وفيه قلت:

من رحمة الخلق كل الخلق غيرته ... إن مسهم فرح أو مسهم ترح
يكون عند ذوي القربى كأنهم ... هم الأجانب وهو أبو الفرح

وكان حال دفن الأموات يكون دائرًا بين الناس يأمرهم بقراءة سورة «يس» حاكمًا بحاله على قلوبهم؛ حتى يكونوا حاضرين مع الله غير ناسين أمرًا للدعاء للميت والضراعة، والتوجه إلى الله فيه بالشفاعة يظهر عليه شدة الاهتمام بأمر الميت وما يؤول إليه متوجهًا إلى الله في أحسن القدوم عليه مشفقًا، رقيقًا، باكيًا، متوسلاً، متخشعًا، داعيًا.

ومن لطائف ما كنا نراه منه حال دفن الأموات أنه كان يأمر الحاضرين بتكرار قراءة سورة «يس» خاصة دون سائر السور، والآيات، وهذه نكتة لطيفة عجيبة ونبذة شريفة غريبة وذلك والله أعلم لما أطلعه الله على ما فيها من سرعة النفع ونيل المحبوبات، وقوة الدفع ومنع المكروهات ولما جاء فيها عن رسول الله ﷺ في بديع فضلها العظيم وتشريع فعلها ونفعها العميم كقوله ﷺ: «يس قلب القرآن لا يقرأها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر له اقرؤوها على موتاكم»[1] رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وغيرهم.

وكقوله ﷺ: «سورة يس تدعى في القرآن المعمة قيل: وما المعمة يا رسول الله؟ قال: تعم صاحبها خير الدنيا والآخرة، وتكابد عنه بلوى الدنيا، وتدفع عنه أهوال

(1) رواه أحمد (26/5)، والدارمي (548/2).

الآخرة، وتدعى الدافعة القاضية تدفع عن صاحبها كل سوء وتقضي له كل حاجة، ومن قرأها عدلت له عشرين حجة، ومن سمعها عدلت له ألف دينار ينفقها في سبيل الله، ومن كتبها ثم شربها أدخلت جوفه ألف دواء، وألف نور، وألف يقين، وألف بركة، وألف رحمة، ونزعت منه كل غل وداء»[1] رواه ابن زنجويه، وأبو عبد الله الترمذي الحكيم في «نوادر الأصول» والثعلبي في تفسيره.

وكقوله ﷺ: «ما من ميت يُقرأ عنده سورة يس إلا هون الله عليه»[2]، نقله القرطبي في تفسيره عن الآجري في كتاب «النصيحة».

وكقوله ﷺ: «من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف الله عنهم يومئذ، وكان له بعدد من فيها حسنات»[3] رواه الثعلبي.

وقوله ﷺ «إن لكل شيء قلبًا وقلب القرآن يس، ومن قرأ سورة يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات»[4] رواه الترمذي وغيره.

وقوله ﷺ: «من قرأ يس يريد بها وجه الله تعالى غفر الله له، وأعطي من الأجر كأنما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة، وأيما مسلم قُرئت عنده إذا نزل ملك الموت سورة يس أنزل بكل حرف منها عشرة أملاك يقومون بين يديه، ويستغفرون له ويشهدون غسله، ويتبعون جنازته، ويصلون عليه، ويستغفرون له، ويشهدون دفنه، وأيما مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان، ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان»[5] رواه الزمخشري في تفسيره «الكشاف»، والله سبحانه أعلم.

فصل

وأورد الإمام المحقق أبو الحكم عبد السلام بن برجان الأشبيلي رحمه الله في تفسيره

---

(1) رواه الترمذي في «نوادر الأصول» (3/258).

(2) ذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (2/527).

(3) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (5/446).

(4) سبق تخريجه.

(5) ذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (2/526).

في فضل القرآن حديثًا عن رسول الله ﷺ طويلاً برواية أبي بن كعب ؓ من ذكر عظيم فضل الله بصريح العبارة الرسولية النبوية ما يعجز عنه إدراك مبلغ علم العبودية رأيت أن أضعه في هذا المحل من هذا الكتاب تعريفًا بما خص الله سبحانه به شيخنا من عظيم المواهب، وسلوك أخص الطرق، والمذاهب، وتشريفًا لهذا الكتاب ورغبة في أوفر الأقسام من هذا الثواب، وتبليغًا عن رسول الله ﷺ ما أتاه الله من العلم والفضل إلى من لم يعلمه من بعده إلا بهذا التبليغ والنقل، فقد قال ﷺ: «بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»[1].

ورجاء أن أكون ممن يسن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده إلى يوم القيامة، فإن من لم يعلم هذا إلا من كتابي هذا يكون أجره وأجر من بعده إلى يوم القيامة لي إن شاء الله، كما قال ﷺ وإن كنت أنا وهو في صحيفة من قبلنا من المبلغين، والحمد لله على فضل الله وكم عشنا دهرًا لا نعلم هذا الحديث إلى أن جاءتنا به نجائب تبليغ ابن برجان -رحمه الله وجزاه خيرًا- فحصلنا في ميزانه هذا، وكم فاتنا من العلوم والفضائل مما جاء به سفراء الحق من الحق وتلقاه علمًا هذه الأمة فلم يبلغنا إلا بما وضعوه:

بأيـدي التبليـغ في الدفاتر بالبنان	ومـا لفظـوه إلى الحـوافظ باللسان
فـبطون الحـوافظ معادن اللوافظ	وبطـون الدفاتـر كـنوز الجواهـر
فمـن لي بكـنز من كنوز الجواهر	دقـيق خفـي في بطـون الدفاتـر
ومـن لي بأن ألقى عليها بحال من	مـراتعه مـن سـويد الـضمائر
فـيحير ثمـن ليلـى التي أنا طالب	لهـا في حياتـي والدهـور الأواخـر
ويـا أسـفي إن قـيل مـا لي محير	فأخـبط في عـشوا الـضلال كحائر
ومـا الأمـر إلا هكـذا فاحـتكم	وكـن عـبير الهـوى لا تصغين لطائر

قال ابن برجان في تفسير القرآن جاء عن أبي بن كعب ؓ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله أمرني أن اقرأ عليك القرآن، وهو يقرأ عليك السلام فقرأ عليه القرآن، ولما فرغ قال أبي: يا رسول الله! كما كانت قراءتك لي خاصة فخصني بعلم

---

(1) سبق تخريجه.

عظيم ثواب القرآن مما علمك الله وأطلعك عليه، فقال رسول الله ﷺ:...»[1]، وساق من حديث أبي ما ساق.

قال أُبي: ثم أخذ رسول الله ﷺ يخبر عن فضائل القرآن سورة، سورة فقسم آخر مذكورات العالم على الذوات حسنات ودرجات، وقصورًا ومدائن، وممالك من ذهب وفضة ولؤلؤ وزبرجد ونور، ويذكر في أثناء ذلك عن فضائل كلام الله وما جعل فيه من البركات، والنفع به، والدفع عن قارئه في الدنيا والآخرة ويذكر في ذلك من سعة الساحات ما لا يقوم له الدنيا عرضًا، ولا طولاً وقال: في سورة يس: بخ بخ هيهات، هيهات انقطع العلم عما لقارئها عند الله من الكرامة وحسن المآب، قال أُبي بن كعب: قلنا يا رسول الله أقر الله عينك، وأعلى كعبك وزادك شرفًا وكرامة أعظمت رغبتنا فيها فأخبرنا ببعض ما يخف عليك من ذكر ثوابها حتى نكون أعظم الناس رغبة وأشد حرصًا على ابتغاء مرضاة الله تعالى.

قال: «إن لكل شيء قلبًا وإن سورة يس قلب القرآن، وقلب جميع الكتب التي أنزلها الله تبارك وتعالى على جميع أنبيائه ورسله، فمن قرأها ابتغاء وجه الله غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وكأنما قرأ القرآن عشر مرات»[2].

وقال: وسأخبركم بما أذن الله لي أن أخبركم به من ثواب الله لمن قرأ القرآن مرة واحدة في آخره حدثني إذا أنا أتيت على الإخبار عن ثواب سورة يس، فمن قرأ يس وهو جائع شبع، ومن قرأها وهو ظمآن رُوي، ومن قرأها وهو مكروب فرج الله عنه كربه، ثم إلى قوله: ومن قرأها ليلاً فمات من ليلته كان شهيدًا، ومن قرأها نهارًا فمات من يومه مات شهيدًا، ومن قرأها عند ميت أعيذ من عذاب القبر، ومن قرأها في صلاة لم يسأل الله شيئًا إلا أعطاه وقبلت صلاته، ومن قرأها وهو صائم تقبل الله صومه، ومن قدمها بين يدي دعائه استجيب دعاؤه، ومن سأل بها حاجة أعطيها، ومن دعا بها في خير رأى الإجابة، ومن قرأها عند سلطان جائر كُفي بقدرة الله شره، ومن قرأها إذا نزل به ملك الموت نزل بكل حرف منها عشرة آلاف من الملائكة يقومون بين يديه صفوفًا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدونه ويتبعون جنازته، وأيما مريض رآها عند موته قبل أن يحتضر لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة فيسقيه شربة من

---

(1) رواه البخاري بنحوه (3525)، ومسلم (1330).

(2) سبق تخريجه.

شراب الجنة يشربها على فراشه، ثم يقبضه ملك الموت وهو ريان، ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان، ومن قرأ يس في دهره فكأنما أعتق بكل حرف منها ألف رقبة من ولد إسماعيل، ومن قرأها في سنة مرة فله ثواب المرسلين يحاسب بحسابهم وينـــزل منازلهم، ومن قرأها في كل شهر مرة زاحم إبراهيم في قبته وزاره الأنبياء كل شهر يغبطونه بمنـــزلته وشرفه وما جعل الله له من الفضيلة والمنـــزلة، ومن قرأها في جمعة باهى الله به الملائكة، ومن قرأها في كل يوم يقول الله تبارك وتعالى: «عبدي هذه الجنة لها ثمانية أبواب فادخل من أيها شئت فلك جنة من الجنان، جنة الخلد، وجنة المأوى، وجنة السلام، وجنة الفردوس، وجنة النعيم، وجنة الجلال في كل جنة منها بكل حرف من سورة يس ألف ألف مدينة من فضة، ومائة ألف ألف مدينة من ذهب، ومائة ألف ألف مدينة من لؤلؤ، ومائة ألف ألف مدينة من دُر، ومائة ألف ألف مدينة من نور، في كل مدينة ألف ألف قصر، في كل قصر مائة ألف ألف صفة، كل صفة مائة ألف ألف حجرة، في كل حجرة مائة ألف ألف قبة في كل قبة مائة ألف ألف بيت في كل بيت مائة ألف ألف خيمة، وفي كل خيمة مائة ألف ألف سرير، وفي كل سرير مائة ألف ألف ركن، لكل ركن مائة ألف ألف قائمة، في كل قائمة مائة ألف ألف عام من أعوام الآخرة على كل سرير منها مائة ألف ألف حشية من سندس، ومائة ألف ألف من حشية من استبرق ، ومائة ألف ألف حشية من حرير، ومائة ألف ألف حشية من خز، ومائة ألف ألف حشية من إفريز ، ومائة ألف ألف حشية من قز ومائة ألف ألف حشية من ديباج فوق كل حشية منها مائة ألف ألف زربية، على كل زربية مائة ألف ألف مرفقة من نور، في كل ركن من أركان السرير فوق ذلك مائة ألف ألف نمرقة، والسرير من نور وقوائمه من نور، والحشايا من نور، وحشوها من نور غلظ كل حشوة منها مائة ألف ألف عام من أعوام الآخرة، وغلظ كل زربية منها مائة ألف ألف عام من أعوام الآخرة ، وفوق ذلك كله حور يغلب نورها جميع أنوار أنواع ما تحتها مائة ألف ألف ضعف، وبين يدي كل سرير مائة ألف ألف صف من كراسي، كل صف منها مائة ألف ألف كرسي، وذكر الوصائف وضروب الحلي، والحلل، والطيب، والريحان، وذكر نور الحواري وأن نورها يضاعف على نور الشمس مائة ألف ألف ضعف، وذكر طيب ذلك لا الطيب وعظم قدر ذلك الحلي، والحلل وأن جميع الدنيا لو ضوعفت مائة ألف ألف ضعف لم تبلغ جزءً من

ذلك كله، وإن صغر ذلك الجزء، أو ذكر من الفضائل ما لا ينطق اللسان بأكثر منه ولا تهتدي النفوس إلى التفطن إلى أكثر منه»[1].

وهذا وفقنا الله لمرضاته وإياكم لا يطلب عليه دليل ولا يطالب المحدث به عن رسول الله ﷺ بسند ثابت يسنده إليه كالعادة في الأوامر والنواهي وحدود الأخذ والترك، والأصول تشهد له بالصدق، وجملة الوحي بعده الحق الواجب وجوده.

قال رسول الله ﷺ وذكر آخر أهل الجنة دخولاً وآخر أهل النار خروجًا منها، وأنه يعطي مثل الدنيا عشرة أمثالها وقيل: أضعافها، ويعطي من الملك مثل ملك ملك من ملوك الدنيا ومثله معه، ومثله معه، ومثله معه، ومثله معه، فيقول المعطي له: رضيت فيقول له: هذا لك وعشرة أضعافه معه[2].

ويقول في أهل العلية: خلقت كرامتهم بيدي وختمت عليها بختمي، فلم تعلم نفس ولم تسمع أذن بما أعددت لهم، وقال الله جل من قائل: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: 17][3].

ويقول رسول الله ﷺ: «في الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»[4].

هذا ما اطلعتم عليه فكيف بما لم تطلعوا عليه فكله لم تطلعوا وأما ما ذكر من مسافة كقوله مسيرة مائة ألف ألف عام من أعوام الآخرة كله مما خطر على قلب البشر وتصور في علم النفس.

وقال رسول الله ﷺ: «ما الدنيا في الآخرة إلا كإصبع أدخلته اليم فانظر بماذا يخرج منه»[5].

وقال الله جل من قائل وذكر الجنة ونساءها وموجوداتها، ثم قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: 26].

وقد قال رسول الله ﷺ: «بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا

---

(1) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (2/482). (2) رواه البخاري (6204)، ومسلم (189).

(3) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (8/78). (4) سبق تخريجه.

(5) رواه مسلم (5101)

حرج»[1].

هذا يقول عن حالهم في دار الدنيا فكيف بدار لا يقدر قدرها ولا يبلغ الأوهام كنهها.

قال رسول الله ﷺ: «لا يترك قراءة «يس» إلا جاهل أو محروم، فتعلموها فإن لكم بها في عاجل الدنيا بكل حرف ألف ألف حسنة، وألفي ألف درجة، ويمحي بها ألف ألف سيئة، ألا وإن الحسنات مضاعفة، وإن الدرجات مضاعفة ما بين الدرجتين مقدار السبع السماوات إلى مبلغ الهواء، وفي كل موضع شجرة ونهر مثل النيل والفرات مائة ألف ألف ضعف؛ فطوبى لمن قرأها احتسابًا، وكان هذا ثوابه مع ما له عند الله من المزيد، ومن قرأها وعلمها غيـــره فله ثواب المتحابين في الله، وثواب الصديقين فتعلموها وعلموها واختموا قراءتها على كل حين إلا من كان جنبًا حتى يطُهر».

قال: وقد قال: بقي من ثواب «يس» ما لو قام الأنبياء والمرسلون في الدنيا منذ خلق الله الدنيا حتى ينفخ في الصور ما قدروا على وصف ما في قصر من قصوره، ولو عاش كل رجل منهم مائة ألف ألف عام بعد ذلك، ثم وصف لكان ما بقي من ثوابها أفضل، وأكثر من ذلك. انتهت نبذة ابن برجان -رحمه الله وجزاه خيرًا.

وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت : قال رسول الله ﷺ «إن من القرآن سورة تشفع لقارئها وتستغفر لمستمعها ألا وهي سورة يس» رواه الثعلبي.

وكان شيخنا أبو المعروف -قدس الله سره العزيز- إذا فرغ الناس من دفن الميت وعزاء أهله رجع بالناس إلى قبره وكرر قراءة يس عنده، وقال: أنه مما يؤنسه من وحشة الملكين.

وروى عنه أنه قال: ما وقفت على ميت إلا وقرأت له يس ست مرات مرة عن يمينه، ومـــرة عـــن شمالـــه، ومـــرة مـــن أمامـــه، ومـــرة من خلفه، ومرة من فوقه، ومرة من تحته.

وكان ﷺ يقول حال الشروع في قراءة «يس»: اللهم إنا بلغنا عن نبيك محمد ﷺ أنه قال: «يس لما قرئت له»[2] اللهم إنا نقرأها مستشفعين بها إليك يا الله، وتنوي ما تريد بقراءتها له، وهذا اللفظ أورده الإمام أحمد أبو عبد الله العمراني في كتاب جامع أسباب

---

(1) سبق تخريجه. (2) ذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (526/2).

الخبرات، أن النبي ﷺ قال «يس لما قرئت له».

وكان يقول إذا فرغ من قراءتها وقراءة غيرها من القرآن: اللهم إني أهديت ثواب قراءتي هذه لموتى المسلمين، أو لفلان، اللهم إنا أشركناهم في ثواب ذلك، اللهم أورد عليهم منك روحًا، ومنا سلامًا، ولفظ الهدية قد ورد عن رسول الله ﷺ برواية ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «من قرأ آية الكرسي مرة واحدة، وأهدي ثوابها لأهل المقابر من المسلمين لم يبق على وجه الأرض قبر إلا دخل عليه منها نور ورحمة وحسنة».

وكان شيخنا ﷺ يفتتح قراءتها بأم القرآن وآية الكرسي، وكان إذا حضر ميتًا يعرف حال الميت بما يظهر عليه من الأحوال، ويتحقق ما قدم عليه وما آل إليه، وكان يحرص على حضور المحتضرين ويعظم شأن الاحتضار ويشير إلى ما يرد فيه الميت من كرائم البشائر، وعظائم الأخطار، وكان كثيرًا ما يحكي ما يشاهده منهم وفيهم وعليهم على اختلاف طبقاتهم، وتفاوت أحوالهم ومقاماتهم، وكان إذا دخل على المرضى يعلمهم حسن الأدب مع الله، والنظر إليه، وألا يشكوا ما بهم على سواه ولا يتعلقوا بغيره ولا يعتمدوا إلا عليه ويعلمهم حسن الظن بالله ويشوقهم إلى لقاء الله، ويعرف منه من تصريح عباراته أو تعريض إشاراته، إما حصول مماته، أو برؤه، ومعافاته،وكان قدس الله سره كثير الرقة والخشوع لا تزال دموعه سائلة وعيناه فياضتين بالدموع وهو يقول القائل أحق، ولقول القائل فيه أصدق:

ومـــا شـــنتا جـــرفاء واهين العُرى	ســـقى بهـــا ســـقى ولم يتـــبللا
بإصـــبع مـــن عينـــيك بالدمـــع	كلما تذكرت ربعًا أو توهمت منـــزلاً

وكان بكاؤه يتنوع بتنوع الواردات وبحسب مقتضى المسموعات، والمتعلقات، فتارة تكون دموعه سائلة مستمرة من غير تقطع، وهو ساكن من غير حركة، ولا تفزع، وتارة يكون بكاؤه بأصوات، وانتحاب، وحركة، وحرقة، واكتئاب، وتارة كهيئة النوادب الثكالى وهو يتمايل يمينًا، وشمالاً، وتارة يتغير لونه ويستحيل كونه ويقوم شعره، ويملأ وجهه بصره، وتمتلئ القلوب من هيبته وتكل الأبصار عن رؤيته، فحينئذ يرمي دمعه من حلقتي عينيه كرمي السهام ولا يبقى في تلك الحال بين اثنين في حضرته مناظرة ولا كلام، بل يشتغلون به عما هم فيه ويكون لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه تراهم قعودًا حوله وعيونهم منكسة أبصارها ما تنصرف، ورأيته يبكي والدموع ترمى من عينيه رمي السهام

إلى حجر بين يديه وما بكى قط إلا وأبكى غالبًا من حضر وانتحب وغالب الناس يبكي من غير موجب ولا سبب، وإنما يفيض على الحاضرين مما هو فيه من الحال وإن لم يخطر موجب البكاء لهم على بال وفي ذلك قلت:

إذا مـــا بكـــت ثكلـــى لفقد حبيبها ... رق وأبكـــى كـــل حلـــو بكاؤهـــا

وإن لم يكـــن شـــجو لهم كشجائها ... فهـــم بـــبكائها قـــد شجاهم شجاؤها

وأخبرنا غير واحد أن كثيرًا من الناس يكونون في بيوتهم وفي متحدثاتهم مع البعد من حضرة الشيخ، وعدم علمهم بحاله فما يشعرون إلا وهم يبكون، ولا يعلمون ما أبكاهم ويكون ذلك الوقت هو وقت بكاء الشيخ ﷺ، وكان عليه من الهيبة، والجلال ما يتضاءل دونه جحاجحة الرجال فهو كقول من قال:

إذا ابـــتدا واجـــتبى بالسيف دان له ... شوس الرجال خضوع الجرب للطالي

كأنهـــا الطـــير مـــنهم فوق هامهم ... لا خـــوف ظلـــم ولكن خوف إجلال

وقيل:

تـــرى عظمـــاء الناس للشيخ خشعًا ... إذا مـــا بـــدا والـــشيخ لله خاشـــع

تواضـــع لمـــا زاده الله رفعـــة ... فكـــل رفـــيع عـــنده متواضـــع

وكان عليه من البهاء، والجمال ما يملأ القلوب، ويسر العيون من محاسن الذات، والصفات، والأحوال، وفيه أقول:

يـــسر العـــيون ويحيـــي القلـــوب ... خلـــق تكامـــل حـــسنًا وتم

إذا مـــا رأتـــه العـــيون انجلـــت ... خواطـــر رائـــيه مـــن كـــل هـــم

وكما قيل:

إذا نظـــرت إلى أســـرة وجهـــه ... بـــرقت كـــبرق العـــارض المتهلل

وكان ﷺ حسن الخلق يجيب من دعاه ويكرم من أتاه، ويحيي بأحسن التحية من حيّاه يمشي في حوائج الناس بالسعايات لذوي الحاجات، والشفاعات لأرباب الظلامات، والحمالات لأهل الخطأ، والجنايات حاشا حدود الله الواجبات وفيه قلت:

لـــه خلـــق في الـــناس فالكل منهم ... لـــه مـــنه ســـهم وافـــر ونـــصيب

إذا جـــاءه جـــاءٍ أعـــز مكانـــه ... ويدعـــي إلى حاجـــتهم فيجـــيب

وكان له من سياسة الأمور ما يعجز عنه كمل الرجال، وإذا سعى لأحد إلى غريم في إمهاله أو في حط شيء من الدين، أو البراءة منه، وإبطاله أخذ أولاً في تغليظ القول للمدين وإن هذا الوصف قادح فيمن يعامل الناس ويشين ثم يعطف بالملاطفة للغريم، والثناء عليه، ويشكره على الصبر والإحسان إليه، وكذلك كان سعيه لذوي الجنايات فإنهم لا يستحقون الشفاعة في العفو عما ارتكبوه من سوء الأدب، والمخالفات، وإنما لا يؤتى إلا أهل الفضل والمروءة فما يكون أبلغ من ذلك في الإسعاف بالمطلوب، ولا أنفع منه في انعطاف القلوب وفيه قلت:

لـــه في ســـعايات الأمـــور سياســـة ... يـــنال بهـــا مـــا يبغـــي ويـــريد

ويـــسهل مـــنها مـــا يريد حصوله ... ولـــيس علـــيه مـــا يـــريد بعـــيد

وكما قيل:

ويطـــيعه الأمـــر العـــصي كأنـــه ... عـــبد إذا نـــاداه لـــبى مـــسرعًا

وكان شديد الخوف من الله حتى وإن لم يكن له حسنة يرجوها عند الله إن ذكر شأن الموت، والبرزخ، والآخرة بكى، ولا سيما إذا ذكر الحضور بين يدي الله واللقاء، وكان حسن الظن بالله حتى كأن لم يكن فيه شيء من خوف الله يبشر ولا ينفر، وييسر ولا يعسر، ويرجي ولا يحذر، وفيه قلت:

قـــد تـــساوى الخـــوف منه والرجا ... فكـــل الأمـــرين فـــيه قـــد كمـــل

خائـــف راجٍ حـــزين ضـــاحك ... جمـــع الأضـــداد فـــيه فاعـــتدل

وكان ﷺ شديد المحبة في الله حتى كان يحبب الله إلى عباده ويحبب عباد الله إلى الله متبعًا في أقواله، وأحواله، وأفعاله لرسول الله ﷺ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: 31].

وكان ﷺ شديد الشوق إلى الله وإلى لقائه حتى ما كان أشد عليه في الدنيا من مدة بقائه.

وفيه قلت:

إذا ذكـــر اللقـــا يـــود أن لا ... يعـــود إلـــيه مـــن نفـــس تنـــسم

وكما قيل:

قالـــوا اللقـــا بمنعـــرج اللـــوا ... يـــا طـــول لـــيل المستهام إلى غد

وكان شديد الولع بالله كولع الطفل بالشيء في يديه ولا يقر قراره ما لم يكن ذلك الشيء نصب عينيه كولوع الطفل بالشيء الذي في يديه مشهود، وفيه قلت:

لا يطيق الصبر عنه لحظة فهو من فرط الهوى عين جود

وكان -قدس الله سره- كامل المعرفة بالله حتى كان وصفه وصفًا معروفًا مع خلق الله على حكم كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

ورأيت من كمال معرفته أنه كان في مرض موته يظهر وصف العبودية، والعجز، والضعف، والذلة، والافتقار، والخشوع، والخضوع، والخوف، وطلب الدعاء من كل أحد فرارًا من مقاومة القدرة والقهر بقوة الجلد، والصبر أدبًا مع الله ومعرفة وتحقيقًا بأن كل مسئول هو الله وتحققًا بالعبودية لله، وتخلصًا من أوصاف الربوبية وفناءً بالرجوع إلى العدم الأصلي كما لم يكن وبقاءً ببقاء الوجود الأزلي كما لم يزل، وكان مدة عمره مشغولاً بالله لا يتقيد بكون من الأكوان، وإن رؤي في شيء فهو فيه بالله لله من غير غفلة، ولا نسيان متحققًا بمقام الذكر في الأقوال، والأعمال، والحركات، والسكون، والأحوال فهو ذاكر لله على كل أحيانه حتى إذا نام سمع منه قول الله، الله بلسانه، وفيه قلت:

ذاكر الله حالاً وكذا ذاكر الله قولاً وعمل

فهو بالله مع الله له ليس فيه لسوى الله محل

كان بالله في الخلق كما به قد بان عنهم فكمل

وكان ﷺ دائم الحضور مع الله ويقول: ما ثم أحسن من دوام الحضور مع الله، ولا يزال يكرر ذلك في المجالس ويعظم مقام الحضور.

قال في ذلك شيخ المحققين من أهل الله محيي الدين بن العربي ﷺ: وهو يعني دوام الحضور مع الله غاية ما يقدر عليه رجال الله، وأهله قليلون فإنه مقام ضيق جدًا، وأكبر من كان فيه الصديق أبو بكر ﷺ.

قلت: وهو من مقامات الكمال المحمدي، ومنه كان ﷺ ذاكرًا الله على كل أحيانه، وهو موروث لشيخنا -قدس الله سره- من الكمالات المحمدية والحمد لله رب العالمين.

وكان ﷺ إذا تكلم في علم التوحيد صار غريبًا، وإذا رأيته في السماع رأيت أمرًا عجيبًا يهابه كل من رآه، ويخضع له كل من لاقاه ناطقًا بالحكم فاتقًا لرتق جوامع الكلم، كلماته مفاتيح القلوب، وآياته مصابيح الغيوب، موضع نظر الله ودافع البلاء عن خلق الله،

تحيا القلوب بمشاهدته، وتجتنى ثمار العلوم من محادثته، حضراته رياض الربيع، واجتماعاته على جمع العموم على الشأو الرفيع، فهو ربيع تشم أزهاره وخريف تجتني ثماره، وكهف يلجأ إليه، ومورد عذب يزدحم عليه، ومعدن تستخرج لآلئه صائن قلبه عن أن يدخله، وحديثه مع الله، ونطقه عن الله، وقيامه بالله، وأخذه من الله، ونظره في الله، ورحلته إلى الله وقطنه عند الله فما له معروف سواه، ولا مشهود إلا إياه، وكان في المجلس، والسماعات، ومجاراة الأيات تظهر عليه أحوال جميع المقامات، ويتكلم بلسان كل مقام بأحسن العبارات، فتارة يكون تائبًا يبكي ويسأل التوبة ويظهر الندم، ويتكلم في أحكام التوبة ومقامها، وتارة يكون مجاهدًا لنفسه راكبًا لمشاق الأمور يأمر بذلك ويحث عليه، ويذكر ما للمجاهدين في الجهاد مما يرغب فيه ويندب إليه، وتارة مسلمًا، وتارة راضيًا لا يصدر منه ما يدل على رد شيء في العالم، وتارة عارفًا يسمع بلطائف الإشارات ويتكلم بجوامع العبارات، وتارة محققًا يأخذ من كل شيء ويعطي من كل شيء، ويؤتي كل ذي حق حقه، ويوفي المقامات، ويومئ إلى العلامات، ويوضح المبهمات، ويحل المشكلات، وتتوالى عليه الواردات وتترادف عليه التنــزيلات الغيبيات، ويرتقي بالمعاني الروحانيات إلى أوج الانتهاءات يرقى من شيء إلى شيء، ومن حال إلى حال، ومن مقام إلى مقام، ومن كون إلى كون، ومن طور إلى طور، ومن معرفة إلى معرفة، ومن حقيقة إلى حقيقة، ومن شهود إلى شهود، ومن وجود إلى وجود، وتارة يُعرف وتارة يُجهل، وتارة يُؤنس، وتارة يُوحش، وتارة يُقبض، وتارة يُبسط، وتارة يأخذ، وتارة يعطي، وتارة تتغرب في حاله فلا يكون له أهيل ولا إلى معرفته سبيل مجهولاً يعرف ونكرة لا تتعرف:

تقــرب حــتى لــو تركت امتداحه لكــنت إلى العــرفان أســبق سابق

ومــاذا عــسى أني أقــول ووصفه يعــز ارتــاقًا عــن تطــرق فاتــق

وكان يظهر عليه في السماعات من آثار المنازلات الربانية والتجليات الإلهية والعلوم الذاتية ما يرى على صورته ويشهد حتى أن صورته تتلون في أعين الناظرين بما لا يعهد، وهو مع ذلك يتكلم مع الناس فيما يفهمون من تبين معاني السماع، وما يحصل به لهم الانتفاع من توجيه سماع الألفاظ المشكلة الغزلية الخلقية وحملها على الأوصاف الإلهية الحقية، ويذكر الناس الموت، والقبر، والقيامة، والجنة، ويشوقهم إليها والنار ويحذرهم منها،وقد يأمر بقراءة شيء من المواعظ والمرغبات، والمرهبات، والدقائق، والمزهدات فيجمع بين الدعاء إلى الله بتعليم عباد الله وبين ستر مقامه على غير أهل الله، فيكون باطنه

في خصوص البواطن الخفيات، وظاهره في عموم الظواهر الجليات، وهذا حال أكابر الورثة المحمديين والكُمل من المحققين الإلهيين أرباب التمكين في التلوين، والتلوين في التمكين.

وكان ﷺ ممكنًا في مقامه على بينة من ربه وعلامة، غارقًا بحركاته المستأنفة على يقين من تحصيل أحواله السالفة وكان ﷺ يبتدئ السماع ويختمه بالقرآن، ويتخلل أكثر أوقاته بقراءة «يس» وكلما كثر الجمع في السماع كان ذلك منه أكثر اختتامًا لكثرة قراءتها، واهتمامًا بما يحصل لهم من عظيم بركاتها وإذ كثر اللغط، وارتفعت أصوات العامة وحصل من التفويش، والتشويش ترك السماع وأمر بقراءة «يس»، فحينئذ يجيء الحق ويثبت أهله في المكان، ويزهق الباطل ويخرج أهله يقودهم الشيطان ولا يزال يكرر قراءة «يس» حتى يصفو الوقت ويذهب الكدر والمقت، وكان يخدم حضرة السماع بتعديل خلقتها وتحسين هيئتها بحيث لا ينبو صدر أحد عن أحد، ولا يزال يتفقد أحواله، وأحوال حاضريه إلى أن ينقضي، ولا يفسح للمتخبطين، ولا للمغلطين، ولا للمغلفطين، ولا للمشوشين ولا للمفوشين من المتحركين، بل يعلّم حسن الحركة من يفيده التعليم ومن لا يفيده التعليم يأمر بحفظه إن كان صادقًا، أو بإخراجه إن كان كاذبًا ويتخير لختم السماع أحسن القول، وأحسن الأوقات التي تحصل فيها الرقة، والخشوع، والرحمة، والبركات، ولا يختمه على حين فترة، وملل، ولا على حال سآمة، وكسل وقد ينطق عن أسرار المنكرين ويظهر ما يخفيه بعض الحاضرين.

كان ﷺ يعلم أصحابه أعلى الهمم إلى أوج التخلق بالعوارف الإلهيات ويرقيهم إلى التعلق بالمعارف الذاتيات، ويحذرهم أن يخلدوا إلى حضيض المواهب، والكرامات من قلب الأعيان وخرق العادات حتى أنهم بحمد الله كما قال القائل:

فلـــو أن الـــسما دنـــت لمجـــد ومكـــرمة دنـــت لهـــم الـــسما

ورأيته ليلة في سماع وبعض أكابر أصحابه يتحرك على شيء من القول، فأخرج القوال من ذلك القول إلى قول آخر، فكاد ذلك المتحرك يحترق من قوة الوارد، فتلطف بالشيخ في إبقاء القوال على قوله الأول فقال له: اتركه لي لله وقل: [ها أنت وربكِ] فتبسم ﷺ وترك له القوال، وقال: أنا أقول لأصحابي اسمعوا في الذات وهم مع الأسماء، والصفات، وسمعنا والله من ذلك المتحرك من علوم المنازلات ورأينا عليه من آثار التجليات ما يُعرف وما لا يُعرف.

وأخبرنا شيخنا العارف بالله أحمد الرداد أعلى الله مناره وبسط أنواره أنه حضر مع الشيخ سماعًا فتحرك بعض المشايخ، وكان يقول في حركته الألف، الألف فقال له

الشيخ ﷺ: إلى متى يكون مع الألف؟ قلت: أراد الشيخ ﷺ والله أعلم أن يرقى هذا الرجل إلى ما هو أعلى وأكمل من إشارة دلالة الألف هذا، والألف إشارته عالية ودلالته سامية، قال المحققون من أهل الله فيه: أنه ليس بحرف وإن قيل أنه حرف فمن طريق التجوز في العبارة، ومقامه مقام اسم الجمع له من الأسماء اسم الله، وله من الصفات القيومية، فالألف ذات واحدة لا يصح فيها اتصال شيء من الحروف إذا وقعت أولاً في الخط فهي الصراط المستقيم في قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: 6] التنـــزيه والتوحيد، والألف لا تقبل الحركة والنطق بالهمزة فهو مجهول، والذات لا تُعلم أبدًا على ما هي عليه، فالألف الدال عليها الذي هو في عالم الحروف خليفة كالإنسان في العالم المجهول أيضًا كالذات.

قلت: فإذا كان شأن الألف هذا فالله أكبر ما أكمل من شيخنا معرفة بالله، وما أقواه عزيمة، وأعلاه همة في الله وعزمة بعثها همة رجل من تحتها مكان الترب من رجل، فكل حاصل خلف ظهره ووجهه متوجه أبدًا لطلب المزيد وفيه قلت:

وكــل مــا عــز مــن شأن فهو به ... بــصره قــد راق هكــذا أبــدًا

ولــيس في شــأنه حــد يقــال له ... هــذه الــنهاية أو يعطــى لــه أمدًا

وكما قيل:

اصــحب عــوالي المعاني تحت وطأته ... تحــط فــوق ذُراهــا فاضل الأرد

فالعارفون أبدًا في الترقي، وطلب المزيد والله من ورائهم محيط، وفيه قلت:

مــن ذا الــذي في غاية لبس نفسه ... إلى غايــة أخــرى ســواها تطلــع

وكان سلوكه يحفظ قلبه ألا يخطر به غير الله كما سمعته يقول: لم ننشأ على الخلوة، والصيام، والقيام، وإنما نشأنا على الولع بالله، واستقامة القلب معه، وكنت أجد قلبي مستقيمًا فإذا حصل عليه شيء من الخواطر أحسه يسقط حتى كنت أقبض عليه بيدي وأقيمه.

قلت: وهذا كان حاله في أيام البداية، وهو حال كثير من الواصلين في النهاية «حسنات الأبرار، سيئات المقربين» طيارًا في سلوكه لا سيارًا لا يقف مع المقامات ولا يلوي على العلامات.

وكان يقول: أصحابنا يقفون في المقام اليوم، واليومين، والشهر، والشهرين، والسنة، والسنتين، وأنا لا أقف فيه إلا لحظة واحدة، وكان يقول: كنت ليس لي في الأعمال اختيار إنما كانت أعمالي بحكم الواردات.

قلت: وهذا من تربية الحق كما قال: أنا تربية الحق، وهذه المقالة فيها إشارة لطيفة وأسرار شريفة منها أن الله سبحانه تولاه بعنايته ووالاه برعايته، فلم يجعل لغيره عليه منة، ومنها الدلالة على كمال الإرث المحمدي؛ فإن رسول الله ﷺ قال: «أدبني ربي فأحسن تأديبي»[1].

وأخذ ﷺ علوم الطريق، والتحقيق بالوهب من علوم المنازلات وما نطق به منها كان موافقًا لنصوص المحققين.

وكان -قدس الله سره العزيز- مملوءًا سنة مشغولاً بها في أقواله وأفعاله وأحواله، حافظاً لمأثوراتها محافظاً على المؤقت منها في أوقاتها، وعلى المسببة عند أسبابها، وكم كنا نرى منه من الأعمال، ونسمع منه من الأقوال، ونشهد عليه من الأحوال مما لم نكن قد علمناه من السنن المأثورة، ثم علمناه بعد من الكتب الأمهات المشهورة، وكان ﷺ يحب الاجتماع، إما على تلاوة، أو ذكر، أو مذاكرة، أو سماع، دائمًا على ذلك ملازمًا حتى في أوقات الأوجاع وكان أحب المجالس إليه ما كثر جمعه، وكثر فيه قراءة القرآن وعمَّ نفعه.

فصل في ذكر
طريقته إلى الله سبحانه وتعالى

التي قطع عليها عمره وربي فيها أصحابه، وانتشرت عنه في الآفاق الواسعة، استحسنها أهل العلم والأذواق، وكانت جمع الناس على تلاوة كتاب الله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وهذه طريقة ظاهرة واضحة بينة منيرة لائحة طريقة الأئمة الداعين إلى الله الهادين إليه المعرفين به الدالين عليه، ويتصدقون بثواب قراءتهم وذكرهم على أموات المسلمين إيثارًا وفتوة، وإخلاصًا، وعبودية، فإن قيل: إن إثباتهم ثواب الأعمال دليل على رؤيتها، ورؤية ثوابها قلنا: إنما هي رؤية إثبات ما أثبت الله سبحانه وتعالى للعالمين، وما أوجبه على فضله من استجابة السائلين لا رؤية طلب للثواب ولا خروجًا عن الإخلاص، والصواب، فالعمل من لوازم العبودية، والثواب من مكارم الربوبية جزاء من الله سبحانه لعبده على الأعمال بما أوجبه على نفسه بالمنِّ والإفضال فقبوله على العبد واجب، ورده غير صائب والله أعلم.

فصل

ولا خفاء أن القرآن الكريم كلام الله سبحانه، وصفته القائمة بذاته فهو أفضل ما

---

(1) ذكره المناوي في «فيض القدير» (225/1)، والعجلوني في «كشف الخفاء» (72/1).

ذكر الله به من تسبيح، وتحميد وتهليل، وتكبير وتمجيد، وأقرب وسيلة إليه من دعاء واستغفار وتعبد، وما عظم به من ثناء ووصف وتوحيد، وشواهد الآيات الإلهية، والتبليغات النبوية الرسولية شاهدة قطعًا بذلك، فما جاء في القرآن معلوم لا يحتاج إلى ذكره هنا، وما جاء في السنة نورد منه ما أراد الله إن شاء الله برواية شيخنا أبي المعروف الذي أراد الله لي وله الحمد خدمته وعرفني طريقه وسنته.

أخبرنا شيخنا ﷺ بالإسناد إلى أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال:

«يقول الرب سبحانه وتعالى: من شغله القرآن عن ذكري وعن مسالتي أعطيته افضل ما أعطي السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه»[1] رواه الترمذي وأبو محمد الدارمي.

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قرأ حرفًا من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول «الم» حرف ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»**[2]

وعن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما تقرب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه»**[3] رواه الترمذي، قال أبو النصر: يعني: القرآن .

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«يجيء القرآن يوم القيامة فيقول: يا رب حلة فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يا رب زده فيلبس حلة الكرامة، ثم يقول: يا رب ارض عنه فيرضى عنه، فيقال له: اقرأ وارق»**[4] ، ويراد به كل آية حسنة، رواه أبو داود وغيره.

وفي رواية لعبد الله بن عمر —رضي الله عنهما: **«فإن منـــزلتك عند آخر آية تقرؤها»**[5].

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن لله أهلين من الناس قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ قال: أهل القرآن هم أهل الله وخاصته»**[6] رواه الإمام أحمد.

---

(1) رواه الترمذي (2926). (2) رواه الترمذي (2835).

(3) رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (1/136).

(4) رواه الترمذي (2839)، وأحمد (6508).

(5) رواه أبو داود (1252)، والترمذي (2838)، وأحمد (9706).

(6) رواه أحمد (12301).

قلت: فما أعظم هذه الفضيلة العظيمة وما أكرم هذه الرتبة العلية الكريمة، وما أشرف هذه النسبة في الأنساب، وما أوصل هذه الصلة في الأسباب، وقد طرز مرسوم هذه الإشارة مرقوم صريح العبارة من قوله ﷺ:

«كل سبب ونسب منقطع إلا سببي ونسبي»[1] فالحمد لله رب العالمين الذي جعلنا من أهل الله وخاصته بأهلية القرآن وتلاوته ونسبته.

وأقول:

فمَنْ كَان أهلَ اللهِ عزَّ جلاله	وخاصته مَنْ ذا يُدانيهِ في النسب
وأيُّ انتسابٍ بعد هذا كمثلهِ	وأيُّ أنسابِ الصِلاتِ كذا النسبِ
خصوصًا للاسمِ الأعظمِ الله أنه	هو الجامع للأسماءِ والوصف والنسب
على كلِ اسمٍ بل ووصف مُهيمنٍ	الوهية العُليا جامعة الرُتب
هنيئًا لنا ماذا خصصنا به وماَ	وَهَبْناه والحمدُ الطليقُ لمنْ وهب
فيا أمةَ الحمدِ أحمد والمحمد	فمحمود حَمدُ اللهَ فقد وجب
فيسعدُ لَما استوى ببرجٍ كماله	كمال خلافات الظهور فما احتجب
وما بعدُ ذَا إلاَ الإشارة بَلْ	ولا الإشارة جلّ اللهُ طالب مَنْ طَلب
وإلاَ على عينِ الوجودِ وسعده	صلاةُ اللهِ جامعةُ القربِ

وكانت مجالس شيخنا أبي المعروف عرف الله من عوارفه لتلاوة كتاب الله تعالى، والصلاة على رسوله محمد ﷺ حِلقًا، والحِلق من السنة وسماها رسول الله ﷺ رياض الجنة فيما أخبرنا به هو ﷺ مما يرويه بطريق الترمذي -رحمه الله- من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مررتم برياض الجنة؛ فارتعوا ،قالوا: وما رياض الجنة يا رسول الله؟ قال: حلق الذكر »[2] .

وحِلق الذكر حضرات المذكور- جل وعلا- فمن آوى إليها، آوى إلى الله، ومن آوى إلى الله آواه الله، جاء ذلك عن رسول الله ﷺ.

أخبرنا به شيخنا ﷺ بسنده إلى البخاري ومسلم -رحمهما الله تعالى- عن أبي واقد

---

(1) سبق تخريجه.

(2) رواه الترمذي (3510)، وأحمد (12545).

الليثي ﷺ أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهبًا فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم عن النفر الثلاثة: أما أحدهم فآوى إلى الله فآواه الله، وأما الآخر فاستحيى، فاستحيى الله منه، وأما الآخر فأعرض، فأعرض الله عنه»[1].

وحاضر حلقة الذكر يباهي الله بهم الملائكة، جاء ذلك عن الله بلسان رسول الله ﷺ بإخبار شيخنا -قدس الله سره العزيز- مما يرويه عن الإمام مسلم والترمذي وغيرهما من رواية أبي سعيد الخدري عن معاوية ﷺ أن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال فيما قال: «أتاني جبريل ﷺ فأخبرني أن الله ﷻ يباهي بكم الملائكة»[2].

وكذلك تحفهم الملائكة بأجنحتهم إلى سماء الدنيا، كما قال رسول الله ﷺ فيما أخبرنا به شيخنا أبو المعروف ﷺ فيما يرويه بأسانيد.

وعن البخاري، ومسلم، والترمذي وغيرهم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله ﷻ تنادوا هلموا إلى حاجتكم»[3].

قال الشيخ محيي الدين بن العربي: فإذا وجدوا الذاكرين من أهل القرآن بالقرآن فلا يقدمون عليهم أحدًا من مجالس الذاكرين بغير القرآن، فإذا لم يجدوا ووجدوا الذاكرين الله لا من كونهم تالين قعدوا إليهم، وقالوا: هلموا إلى بغيتكم.

قلت: وهذه نكتة في فضل مجالس القرآن، وهي مجالس شيخنا، والحمد لله.

وفي هذا الحديث: «فيحفونهم بأجنحتهم إلى سماء الدنيا»[4].

قال شيخنا الإمام أحمد الردّاد: يحفونهم حِلقًا، حِلقًا دوائر كهيئة خلقتهم حلقة فوق حلقة إلى سماء الدنيا.

قلت: فعلى ما قال تكون هذه الهيئة أعجب الهيئات وحضرة أغرب الحضرات.

وفي هذا الحديث: «فيقول الله ﷻ: فأشهدكم أني غفرت لهم، قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، وإنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساء لا يشقى بهم

(1) رواه البخاري (66)، ومسلم (2176).
(2) رواه مسلم (2701).
(3) رواه البخاري (6044).
(4) رواه البخاري (5929)، ومسلم (4854).

جليسهم»[1].

وجاءنا عن رسول الله ﷺ في فضل الذاكرين وفضل مجالسهم، ما أخبرنا به شيخنا الأكبر ﷺ مما يرويه عن مسلم، والترمذي وغيرهما من رواية أبي هريرة، وأبي سعيد الخدري ﷺ أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يقعد قوم يذكرون الله ﷻ إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده»[2].

وجاء في فضل الاجتماع على تلاوة كتاب الله ما أخبرنا به شيخنا ﷺ بسنده إلى مسلم فيما يرويه من حديث أبي هريرة ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ...» وساق الحديث، وفيه: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»[3].

وجاء أيضًا عن الله بلسان رسول الله ﷺ بإخبار شيخنا ﷺ فيما يرويه عن الترمذي -رحمه الله- من حديث أبي سعيد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «يقول الرب تبارك وتعالى: من شغله القرآن عن ذكري ومسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين»[4].

وأخبرنا شيخنا ﷺ من طريق الترمذي بسنده إلى عليّ بن أبي طالب ﷺ قال: أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنها ستكون فتنة؛ فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟

قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن أصبح يبتغي الهدى من غيره أضله الله هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلبس به الألسنة، ولا تشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾ [الجن:1:2]، من قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه دعا إلى صراط مستقيم»[5].

---

(1) سبق تخريجه. (2) رواه مسلم (2700)، (4868).

(3) سبق تخريجه. (4) رواه الترمذي (2850).

(5) رواه الترمذي (2906).

وأفضل الأحوال الاجتماع على الذكر، والقرآن في كل مشهد.

فهذه كانت طريقة شيخنا ﷺ هو وأصحابه في سائر البلاد، والأقطار، والقرى، والأمصار في سائر أوقاته مدة حياته، وهي كذلك باقية إلى يوم القيامة إن شاء الله في أتباعه بعد وفاته، فهم جلساء الله حاضرون في حضرة الله مع الله في حضرة قدس جلاله وحضيرة أنس جماله آخذون عن الله بحكم مقتضى الحضرة من الفيض الإلهي القدسي، مفيضون على جلسائهم من الوهب الرباني الأنسي أووا إلى الله فآواهم الله، يباهي الله بهم الملائكة في حضرتهم وتحل بهم الملائكة، وتقف معهم وتحفهم بأجنحتها، وتغشاهم الرحمة من أرحم الراحمين، وتنـزل عليهم السكينة من رب العالمين، ويذكرهم الله جل وعلا فيمن عنده من الملأ الأعلى ويعمهم الله، ومن جالسهم ولو جاء لحاجة بغفرانه العميم، فإنهم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم، والله ذو فضل عظيم.

فما أفضل هذه الطريقة في الطرائق، وما أكمل ما لصاحبها من الله من المواهب، والمعارف والحقائق، أوضح الطرق، وأظهرها، وأبينها، وأنورها، وأيسرها، وأقربها، وأحسنها، وأعجبها، وألطفها، وأغربها، وأجمعها، وأنفعها، وأعمها نفعًا وأوسعها، اختص الله بها شيخنا فهي له من خصوصيات المواهب، والكرامات، والمناقب، وأثنى بها رسول الله ﷺ عليه وفضله بها عنده ولديه، وحقق اختصاصه بها دون من سواه في مبشرة رآها بعض أكابر أولياء الله فسأل رسول الله ﷺ من أفضل الشيخ إسماعيل أو فلان لبعض أكابر أولياء الله؟ فقال ﷺ الشيخ إسماعيل أفضل عندي فقال له: بماذا يا سيدي يا رسول الله فقال: لأنه سلك طريقًا ما سلكها أحد غيره يعني ﷺ والله أعلم بالطريقة الاجتماع على تلاوة القرآن صدقة على أموات المسلمين من هذه الأمة المحمدية وسائر الأمم الأقدمين، فما سمعنا لغير شيخنا ﷺ فيما تقدم ولا علمنا أن أحدًا نصب له فيها للهداية علم، وإن كان لا يخلو أحد من الشيوخ ﷺ من مجالس معقودة، وحضرات مشهودة، وأوقات معلومة معدودة، وأذكار وأوراد، وعلوم تستفاد، واجتهاد، ورياضات، وأعمال، وخلوات، فهذه الطريق التي قطع الشيخ بها عمره الطويل من الاجتماع في الحلقات على تلاوة كتاب الله تعالى، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ خلا الصلوات، بل في سائر الأوقات والهدية لثوابهم إلى أموات المسلمين من هذه الأمة المحمدية، وسائر الأمم الأقدمين لم يكن لغيره فيما علمنا من السابقين وهو إمام من تبعه عليها من اللاحقين.

وقد انتشرت هذه الطريق بحمد الله وبركته في سائر الطوائف من الصوفية، والفقهاء، وأعيان الناس وغيرهم اقتداءً بالشيخ ﷺ فيها واستحسانًا لها وتبركًا بها، وكل

أحد يأخذ بها من الله بحسب استعداده وعلمه، ومقتضى مقصده وفهمه، فقوم يطلبون الله بها، وقوم يطلبون بها ما من الله، وقوم يستمدون بها الخيرات، وقوم يستدفعون بها المكروهات فهي واسعة لكل مذهب، جامعة لكل مطلب فكم له ﷺ عليها في سائر أقطار الأرض من الأتباع، وكم لأموات المسلمين بهذه السنة الحسنة من الانتفاع ، وكم له ﷺ من الأجور فإن أجر كل عامل بها في صحائفه مسطور، فإنه هو الذي سنها ودعا إليها واستحسنها.

وشاهد ذلك ما أخبرنا به هو ﷺ بإسناده إلى الترمذي بسنده إلى جرير بن عبد الله البجلي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من سنَّ سنة خير فاتبع عليها؛ فله أجره ومثل أجور من اتبعه غير منقوص من أجورهم شيئًا»**(1).

وأخبرنا أيضًا ﷺ من طريق الترمذي بسنده إلى أبي هريرة ﷺ عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا»**(2).

فعلى هذا يكون لشيخنا ﷺ مثل أجور من يتبعه إلى يوم القيامة، مع مضاعفة حسناته وحسنات من تبعه، هذا إلى عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة.

كما جاء عن رسول الله ﷺ فيما أخبرنا به هو ﷺ بإسناده السابق إلى البخاري - رحمه الله- بسنده إلى ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بيّن ذلك، فمن همّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن همّ بها وعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة»**(3).

فكم ادخر الله سبحانه وله الحمد للعالمين من الثواب الجزيل، وكم ضاعف للهداة الداعين من الفضل الجليل، وله الحمد سبحانه على التوفيق للأعمال، وعلى ما منّ به من جزيل الثواب والإفضال، فإن عمل الحسنة من العبد حسنة من الله سبحانه وتعالى عليه، وأثابه عليها حسنة ثانية منه سبحانه وتعالى، وكونها معشرًا حسنة ثالثة، والثواب من أصله لا يكون إلا معشرًا فأضعف الله سبحانه وتعالى هذا الثواب المعشر لعبده كان الأضعاف

---

(1) رواه الترمذي (2625).

(2) رواه البخاري (6126)، ومسلم (130) بنحوه.

(3) رواه البخاري (6126)، ومسلم (131).

حسنة جديدة من الله سبحانه وتعالى لعبده، فيكون معشرًا أيضًا، فالضعف عبارة عن الشيء ومثله، فيضعف الحسنات العشر فيكون عشرين حسنة، ثم يضرب العشرين في عشرة فيكون مائتي حسنة، فهذا أول درجة من درجات الأضعاف، فإذا أضعفت المائتين كانتا أربعمائة يفتحها أعشارًا فيكون أربعة آلاف حسنة، وهذه الدرجة الثانية من درجات الأضعاف، فإذا أضعفت ثالثًا ورابعًا على هذا الوصف بلغ ذلك ألف، ألف حسنة وستمائة ألف حسنة، فالسبعمائة الضعف ينقطع الإدراك دون إدراك عدد الحسنات الحاصلة فيها، بل ينقطع الإدراك دون إدراك عشرها بهذا الثواب، وأمثاله من عظيم المواهب مما استأثر الله بعلمه، وربما اعتقد معتقد أن الأضعاف لا يكون معشرًا فيكون مبلغ السبعمائة الضعف أربعة عشر ألف حسنة لا غير، واعتقاده باطل لأن هذا الثواب من أصله معشر فالحسنة بعشر أمثالها، والأضعاف من الله تعالى للعشر حسنات منه جديدة، فيكون معشرًا.

وعندي أيضًا في الأضعاف وجه آخر واضح البيان لا يندفع، وذلك أنه إذا أضعف الله للعبد الحسنات يضاعف له تعشيرها كما تضاعفت هي، فيكون تضاعف تعشيرها بعد درجات الأضعاف مثاله: إنا نقول الحسنة في أول درجة من درجات الأضعاف بعشرين حسنة، وفي ثاني درجة تضعف ذلك أربعين حسنة، وفي ثالث درجة تضعف الأربعون، وذلك ثمانون حسنة، وعلى هذا أبدًا فإذا أضعفت العشر حسنات كان ذلك عشرين حسنة فافتحها في عشرين لأن ذكرنا أولاً أن الضعف عبارة عن الشيء ومثله، وقد كانت الحسنة بعشر قبل الأضعاف فإذا أضعف للعبد أول الأضعاف كانت الحسنة بعشرين فإذا فتحت العشرين في عشرين كان ذلك أربعمائة حسنة، وذلك أول درجة من درجات الأضعاف، فإذا أضعفت الأربعمائة كان ذلك ثمانمائة فيضاعف تعشيرها على ما تقدم في الرتبة الأولى، فتضربها في أربعين فيكون ذلك اثنين وثلاثين ألفًا، وهذه الدرجة الثانية من درجات الأضعاف فإذا أضعفت في الرتبة الثالثة بلغ ذلك خمسة آلاف ألف ومائة ألف وعشرين ألفًا، فإذا عجزنا عن الإحاطة بإدراك عمل عامل فنحن عن إدراك عمل أكثر أعجز، والله أعلم.

فصل

ومن دعا إلى هدى فلباه مُلَبُّون، كان له بهدي كل واحد من الملبين هدى عشرة أمثال الملبي؛ لأن هدي المدعو حسنة للداعي فيكون له عشر حسنات مماثلة للحسنة الأولى من غير نقص، ثم يضاعف الله سبحانه للداعي كما أضعف لصاحب الحسنة لأن

الدعاء إلى الله أفضل الحسنات، فيكون تضاعفها في سائر الحسنات كان له في الدرجة الثالثة من درجات الأضعاف بهدي الرجل الواحد ممن اهتدى به خمسة آلاف ألف مهتد، ومائة ألف مهتد، وعشرون ألف مهتد، لا ينقص من أجورهم شيء إلى يوم يبعثون.

وكذلك لو اهتدى بالأول ممن اهتدى به ثان، وبالتالي ثالث تضاعف للداعي الأول أجر ما دعا إليه بتضاعف أعداد كل واحد من المدعوين، وأعداد أعمالهم، وأعداد من اهتدى بهداهم إلى يوم القيامة، فاعلم أصل التضاعف وكيفيته، ولا سبيل إلى إدراك نهاية تضاعف الحسنة الواحدة إلى سبعمائة ضعف، أو عشر ذلك فضلاً عن الإحاطة بأجور عشرة مهتدين مرتبين، والله أعلم.

وهذا الكلام على حساب الحسنة وأضعافها، وثواب من سنَّها، وثواب من دعا إلى هدى، حرره ابن عمِّي الفقيه العالم جمال الدين بن محمد بن علي بن أحمد الأشكل فإنه ممن عاد في علم الحساب، ومحققيه والعمدة فيما وضعته هنا في هذا عليه ضاعف الله ثوابه، وأحسن عاقبته ومآبه وزاده من فضله وجعله من أهله.

وذكر شيخنا الإمام زين الدين المراغي في تاريخ المدينة قريبًا من هذا، فإذا قصر الإدراك وعجز المدركون عن تحصيل تضعيف أجر حسنة واحدة في وقت واحد من عامل واحد، فكيف بتحصيل تضعيف العدد المنطوق به فذلك ما لا تدركه العبارة، ولا تلحقه الإشارة فكيف بتضعيف المشار إليه بأضعاف كثيرة، بل فكيف بالمسكوت عنه المستور تحت ستور غيب علم الله، فكيف إذا تكرر العمل من الواحد، فكيف إذا كثر العاملون، فسبحان من وَسِع كل شيء رحمة وعلمًا لا إله إلا هو الواسع العليم، الجواد الكريم، وكل ذلك في صحائف شيخنا أبي المعروف ﷺ والحمد لله؛ لأنه له بسنته هذه التي سنها ودعا إليها واستحسنها، وأحكم ما له من كل فرد ممن اهتدى به في هذا الهدى، واتبعه على هذه السنة الحسناء في مدة حياته، وكذلك يبقى الحكم له من بعد وفاته، والعاملون بها في كل زمان، ومكان لا يحصي عددهم إلا الله، وهكذا يكون إن شاء الله أبدًا إلى أن لا يبقى على الأرض من يقول: «الله الله».

وقد أشار ﷺ إلى ذلك بقوله: عصابتي ترد يوم القيامة أي: إن أتباعه لا يزالون جيلاً بعد جيل إلى أن تقوم الساعة، فهذه صدقة منه عامة جارية على أموات المسلمين، وصلة منه لهم باقية بعده مستمرة إلى يوم الدين.

وقد أشار إليها ﷺ بقوله ما من إمام إلا وله صدقة بعده ولا كصدقتي، ولا كصدقتي، ولا كصدقتي، فما أحد من أموات المسلمين من سائر الأمم إلا وصلته واصلة،

وصدقته في كل حين جارية عليه، وما منهم إلا من له توجه واستعداد لتلقي ما يرد عليه من الصلاة والإمداد، فأسبابه بهم منوطة وأياديه عليهم مبسوطة.

قلت:

قَامَتْ فِي الرِّقَابِ لَهُ أَيَادٍ هِيَ الأَطْوَاقُ وَالنَّاسُ الحَمَامُ

وكان ﷺ يزور الإخوان، والأهل، والجيران، والواردي البلد من أهل الفضل، ويسبق زائره وقاصده منهم إذا علم به إذ هو للسبق على الفضائل أهل، وإذا مرض هو عرف من لا يتمكن من عيادته ممن يحب رؤيته، فيركب هو إليه يأتيه إلى بيته خيرًا له بمطلوبه وإيصالاً له إلى محبوبه، وحملاً للمشقة عنهم والتماسًا للدعاء، والبركة منهم.

وكان كثير الصدقة سرًّا، وقد يمشي هو بصدقته إلى من لا يستطيع الوصول إليه عجزًا، أو حياءً وفي أوقات الضرورات، والحوادث كان أكثر عطاءً، وكان دأبه تكرير قراءة سورة «يس» في سائر الأوقات لسبب ولغير سبب من الأمور العارضات، حتى لا يخلو مجلس من مجالسه ولو خف من قراءتها وتكرارها، وإعادتها ، وكان يقول كثيرًا: نحن آل يس، وهذا دليل على أنه كان القطب الفرد الذي هو قطب العالم، وعليه مداره، وعلمه الأعلى الذي عليه منارة، فإن «يس قلب القرآن»، وقلب الشيء وسطه، وقطب الدائرة وسطها، وقطب الرحى في وسطها، ولهذا دارت عليه وانتهت دورتها إليه.

وكانت حضراته بالقرآن حضرات إلهية وإقامة مواقيتها للتنزيلات الربانية إن تكلم استفيدت العلوم من كلماته، وإن سكت تنزلت العلوم ببركاته على قلوبنا، ولقد كنا نجد في حضراته أذواقًا عجيبة، وأحوالاً غريبة، ومعارف إلهية وواردات ربانية، وصفاءً تامًا، وحضورًا مع الله وجمعية عليه، ومحبة له وولعًا به، وشوقًا إليه، فإذا فارقناه فقدنا تلك الأحوال، فنعلم أن ذلك إنما هو من فيض حاله وبركة مما يرد على حضرته من الإمداد، والأفضال، وهذا من كمال الإرث المحمدي من قوله ﷺ: «لو بقيتم على ما تكونون عليه عندي لصافحتكم الملائكة»[1].

وقال شيخنا أحمد الرداد -أعلى الله مقامه: كان الشيخ يربي أصحابه بمعالي الأخلاق، ومحاسن الأفعال، ويشير إليهم دائمًا بدوام مخالفة النفس، ودوام ذكر الله، ويكرِّه إليهم حظوظ النفس ويسر إليهم بدوام المراقبة، وألا يخطر بقلوبهم إلا الله سبحانه ولا يرضى منهم بغير التعلق بجلال الذات وجمال الصفات أبدًا سرمدًا.

---

(١) رواه مسلم (2750).

وكانت مجالسه كلها ذكر الله تعالى وتلاوة لكتابه العزيز، وإهداء ثواب التلاوة المبذول من فضل الله ﷻ على لسان نبيه ﷺ لجميع المسلمين، وكان دأبه في أصحابه قراءة سورة «يس» لسبب ولغير سبب وإهداء ثوابها لموتى المسلمين حتى كنا نعرف أن سورته من القرآن «يس».

وكان يقول: نحن آل يس، وناهيك بهذا القول من الشيخ إشارة إلى علو المرتبة وشرف المنقبة وعز منصب المقربة.

وقد بلغنا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن لكل شيء قلبًا، وإن قلب القرآن يس فمن قرأها فكأنما قرأ القرآن عشر مرات**»[1].

وكان رحمه الله إذا خلا في أصحابه وخواصه ذاكرهم من علوم الحقائق في معاني الأسماء، والصفات، وسبحات كبرياء عظمة الذات على طرائق المحققين، بل كان ذلك أكثر مجالسه في غالب مجالساته، وكان -قدس الله سره ورضي عنه- يرقي أصحابه وتلامذته في معالي الأمور، والأحوال، ولا يتسامح لهم في الغفلات، والفترات، وانفرد رحمه الله تعالى في وقته بالسماع فما سمعنا فيما بلغنا عن أحد من الشيوخ أن له في السماع من الحظ الوافر، والنصيب الجلي الظاهر، ما كان له فيه يبرز منه فيه من العلوم، والمعارف، والأحوال، والمنازلات ما لا يعرف وما لا يعرف، وكان يحكم فيه بحكم الحال، ويتضاءل لديه حجاحجة الرجال، وما حضر سماعًا قط وحضر معه فيه أحد من الشيوخ فكان حكم الوقت إلا له ولو كان من كان، وكان يقول: الذي يقع لنا في السماع لا يقع لنا في غيره. انتهى كلام شيخنا أحمد نفع الله به.

وكان ﷺ يقاسي في بدء أمره من مشاق الأمور أشياء عظيمة وشدائد أليمة بجوع كثيرًا، ولا يجد من يطعمه، ويصوم ويجعل في فيه حجرًا كأنه يأكل شيئًا سترًا لصومه، ويفطر على قليل من الذرة خروجًا عن النهي في الوصال، وقف على ذلك خمس عشرة سنة، وتعرى حتى تكاد عورته تبدو في صلاته ولا يجد من يكسوه، وكان يومًا في الخلوة فابتلعته الأرض إلى صدره اختبارًا له فلم يتحرك لذلك سره ولا اضطرب قلبه، وانضم عليه البيت مرة والتصقت جدرانه بعضها إلى بعض، ونزل به السرير في الأرض حتى كادت الأرض تبلعه، وكانت الشياطين ترميه ولا تصيبه، ويظهر له الروحانيون في صور مزعجة فلا تزعجه، ويظهر منهم ما يحرج الصدور فلا تحرجه، بل كان في ذلك كله

---

(1) سبق تخريجه.

حاضرًا مع الله ساكنًا إليه مشغولاً به مجموعًا عليه، ووقف من اليوم ست سنين، وكان يقرأ القرآن في اليوم والليلة عشر مرات، وكان الجهر به عادته في غالب الأوقات، وكان يسقي الماء في مسجد ابن عبد الله يزبيد كل يوم مائة جرة وكان في مدة حياته قليل الأكل ما أكل قط رغيفًا صغيرًا، إنما يأكل منه شيئًا يسيرًا، ومع ذلك كان فيه من القوي ما يعجز عنه، ويصدر منه من آثارها ما يتعجب منه، وكان لا يشتهي طعامًا معنا ولا يلتزم عادة معلومة قط في شيء من أموره لا في مطعم، ولا في مشرب، ولا في ملبس، ولا في مسكن، ولا في مرقد، ولا يتقيد بعادة ولا يفتر من العبادة وما اقتصد قط، ولا اكتوى إلى أن مات رحمة الله عليه، وجمع بيننا في المرجع إليه ولا ملك أرضًا، ولا نخلاً إلا موافقة لأهلها وإجابة لسؤالهم، وإزالة لضرورتهم وإسعافًا بمطلوبهم وقضاءً لحاجتهم.

فصل في
تتمة من صفته

كان ﷺ أسمر، طويلاً، معتدلاً، حسنًا، جميلاً يـــرى أسارير وجهه نورًا، أبلج الجبين، أدعج العينين، مقرون الحاجبين، حسن الأنف والفم، فصيح الكلام، طلق اللسان، جهوري الصوت، عريض الصدر، قائم الجبين لطيف الأصابع، لين الكف، سريع المشي، يخطو بيديه ولا يتكلف في ضمها إلى جنبيه، إزاره وقميصه إلى أنصاف ساقيه، جميل الهيئة واللباس، طيب الرائحة، عطري الأنفاس، بفروة مات وأكثرها أسود معظمًا بين الناس مهيبًا، مقبولاً في الخصوص، والعموم، محبوبًا ما حضر قط جمعًا إلا وكان واحده، وذا سمت بهي وقدر علي، وخلق حسن، وخلق سني، أظهره الله على سائر الطوائف من أهل زمانه، وأعلى كلمته، ومرتبته على أقرانه، وألقى له في القلوب القبول، والمحبة، والتكريم، والمهابة، والتبجيل، والتعظيم، وظهرت فوائد ينابيع الحكم من قلبه على لسانه، وبرزت فرائد جوامع الكلم من سر بيانه، وقُصد لاستمداد بركاته، ومستجاب دعواته، وفوائد حضراته من الآفاق، والأقطار، والأقاليم، والقرى، والأمصار، وأعملت المطي إليه، وقطعت الفيافي إلى ناديه فاتصلت مادته إليهم، واشتملت بركته عليهم، وانتشرت يد صحبته ونسبة خرقته بالواردين عليه، والقاصدين إليه، فكثر في نواحي الأرض أصحابه، وتلامذته، ومريدوه، وأحباؤه المنتمون إليه من الرؤساء، والكبراء، والأمراء، والوزراء، والعلماء، والفقهاء، والقضاة، والشيوخ، والفقراء فصاروا في الكثرة لا يحصون ولا يعدون ولا يستقصون، وصاروا في عمره المبارك الطويل طبقات وجيلاً بعد جيل حتى قيل إنه صحبه ثلاث طبقات، وقيل خمس طبقات، آخرهن أكملهن أهل علوم ومعارف وحقائق،

ومن قبلها كان غالبهم أهل أحوال، وأعمال، وطرائق.

فصل في ذكر من
صحبه من ملوك اليمن الغسانيين

وما كان لهم منه من خدمة، ورعاية بالدعاء وخصوص العناية، وصدق المحبة، وحسن الرعاية، وإثارة الهمم ظاهرًا، وباطنًا لما يحدث من حوادثهم، وما يعينهم على نوائبهم حتى كان هو ولي أمر باطنهم، وصاحب درك زمانهم، ومتحركهم، وساكنهم، وكذلك هم كان منهم له المحبة، والإلزام، والجلالة، والاحترام، والإحسان، والإنعام، وإقامة الحفظ والنصرة، وإظهار ذلك منهم له في اليمن، والشهرة، والصبـــر، والحلم، والعفو عن عثرة عاقل، أو هفوة غافل، أو زلة جاهل مما لابد منه بالإدارة الإلهية ممن ينتمي إلى طائفته خصوصًا، وعمومًا من أجله في طائفة الصوفية وما شجر بين طائفة الصوفية من الأمور الفقرية مضاف حكومته إليه، ولا يكون لأحد من ولاة الدولة سلطان عليه وصحبوه، وصحبوا أصحابه، وتعرفوا بركاته ومستجابات دعواته واستدفعوا به حوادث زمانهم وقهروا به من ناوأهم من أقرانهم وظهرت بركاته عليهم، واشتهرت آياته لديهم وصار هو كاهل حمل أثقالهم، ومعدن حاصل استمدادهم ونوالهم، وكان هدى بهم في مدة حياته، ويكون لهم بعده في حمال سره، ووارثيه، وتابعيه بعد وفاته سلفًا لسلف، وخلفًا لخلف علم هذا منه، وصح بالتواتر عنه.

تنبيه:

ومن لوازم إحكام علوم الحقائق أنه لا بدَّ لأولياء الملك أن يؤيدهم الله سبحانه بأولياء الولاية، وبهذا ينضبط أمر العالم والدين والدنيا، ويظهر سر الحكمة الإلهية، والله هو الولي الحكيم، وكان بدأ ما بينه وبينهم من الدولة المجاهدية، ولما وصل الملك المجاهد رحمه الله بالأعمال المصرية دخل عليه الشيخ السجن هو والشيخ أبو بكر بن سلامة وبشراه بالإطلاق والرجوع إلى ملك مملكة اليمن فكان الأمر كذلك، ولما وصل الملك المجاهد إلى ساحل البندر الذي نزل منه كان أول ما سأل عنه هل عاد جماعة مسجد ابن عبد الملك يجتمعون كما أعهد؟ فقيل له: نعم، فقال: الحمد لله رب العالمين ،وكانوا هم الشيخ ﷺ عنه ومن يجتمع عليه وكم سمعنا منه ﷺ من العجائب، مما كان له في تلك الأيام من الفتوحات الربانية، والكشوفات النورانية، وظهور صور الملائكة، وسماع كلامهم، وحضور رجال الغيب بمجالسه، وحضور سيدنا رسول الله ﷺ ورؤيته عيانًا كشفًا، وسماع إشارات الهواتف.

وكان الملك المجاهد -رحمة الله عليه- يحضرها متنكرًا بزي العامة، وما ولي أحد من الملوك بعد المجاهد رحمة الله عليه إلا من ولاه الشيخ واختاره وصرح به، وما حدثت قط حادثة في مدة أحد منهم إلا فأخبر بها قبل كونها، ومحلها، وقام بدفعها، وحلها، وكان آخر حادثة في حياته لعبد بن نجاح الذي استفزه فيها غرور الخيالات من غير أهلية ولا صلاح.

أخبرني الشيخ رضي الدين الصديق ابن شيخنا قال: جئت إلى الشيخ السحر وأخبرته بأمر ابن نجاح، فتبسم ونقل لحيته مستهزئاً به وقال لي: إلى ساعة، وقد ذهب هذا الأمر وإذا أحببت أن تتفرج فاذهب، فكان كما قال.

وفي هذا الحادث القريب بعد وفاته ظهر على ولده الصديق من آثار الاهتمام به وزلزلة الجسم، وكان حريصًا بما دلَّ على أثر همته فيه فيما بلغني رحمة الله عليه، وثبوت هذه القاعدة أمر صحيح عندنا مما علمناه وثبت بالتواتر فيما سمعناه ومازال منه لهم ظاهرًا، ومازال إحسان الملوك عليه وعلى أولاده، وأصحابه، ومن انتهى إليه متجددًا لا يكدره حسد حاسد، ولا تغيره معاندة معاند، ولا قطعت عثرة عاقل، ولا هفوة غافل، ولا زلة جاهل، عنهم الصدقات، ولا منعت عنهم إجراء العادات، ولا حلت عقود حسن الظن والاعتقادات، بل منح الله الملوك العلم بحفظ الأصول ورعاية استمداد المحصول، وما قط قام أحد في إطفاء نور الله في طائفة شيخنا -قدس الله سره- إلا وكان السلطان يومئذ هو القائم بآية الله، وإتمام نوره لهم، ولو كره الكافرون الساترون ما ظهر من الحق بحجاب الحسد والهوى.

وقد سمعت شيخنا -أبقى الله آياته فينا- يقول: جعل الله السلطان حالنا نحمى به ونكرم ونحلل به ونحترم، وكان في الدولة الأشرفية والدولة الناصرية شيخ الشيوخ حالاً، ومقالاً، وحكمًا وبعده كان كذلك شيخنا أحمد الرداد، وكانت مكانته فيهما لا يدانيها مكانة لمكين ولا نالها ذو منصب من الطائفتين بمقام ولا تمكين، وفي علمي وعلم مثلي من تحمله لأعباء مهماتها، ومن محبتها لا توفيه إشارة البنان، ولا تستوفيه عبارة اللسان، واختصت هذه الدولة السعيدة الناصرية، ومسعدها أمير المؤمنين الملك الناصر أمتع الله الوجود بوجوده، وأطلع على فلك الكمال شموس سعوده بخصائص فوائد هذا الأمر، وحاز اختصاص مواد أسرار أهل الله، وأوليائه وأظهر من معرفة قدر الشيخ وخلفائه، وإقامة حقه رفع علم منارته والإحسان إلى أولاده وخلفائه ما صحح اختصاصه منه بالنصيب الأوفر، ومن رعاية هذا الأصل والاستمداد به، وبالسر الذي خلفه الشيخ في

عقبة من الله الحظ الأكبر، فدولته بحمد الله في الحمى الأحمى المنيع، والأوج الأسمى الرفيع، وما طلع قط طالع حادث فيها إلا طمسه الخسوف، ولا بزغ طمع طامع إلى شيء منها إلا خسه حطيم الحتوف أعلى الله منارها وبسط أنوارها.

فصل في ذكر من صحبه شيخنا من سادات شيوخ اليمن وأكابرهم

فمنهم الفقيه، والكبير، والولي الكامل الفرد غريب الشأن، عجيب الحال، ذو الإشارات الدقيقة الذي لا تحكم على وصفه العبارة ولا تدرك حاله الإشارة علي بن موسى الجبرتي -قدس الله سره، تربى شيخنا بموارد عنايته، وبركاته، ورعايته من صغره إلى أكثر عمره، ثم تولى شيخنا خلعته، وخدمة أكابر أصحابه وكانوا له أولادًا وأهلاً، وأحبابًا، وأخلاء وكان له من الكرامات وخوارق الآيات، وخفي الإشارات ما لا تدركه العبارات، وكان كثيرًا ما يتحدث بالقرآن، وإذا تحدث بالحوادث والكائنات كان حديثه بالكلمات الملغزات، فيفهم الشيخ عنه ويأخذ منه، ولما مات دفن الشيخ من مات من أصحابه حواليه تبركًا به وانتسابًا إليه رحمة الله وبركاته عليه.

ومنهم الشيخ الأكبر الولي الأشهر صاحب الأحوال الظاهرة، والآيات الباهرة، والأنوار الخارقة، والفراسات الصادقة الذي عمت البلاد شهرته، وعمت العباد بركته محمد بن عمر البهادي البرعي ﷺ صحبه شيخنا وأخذ اليد منه.

ومنهم: الفقيه الكبير الولي الكامل الشهير صاحب المقامات العلية، والأحوال الجلية، والمعارف الإلهية، والعلوم اللدنية، والتمكين التام، والنفع العام المحبوب الموهوب أبو بكر بن محمد بن يعقوب.

ومنهم: الفقيه الكبير الشيخ الكامل العارف بالله أحد أعيان أكابر أولياء الله، كبير الحال كثير الكرامات، قطب المقامات أبو بكر بن محمد بن سلامة الموزعي ﷺ [1] صحبه

---

(1) أبو بكر بن محمد بن سلامة. صاحب مَوْزع، كان فقيهًا صوفيًا صالحًا، ورعًا زاهدًا، غلبت عليه العبادة والتنسك، جامعًا بين الطريقين، وقدوة للفريقين.

وكان يحج بالناس فلا يقدر أحد من العرب أن يعترضهم بمكروه، وبينه وبين الجبرتي صحبة وصداقة، وكان يقول عنه أنه بلغ رتبة سهل التستري.

مات سنة تسع وسبعمائة.

ولما احتضر أنشد:

إذا أمسى وِسَادِي مِنْ تُرَابٍ   وَبِتُّ مُجَاوِرَ الربِّ الرَّحِيمِ

=

شيخنا واستفاد منه.

وقال شيخنا: إنه كان كسهل بن عبد الله.

ومنهم: الشيخ الكبير الولي الرئيس الشهير قطب الأحوال السراج، سراج الدين أبو بكر محمد السلامي الشهير بالسراج[1] الصوفي ﷺ صحبه شيخنا، وهو الشيخ الثاني ممن لبس منهم، وقال: إنه كان كأبي يزيد ﷺ.

ومنهم: الشيخ المعظم الولي المكرم، صاحب الاستقامة التامة، والبركات العامة محمد بن أبي بكر الضجاعي الزبيدي ﷺ[2] صحبه شيخنا في أيام البداية ولبس منه وهو الشيخ الأول ممن لبس منهم.

ومنهم: الشيخ الكبير الولي الصالح شمس الدين عليٌّ بن حسن بن مرزوق الزبيدي ﷺ[3] صحبه شيخنا وتلمذ له وقال: إنه كان من الأبدال.

=

فبشِّروني أصحابي وقولوا لكَ البشرى قدِمْتَ على كريم

العقود اللؤلؤية (2/200)، طبقات الخواص (176)، الكواكب (591).

(1) أبو بكر بن إبراهيم بن أبي بكر المعروف بالسراج.
صاحب السلامية -قرية من قرى اليمن- كان كبير القدر، مشهور الذكر، صاحب أحوال وتربية، انتفع به المريدون، وهو الذي نصب الشيخ إسماعيل الجبرتي شيخًا وله كلام حسن في التصوف يدل على علمه ومعرفته، وإشاراته مأثورة، وكراماته مذكورة. مات في آخر القرن الثامن. طبقات الخواص (175).

(2) هو محمد بن يوسف الضجاعي اليمني. المعروف بالضرير، لكونه ولد مطموس العينين، لا شق لها.
صوفيًا فاضلاً ، سالكًا طريقة الجميلة، مالكًا أزمة المعرفة والفضيلة.
شيخ أشير إليه بالبنان، وعد من عيون الأعيان، انتفع به خلق كثير، وتخرج به جمع من الأعلام.
وله كرامات منها أنه حفظ الهداية للحنفية، بسماع واحد.
ومنها أن الشهاب ابن عجيل رأى المصطفى فقال له: إن أردت أن يفتح عليك، فابتلع من تراب قبر الضرير شيئًا على الريق، لفعل، فظهرت عليه بركته. مات بعد السمائة. انظر: طبقات الخواص (123)، جامع كرامات الأولياء (1/117).

(3) هو من كبار أرباب الأحوال والمكاشفات.
لم يكن له نظير في زمنه، وكان إذا ذكّر بالله رد كل قلب جامح، وغضّ كل طرف طامح، وعطف كل عبد عن طاعة ربه نازح، تخرج به جمع من الأكابر، وأذعن له الغائب والحاضر.
وله كرامات منها ما حكاه الشريف يحيى المرزوقي قال: رأيت في النوم نورًا نــزل من السماء كالعمود، ثم انتبهت، فرأيته كذلك حال اليقظة، وإذا بي أسمع سماعًا في رباط الشيخ محمد هذا، وأرى النور في تلك الجهة، فجئت محل السماع، فرأيت النور متصلاً بالشيخ، وأينما دار، دار معه.

=

ومنهم: الفقيه الكبير النور العارف بالله عبد الرحمن بن محمد بن زكريا الشويري السهامي رضي الله عنه [1] صحبه شيخنا وقال: إنه كان من الأولياء.

ومنهم: الشيخ الكبير الرئيس السيد الشريف المعمر فخر الدين أبو بكر بن أبي القاسم بن عمر بن علي الأهدل الحسيني السهامي[2]، صحبه شيخنا ولبس منه ولبسنا منه تبركًا به، والحمد لله.

ومنهم: الشيخ الإمام الحافظ المحدث الصالح الرئيس انتهت إليه رياسة علم الحديث النبوي في وقته باليمن، برهان الدين إبراهيم بن عمر بن علي العلوي الزبيدي صحبه شيخنا، وسمع عليه في كثير من مجالس الحديث النبوي -رحمه الله.

ومنهم: الشيخ الصالح الولي الإمام المحدث المقري موفق الدين عليٌّ بن أبي بكر بن شداد[3] صحبه شيخنا وسمع عليه في كثير من مجالس الحديث وإحياء علوم الدين.

=

ومنها أنه اتفق في سماع له أنه شرط ثوب أحد الناس، وأخذ منه دراهم، فشكا للشيخ، فترك السماع، وأشار للناس بقراءة سورة يس، ثم أطرق ساعة، ثم قال لنقيبه: اذهب لمسجد كذا، فالسارق هناك، قل له الشيخ يقول رد الدرهم. فكان كذلك. مات سنة إحدى وعشرين وسبعمائة. الكواكب (645).

(1) الفقيه الفاضل محمد بن زكريا المدرس في الشويرا: بضم الشين المعجمة وفتح الواو وسكون المثناة من تحت وفتح الراء من بلاد اليمن. توفي وله ولد خلفه يفضل عليه في العلم، خلفه في التدريس اسمه ابراهيم، تفقه بأبيه المذكور، وكان يختم في رمضان في كل يوم وليلة. انظر: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان (2/96).

(2) كان من كبار الصلحاء المتمكنين ، من أرباب الكرامات والمكاشفات، طال عمره حتى زاد على المائة.

ومن كراماته: أن جماعة من جيرانهم في القرية، كانوا يؤذون أولاد الشيخ وأولاد أخيه، فيشكون إليه، فيقول: اصبروا فإنهم يفنون عن قرب، ولم يبق منهم إلا من يخدمكم، فكان كذلك.

وكان يخبر بأمور لم يتخلف منها شيء.

منها أنه سافر فمر بقرية، فشكا أهلها إليه قلة المطر ولازموه، فقال الفقير: هل ترى سحابًا؟ قال: سحابة بعيدة كالترس، قال: قف في محل عال وقل لها: أجيبي الشيخ، ففعل، فما زالت تنتشر حتى ملأت الجو وأمطرت مطرًا عظيمًا.

ومنها أن ولده خرج بعد موته إلى قبره يشكو له الملك الأفضل – قال الراوي- فركّب سهمًا في قوسٍ من قبره، ثم رمى به جهة الأفضل حتى سمع الحاضرون طنين السهم منذ حين انفصل عن القوس من القبر، فجاء الخبر بعد ذلك بموته. مات سنة سبعمائة، رضي الله تعالى عنه.

انظر: جامع كرامات الأولياء (1/259)، طبقات الخواص (173).

(3) الفقيه المحدث الصوفي، العابد الناسك، ذو الكرامات الكثيرة، والمناقب الشهيرة، له وقائع عديدة، =

ومنهم: الشيخ الصالح العارف السيد الشريف يوسف بن أبي بكر القليصي الصوفي كان عارفًا بكتب البوني محققًا لها متحققًا بالأسماء، يتصرف بها كيف شاء لما شاء، وكان أبوه عارفًا بتعبير الرؤيا وهبًا أيضًا من غير كسب وكانت عبارته كشفًا، أو كالكشف.

قلت: وكان شيخنا أبو المعروف -قدس الله سره- يذكر أشياء تجري على لسانه في السماعات من علوم المنازلات يشكل على أهل وقته، فيسألون عنها الشيخ القليصي فيجدون عنده ما يزيل الإشكال إما بنص، أو شاهد، وتكون تصحيحًا لما قال شيخنا فيرجعون في ذلك إليه، فهؤلاء الذين صحبهم شيخنا قدس الله سره فيما علم من أهل اليمن.

وأما من ورد عليه من رجال الله الأكابر من الآفاق ممن حداه إليه مفاض ذاكرًا ودعاه شجوه داعي خاطره، أو شم فوائح أنفاسه العطرية، أو شاهد لواقح بروق أنواره النورية، أو جذبته جواذب همته، أو نظمته يد سره في سلك محبته فكثيرون من سائر البلدان، والأمصار، والأقاليم، والجهات، والأقطار حتى كانت زبيد في حياته روضة بالبركات خصيبة وخضرة بمجابات الدعوات رحيبة مجمعًا عليه لأولياء الله المقربين، موسمًا لعباد الله الصالحين، مقصدًا للمريدين مرصدًا للمرادين، فمنهم من رأيناه، ومنهم من رويناه، وما من هؤلاء وأولئك إلا من أثنى عليه بالكمال، وحكم له بالتقدم على غيره من الشيوخ بكل حال، وسيأتي مما قيل فيه من الثناء الحسن.

فصل لذكر الأئمة
الحفاظ المحدثين المجتهدين لشيخنا

أبي المعروف -قدس الله سره ورضي عنه.

فمنهم من أدركه بالعمر وأخذ عنه بعموم الإجازة ممن أدرك حياتهم، وواطنهم من عاصره فكتب له بالإجازة من مصر والقدس، ودمشق -رحمة الله عليهم، فالذين أدرك حياتهم وأخذ عنهم بعموم الإجازة: أبو العباس أحمد بن إدريس بن مرير التنوخي، مات في حدود سنة ثلاثين وسبعمائة.

=

ويدٌ في التصوف مديدة.

ومن كراماته أن السلطان كان مروره على بيته إلى الجامع، فتنظر إليه امرأة الشيخ وهو مار -وكانت حاملاً- فنهاها فلم تمتثل، فقال: حملك لا يكون إلا ممن يخدم السلطان.. فكان كذلك.

مات سنة إحدى وسبعين وسبعمائة. انظر: جامع الكرامات (185/2)، الدرر الكامنة (33/3)، شذرات الذهب (222/6)، طبقات الخواص (99).

وأبو الحسن عليٌ بن محمد بن ممدود البندنيجي البغدادي مات سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة[1].

وأبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن عبد العزيز بن عيسى بن أبي بكر بن أيوب مات سنة ست وخمسين وسبعمائة.

وأبو المعالي يحيى بن فضل الله مات سنة ست وثلاثين وسبعمائة[2].

وأبو محمد عبد الله بن محمد إبراهيم الصالحي مات ابن قيم الضيائية هذا سنة ستين وسبعمائة[3].

وأبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم الميدومي، مات سنة أربع وستين وسبعمائة[4].

وأبو زكريا يحيى بن يوسف بن المصري مات سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة.

وأبو الحسن علي بن إسماعيل بن إبراهيم بن قريش المخزومي مات سنة ثلاثين وسبعمائة.

وأبو القاسم محمد بن مظفر بن محمد بن أبي الفضل أحمد بن عساكر مات سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة.

وأبو الفضل محمد بن الضياء إسماعيل بن عمر الدمشقي ابن الحموي مات سنة سبع وخمسين وسبعمائة.

وشيخ الإسلام أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن المزي مات سنة اثنين وأربعين وسبعمائة.

وشيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، مات سنة ثمان وعشرين وسبعمائة.

وأبو النور يونس بن إبراهيم بن عبد القوي العسقلاني الدبوسي، مات سنة تسع وعشرين وسبعمائة.

وأبو المحاسن يوسف بن عمر بن حسين الحسني الحنفي مات سنة ثلاثين وسبعمائة.

---

(1) صحف اسمه في الأصل وتم تصويبه من الوافي بالوفيات (3 /426).

(2) الوافي بالوفيات (1/114).

(3) في يوم الثلاثاء خامس عشري المحرم توفي المسند المعمر المكثر أبو محمد عبد الله بن محمد بن إبراهيم الصالحي ابن قيم الضيائية ودفن بتربة الموفق. الوفيات لابن رافع – (1 / 78).

(4) انظر: الوفيات لابن رافع (ص71).

وأبو العباس أحمد بن علي بن مسعود بن ربيع [..] مات سنة ثلاثين وسبعمائة.

والإمام شرف الدين أبو محمد عبد الله بن الحسن بن الحافظ أبي موسى عبد الله بن الحافظ عبد الغني المقدسي مات سنة خمس وثلاثين وسبعمائة.

والشيخ الإمام العلامة قاضي القضاة بدر الدين أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن سعد الله بن جماعة الشافعي، مات سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة.

والزاهد أبو العباس أحمد بن علي بن حسن بن داود الهكاري الحنبلي، مات سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة.

وعبد الله بن الحسين بن أبي ثابت الأنصاري، مات سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة.

وأبو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي، مات سنة تسع وأربعين وسبعمائة.

والشيخ إسماعيل بن إبراهيم التفليسي، مات سنة ست وأربعين وسبعمائة.

والحافظ أبو العباس أحمد بن أبي طالب بن نعمة بن علي بن الشحنة الصالحي، المعروف بالحجار، مات سنة ثلاثين وسبعمائة.

وأبو الصبر أيوب بن نعمة الله النابلسي، مات سنة ثلاثين وسبعمائة.

وأبو الحسن عليّ بن عمر بن أبي يوسف بن أبي بكر بن عثمان المصري المري النسائي من ذرية الحافظ النسائي، مات سنة أربع وعشرين وسبعمائة.

والذين كتبوا له الإجازة:

المسند شمس الدين أبو عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن المنبجي الشهير بخطيب المزة وابن خطيبها.

والحافظ الكنـــز أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله المقدسي.

وعمر بن محمد [الكرماني] الحنفي.

وأبو بكر بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف المزي ابن أخي الحافظ جمال الدين المزي.

والصالح إبراهيم بن محمد بن صديق بن ابراهيم بن يوسف بن الرسام المؤذن برهان الدين الصوفي.

هذا رأيته، وسمعت عليه بالمدينة ومكة شرفها الله تعالى وإجازتي خطًا، ولفظًا، وعمومًا رحمه الله.

وإبراهيم بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر السلاري.

وأحمد بن عبد الغالب بن محمد بن عبد الغني.

وابن ماهان التميمي شهاب الدين.

ومحمد بن الرشيد بن عبد الرحمن بن السيف محمد بن أحمد بن أبي عمر المقدسي.

ومحمد أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن فلاح الإسكندري.

ومحمد بن محمد أحمد بن محمد بن يوسف بن أبي الزهر الطرائفي الحلبي الوراق.

ومحمد بن محمد بن داود بن حمزة بن أحمد بن عمر بن أبي عمر المقدسي.

ومحمد بن محمد بن عبد الله بن عمر بن عوض.

ومحمد بن محمد بن محمد الفخر البعلبكي.

ويوسف بن محمد بن محمد بن علي الصيرفي.

وعائشة بنت أبي بكر بن عيسى بن [..].

وسعد بن يوسف الأشروي.

وأحمد بن مكتوم النحوي.

ورسلان بن أحمد الذهبي.

ويحيى بن يوسف الشافعي.

ومحمد بن أحمد الشافعي المعروف بابن الطاهر.

ومحمد بن محمد بن نصر الله الشهير بابن النحاس.

والحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد المحب.

وعليّ بن عبد الرحمن بن سلمان المقدسي.

والحاج عليّ بن الحاج عثمان بن بدر.

وأحمد بن إبراهيم بن يونس بن حمزة العدوي.

ومحمد بن عبد الله الحنبلي.

ومحمد بن أحمد بن يونس محبوب الحنبلي.

وأحمد بن محمد بن عادي الحجازي.

ومحمد بن الخليل بن الحسن الجيلي.

ومحمد بن محمد بن محمد بن [......] بن قاسم الجزولي.

والإمام الحافظ سراج الدين البلقيني.

وزين الدين [.........].

والشيخة عائشة ابنة عبد الرحيم بن جماعة.

والحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي.

والشيخ الإمام زين الدين أبو بكر بن الحسين المراغي [العثماني] المدني وهو شيخنا سمعت عليه بالمدينة المشرفة من كتب الحديث النبوي بقراءة أخي وحبيبي في الله ولده الشيخ الصالح الصوفي الولي المقرب، أبو الفتح محمد نفع الله بطول بقائه فقرأت عليه مصنفه «تحقيق النصرة في تاريخ معالم دار الهجرة»، وكان ذلك بالمسجد الشريف النبوي في شعبان، ورمضان، وشوال وأكثر ذي القعدة من سنة سبع وتسعين وسبعمائة:

جــدَّدَ الله لي عهــودَ تلك المعاهدِ ... وعدَّدَ لي وجودَ كوني بتلك المشاهد

وأقول في شوقي إليها بلسان سيد العارفين بالله وبقدر سيد المرسلين ﷺ وشيخنا محيي الدين أحمد الردَّاد أدام الله في الوجود طيب أنفاسه العطرية آمين:

لــي بأكــنافِ طيــبةَ بــين ســلع ... والعــوالي مــسامرٌ وشــجونُ

وحبــيبٌ إذَا تألَّــقَ بــرقٌ ... مــن سَــنَا أرْضِــه تفــيضُ العــيونُ

غــبتُ عــنهُ ولــستُ عــنهُ بــتاءٍ ... غَيــبةَ الــشمسِ في الــسحابِ تكونُ

أيُّهــا المــرمِقونَ شَــطرَ الثــنَايا ... بقَــلاَصٍ كــأنَّهنَّ ظــنونُ

قَــدْ طَــواهَا المــسيرُ الحــنايا ... وبــرَاهَا الــسُّرى فمَــا تــستبينُ

وعلاَهَــا الهــوَىَ فــذَابتْ وهَامَتْ ... وعــرَاهَا بقَلقَــلٍ وحــنين

وكــذَا كــلّ عاشــقٍ فــيه فــنٌ ... مــن جفــونٍ كــذا الجُــنونُ فــنونَ

لاَ رَمَــى الله ســعْيكَم بكــلالٍ ... دُونَ ذات الــشجونِ فهــي الشُجُونَ

فلكــم الــدارُ قَــدْ بَــدتْ وعليهَا ... مِــنْ ضِــياءِ الجــلاَلِ نــورٌ مــبينُ

فاجْهَــدُوا جَهــدَ سَــيْركم لمُنَاكم ... ربَّمــا حَــالَ دُونَ ذَاكَ المَــنُونَ

وإذَا مَــا نَــزَلْتُمْ وسَــكَنتُمْ ... بــرُبَا طيــبةٍ وطَــابَ الــسُّكُونُ

فاقْــرَؤوا لِــي عَلَــى الحبيب سلاَمًا ... بــصَلاَةٍ زَكِــيةٍ مَقْــرُون

الــفُ الــفِ والــفُ الــفِ والفٌ ... والــوفٌ كمــثلها ومِــئون

ابــدًا هكــذَا يكُــونَ ســلاَمي ... وصــلاةٌ بــلاَ انــتهاء تكُــونَ

وقال من قلب قصيدة له:

وحَيِّي الحَيَا تِلْكَ المعَاهِدَ إنَّها ... عَلَى العَهْدِ مِنْ قلبي وأوْفَى وأفْضَلُ
ومَا بَرِحَتْ تُهْدِي إليَّ نَسِيمَهَا ... نَسِيمَ الصَّبَا منها الصَّبَابةُ تُنْقَلُ
تُذكِّر قَلْبِي هَوَاهَا وهوَ معلمٌ ... وتُبْلُوه في سري الهوَى وهوَ مجهلُ

وقال أيضًا رضي الله عنه آمين:

إلَى مَا بَيْنَ سلعٍ والعَوالي ... إلَى أحدٍ إلى إحْدَى الغَوَاني
إلَى حَرَمٍ مِنَ الفِرْدَوْسِ فِيه ... لأَحْمَدَ رَوْضَةٌ حلَّ لِحَاني
إلى النُّورِ المقدَّسِ مِنْ قُرَيْشٍ ... إلَى طَهَ إلَى عَيْنِ المَعَاني
ألاَ يَا سَيِّدِي وشِفَاءَ قَلْبِي ... وغَايَةَ رَغْبَتِي وَمُنَى أمَانِي
أنَاشِدُكَ الجَلاَلَ وَنُورَ ذَاتِ ... الجَلِيلِ ومَا أراكَ بِلاَ أخبراني
أجرني مِنْ مريبِ الرَّوْعِ فمَا ... يُحَاذِرُهُ الرَّيْبُ عَلَى الحِرانِي
وإنِّنِي مِنْ رفاقك في الترقي ... إلى ذاتِ الرَّفِيقِ بِلا امتحاني
وزَاقُوني السرورَ بوصلِ سري ... فبسرك في إيصالك بالأماني
ومَنْ وصلَ الحبيبِ به حبالي ... إليه ومَنْ رعيتُ ومَنْ رعاني
أجْرِهِمْ مَا جزتُ بهم سؤالي ... فمن السؤال الكريم على وراني
وحي علَى الصَّلاَةِ بِمَا أنَادِي ... وحَي علَى الفَلاَحِ بمَا أرَاني
وقَدْ قَامتْ صلاةُ الجمعِ مني ... عليك تفصل جمعكَ بالأذانِ
فمَنْ صلَّى عليكَ فمِنْ صَلاَتِي ... ومَنْ أهْدَى السَّلاَمَ فمَا عَدَاني
ومَا والتكَ عَاطِلَةً بوَجْدٍ ... فمِنْ وَجْدِي الذي بِكَ قَدْ حلاني

نعود من أخذة الحال إلى ما نحن بصدده من المقال، وقد خرج الإمام الحافظ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي بن محمد العسقلاني الشهير بابن حجر أربعين حديثًا برواية شيخنا أبي المعروف من روايات الشيوخ المحدين للعامة، فمن أدرك حياتهم من المسلمين وقرأها بمسجده المبارك بزبيد في سنة ثمانمائة، وحضرت وسمعت، والحمد لله، واستجاد به من شيخنا له ولنا، ولمن أدرك حياته من المسلمين ما تجوز له روايته. وأرجو إن مد الله في العمر أن أجمع بروايته بطرق هؤلاء الأئمة الحفاظ شيئًا من الأحاديث

النبوية تبركًا ودخولاً في زمرة المبلغين والورثة المحمديين إن شاء الله.

فصل في ذكر
لبسه رضي الله عنه

لبس شيخنا -قدس الله سره- الخرقة الشريفة الفقيرية الصوفية النبوية الإلهية، من جماعة من الشيوخ بطرق كثيرة صحيحة محققة شهيرة، جمعها شيخنا الإمام محيي الدين أحمد بن أبي بكر الردّاد القرشي البكري الصديقي -قدس الله سره- في كتابه «عدة المرشدين، وعمدة المسترشدين» في أحكام الخرقة والنسبة للباس والصحبة، وهو كتاب لم يسبق إلى مثاله ولم ينسج على منواله، أثبت فيه أصول اللبس من الكتاب والسنة، وأقوال السلف والأئمة، والعلماء، والمحدثين، والشيوخ الأكابر المحققين، وبين أحكامه وحسن نظامه وأحيى به من أحكام اللباس ما كان قد مات، واستدرك به منها ما كان قد فات، ووصل نظام نسبها، وكان قد انقطع، وأقام به أود نسبها بعد أن كان قد وقع، فصار كتابًا جديدًا بتسميته، وكان قد صنف قبله كتابًا في ذلك سماه «القواعد الوفية في أصل حكم خرقة الصوفية»، وكلاهما قد قرأتهما وسمعتهما عليه غير مرة، وكان بجلس ختم قراءتي كتاب «القواعد» بحضرة شيخنا أبي المعروف ﷺ بمسجد زبيد وكان مجلسًا مباركًا مشهورًا، ووقتًا طيبًا، ومحضورًا والحمد لله رب العالمين.

من طرق شيخنا ﷺ ما طريقة واحدة هي الدائرة اليوم بأيدي أصحابنا المشهورة في كتبهم، وإجازاتهم المسطورة في مناشرهم ومرسوماتهم.

فأقول: ولبس الخرقة الشريفة الفقرية النبوية الإلهية من يد شيخنا شيخ شيوخ العارفين، وإمام أئمة المحققين المعرفين قطب الأولياء الكمل المقربين أبي المعروف المعروف بالمعروف إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الصمد الجبرتي الهاشمي العقيلي -قدس الله سره.

وهو لبس من يد الشيخ الكبير الولي الشهير سراج الدين أبي بكر محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن إبراهيم بن غالب السلامي، الشهير بالسراج الصوفي -رحمه الله.

وهو لبس من يد شيخ الشيوخ محيي الدين أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد ابن عبد الله بن يوسف الأسدي.

وهو لبس من يد شيخ الشيوخ فخر الدين أبي بكر بن محمد بن علي بن نعيم.

وهو لبس من يد والده شيخ الشيوخ عبد الله بن يوسف.

وهو من يد شيخه عبد الله بن قاسم بن رزية.

وهما لبسا من يد شيخهما شيخ الشيوخ أبي محمد عبد الله بن علي الأسدي.

وهو لبس من يد شيخنا سيدنا شيخ الشيوخ العارفين قطب الأقطاب القطب الغوث الفرد الجامع محيي الدين أبي محمد عبد القادر بن أبي صالح بن موسى بن يحيى الزاهد محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن عبد الله بن موسى الجون عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ -رضي الله عنهم أجمعين- الجيلاني.

وهو لبس الخرقة من يد الشيخ أبي سعيد المبارك بن علي المخرمي.

وهو لبس الخرقة من يد شيخ الإسلام أبي الحسن علي بن أحمد بن يوسف الهادي القرشي.

وهو لبس من يد أبي الفرج محمد بن عبد الله الطرسوسي.

وهو لبس من يد الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز التميمي.

وهو لبس من يد سيد الطائفة الأستاذ أبي القاسم الجنيد بن محمد البغدادي.

وهو لبس من يد الأستاذ أبي الحسن سري بن المغلس السقطي وهو خاله.

وهو لبس من يد الأستاذ أبي محفوظ معروف الكرخي.

وهو لبس من يد الأستاذ أبي سليمان داود بن نصر الطائي.

وهو لبس من يد أبي محمد حبيب بن محمد العجمي.

وهو لبس من يد سيد التابعين الحسن بن أبي الحسن البصري.

وهو لبس من يد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ﷺ.

وهو لبس من يد رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ لبس من ربِّ العالمين بواسطة الروح الأمين جبريل ﷺ والحمد لله رب العالمين[1].

---

(1) فائدة جليلة في التلقين ولبس الخرقة الشريفة: قال سيدي إسماعيل حقي: أخذ التلقين وأصله ما رُوي عن شداد بن أوس وعبادةَ بن الصامت قال: «وكنَّا عند رسول الله ﷺ إذ قال هل فيكم غريب؟ - يعني: أهلَ كتاب - قلنا: لا، يا رسول الله، فأمر بغلق الباب؛ فقال: ارفعوا أيديكم، فقولوا: لا إله إلا الله، فرفعنا أيدينا ساعةً ثم وضع رسول الله ﷺ يدَه ثم قال: الحمد لله، اللهم إنَّك بعثتني بهذه الكلمة، وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنةَ إنك لا تخلف الميعاد، ثم قال: أبشروا؛ فإنَّ الله تعالى قد غفر لكم» كما في «ترويح القلوب» لعبد الرحمن البسطامي - قدس سره.

وعن عبد الرحمن بن عوف بن مالك الأشجعي قال: «وكنا عند رسول الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة؛ فقال: ألا تبايعون رسول الله؟ - وكنا حديث عهد ببيعة - فقلنا قد بايعناك يا رسول الله، قال: ألا تبايعون رسول الله، فبسطنا أيدينا، وقلنا: على ما نبايعك؟ قال: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وتقيموا الصلوات الخمس، وتطيعوا سرَّ كلمة خفية، ولا تسألوا أحدًا يناوله إيَّاه» رواه مسلم والترمذي والنَّسائي كما في «الترغيب» ولقد لقن الصحابة التابعين، والتابعون =

=

المشايخ شيخًا بعد شيخ إلى عصرنا هذا وإلى أن تقوم القيامة.

وقد لبس المشايخُ الخرقة وألبسوها فهو من سنة المشايخ الآخذين عن روحانية النبي ﷺ ومشكاة روحانيته وولايته، وإن لم يكن له أصل صحيح عند الحفاظ والمحدِّثين؛ فإنه إذا ثبت أخذ النفس والتلقين فقد ثبت غيرهما بطريق المقايسة بجهة أنَّ المراد من الكل التبرك والتيمن - وهو أمرٌ لا ينكر عند أحد أصلاً - وقد فرَّق النبي ﷺ شعرات رأسه بين الأصحاب.

وروي: أن النساء اجتمعن عند النبي ﷺ وطلبن أن يعاهدهن باليد؛ فقال: «لا تمس يدي المرأة، ولكن قولي لامرأة واحدة كقولي لمائة امرأة» فبايعهن بالكلام، ثم طلبن منه البركة فوضعَ يده الشريفة في الماء ورفع اليمن فوضعن أيديهن فيه، كذا ذكره الشيخ عبد العزيز الديريني في «الروضة الأنيقة»، وقال في «إنسان العيون»: «وبايعه ﷺ ليلة العقبة الثانية سبعون رجلاً، وبايعه المرأتان من غير مصافحة؛ لأنه كان لا يصافح النساء، إنما كان يأخذ عليهن فإذا أخذ قال: «اذهبن فقد بايعتكن» انتهى.

فقد ثبت بهذا المذكور بيعة الرجال والنساء، وأنها مبنية على أصل صحيح، ومعنى المبايعة من جهة الرسول ﷺ هو الوعد بالثواب، ومن جهة الآخر التزام طاعته، وسميت المعاهدة مبايعة تشبيهًا بالمعاوضة المالية من حيث الإيجاب والقبول، وهي في الحقيقة سر قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: 111] فالله هو المشتري - اسم فاعل - والأنفس والأموال: المشتراة، والجنة: الثمن، والبائعون هم المؤمنون المقاتلون في سبيل الله - أي: المجاهدون لإعلاء كلمة الله بالجهاد الأصغر - وهم الذين قتلوا بسيف الكفار.

وأمَّا المجاهدون بالجهاد الأكبر؛ فهم المقتولون بسيف الغفار، فلهم بمقابلة ذلك جنة في جنة كما ورد: «ومن قتلته فأنا ديته» ثم التلقين ينبغي ألا يكون بالإكراه والإجبار؛ لأن الله تعالى قال: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة:256] بل بالإرادة والاختيار؛ فإنه كما لا يجبر أحد على قبول الإسلام إبقاءً للاختيار.

كذلك لا يُكرَه على قبول التلقين؛ إذ ليس على الرسول ووارثه الإبلاغ ثم الله تعالى يفعل ما يفعل من العطاء والمنع.

قال الله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر: 11] فتكثير الصوفية بالإجبار كما يفعله بعض مَن في زيِّ المشايخ من الأشرار إنما هو للاحتشام في ديوان الخلق غفلة عن ديوان الحق والحضور فيه: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:46] وما روي في طريق الأخيار أثرًا: ألم يكف لصيد قلوب الناس ومنعها عن الهوى وربطها في سلسلة محبة المولى حلقة الذكر والتوحيد، وما يتلى عليه من الآيات الحقيقية من غير تقليد، وما تترنم به بلابل ألسنة العشاق من الكلمات المشوقة على الإطلاق وذلك: ﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق:37] فإنْ من قال: ﴿إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ﴾ [الشعراء:168].

كيف ينجع فيه الزواجر والوعيد؟ وكيف يصلح ويقوم ذلك المعوج اليابس حرارة اللهب الشديد؟ وكيف ينبت بذرُ الإقرار في قلوب المنكرين، وبثمرة التين شجرة يقطين؟

اللهم اعصمنا من معاملات أهل الهوى والبدع واصطحابهم، واجعلنا من المتسارعين إلى بابك ومن اصطحابهم.

=

فإذا عرفت أنه إذا جلس المريدُ الجلوتي – بالجيم – لأخذ العهد والتلقين بين يدي الشيخ الملقّن كما يجلس عند التشهد بالوقار والسكينة ويداه على ركبتيه ويقول مع الشيخ: أستغفرُ الله – ثلاث مرات – من كل ذنبٍ قولاً وفعلاً وعملاً واعتقادًا، أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، آمنتُ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله تعالى، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فهذه هي التوبة والاستغفار المطلق المندرج فيه الرجوع عن الكبائر والصغائر والأوزار القديمة والحادثة والسرية والجهرية والليلية والنهارية، كما أن الإيمان يندرج والتفصيل المذكور في كتب الكلام والتوبة غير الاستغفار؛ فإن الاستغفار الذي مورده اللسان على ما ذهب إليه علماء الرسوم قد يكون بدون التوبة التي هي رجوع القلب إلى الله تعالى بالكلية.

ألا ترى أن العبد الجاني يطلب العفو من سيده، وهو يضمر العود فلم يكن له رجوع إنما قلاع عن معصيته؛ فهذه أول مراتب التوبة، وإذا آل الأمر إلى النهاية يحصل التوبة من التوبة – أي: الفناء منها – لكونها قيدًا من القيود – أي: في الحقيقة – وأما قيد الشريعة، فلا ينحل إلى أن يأتي اليقين بل قوله عليه الصلاة والسلام: «وإنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة» يدل على أن ورد الاستغفار لا يسقط عن ذمة الأنبياء والأولياء وجميع المؤمنين أبدًا في الظاهر والباطن؛ لأن استمرار أمر التجلي بالترقي، وذلك إلى الاختصار موجب للغين المشار إليه في عين الحديث الشريف المذكور وهو التنـــزل الذي ما ظهر إلا بظهور ترقية؛ فافهم.

ثم يوصي الشيخ ذلك المريد الجلوتي بالاستغفار كل يوم مائة مرة؛ لأنها مفتاح القبول إذ الرسول ﷺ واسطة بين الله وبين خلقه، فلا بدَّ من الاستفتاح من روحانيته بتقديم الوسيلة إليه ليُفتح الباب ويرتفع الاضطراب، وفيه أيضًا شكر له، وفي شكر الواسطة تأكيد العبودية والقيام بحق الحكمة، ويقدم الاستغفار؛ لأنه من باب تقديم التخلية بالمعجمة على التحلية بالمهملة، ومن ترتب البقاء على الفناء.

وأما السر في كون كل منهما مائة فناظر إلى الأسماء التسعة والتسعين واحديتها، وللعبد حظ من كل اسم، حققه الإمام الغزالي – قدس سره – في «شرح الأسماء الحسنى» وسر العبد سر الحق، كما أن سرُّ الحق سرُّ العبد، وعنه يفصح الحديث القدسي: «سر الإنسان سري، وسري سره» يعني سره: وهي حقيقته الإنسانية بالظاهر على صورة الحقيقة الإلهية ظاهر سري، وسري باطن وصورة سري، وسري باطن سره وحقيقة سره، والصورة هاهنا على حقيقتها لا على مجازيتها كما يزعم علماء الرسوم في قوله ﷺ: «إن الله تعالى خلق آدم على صورته» وذلك؛ لأن المراتب متفاوتة والصورة واردة على أمر التنـــزلات والاسترسالات؛ فهي حقيقته، والله تعالى منـــزه عن الصورة المطلقة على المحسوسات، فلا تلبس لي في هذا الأمر جلد النمر، فقد ألبستك لباس الصورة والمعنى، وهو لك، عن فرد المجادلة أغنى.

ثم يُوصي بأفضل الذكر الذي هو «لا إله إلا الله» وينفتح نُور التلقين به في فيه؛ لإخراج ما في قلبه من هواه، على أن يكون الورد كل يوم سبعمائة مرة بعدد أصول الأسماء، وهي السبعة المجملة المفصلة إلى سبعمائة بما سبق في الاستغفار والتصلية؛ إذ كل منها حاوٍ لما حوته التسعة والتسعون، فيكون لكلٍ واحد حكم المائة، ولا مشاحة مع المكثر؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة:10].

=

وأما قولهم: «الزيادة على العدد المطلوب إسراف، والنقص منه إخلال»، فبالنسبة إلى المواد المخصوصة أو إلى تعيين الشيخ العارف الواقف على الحال، والأسماء السبعة هي لا إله إلا الله، والاسم الله، والاسم هو، والاسم الحق، والاسم الحي، والاسم القيوم، والاسم القهار، ثم الوهاب، والفتاح، والواحد، والأحد، والصمد، وهي اثنا عشر اسمًا، ومعرفة ترتيب بعضها على بعض تحتاج إلى معرفة المراتب بالسلوك والسر والطير؛ فاجتهد تظفر.

وقد أظهرنا لك الأسماء الإثني عشر الدائرين الجلوتية – بالجيم – رغمًا لمن لم يضن بها، وذلك لأنه لا معنى لإخفاء اللفظ إذا كان الوصول إلى المعنى مما يحتاج إلى قطع المسافات البعيدة كعلم الإكسير؛ فإن العمل به صعب لمن علمه فضلاً عمّن لم يعلمه، فما فائدة معرفة الأسماء، وقد احتجب المسمى تحت الأستار وتستر الملوك تحت الأطمار؟! والغز المنشأ في مقاله، فلم يُفهم شيء من ميمه ورائه وداله، وينبغي أن يبتدئ النفي من التهليل من جانب اليسار، ويحول الوجه إلى اليمين ثم يوقع الإثبات على اليسار أيضًا، وذلك لأن الظلمة في اليسار، فبابتداء النفي منعه تطرح تلك الظلمة إلى طرف اليمين، وهو التخلية التي هي سر الخلوتية، وإن النور في اليمين، فبتحويل الوجه إلى جانبه ثم الميل في الإثبات إلى اليسار تلقي ذلك النور في جانب اليسار، وهو التجلية التي هي سر الجلوتية، ولا ينافي هذا ما اشتهر أن موضع الإيمان صدر اليسار، وكذا لا ينافي قولهم: النفي من طرف اليمن إلى طرف اليسار؛ لأن النفي من طرف اليمين حقيقة، وإنما الابتداء من اليسار، وهذا الابتداء لا ينافي كونه من طرفه؛ فاحفظه.

وإنما تركبت هذه الكلمة الطيبة من النفي والإثبات؛ لأنها جاءت لمعالجة القلوب المرضى، وفي معالجة الحكيم الحاذق شرب مسهل ومصلح، ويقدم الأول لما ذكر آنفًا من السرّين، فما أشرف هذه الكلمة! وما أجمعها! وما أحسنها! وما أبدعها! وكيف يسع العاقل أن يحطير بالنفي في بدء الكلام؟

وقد ابتدت هذه الكلمة بالنفي مع أنها أحسن الكلمات، وسر من تطير بقوله: لا تقل بشرى، ولكن بشريان: عزة الداعي، ويوم المهرجان، أن النفي كالسيف القاطع لأعناق النفوس، والموت صعب بالإرادة، ولكنه باب كل الناس داخله، وأفضل الأوقات لإحصاء الأوراد المذكورة والاشتغال بها أول النهار إلى وقت الضحوة الكبرى، ولا يفوت بفوات الوقت بل يقضي في الليل ما فات بالنهار، ويقضي في النهار ما فات بالليل؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان:62] وهذا القضاء ليس بواجب لا في الشرع ولا في الطريقة، ولكنه كالواجب؛ لأن في القضاء معنى المدد الذي يصل الفيض المنقطع عن المشتغل بالفيض المتصل به، كالمطر الواقع على الجبال والتلال، فإنه إمداد للأنهار الضعيفة الجري، ولو انقطع المدد وقفت دون الوصول إلى الدماء مع أن ظلمة الأوقات الفارغة إنما ترتفع بأنوار الأوراد المتداركة، وإنما كان وقت المذكور أفضل؛ لأنه زمان تجليات القوم وانكشافاتهم غالبًا، ومواظبتهم في الوقت من أسباب الفتح والفيض، كما دل عليه قوله ﷺ: «إذا قال الإمام: ولا الضالين، فقولوا آمين؛ فإن الإمام يقولها، والملائكة يقولون، فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه».

قالوا: المراد الموافقة في الوقت؛ لكن هذه الموافقة المجردة لا تجدي نفعًا ما لم ينضم إليها حضور القلب وجمعية الخاطر؛ إذ الاشتغال مع تورع البال وتشتت الباطن مجرد ولولة على الباب، فالغفلة

=

كصداء المرآة يمنع عن انطباع الصور فيها. فيأيها الذاكر خذ هذا المحل ثم ترقب التجلي الأجل، ولا يغرنك الورد المجرد والانتساب؛ فقد جاء عن بعض الكبار: صاحب الورد ملعون، وتارك الورد ملعون.

أما كون تارك الورد ملعونًا، فظاهر لأنه مطرود عن درجة أهل الترقي، وأما كون صاحب الورد ملعونًا، فالمراد صاحب الورد الخالي عن الحضور، فإنه لكونه كالمستهزء بربه، مطرود عن باب القبول، وقد قال في الحديث القدسي: «ومن تقرب إليَّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا» وهذا التقرب العبدي يحتاج إلى الحركة المعنوية، وهي بالحضور لا غير، فما دام لم يتقرب إليه بالجمع والحضور لم يجد تقرب الفيض إليه من الرب الغفور؛ لأنه كما تدين تدان، وبالكأس الذي تسقي به تشرب، ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء:113] حيث أقبل إليك بفيضه أكثر من أفعالك إليه.

وقال الله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى:1].

ومن تنـــزيه اسمه أن يُصان عن ذكره بالغفلة وعند التثاوب، وما يخل بالخشوع الظاهري والباطني، وكم ترى من صوفية الزمان من سبحته في يده مشتغل بورده بلسانه، وأُذنه مستمعة إلى حديث الناس، وربما يقطع الذكر ويتكلم ببعض في المجلس، ثم يعيد الاشتغال، فما أبعد هذا عن طريق الصوفية! وما أغفله عن مراعاة العهود الوفية!.

ومن أغرب أحوال هذا الزمان أن لبعض الأعيان من العوام صوفيًا يصاحبه كالمولوي والكناشي والقلندري، ولو كان صوفيًا لانقطع عن التردد إلى بابه صباحًا ومساءً، وتبتّل إلى الله تبتيلاً تامًا، ولكن المجانسة جذبته إليه، واعتمد بذلٍ التوكل عليه أولئك حزب الشيطان: ﴿أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: 19] في تجارتهم التي حسبوها رابحة، واكتسبوا عليها هاجرةً وبارحةً.

ثم نرجع ونقول: إنَّ المشتغل بذكر (لا إله إلا الله) يقول: (محمدًا رسول الله ﷺ) في كل عشرين أو ثلاثين مرةً رعايةً لمقامين: مقام الفناء ومقام البقاء، وإلا فالإيمان بالرسالة مندرج في الإيمان بالله في الحقيقة، وتحقيق المقام أنَّ النبي ﷺ صورة تعيُّن سرِّ الأعظم ومَعلم الباطن تنـــزّل هذا التعيُّن النبوي ومَعلم الظاهر تنـــزّل التنـــزل، والمجموع موجود في الوجود الإنساني الذي هو أجمع الحقائق كلها، فالقوة العاقلة تعيُّن معلم الظاهر، والقوة الروحانية تعيُّن مَعلم الباطن، والقوة العرفانية تعيُّن النبي ﷺ والسرُّ تعيُّن سر الله تعالى.

ولذا مَن رأى من الصوفية في المنام أستاذه الظاهر، فقد رأى صورةَ قوته العاقلة.

ومَن رأى شيخه ومرشده، فقد رأى صورة قوّته الروحانية.

ومَن رأى النبي ﷺ فقد رأى قوته العرفانية.

ومن رأى الله فقد رأى قوةَ سرِّه، فالحقيقة واحدة والتجليات متنوعة.

والله تعالى يتجلّى للمرء من وراء وصف الإمكان على صور شتى باعتبار الصفة الغالبة عليه حين الرؤية ولا خارج عن وجوده.

ولذا ورد: «من عرف نفسه فقد عرف ربه» ولا تفاوت بين العرفانين إلا أن البعض يعرف نفسه ثم يعرف ربه، والبعض بالعكس؛ فالناظر بعين التفصيل والفرق يجد التعدد والاختلاف، والناظر

بعين الجمال والجمع بجد الوحدة والاتفاق، ومن أنكر من المشايخ حياة الخضر عليه السلام فإنما أنكر هذا المعنى بحمله على الصفة الغالبة، وهو الأظهر؛ فرؤية الخضر في أمكنة مختلفة وصور متعددة كرؤية النبي ﷺ كذلك، فإنما وقع التجلي في هذا المكان، وذاك في هذه الصورة وتلك، باعتبار تعدد الرائي وتنوع الصفة الغالبة عليه.[فاحفظ] هذا؛ فإنه ينفعك إن كنت مؤمنًا وإلا فـ ﴿تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الزمر: 8]، ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الروم: 44].

وأول ما أقررتَ به في عالم الأرواح هو التوحيد، وكذا أول ما كلفتَ به بعد البلوغ هو الإيمان؛ ولذا أول ما سئلتَ عنه في قبرك هو التوحيد والإيمان، وقبرك الآن جسدك فأنت مسئول في وقتك هذا، فإن كنت متحققًا بحقائق الإيمان والتوحيد، فقد أجبت وأمنت من الوعيد، وسهلت لك الأمر في حضرتك، وأرخيت للمكين سجاف غرتك، فالأمر معجل ومؤجل، وهما كالمرآتين المتقابلتين فما انعكس في إحديهما انعكس في الأخرى، فأين أنت من سر الأزل والأبد؟ ما عرفت قدرك عند الله الأحد!، فإن لم تعرف فهو ذا، أي: بقدر قدره عندك من التعظيم، وترك الأذى، وأراك بعد هذا البيان كأنك طفل صغير بمهده يزداد نومًا وحركة ومن الله الإيقاظ، ثم إن المريد لا يشتغل إلا بما عينه الشيخ، على حسب الوقت والحال، وليس له أن يشتغل بكل ما أراد من الأسماء السبعة أو الاثنى عشر؛ فإن لها نيرانًا لا يأمن المشتغل برأيه أن يقع فيها كالفراش، والطريق طريق الإتباع لا طريق الاستبداد والعمل بالفعل والرأي.

ومعنى كون المرء صُوفيًّا انسلاخه عن الإرادة، كما قال بعضهم: «المريد من لا إرادة له» وتجرده عن لباس العقل الجزئي الذي يقال له: (عقل المعاش)، ليخلع عليه خلعة العقل الكلي الذي يقال له: (عقل المعاد)، والإضافة في كليهما بمعنى اللام أي: العقل المخصوص بالمعاش والمعاد، وعقل هو سبب لمعرفة أحوال المعاش، وعقل هو سبب لمعرفة أحوال المعاد، وبين الشين والدال مقاربة في المخرج، فإذا خرج عن المعاش وفكره، وسلَّم البناء إلى بانيه، إن شاء هدمه، وإن شاء أبقاه؛ فقد دخل في دائرة المعاد، ووصل إلى النقطة التي خزائن السموات والأرض — أي: تعيناتهما – أخذت من ذلك، والنقطة إذا نقرت بمنقار سكين الذكر يحصل [خاتم]، فهو الهوية التي يدل عليها الاسم (هو).

واعلم أن هذا الاسم قد جُهِل أمره، وما رأى تجليه إلا من كحلت عين بصيرته بنور الهداية، وقد اشتهر من بعض المنكرين في هذه الإعصار أنه ليس باسم، بل هو ضمير ما، فاشتغال الصوفية به ضائع.

وأقول بتوفيق الله تعالى: إن ضمير المنكِر المُنكَر لم يحط باسميته خُبرًا، وقد عُلِم في محله أن كون الشيء ضميرًا لا ينافي في اسميته؛ فإن المضمرات من قبيل الأسماء لا من قبيل الحروف والأفعال، وكل مضمر فهو معرفة، وأما قول: «جاءني رجل هو عالم»؛ فضمير (هو) فيه راجع إلى الموصوف بالمجيء، فإن الفعل منسوب إلى الفاعل، والنسبة من أحوال الشيء التي يتعين بها، لا إلى رجل منكر كما لا يخفي، وقد أشار إليه الرضي في «شرح الكافية» فقال: اجتمع في (هو) الاسمية والتعريف، فهو كالاسم الله؛ لأنه المراد في قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة:163]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الحشر:22] والعارف لا يرى

قال شيخنا أحمد: وهذا اللفظ من هذه النسبة المذكورة في تجويز ذكر اللبس، وتحقيقه بذكر اليد هو لفظ الشيخ القطب الغوث الفرد الجامع شيخ مشايخ الملك والملكوت محيي الدين عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني ﷺ بألفاظه وحروفه، أخبر به عنه الشيخ الإمام الحافظ الضياء بن محمد بن يونس بن يحيى الهاشمي رحمه الله، على ما أخبرنا به الفقيه العالم الصالح جمال الدين محمد بن عمر بن حسني الجارحي -رحمه الله، فيما قرأت عليه في عام سبع وثمانين وسبعمائة من الإمام القدوة بقية المحدثين برهان الدين إبراهيم بن عمر العلوي.

قال: أخبرنا الإمام تقي الدين عمر بن علي الشعبي، ولبس منه الخرقة، قال: أخبرني شيخي القاضي الكبير المحدث فخر الدين إسحاق بن أبي بكر الطبري المكي، ولبس منه الخرقة، قال: أخبرني شيخي الشريف الإمام المحدث أبو محمد يونس بن محمد الهاشمي، ولبس منه الخرقة، وقال: إنه سمع من الشيخ الإمام قطب الأزل غوث الأنام محيي الدين عبد القادر الجيلاني نسبة خرقة التصوف هذه في سنة خمسين وخمسمائة، ولبسها من يده وساق ذكر هذه النسبة المباركة على ما قدمناه سواء، ولبس معروف الكرخي أيضًا من يد الإمام عليّ بن موسى الرضا ﷺ ،وهو لبس من يد أبيه الإمام موسى الكاظم ﷺ ،وهو لبس من يد أبيه الإمام جعفر الصادق ﷺ وهو لبس من يد أبيه الإمام محمد الباقر ﷺ ، وهو لبس من يد أبيه الإمام علي زين العابدين ﷺ ، وهو لبس من يد أبيه الإمام الحسين

=

في الوجود إلا هو؛ لأن ما سواه هالك في نفسه، كما صرح به قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ [القصص:88] فلم يتعين لمرجع هو إلا هو، وإثبات الألوهية له تعالى بنفيها عن النفس إنما يحصل بالاشتغال به، فمعناه هو الإله لا غيره، والنفس تدّعي الربوبية كما قالت نفس فرعون كما ذكر الله: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾ [النازعات:24] وهواها يدّعي الإلهية كما قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [الجاثية:23]؛ فافتح عين بصرك وبصيرتك كعين ها هو، لتكون من المشاهدين الحق في الأنفس والآفاق.

ثم يندرج فيه حال المبتدئ والمنتهي، فحاله الغيبة لا الحضور، فيناسبه الاشتغال به إلى أن ينفتح الباب ويرتفع الحجاب ويئُول الغيبة إلى الخطاب، وقد أشارت إلى حال الغيبة والخطاب سورة الفاتحة، فتفطن، وأمَّا المنتهي فحاله عكس حال المبتدي؛ فهو بالنسبة إليه الهوية، ولذا يقولون: عالم للهو - باللام - إشارةً إلى عالم الهوية ولا مناقشة فيه؛ لأنَّه من اصطلاحاتهم واستعمالاتهم الخاصة، فلهم أن يفعلوا ما شاؤوا بحسب عرفهم فيما بينهم؛ فإنهم أصحاب القوانين الحقة. انظر: تمام الفيض (ص68) بتحقيقنا.

الشهيد ، وهو لبس من يد أبيه الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ، ومن جده المصطفى محمد عليه الصلاة والسلام .

ولبس داود الطائي أيضًا من الإمام موسى الكاظم . انتهى ما قاله شيخنا أحمد الردّاد أفاد الله من فوائده.

وكان لبس من يد شيخنا الأكبر قطب الإسلام أبي المعروف -قدس الله سره- عقب صلاة العصر من يوم السبت سادس عشر شهر رجب سنة خمس وتسعين وسبعمائة بمسجده المبارك بزبيد، والحمد لله.

وكان قد مضى لي يومئذ في صحبته مدة قدمت عليه مع والدي رحمه الله في شهر ذي الحجة الحرام سنة تسع وثمانين، ونزلنا به فأمر أحد كبار أصحابه وخدامه أن ينـــزلنا ويتولى القيام بأمورنا، وأن يشاورنا فما يقوم به علينا إتمامًا لإكرامنا واهتمامًا بحالنا، فأقمنا في ذلك كذلك تحت نظره، وحسن عنايته وجميل لطفه ورعايته نحوًا من شهرين.

وأخذت منه اليد وصحبته وكتبت في تلك الأيام كتاب «القواعد الوفية» تصنيف شيخنا أحمد، وقرأته وكان مجلس ختمه بحضرته ، وكان مجلسًا مباركًا، ووقتًا طيبًا،ثم لم أزل أتكرر إلى زبيد إلى حضرته الشريفة، وأقيم إذا قدمت في بيته المبارك بين أولاده متعًا بشهود جمال جل ذاته، وبهاء كمال صفاته مستفيدًا من فوائد حضراته مستفتحًا أبواب الغيب بمفاتيح كلماته ومستنجحًا أسباب الفتح من نظراته، أقيم على ذلك الشهر، والشهرين والثلاث، وأكثر من ذلك بأنس خدمة ولده وخليفته.

وكان قد سبق لي أيضًا قيمة شيخنا أحمد الرداد، واجتمعت به ببيت حسين في أول سنة سبع أو ثمان وثمانين وسبعمائة حين مر بها قافلة من الحج والحمد لله رب العالمين.

فصل في ذكر
نسبه ومولده وحياته ووفاته
رحمه الله ورحمنا ببركاته

كان قُرشيًّا هاشميًّا عقيليًّا خلف سبعين وليًا شيخًا متوجًا إلى عقيل بن أبي طالب :

مِـــنْ ســـادةٍ شُـــهرٍ مِـــنْ أنجُمٍ زُهُرٍ مِـــنْ قـــادةٍ صُـــبرٍ مِـــنْ أنجُبٍ غُرر

ولد بزبيد في شعبان سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة.

أنشدنا شيخنا الإمام أحمد الرداد في تاريخه وميلاده:

حدَّثَنا الشيخُ بميلادِهِ عمَرةُ اللهُ ولاَ أفقدَه
وكانَ قدْ أرصدَ تاريخَهُ في هذا الكتابِ مَنْ أرصدَه
في سنةِ اثنتينِ وعشرينَ مِنْ بعدِ المائتينِ السبع قد حرَّده
في شهرِ شعبانِ الكريمِ الذي شعَّبَ فيه الخبرَ مَنْ مجَّدَه
كما حدَّث به الشيخُ هكذا ما نقَصَ القولَ ولا زيَّده

وولده أبوه ببلاد الجبرت، وأمه من الحمالة بالحاء المهملة المفتوحة والميم المخففة من الأهمول يسكنون بناحية السلامة، ومات أبوه وهو ابن سنة، وكان أبوه من الأولياء الأكابر الممكنين في التصرف في البرزخ، كان يظهر من البرزخ بعد موته كل يوم لرؤيته يأتي إلى البيت ويقبله وهو في الحول، ففزعت أمه منه فقالت له: أمها إذا جئت فاستتر فإن بنتي تفزع منك فقال لها: ولدي هذا بركة زبيد وبركة الأرض كلها.

قال شيخنا ﷺ: وكان في مرضه الذي مات فيه في أشد ما يكون من الألم من أمراض اجتمعت عليه مختلفة، ونحل جسمه وانحلت قواه بحيث عجز عن الحركة من جنب إلى جنب، فإذا دخل وقت الصلاة يقول: نقوم فتزول عنه الأوجاع كلها كأنها لم تكن به كأنه يخلعها كخلع الثوب، ويقوم للصلاة بقوة ونشاط كشاب صحيح قوي، ويغتسل لكل صلاة غسلاً كاملاً، ويصلي الفرائض كلها، والسنن قائمًا مطمئنًا، وإذا فرغ عاد إلى حاله من العجز والضعف والوجع، وهكذا.

أخبرني شيخنا رضى الدين أبو بكر الصديق ولده هو وغيره، وما زال في مدة مرضه، وشدة وجعه في جمعية من أصحابه وعوّاده، يكررون قراءة سورة «يس» كجاري عادته فيما مضى من عمره في صحبته، ولما قرب منه الأمر قال لولده: يا صديق هذا أول النزع، وتوفي -رحمه الله ورحمنا به- وهو يقرأ سورة «يس» أول وقت العشاء ليلة الأربعاء لتسع ليال خلون من شهر رجب الفرد، سنة ست وثمانمائة، وشهد جنازته جميع الطوائف من الشيوخ، والفقهاء، والقضاة، والعلماء، والوزراء، والأمراء، وخاصة الناس وعامتهم، ولم يبق في البلد إلا من معه مانع، وحضر خلائق كثيرون من أهل البادية وصلوا عليه في الصحراء عند قبره لكثرة من جنازته، وصلى عليه شيخنا محيي الدين أحمد الرداد، وكان له مشهد عظيم ومحضر مبارك كريم، ودفن بظاهر زبيد في أول يوم الأربعاء -رحمه الله ورحمنا به- ولا أخلانا عن موائد أسراره، وإمداد أنواره، وهذا ما اتفقت الإشارة إليه من شمائله، وصفته، وأحواله، وطريقته، ونسبه، ولبسه وصحبته، وذكر عمره، وحياته،

وتاريخ ملدته ومماته.

وهذا حيث نضع الكرامات وهو القسم الأول من قسمي الكتاب بعد القواعد المقدمات.

فمنها ما رأيته وسمعته منه، ومنها ما رويته عنه، وما أثبت منها يسير من كثير وقليل من جزيل فإنه ﷺ كانت كراماته لا تحد ولا تستقصى ولا تعد ولا تحصى؛ فإنها كانت ظاهرة لكل عين في كل حين إذ هو الولي الأكمل الكامل المتصرف بالتمكين، روينا عن القطب الكبير العلم الأعلى الأنور معدن الأسرار ومشكاة الأنوار الصديق المقرب المحبوب أبي بكر بن محمد بن يعقوب -نفع الله به- برواية ولده السيد النجيب الولي ذي الشأن العزيز الغريب على أنه كان يروي عن أبيه محمد بن يعقوب كرامات كثيرة ويقول: كان من رآه حكى عنه كرامة فقيل له كيف تكون الكرامة بمجرد الرؤية؟ فقال: الولي الكامل المتمكن تكون الكرامة منه وبه وفيه .

قلت: كذا كان شيخنا أبو المعروف ﷺ بل كانت الكرامة به وله وفيه أكثر من الكرامات منه ونبدأ من الكرامات بما جاء بألسنة بعض الأولياء الأكابر الكمل الأعيان ثناء عليه وشهادة له بما شاهدوه بالكشف والعيان فثناء الأولياء ﷺأكبر الكرامات وشهادتهم أشهر البينات .

قسم الكرامات

بسم الله الرحمن الرحيم

الكرامة الأولى:

سمعت شيخنا الأكبر أبا المعروف ﷺ يقول: سمعت الشيخ حسن بن الحبل يقول: كنت عند الفقيه الأكبر أبي بكر بن محمد أبي حربة فوقع عليه حال حتى غاب فلما أفاق قال: والله يا إسماعيل ما عرفك إلا الله والله يا إسماعيل ما عرفك إلا الله والله يا إسماعيل ما عرفك إلا الله .

الكرامة الثانية:

أخبرنا القاضي الشهيد الصالح عفيف الدين محبوب عباد الله الصالحين عبد الله بن عبد الرحمن العلوي -رحمه الله- قال: أخبرني بعض أصحاب الفقيه أبي بكر أن الفقيه حصل عليه يومًا حاصل عظيم فلما أفاق قال: والله يا جبرتي ما أنت إلا حصل لك ما لم يحصل لأحد قبلك ولا بعدك .

الكرامة الثالثة:

سمعت شيخنا يقول: قيل للفقيه أبي بكر بن محمد بن يعقوب أن فلانًا وأشار إلي نفسه إذا بكي يبكي الحاضرين حتى ينتشر البكاء إلي من هو برًا وإلي من لم يحضر فقال: يعنون الصباغ قال: فاستفدنا منه هذه الفائدة وهذا الاسم .

أخبرنا شيخنا الإمام محيي الدين أحمد بن أبي بكر الرداد فيما قرأته وسمعته عليه غير مرة في كتابه ذي القفار المأمور بيد ذي الفقر المنصور قال فيه لمن كان سببًا لبروزه ردًا عليه في إنكاره على شيخنا الأكبر أبي المعروف قدس الله سره ورضي عنه قال: وما كان أبعدك عما كان عليه سيدي سود والأسد الضرب الطود فحل فحول الأبطال وقدامة قدام الأقطاب والأبدال السيد التجيب ابن السيد التجيب الصديق العتيق المحبوب أبو بكر بن محمد بن يعقوب -قدس الله سره وأسرار أسلافه الأكرمين ورضي عنه وعنهم وعنا أجمعين- لقد كان هذا الشيخ المذكور حبيبًا رحيمًا وصديقًا حميمًا ولقد كان يشق الأسماع الواعية بصنوف شنوف محاسنه العالية كان يقدم في الأمجاد ونعده في سياق الأفراد أفلم يكن لك به قدوة أم لم يكن لك فيه أسوة.

ولقد حدثني بعض الصالحين أنه اجتمع في تلك الأيام الزاهرة والمجالس الباهرة وقد

لقتهما الزيارة إلى ضريح الشيخ الأكبر أبي الشموس أبي الغيث بن جميل ﷺ قال: فجيء إليه بكتاب الشيخ الكتاب المشهور فتحدث فيه الجماعة ببعض الحديث فلما أتوا على بعض غرائب حقائقه المشكلة قال الفقيه هذا كلام لا يعرفه إلا الشيخ إسماعيل الجبرتي.

قلت: كان الفقيه أبو بكر بن محمد من أكابر أولياء الله المقربين وكمل عباد الله العارفين وأفراد العلماء بالله المحققين وأعيان الورثة المحمديين وكان قطب زمانه بالإجماع وسائر أولياء وقته تحت لوائه بلا نزاع كراماته لا تحصى وبراهينه وآياته لا تستقصى له في حقائق التوحيد ودقائق التفريد أيما لسان وفي العبارة عن غوامض المعاني أيما بيان لا تدرك وصف شأنه العبارة ولا تلحق أوج شاره الإشارة ورضي عنا به.

الكرامة الرابعة:

أخبرنا الشيخ الكبير الولي الشهير العارف بالله نائب الشيخ في إمامة الصلوات والتصدر في مجالس القراءات والحلقات والتقدم على جماعة في ذلك رضي الدين أبو بكر بن محمد العباصري وشيخنا الإمام المحقق الكامل رضي الدين ناصر دولة الطريق ولسان مرتبة التحقيق أحمد بن أبي بكر الرداد اللفظ له فيما سمعته غير مرة قال اجتمعت مع الشيخ بالفقيه عبد الرحمن بن زكريا في بعض مساجد زبيد فأخذ بيدي ومشى بي الى ناحية من نواحي المسجد وقال لي ويدي في يده وهو يهزها: أعلمك يا ولدي أن مثل الشيخ إسماعيل لا في الشام ولا في اليمن ولا في المشرق والمغرب ولا في العراقين ولا في الحرمين أعلمك يا ولدي أن ما مثل الشيخ إسماعيل لا في الشام ولا في اليمن ولا في المشرق ولا في المغرب ولا في العراقين ولا في الحرمين أعملك يا ولدي أن مثل الشيخ إسماعيل لا في الشام ولا في اليمن ولا في المشرق ولا في المغرب ولا في العراقين ولا في الحرمين.

وقال بعد الثالثة: وما والله قلتها عن نفسي وإنما قالها رسول الله ﷺ وما هو منام بل يقظة ووقف الفقيه بزبيد ما وقف فلما سافر خرجنا معه نودعه إلى خارج الباب فقال لي: وأعلمك أن ما في بخارى وسمرقند إلا نوره.

الكرامة الخامسة:

أخبرنا الشيخ الكبير الولي العارف بالله ذو القدم الراسخ والسعد البازخ صاحب المنازلات الربانية والأذواق الإيقانية جمال الدين محمد بن محمد المزجاجي أحد أكابر أصحاب شيخنا فيما كتبه له بخطه قال: سمعت من تحكي عن الفقيه عبدالرحمن بن زكريا —رحمه الله— أن نور الشيخ إسماعيل يبلغ الى بخاري وسمرقند وخراسان وإلى الصين وإلى صين الصين قال فكنا نتأول كلام الفقيه أن بركات الشيخ منتشرة إلى جميع أقطار الدنيا

فإن الشيخ -رحمه الله- كان كثير الدعاء لأمة سيدي رسول الله ﷺ الجميع بدعواته وبهديته لموتى المسلمين ثواب قرآنه فلما دمنا في صحبة الشيخ وصل جمع كثير من الهند والسند والعراقين وخرسان وسمرقند وغير ذلك وصحبوا الشيخ وأخذوا منه اليد ونصب منهم شيوخًا وألبس من ألبس الخرقة الشريفة الفقرية وذهبوا.

قلت: نعم كان هذا فيما رأيت وهذا دليل على أن الشيخ كان هو القطب الغوث الفرد الجامع المنبسط على بلاده نوره المستولي على العباد سره وظهره الذي به منَّ الله إلى الخلق الأمداد وروده وصدوره وفر الله نصيبنا منه ولا أخلانا عند الله

الكرامة السادسة:

أخبرنا الشيخ رضي الدين أبو بكر بن محمد العباصري -نفع الله به- أنه سافر للحج هو وشيخنا أحمد الرداد فمرا في طريقهما على الفقيه عبد الرحمن بن زكريا وهو في المحابقة بالميم المفتوحة والحاء المهملة والباء الموحدة والقاف قرية من قرى العانمية فلما رآنا قال قبل أن نخبره: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة:125]؛ فسلمنا عليه فقال: وقوفكم عند الشيخ أحسن لكم من الحج وإذا نظرتم إلى وجه الشيخ هذا الظاهر بأعينكم هذه الظاهرة، وإن لم يكن لكم النظر الباطن كان أفضل لكم من الحج والله إن من أقبل عليه الشيخ إسماعيل أقبل الله عليه ومن أعرض عنه أعرض الله عنه ومن أحبه أحبه الله ومن أبغضه أبغضه الله .

الكرامة السابعة:

وأخبرنا أيضًا العباصري قال: أرسلني الشيخ أبو بكر بن حسان -رحمه الله- وكنت أتردد إليه للشيخ محمد المزجاجي وكان إذ ذاك بيت عطاء والشيخ إبراهيم وكان يصحبه قبل أن يصحب الشيخ وكان المزجاجي مع الشيخ محمد بن الفخر بيت عطاء، فسافرت أنا والشيخ إبراهيم الحموي فمررنا على محل الذارية بذال مهملة وراء وياء مثناة من تحت قرية من قرى وادي سهام فقال قائل لنا قائل: أما تسلمون على الفقيه عبد الرحمن بن زكريا هو في هذا البيت فدخلنا عليه فوجدناه في بيت فسيح فيه قعائد كثيرة ومعه جمع نحو مائتين فلما وقع نظره علينا قام ومشى وتلقانا إلى نصف البيت فسلمنا عليه.

فقال لذلك الجمع: دونكم هؤلاء فهم من أصحاب الشيخ إسماعيل أغنموهم ما على وجه الأرض أحباب الله إلا سبح هؤلاء ولهم .

الكرامة الثامنة:

وأخبرنا أيضًا العباصري أنه سمع الفقيه عبد الرحمن بن زكريا يقول: على رؤوس

الأشهاد في مسجد الأشاعر بزبيد: يا أيها الناس لا تظنوا أن هذا وأشار إلى الشيخ من أهل زمانكم إنما هو من أهل القرن الخامس اغنموه أغنموه .

وأخبرنا الشيخ الصالح الولي المقرب برهان الدين بن إبراهيم بن عبد الله الأكوع احد أكابر أصحاب الشيخ أنه سمع الفقيه عبد الرحمن ينادي في الناس بأعلى صوته في الجامع يوم الجمعة أن الشيخ إسماعيل كذا أنه كذا ووصفه بأوصاف عظيمة وما في بخارى وسمرقند إلا نوره، قول الفقيه عبد الرحمن أن الشيخ من أهل القرن الخامس إشارة إلى أنه من طبقة أكابر أهل القرن الخامس الذين هم أكابر الشيوخ المشهورين وأعيان كمل عباد الله المحققين .

الكرامة التاسعة:

سمعت شيخنا الأكبر أبا المعروف أدام الله وجود آياته وأعلى علينا من بركاته يثني على الفقيه عبد الرحمن كثيرًا ومما أثنى به عليه قال كان يعرف أحوال أهل البرزخ ومقاماتهم وقال: خرجنا معه إلى المقابر فأتينا إلى قبر يقول: أهل زبيد أنه قبر صحابي فقلت له: يقال إن هذا صحابي فأطرق ساعة وقال: سألته هل انت صحابي؟ فقال: لا أنا من التابعين توفيت سنة كذا وكذا من الهجرة، ثم جئنا إلى قبر شيخي عليّ بن حسن بن مرزوق فقلت له: هذا شيخي ادع له فأطرق ثم التفت إلى الجماعة وقال اشهدوا عليّ أني أشهد أن الله أشهدني صاحب هذا القبر فقلت له: أنت شيخه فقال أنا شيخه في البداية وهو شيخي في النهاية .

الكرامة العاشرة:

وسمعت شيخنا أيضًا ﷺ يقول: قال لي الفقيه عبد الرحمن بن زكريا: رأيت رسول الله ﷺ وراسك على فخذه وهو يضع أصبعه على وجهك وهو يقول: هذا الضياء هذا الضياء ويا ولدي لم يقل ضياء وإنما قال الضياء بالتعريف بالألف واللام قلت: هذه الإشارة بصريح العبارة من النبي ﷺ و الله أعلم، إلا أن شيخنا محمدي المقام خلقه القرآن، قال تعالى في القرآن أنه ضياء فمن أوتي القرآن فقد أوتي الضياء الكامل والضياء هو روح النور وكشفه أتم الكشوف وتدل هذه الإشارة أيضًا على أن شيخنا ﷺ معارفه إلهية لأن الضياء مرتبة الألوهية فهو عين الكشف والعلم والرحمة التي وسعت كل شيء وسعت جميع الأسماء وبهذا حاز نصوص أكابر المحققين .

الكرامة الحادية عشرة:

أخبرنا الشيخ أبو بكر بن محمد العباصري أعاد الله علينا من بركاته أنه سمع الفقيه

عبد الرحمن يقول: شمس الشيخ إسماعيل قاهرة لا ظهور لشيء معها لا يظهر معها قمر ولا نجم وجاء من ثناء الفقيه على الشيخ كثير من كثير وكان الفقيه -رحمه الله ورحمنا به- من أكابر الأولياء وأعيان عباد الله الأصفياء أورع في الحال وبرع في المقال له المكاشفات الصادقة والفراسات الإلهية الخارقة وكان نقاد الأولياء وهبة الله الاطلاع على أسرار الأولياء ومقاماتهم والكشف عن أحوال أهل البرزخ والكلام معهم وتمييز أحوالهم ودرجاتهم وكان من أعيان أهل زمانه وسادات أكابر أولياء عصره وأوانه وكان مشغولاً بالصحيحين البخاري و مسلم وكان سمعه و بصره على كبر سنه صحيحين، ويقول: إذ لك من الصحيحين ﷺ ونفع به.

الكرامة الثانية عشرة:

أخبرنا شيخنا محيي الدين أحمد الرداد و الشيخ الكبير جمال الدين محمدبن محمد المزجاجي أن الشيخ الصالح الولي العالم عبد الرحمن بن عبد الله بن أسعد اليافعي -رحمه الله- أخبرهما أنه اجتمع برجل على الكثيب الأبيض المشهور ما بين عدن فكاشفه بأشياء وتكلم عن أسراره وأخذ بمجامعه فسأله عن صاحب الوقت فقال: هو الشيخ إسماعيل الجبرتي قد انتشرت أعلامه في العالم العلوي كما انتشرت أعلام الأكاسرة في العالم السفلي كان الشيخ عبد الرحمن اليافعي من أكابر أولياء الله وخلاصة أصفيائه صحب شيخنا ﷺ وأخذ منه اليد ورضى له شيخًا وتلمذ له في آخر عمره غلب عليه الحال فكان يطوف في الأقطار لا يتوطن في مكان ولا يتقيد بصحبة إنسان وبقي في ذلك إلى أن مات -رحمه الله- ونفع به .

الكرامة الثالثة عشرة:

أخبرنا الشيخ الولي العالم الصالح العارف رضي الدين أبو بكر بن محمدبن قنيقن الحسيني -رحمه الله- أنه اجتمع بالشيخ الكبير الولي الكامل الشهير يعقوب بن خضر الهندي في مدينة المصطفى ﷺ فجاء إليه الشيخ الكبير الصالح أبو حامد المطري الأنصاري ريس المؤذنين بالمسجد الشريف النبوي فقال سعادات تلميذ يعقوب و ترجمانه للشيخ: يا سيدي هذا أبو حامد من أصحاب الشيخ إسماعيل فقال الشيخ له قل له ما رأينا مثل الشيخ إسماعيل قل له: بل ولا يكون مثل الشيخ إسماعيل، كان الشيخ يعقوب من أكابر أولياء الله المقربين وأعيان عباد الله العارفين صاحب كرامات ظاهرة وأحوال فاخرة وأنوار قاهرة وعلوم منيرة زاهرة وفوائد بين الناس سائرة ممكنًا في التصرف بالحال و الأسماء والكيمياء، عارفًا بأسرار الحروف، روى عنه جماعة كثيرة ومن أصبحنا كثيرًا من فوائد

الأسرار والأعمال وخواص الرقي والعزائم وسمعت شيخنا يقول فيه وجدناه مطلقًا مقيدًا مقيدًا مطلقًا مقيدًا بالشرائع مطلقًا بالحقائق ورد زبيد ولازم حضرات الشيخ وساعاته وكان في حضرات الشيخ ليس له نظر إلا إليه ولا شغل إلا به منصتًا لكلامه متأدبًا بين يديه مكرراً لأبلغ الثناء عليه .

الكرامة الرابعة عشرة:

أخبرنا الفقيه الأجل الشيخ الصالح شرف الدين أبو القاسم بن الفقيه الكبير الشيخ الولي المعمر الشهير أبي بكر أبي القاسم الأهدل قال: اجتمع والدي والشيخ إسماعيل وجماعة في بيت الموفق الريمي بزبيد وذكرا مشاهير الشيوخ المتقدمين فلما خرجنا من بيت الموفق قال لي والدي: يا ولدي قناة الشيخ إسماعيل على رقاب الجماعة كلهم يعني الذين ذكروا في المجلس من الشيوخ .

الكرامة الخامسة عشرة:

أخبرنا القاضي الشهيد عفيف الدين محبوب عباد الله الصالحين عبد الله بن عبد الرحمن العلوي -رحمه الله- أن الشيخ أبا بكر بن أبي القاسم الأهدل يقول: كنت أقصد زبيد لرؤية الشيخ إسماعيل، وكان الضجاعي لا يفارق الطهارة والصلاة واستقبال القبلة وقراءة القرآن والاستقامة. وكان يجتمع عليه جمع كثير في المسجد والشيخ إسماعيل يكون في جناح المسجد يضحك ويمزح والجماعة مجتمعون على الضجاعي والسر في الشيخ إسماعيل.

قلت: يعني السر الذي أجتمع به الجمع على الضجاعي وجذب أنفاسهم.

وكان الشيخ أبو بكر بن أبي القاسم الأهدل من الشيوخ الأكابر وأقمار الزمان الزواهر ريس بني الأهدل في وقته يلبسون الخرقة الفقرية منه ويأخذون اليد عنه ويسيرون في أحكام أحوالهم إليه ويعتمدون في أمورهم عليه من أرباب الأحوال والإشارات والكرامات والمقامات عمر قرنًا كاملاً ولد سنة إحدى وسبعمائة ومات سنة إحدى وثمانمائة -نفع الله به .

الكرامة السادسة عشرة:

أخبرنا شيخنا الإمام محيي الدين أحمد الرداد قدس الله سره العزيز أن الإمام المحدث برهان الدين العلوي كان إذا أتاه أحد ممن يصحب شيخنا والشيخ جمال الدين الضجاعي يقول لهم من الشيخ فيكم إسماعيل الجبرتي أو محمد الضجاعي فإنهما كانا يجتمعان ويجتمع

عليهما الجموع الكثيرة فيقول له من يقول: الشيخ هو الضجاعي فيقول لا بل الشيخ إسماعيل الجبرتي.

قال شيخنا أحمد: هذا في حديث البداية وأما في النهاية فقد رفع الله سبحانه وله الحمد شيخنا أبا المعروف فوق كل عبارة وإشارة وكم سمعنا منه وله وعنه عن فضل الله وبركة رسول الله ﷺ من مبشرة وبشارة وكم رأينا منه وله من أحوال التمكين والتصرفات والمكاشفات والكرامات من خرق عادة مما يربي به أهل الإرادة ويثبتهم به على سلوك طريق السادة القادة أهل الحق والحقيقة والسعادة والسيادة.

قلت: كان برهان الدين العلوي إمامًا في علوم الحديث النبوي رئيسًا في أهل زمانه انتهت الإشارة فيه إليه وكان وليًا صحب الأولياء وانتمى إليهم وأخذ علوم التحقيق وأحكام الطريق من الشيوخ ولبس خرقتهم وشعارهم وأخذ عنهم واقتفى آثارهم .

الكرامة السابعة عشرة:

وأخبرنا أيضًا شيخنا أحمد أبقى الله فوائده أن شيخنا الأكبر دخل على الفقيه الكبير الولي الشهير محمد بن موسى بن الإمام الولي الأكبر أحمد بن العجيل في مرضه الذي مات فيه ودخل معه جمع وذلك قبل أن ينتشر ذكر الشيخ فلما أراد الشيخ أن يخرج أمسكه الفقيه فقال له: اعلم أنه يخرج على البلاد من المشرق خوارج فإياك إياك أن تفسح لهم فبعد مدة ظهرت خوارج المشرق كما قال وكان القائم بالأمر هو الشيخ، وظهر ذلك وكان الشيخ الكبير محمد بن عمر النهادي يقول: إنه القطب .

الكرامة الثامنة عشرة:

أخبرنا الشيخ الصادق العارف يعقوب المخاوي أنه سمع الشيخ الولي بكر بن مقرة القرشي الأوشي يقول: إنه سمع الشيخ الكبير العارف بالعارف أبا بكر بن محمد بن سلامة الموزعي يقول: لا أقدم على الشيخ إسماعيل أحدًا .

الكرامة التاسعة عشرة:

أخبرنا شيخنا شيخ الإسلام أحمد الرداد والشيخ الكبير محمد بن محمد المزجاجي قالا: كان شيخنا يقول للشيخ أبي بكر بن سلامة كل سنة إذا مر عليه للحج هكذا تسافرون كل سنة ونحن وقوف، فيقول له الشيخ أبو بكر: نحن صعاليك وأنت من البرامكة.

وقال له في السنة التي سافرت معه فيها امرأته أم المعروف كمقالته كل سنة وودعه إلى نشال شيخنا: قولك هذا عن علم فإن الله يقول: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾

[الزخرف: 19] فإذا استشهدتك أتشهد فقال الشيخ أبو بكر: إني والله والله أشهد ولا قلت إلا بما علمت.

وأخبرني أيضًا أن شيخنا قال للفقيه الكبير المجذوب الولي الفرد علي بن موسى حين جاءا يودعاه عند السفر للحج: هكذا يكون أصحابي يسافرون وأنا واقف فقال له الفقيه: أما هم أولادك ما يسافرون إلا لك .

الكرامة العشرون:

أخبرنا الأمير الكبير الرئيس الصالح غياث الدين محبوب أولياء الله المقربين عيسى بن محمد بن حسان-رحمه الله- أن الشيخ أبا بكر بن سلامة، قال لشيخنا: أنت ممن عرف حاله مع الله فقال له الشيخ: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: 19]؛ فقال الشيخ أبو بكر ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ [يوسف: 81].

الكرامة الحادية والعشرون:

أخبرنا الشيخ الأجل برهان الدين إبراهيم بن عبد الله الأكوع أحد كبار أصحاب الشيخ وخواصه أن شيخنا أبا المعروف اجتمع هو والشيخ أبو بكر بن سلامة في سفره إلى مكة في بيت الأمير غياث الدين فقال له شيخنا: ما أنتم إلا رزقكم الله الحج والزيارة ونحن هنا محبوسون. فقال له الشيخ أبو بكر: كم بين نحن محبون وأنت محبوب ونحن مريدون وأنت مراد ونحن طالبون وأنت مطلوب فقال شيخنا: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ﴾ [الزخرف: 19] فقال: ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ [يوسف: 81].

الكرامة الثانية والعشرون:

أخبرنا الشيخ الصالح الولي سالم بن حسين اللحجي -رحمه الله- أنه طلب من الشيخ أبي بكر بن سلامة لبس الخرقة. قال: فقال لي تحسبني الشيخ إسماعيل يا ولدي يد الشيخ إسماعيل قوية وأنا لا أقدر على أولاد الصالحين، وسالم هذا من أولاد سلف صالح نسبة طريقتهم منهم فيهم وأحكامها منهم عليهم فلا يستطيع أحد على مثل ذلك إلا القطب الفرد .

الكرامة الثالثة والعشرون:

أخبرنا الشيخ جمال الدين محمد بن محمد المزجاجي أن الشيخ الولي الصالح حسن بن علي الحلبي القرشي أحد أكابر أصحاب شيخنا -رحمه الله- أخبره أنه عزم على زيارة

الشيخ أبي بكر بن سلامة فقال له شيخنا: سلّم على الشيخ أبي بكر وقل له: إن الأمير الغياث قد طرح كليته علينا فاجعل خاطرك معه، قال: فقلت له ما قال، فقال: ما ثَمّ إلا هو ما أحد هذه الربقة في حلقه بعد الفقيه أبي بكر بن محمد يعني ابن أبي حربة إلا هو قال: فقلت ما هي هذه الربقة؟ فقال: حوائج المسلمين قلت: وهذا إشارة إلى مرتبة القطب الفرد الذي عليه مدار أمر العالم ومنه استمداده كان الشيخ أبو بكر بن محمد بن سلامة من أكابر الشيوخ أرباب العلم والمعرفة والرسوخ صاحب كرامات ظاهرة وآيات باهرة ومعارف إلهية وحقائق ذاتية ومنازلات ربانية وعلوم كسبية ووهبية ذا قدم في معالم الطريق راسخة ويد في عوالم التحقيق باذخة، رزق الجمع بين الحج والزيارة كل سنة بالمنع عن القوافل من العربان ووعثاء السفر وحوادثه ببراهين ظاهرة بينة نفع الله به .

الكرامة الرابعة والعشرون:

أخبرنا شيخنا أحمد الرداد والشيخ محمد المزجاجي أنهما جاءا يودعان الفقيه الكبير الولي الفرد المجذوب عليّ بن موسى عند سفرهما للحج وكان شيخنا حاضرًا فقال للفقيه: هكذا يكون أصحابي يسافرون وأنا واقف فقال: أما هم أولادك ما يسافرون إلا لك .

الكرامة الخامسة والعشرون:

أخبرنا شيخنا جمال الدين محمد المزجاجي أن شيخنا ﷺ أخبره أنه زار الشيخ الكبير السيد محمد بن عمر النهاري في ابتداء سلوكه في طريق القوم فحكمه وألبسه ولما وضع يده في يده اهتز الشيخ محمد بن عمر النهاري اهتزازًا عظيمًا، وقال للحاضرين يظهر لهذا الولد شأن عظيم وأخبرنا رجل كبير السن عليه سيماء الرجال جاء لزيارة شيخنا أبي المعروف ونحن عند قبره وذكر أنه من أصحاب الشيخ الأكبر السيد محمد بن عمر النهاري قال أعرف يوم جاء هذا وأشار إلى شيخنا إلى الشيخ محمد بن عمر النهاري فمسح على رأسه وقال: [يصحب هذا رجال رجال ويكون نبي زمانه] ونظر في كفه وقال عن الله أن هذا المدرب.

قلت: قول الشيخ محمد النهاري: «رجال رجال» أي: رجال يبلغون مرتبة الكمال وقوله: «ويكون بني زمانه»: إشارة إلى الحديث النبوي قوله ﷺ:

«الشيخ في قومه كالنبي في أمته»[1].

وإشارة إلى أن شيخنا هو القطب الغوث الفرد وقوله: «هذا المدرب» إشارة إلى

(1) سبق تخريجه.

قول رسول الله ﷺ في المبشرة التي رآها بعضهم لما سأله الرأي عنه فقال له: سيدي يا رسول الله ما تقول في الشيخ إسماعيل الجبرتي فقال: «تعني المدرب» فقال: ما معنى المدرب؟ فقال: «يدرب أمتي بالقرآن»؟

وقول النهاري: «عن الله» هي كلمة يقسم بها أهل تلك الجبال.

وكان الشيخ محمد بن عمر النهاري ﷺ وعنا به كبير القدر شهير الذكر صاحب مقامات عليه وكرامات جلية كراماته لا تعد ولا تحصى وآياته لا تحد ولا تستقصى كشفه لا تحجبه الحجب ووصفه لا تستوعبه الكتب وشهرته أشهر من أن تشتهر ورتبته أكبر من أن تذكر .

الكرامة السادسة والعشرون:

سمعت شيخنا الأكبر أبا المعروف –قدس الله سره العزيز– يقول: بعد أن ذكر الشيخ إبراهيم بن سليمان الحلبي وأثنى عليه وذكر أشياء من كراماته وخوارق مكاشفاته وقال: كان الشيخ إبراهيم يقول: لهؤلاء العمي ويشير إلى عينيه إن كنت رأيت مثلك في المتقدمين أو في المتأخرين، ورواية شيخنا ﷺ لهذه ولمثلها إثبات منه لها، كان الشيخ إبراهيم الجبلي من كبار أصحاب شيخنا مجذوبًا في نهايته وكان ذا مقام علي وكشف تام جلي وتصرف وتمكين وثبوت وتلوين أخبرني عنه جماعة من أولياء الله منهم من قال إنه قال له أنه يعرف الطير الأهلي والغريب وأماكنها ويعرف بني آدم من لدن آدم إلى يوم القيامة بأسمائهم ومراتبهم ومنهم من قال إنه قال له أنه يعرف الخلق كلهم بأسمائهم، و منهم من قال: إنه قال إنه يعرف ما كان وما سيكون وكم سمعنا عنه وله من الكرامات وخوارق العادات ونواهر المكاشفات لا يحصى ممن لا يحصى وغالب أهل زمانه ومن اجتمع به يروون عنه عجائب وغرائب ومع هذا كله كان في عموم طبقته من أصحابنا كأحدهم يعترف بفضل الفاضل عليه ويعرف خصوصية خاصتهم من الله ومكانتهم لديه.

وأما شيخنا أحمد الرداد فكان هو وغيره كالتلميذ بين يديه يرى كل أحد منهم المزية له عليه .

الكرامة السابعة والعشرون:

أخبرنا الفقيه الكبير الولي الكامل الشهير عليّ بن أحمد بن عمر – أعاد الله علينا من بركاته– وسمعته يقول: الشيخ بركة عظيمة قد انتفع به الناس أهل بلده وأهل غيرها وأهل الإسلام وما زلت أسمعه يكرر أنواع الثناء عليه وكان الفقيه عليّ بن أحمد من أكابر أولياء الله المقربين وأعيان عباد الله المكرمين وأحد الكمل الممكنين صحبته كثيرًا سفرًا وحضرًا

وتكررت إليه وتكرر إليْ وقصدته إلى حيث كان وقصدني إلى منـــزلي وإلى حيث كنت وله الفضل بذلك علي، وكان لا يزال إمامًا تاليًا لكتاب الله أو ذاكرًا الله أو ساعيًا في حوائج عباد الله وقل من رأيته يصلي مثله لا يستفزه عن الصلاة حادث ولا يحرك سكونه فيها باعث، النافلة عنده كالفريضة في إتمام الأفعال والأقوال وإن صلى شيئًا من السنن قاعدًا لمرض أعاده قائمًا إذا قدر بكل حال كثير التلاوة لكتاب الله في السنن والنوافل مواظبًا على مأثورات الأذكار آناء الليل وأطراف النهار في سائر الأوقات والأسباب والأحوال، شديد في دينه قوي في حاله ذو عبودية ظاهرة لا يظهر عليه خرق عادة ولا يفتر عن العبادة، كراماته به لا منه وظهورها وصدورها له لا عنه، وكانت لي منه محبة وخصوصية، وكان لي أباً كريمًا شفيقًا رفيقًا رحيمًا والحمد لله، وأخبرني بعض أعيان بلدنا الأثبات الصادقين عن الشيخ الصالح أحمد بن محمد اليماني الصفي الصوفي أنه كان عند الفقيه الكبير أبي بكر بن محمد أبي حربة فذكر الشيوخ الأكابر المتقدمين فقال له الفقيه: اعرف من يكون هؤلاء كلهم تحت لوائه يوم القيامة.

فقال: هو أنت، فقال: وأنا تحت لوائه أيضًا هو الفقيه عليّ بن أحمد بن حشيبر .

وأخبرني القاضي عفيف الدين العلوي -رحمه الله- أنه سمع الفقيه الصالح أبا بكر بن الحكمي يقول: سمعت الفقيه أبا بكر يقول: أولاد المناصب خلفهم في بركة سلفهم إلا بني حشيبر فسلفهم في بركة خلفهم وهو الفقيه عليّ بن أحمد -رحمه الله- ونفع به .

الكرامة الثامنة والعشرون:

أخبرنا الشريف السيد الصالح الولي إبراهيم بن أحمد الحسيني الشهير بالقديمي أنه سمع شيخنا أبا المعروف ﷺ يقول: إن والده كان يظهر من البرزخ بعد موته كل يوم يأتي إلى البيت ويقبله وهو في الحول قال: ففزعت أمي منه، فقالت له أمها: إذا جئت فاستتر؛ فإن ابنتي تفزع منك فقال لها ولدي هذا بركة زبيد وبركة الأرض كلها.

كان والد شيخنا من أكابر أولياء الله وأصفيائه وكان له التصرف في البرزخ يظهر منه بعد موته إلى الدنيا متى شاء نفع الله به .

الكرامة التاسعة والعشرون:

أخبرنا الشيخ الكبير الولي العلم الشهير رضي الدين سليمان بن محمود اللكنوتي الهندي، ولكنوت بفتح اللام وسكون القاف وفتح النون وتاء مثناة من فوق كما أخبرني هي مدينة من مدائن مملكة بنجالة من مشرق الهند بينها وبين عدن في سفر البحر تسعون يومًا بلياليها، اجتمعت به في عدن مقدمة من مكة المشرفة في محرم سنة ست وثمان مائة،

سمعته يقول: الشيخ إسماعيل بمنــــزلة الشمس ينفع كل شيء، والشيخ لم يتعلم العلم ولم يقرأه وإذا سئل في أي علم أجاب وأنا وأنت وكثير من الناس في لواء الشيخ يوم القيامة، حياته حياة العالم وموته موت العالم، قلت وسمعت منه من الثناء على شيخنا غرائب مما شاهده هو منه من الأحوال والآيات والخوارق والكرامات و ذكر أنه صحبه منذ ثلاث وثلاثين سنة، وقف معه بزبيد مدة ذكر أن الشيخ كان يسارقه على خواطره ويخبره بأحوال أهله في بلاده.

قلت: ورأيت على الشيخ سليمان هذا من آثار الأولياء والولاية ما يدل على الكمال ورأيت عليه من آثار العبودية والعبادة والاستقامة مع الله والإعراض عن سواه في سائر الأحوال وسمعت منه من أنواع العلوم عجائب واستفدت منه فوائد غرائب ، وسمعت في أماكن كثيرة من نواحي الهند كثيرًا من الثناء وقصد في إقامته بعدن بالتبرك والدعاء وكتبت إلى شيخنا رضي الدين الصديق ابن الصديق ابن شيخنا ﷺ تحرك لذكره وكرر ذكره كثيرًا وهو يبكي وكان شيخنا قد صار في مرضه الذي مات به وللشيخ سليمان هذا روايات عن الشيخ تأتي بعد إن شاء الله رحمه الله.

الكرامة الثلاثون:

أخبرنا الشيخ الصالح إبراهيم بن عبد الله الأكوع -نفع الله به- أن شيخنا ﷺ قال مرة للشيخ الكبير الولي الشهير طلحة بن عيسى الهتاري حين جاء يودعه عند سفره للحج: كونوا ادعوا لنا فأنتم رزقكم الله الأسفار والحج ونحن وقوف.

فقال له الشيخ طلحة: نحن نتعب وما نبلغ موضعًا إلا ونراك فيه وأنت في موضعك كان الشيخ طلحة من أكابر أولياء الله المقربين وأعيان عباد الله المكرمين وأحد الرجال المعدودين المشهورين صاحب عبادات وخلوات وأعمال واجتهاد ورياضات وأوراد وواردات ومكاشفات وتصرفات وكرامات ظاهرة وأحوال باهرة كان يعرف اسم الله الأعظم كثير الرؤية لرسول الله ﷺ في اليقظة ﷺ ونفع به المسلمين آمين.

الكرامة الحادية والثلاثون:

أخبرنا الفقيه النجيب ذو الشأن الغريب والحال العجيب الولي الكبير القريب عليّ بن أبي بكر بن أبي حربة أنه سمع قائلاً يقول: من رأى الشيخ إسماعيل فقد رأى الله، قلت في ظاهر هذه العبارة ما فيها عند من لم يعلم اصطلاح القوم وغوامض إشارتهم ومن يطلع على نصوص المحققين العلماء بالله وجد فيها ما تجلى له مشكلات عباراتهم أعاد الله علينا من بركاتهم.

الكرامة الثانية والثلاثون:

وأخبرنا أيضًا أنه كان يومًا في مجلس من مجالس أبيه فذكر أن شيخنا أبا المعروف يقول لأصحابه اقرأوا «يس» على نيتي وأفعلوا كذا وكذا على نيتي وأنا بعضهم أنكر عليه هذا. قال: فصوب والدي قول الشيخ وأقره وأنكر إنكار المنكرين عليه فيه.

قال: وسمعت قائلاً يقول: الشيخ إسماعيل كنـــز من كنوز الله ﷻ.

الكرامة الثالثة والثلاثون:

وأخبرنا أيضًا وكنا جماعة وذكر أشياء مما لشيخنا ﷺ من المعارف الإلهيات والحقائق الأحديات والأحوال والكرامات فذكر أنه كوشف في مجلس بشيء مما حصل للشيخ من كمال الموهبة ورأى ما لم يكفه ولا يجده ولا يعرفه ولا يصفه ولا عرف له غاية ولا رأى له نهاية قال: كالبحر لمن يراه من الساحل.

قال: فحصل لي أن العارف بالله تعالى وصف معروفه كما أن الله لانهاية له كذلك العارف بالله والولي الكامل لا نهاية له كذلك العارف بالله والولي الكامل لا نهاية له، كان الفقيه عليّ بن أبي بكر من أكابر أولياء الله وخلاصة أصفيائه صاحب أوراد وواردات وعبادة ورياضات كثير التلاوة لكتاب الله آناء الليل وأطراف النهار كثير الرقة والخشوع إن سمع القرآن أو الحديث النبوي أو شيئًا من حسن القول فاضت عيناه بالدموع يخبر عن المغيبات والهواتف ورجال الغيب وله مخاطبات شريفة وإشارات لطيفة شأنه غريب وحاله عجيب صحبته كثيرًا نفع الله به.

الكرامة الرابعة والثلاثون:

أخبرنا الفقيه الكبير الولي الشهير المحبوب الموهوب محمد بن أبي بكر بن محمد بن يعقوب الشهير بالمحبوب -نفع الله به- بمنزله المبارك بالحبيرية وكنا في ذكر شيخنا أبي المعروف وقال: إنه رأى كشفًا في ليلة الأربعاء حضرة عظيمة حضرها طوائف العوالم العلوية والسفلية فسأل عن سبب جمعيتهم فقيل له انتقال روح بعض أكابر أولياء الله فبينما هو يحكي لي هذا وإذا ببعض إخواننا قد جاء بكتاب فيها علم وفاة شيخنا ﷺ في ليلة الأربعاء فقال لي الفقيه إنما كنت أعني ما حكيت لك بما رأيته موت الشيخ ولكن سترت الأمر.

الكرامة الخامسة والثلاثون:

وأخبرنا أيضًا قال لا تحزنون ولا تأسفون يعني لموت الشيخ فالشيخ كانت حياته

رحمة كالمطر وبعد موته تظهر الثمرات وتجنى على اختلاف أنواعها فقلت له: يا سيدي إنما يأسف من يأسف لموت الشيخ من عدم تمام رضاعه وكمال حاله.

وأما من حيث الشيخ وماله من الله في القدوم عليه من الكرامة وما خلفه من بركاته وأسراره فلا كلام فيه.

فقال: يا ولدي ما مات الشيخ إلا وقد كمل أصحابه وأعلموا أنه كان قد قعد قواعد وأسس أساسات وبنى بناء وما مات إلا وقد أكملها.

الكرامة السادسة والثلاثون:

أخبرنا أيضًا قال نظرت هل أحد من الشيوخ شرع مشرع الشيخ فلم يجد لأحد ما له من شرق أو غرب فهو في الشيخ.

قلت: وكان مما سمعته قال: يتعين علينا مراعاة أولاد الشيخ فإنه كان آبا لنا بعد أبينا وكان هو المتولي أمرنا بعده وأراد أن يكتب معي تعزية إلى شيخنا رضي الدين.

قال: فلما اخترت القلم قيل لا تكتب إليه إلا تهنئة بما انتقل إليه من وراثة أبيه فكتب ما هذا صورته [...].

وكتبه من خطه شعرًا:

اهنيكَ يا ابن الشمِ منهُ بوابلٍ	يَعمُّ جميعَ العاملينَ معاطرًا
إليكَ إليكَ خذْهَا لا عدمنَا	جلالَكم فأفْديَ من جلال

وكتب إلى شيخنا محيي الدين أحمد الرداد ما هذا منه ومن خطه كتبت اتصل انتقال سيدي الشيخ إسماعيل رحمنا الله وإياكم به ورحم به الأحياء والأموات وأعاد علينا وعليكم من بركاته وحصل ما حصل ولكن سبقت التهنئة قبل العزاء وذلك لما وافى ما لم نر فيه غيره عند انتقاله إلى الحياة الكبرى فسبقت التهنئة ولقد بني سيدي الشيخ وأسس أساسًا الله يكمله من الأدنى إلى الأعلى فنحمد الله على ذلك حيث عمت هذه الرحمة التي تسبيه أهل الدنيا والآخرة والحمد لله.

قلت: كان الفقيه محمد بن أبي بكر من أكابر أولياء الله المشهورين وأحد أعيان عباد الله المقربين ذا قدر عليٍّ وفتح جلي ووهب سني وكرامات ظاهرة وآيات باهرة وأحوال فاخرة ومنازلات ربانية ومخاطبات رحمانية وتصرف تام وقبول عند الخاص والعام، قصده الملوك للسلام عليه والتبرك به صحبته كثيرًا وعرفت منه أمرًا كبيرًا والحمد لله.

الكرامة السابعة والثلاثون:

وأخبرنا الأمير غياث الدين عيسى بن محمد بن حسان -رحمه الله- أنه كان في جماعة منهم الشيخ الكبير السراج السلامي يتحدثون في شيء من أحوال الفقراء.

قال: فسمعنا حركة فقال بعضنا اسكتوا نخشى أن يكون الشيخ إسماعيل جاء.

قال: فقال الشيخ السراج والله وعددها في أصابعه عشرًا قبضًا ونشرًا أن الشيخ إسماعيل يعلم ما نقول وما نحن عليه. فقلت: له يعلم ذلك بالكشف فقال: لا بالعين الشحمية والأذن الجلمدية، فما كان إلا أن دخل الشيخ إسماعيل. فقال: ما هذا الذي أنتم فيه شغلتم أنفسكم بذكر زيد وعمرو.

الكرامة الثامنة والثلاثون:

أخبرنا شيخنا شيخ الشيوخ أحمد بن أبي بكر الردَّاد فيما قرأته وسمعته منه وعليه غير مرة قال أخبرنا الشيخ الكبير الولي الشهير سراج الدين أبو بكر بن محمد صاحب السلامة الشهير بالسراج الصوفي -رحمه الله ونفع به- قال: مر علينا الشيخ الكبير رضي الدين أبو بكر بن سلامة -نفع الله به- في قافلة له من المشرفة وكان قد اجتمع بالشيخ إسماعيل بزبيد، فقال لي: يا فلان إن بزبيد رجلاً من الرجال، فقال له الشيخ إسماعيل الجبرتي وهو لم ينصب إلى الآن فلو دخلت إليه ونصبته.

قال: وقلت أفعل وأنا لا اعرف الرجل فقال صل إليه زائرًا وقل له أحب أن تضيفوني سماعًا كما أضفتم الشيخ أبا بكر بن سلامة فإذا فعل فناد في الناس بنصبه.

قال: فتقدمت إلى زبيد وسألت عن منــــزله ودللت عليه فجئت إلى باب البيت فخرج إليّ بعض أصحابه من عنده فتعرفت إليهم فعرفوني فسألت الطريق إلى الشيخ فقالوا: إنه وجيع وما ثَمّ مانع عن الدخول فادخل فقلت: لا بدّ من الاستئذان.

فقالوا: والله ما عنده أحد فما زالوا بي حتى أقبلت داخلاً فإذا امرأة قائمة على باب المجلس الذي فيه الشيخ فلما رأتني دخلت المجلس الذي فيه الشيخ فرجعت.

وقلت: لهم سبحان الله تقولون ما عند الشيخ أحد وهذه امرأة قائمة على باب المجلس من صفتها كذا وكذا.

فقالوا: والله ما عنده أحد وأما هذا الوصف التي وصفت، فإنه وصف امرأة الشيخ بنت النقاد الذي توفيت في هذه الأيام وأدخلوني على الشيخ فلم أجد عنده احد فسلمت عليه وقعدت عنده ما شاء الله ثم سألت أن يضيفوني سماعًا كما أضافوا الشيخ رضي الدين

فأشار إليّ أصحابه بالسماع فلما كان الليل وكان السماع قمت في الناس.

وقلت : اشهدوا أني قد نصبت الشيخ إسماعيل شيخًا له ما للشيوخ وعليه ما عليهم وأخذت عمامتي من رأسي فوضعتها على رأسه، وقلت ألبستك الخرقة وأذنت لك في إلباسها وهذه مشيختي على الشيخ لا غير فأنا شيخه في الظاهر وهو شيخي في الباطن.

قلت: كان الشيخ السراج رئيسًا في وقته عمدة في إلباس الخرقة الصوفية كبير الحال كثير الكرامات قطب الأحوال والمقامات ذا قدر كبير وذكر شهير نفع الله به.

الكرامة التاسعة والثلاثون:

أخبرنا الشيخ جمال الدين محمد بن محمد المزجاجي أنه سافر للحج، وكان كثير الاجتماع بالشيخ الكبير القطب حسن الشيرازي قال: قال لي لا تحج بعد هذه السنة فقلت له: وقوفك عند شيخك أحسن لك من الحج وسماعك لكلامه والأخذ منه أنفع لك في الدنيا والآخرة.

قلت: كان الشيخ حسن الشيرازي كبير الحال عظيم المقام وكان يقال له أنه القطب الغوث اجتمعت به بمكة المشرفة بمنزله المبارك وكان الذين يحجون من أصحابنا يحكون عنه الأحوال ومكاشفات.

وأخبرنا شيخنا أحمد الرداد -رحمه الله- أن بعض أكابر شيوخ الهند أرباب الأحوال والمقامات اخبره أنه اجتمع بالشيخ حسن الشيرازي بمكة المشرفة وأعلمه أن قصدهم زيارة رسول الله ﷺ فقال له إذا بلغتم البرامين تخرج عليكم العرب ويأخذوا كل شيء معكم حتى النعال وتنالوا بذلك معيشة شديدة وجوعًا شديدًا ثم بعد ذلك يأتيكم الفرج.

قال: فسرنا ونسينا قوله حتى إذا بلغنا البرامين فكما سمعت أصحابي يقولون هذا المكان يسمى البرامين ذكرت قوله وتعجبت حيث لم تخرج علينا العرب كما قال فما تم خاطري إلا والعرب قد جاؤوا وأخذوا كل شيء معنا حتى النعال فسرنا ونلنا مشقة شديدة وجوع شديد فخطر بي أنه قال: ويأتيكم الفرج، ولم نر فرجًا فما تم خاطري إلا وإعرابي قد جاء على ناقة فأناخها وقال: يسلم عليكم الشيخ حسن الشيرازي وهذا منه ووضع لنا حارًا كأنما أخرج من القرن على عددنا لكل واحد منا رغيف كبير ووضع لنا تمرًا فأكلنا وشبعنا وحصل الفرج، وغاب عنا.

قلت: ولعمري إنه هو بلا شك تصور بصورة الأعرابي وطويت له المسافة من مكة إليهم وأغاثهم وأعاد الله علينا من بركاته.

الكرامة الأربعون:

أخبرنا الشيخ الكبير الولي المجذوب ذو الأوراد الكبيرة والواردات العزيزة و الجد في الأعمال والهمم العوالي حسن بن أبي بكر المبل القرشي -رحمه الله- وهو من أكابر أصحاب شيخنا وله منه خصوصية محبة قال: رأيت في المنام كأني أقول للشيخ: يا سيدي، ما مثلك إلا كبروسي رمي في بحر الهند وقطعت حاله فلم يعثر عليه إلى يوم القيامة، ثم استيقظت فخرجت من بيتي أريد الشيخ، فوجدته في المكان الذي رأيته فيه في النوم قائمًا، فنظر إليّ فقال لي: ما رأيت الساعة فأخبرته؟ فقال: نعم هو هكذا الأمر والله أحسن ما عرفني أحد ولا لأحد في هذه الدار طريق إلى معرفتي.

الكرامة الحادية والأربعون:

وأخبرنا أيضًا وكان ذا كشف جلي وفتح، على أنه مرض مرة وعقد مع الله عقدًا ألا يتعلق بأحد غير الله ولا يتعلق بالشيخ بما هو فيه.

قال: وكان الشيخ يمر على باب داري يعود الشيخ أحمد الرداد وكان مريضًا ولا يدخل عليّ فبعد مدة شهرين دخل عليّ لابسًا قميصًا وعمامة في يده سبحة فجلس على السرير فرأيت صورته فيها صور كثيرة لا يحصى عددها إلا الله حتى رأيت في كل أصبع من أصابع يديه ورجليه صورًا كثيرة وفي كل شعرة من شعره صور كثيرة وفي كل صورة منها من تلك الصور المتنقلة في جسمه وشعره تامة الخلق كاملة الصورة كصور الشيخ المعهودة وكل صورة منها لابسة كلباس الشيخ إزارًا وقميصًا وعمامة في يدها سبحة كأن كل صورة منها هي صورة الشيخ المعهودة وصورة الشيخ على حالها لم ترد وهي واسعة لتلك الصور التي لا يحصى عددها غلا الله مع كون كل صورة منها مثلها.

قال: وقال لي: يا حسن نويت في مرضك هذا ألا تتعلق إلا بالله؟ قلت: نعم، فقال: هكذا الفقراء ثم قام فقمت معه معافى كأني لم يكن بي وجع.

قلت: وهذه من غرائب الخوارق وأعجبها ليس لأبي الحسن إليها وصول ولا للعقل عليها دخول آمنا بالله وقدرته وكرامات أوليائه.

الكرامة الثانية والأربعون:

وأخبرنا أيضًا -رحمه الله ونفع به- أنه كان جالسًا في المسجد الحرام عند مقام إبراهيم الخليل صلوات الله على نبينا محمد وعليه وسلامه بعد صلاة الظهر وعنده رجل من أهل مصر قال: فسألني لم كره من كره قراءة القرآن في الطواف واستحب الأذكار المأثورة؟ فتوقفت عن الجواب وإذا بالشيخ ﷺ جاء ودخل من باب إبراهيم وجعل ما بين

باب إبراهيم ومقام إبراهيم ثلاث خطوات حتى قام علينا والشيخ حينئذ بزبيد فقال لي الشيخ: قل له إنه كره من كره قراءة القرآن في الطواف واستحب الأذكار المذكورة تعظيمًا لجلال الله وتنـــزيهًا له لأن القرآن صفة الله والقارئ متصف بصفة الله فنزهت صفة الله الخالق أن يتلبس بها القارئ ويطوف بها حول البيت وهو مخلوق والأذكار المأثورة صفة المخلوق فجاز الطواف بها حول مخلوق للمناسبة ثم احتجب الشيخ عن نظري فأجبت الرجل بهذا الجواب.

فقال: من أين لك هذا ؟ فأخبرته بما كان من الشيخ ﷺ فإنه كان محتجبًا عنه.

الكرامة الثالثة والأربعون:

أخبرنا بعض أكابر أصحابنا أحد أرباب الكشوفات والفتوحات أنه حضر مع الشيخ سماعًا فرأى الشيخ إسماعيل خرق السبع السموات فكانت في عنقه كالخيوط البيض ورأى رأسه مشرفًا على سطح السماء السابعة وزاد خرق الشيخ السبع الأرضين برجليه فكانت في ساقيه كالخيوط وكانت صورة الشيخ في هذه الحال نورانية وكان يتحرك في السماع بصورته المعهودة.

قال: فعجبت من ذلك فسمعت قائلاً يقول: هو شيخ الإنس والجن والملائكة وأهل الأرضين ومادتهم من تحت قدمه وأهل السماوات مادتهم من نوره وأمره.

قلت: لا يكون هذا إلا للغوث الفرد ﷺ ونفعنا به آمين.

الكرامة الرابعة والأربعون:

أخبرنا الأخ الصالح الولي طلحة بن عليّ القرشي أحد خواص الشيخ وخدامه أن شيخنا ﷺ قام ليلة بعد التراويح لصلاة الوتر وقال لمن خلفه استووا وأحرم بالصلاة.

قال: فرأيت للشيخ وجهًا من خلفه ورأيت له صورة أخرى تمشي تسوى صفوف المسلمين.

الكرامة الخامسة والأربعون:

وأخبرنا أيضًا أنه جاء علم بنـــزول الإمام صالح بن عليّ إلى زبيد، قال: فخرج الشيخ يومًا من باب النخل وأنا معه وقعد خارج الباب قريبًا صفه بين الخندقين فقعدت عنده فرأيت جبلاً انتشر من جسم الشيخ فاداره على زبيد خلف الدرب ولفها به لفًا وثيقًا ورأيت جبلين دائرين بها قد رخيا وبليا كأنهما قديمان.

قلت: هذه إشارة إلى التدريب على زبيد وحفظها والجبلان القديمان لمن قبله والله أعلم.

الكرامة السادسة والأربعون:

أخبرنا شيخنا رضي الدين جمال المقربين الصديق ابن شيخنا وخليفته متع الله بحياته قال: أي كرامة أعظم مما كنا نجد عند الشيخ كنا إذا رأيناه ونحن في أي هم كان من هموم الدنيا والآخرة خرجنا عنه، يأخذنا الشيخ عمّا نحن فيه إلى ما هو فيه ونكون كأنا نرى الله عيانًا ونستحضر جلال الله وعظمته وكبريائه وما له إن كان ذلك حال الشيخ في تلك الساعة ونستحضر تنزلات الرب وتدانيه وألطافه وما منه وينسى الواحد منا نفسه وأهله وماله وحاله ومآله.

قلت: نعم كان الأمر عندنا ذوقًا ووجودًا كما ذكر الشيخ رضي الدين والحمد لله رب العالمين.

الكرامة السابعة والأربعون:

أخبرنا الشيخ رضي الدين أبو بكر العباصري والشيخ بدر الدين حسن بن الهبل القرشي وشيخنا رضي الدين أبو بكر الصديق أن شيخنا -قدس الله سره- قال: من كان له إلى الله حاجة فليدع بها أو بمثلها لي فإنها تحصل له قال شيخنا رضي الدين: وفي رواية فليدع بها لي ولأربعين من أصحابي.

قلت: قول شيخنا ﷺ: «فليدع بها» لي فإنها تحصل له هذا من لطائف العلوم الإلهية ودقائق حكم الأسرار الربانية وهو سر أمر الله سبحانه لنا بالصلاة والسلام على نبيه ﷺ.

وقوله ﷺ: «من صلى عليَّ مرة صلى الله عليه عشرًا»[1].

والصلاة دعاء وأين رتبتنا من رتبته ﷺ حتى يحتاج إلى دعائنا إنما ذلك تعبد لنا وعناية من الله بنا ليصلي علينا بصلاتنا عليه جزاءً وفضلاً.

وقال بعض المحققين: فمن دعا للنبي ﷺ بأمر فإن الله يعطيه أضعاف ذلك الأمر.

الكرامة الثامنة والأربعون:

وأخبرنا الشيخ حسن بن أبي بكر القرشي -رحمه الله- قال: سافرنا في مولف إلى مكة المشرفة فلما أتينا جبل كَذُمُل بكاف مفتوحة ومضمومة وذال معجمة كذلك وميم مشددة مضمومة ولام ، جبل في البحر فبينما نحن بريح طيبة إذ جاءتنا ريح شمال فجأة

(1) رواه مسلم (408).

فقلبت القلع على الدقل وانكسرت مركبة القلع وحلت بروسياً كان في صدر المولف مدلى بحبل وألقته في بطن المولف وأشرفنا على الغرق فقلت اللهم سكّن البحر للشيخ إسماعيل وطيب له الريح فرأيت قدم الشيخ في صدر الجلبة وانفصلت ريح الشمال وسكن الريح وهبت ريح الأزيب وأدارت القلع إلى مكانه كما كنا للغور وسلمنا وكان في البحر يومئذ سبعة عشر مركبًا حصل عليها ما حصل علينا وأشرفنا على الغرق وسلمت جميعًا ببركة الشيخ إسماعيل.

الكرامة التاسعة والأربعون:

أخبرنا شيخنا محيي الدين أحمد الرداد -قدس الله سره- ومن خطه نقلت قال: أخبرنا صاحبنا محمد البجلي المجاور بمكة المشرفة -رحمه الله- أنه كان في ابتداء أمره صحب شيخنا شيخ الشيوخ قطب الدين أبا المعروف -قدس الله سره العزيز- وتحكم على يده قال: وكنت ساكنًا في المهجم فابتليت بأشياء تخطر بقلبي لا تليق في حق جلال الله تعالى ولا يمكن انطق بشيء منها لقبحها قال: فلما اشتد ذلك عليّ عزمت على زيارة الشيخ إلى زبيد لأشكو عليه حالي ورجوت أن يرفع الله عني ما أجده ببركته.

قال: فسافرت حتى جئت إلى زبيد ووصلت إلى باب الشيخ وناديت به فأجابني وخرج إليّ فوالله ما وقع بصره عليّ وعندي شيء مما كنت أشكو أبدًا ولا طرقني شيء من ذلك بعد ببركة الشيخ.

قال شيخنا أحمد: فهذه من مراتب التمكين في التصرف وفيها إشارات التحكم في القلوب ونسخ الخواطر والحمد لله نسأل الله تعالى أن يتم علينا نعمة الموصلة وأن يديم علينا فضله.

الكرامة الخمسون:

أخبرنا شيخنا رضي الدين أبو بكر الصديق أن الشيخ الكبير الولي ذا الأحوال والمقامات والرياضات والفتوحات حسين بن أحمد العراقي أحد أكابر أصحاب شيخنا أخبره أنه كان عند الشيخ ﵁ قال: فسمعت في صدر الشيخ قعقعة عظيمة كصواعق البرق ورأيت الشيخ ينقبض وينبسط وينطوي وينتشر من الواردات وتجليات القهر والجلال حتى خفت على نفسي.

الكرامة الحادية والخمسون:

أخبرنا الأخ الصالح الشيخ الولي حسن بن علي التنوخي أنه دخل يومًا على الشيخ ﵁ وفي يده ورق نارجيل أخضر.

قال: فأخذه الشيخ من يدي، وقال: هذا تنبل فكان لفور تنبله فأكل منه وأعطى الجماعة منه فأكلنا تنبلاً.

قلت: هذا من قلب الأعيان وهو من إشارات التمكين في التصرف والإمكان.

الكرامة الثانية والخمسون:

أخبرنا الأخ الصالح الشيخ العالم جمال الدين محمد بن حزام اللحجي أحد نواب شيخنا برابطة بثغر عدن أنه دخل مسجدًا فوجد فيه جماعة لا يعرفهم يتذاكرون أوصاف شيخنا.

قال: فسمعت أحدهم يقول: رأيت في المنام جنازة معها جمع فيهم جماعة من المشايخ منهم الشيخ إسماعيل ورأيت رسول الله ﷺ فقلت له: يا رسول الله! من المتحقق في هذا الوقت بمقام الشفاعة في الجنة؟ فقال ﷺ :«الشيخ إسماعيل» فلما أصبحت قصدت الشيخ فقابلني في شارع فأخذتني هيبة فاستترت في مكان فما كان إلا أن دخل على ذلك المكان وقال لي: هات ما رأيت رسول الله ﷺ وسألته: من المتحقق في هذا الوقت بمقام الشفاعة في الجنة فقال لك الشيخ إسماعيل والميت الذي رأيتنا مع جنازته هو صاحب لنا من الفقراء، وكان موت الفقير في اليقظة وما كنت علمت به.

قلت: التحقق بمقام الشفاعة لا يكون إلا للغوث الفرد كما هو مقام محمد ﷺ وهو مقام الأتم الأعم مقام الشفاعة العظمى فيه يشفع الشافعون ومنه يستمد الشفعاء وإليه يرجعون وهذا دليل على أن شيخنا -قدس الله سره- كان واحد زمانه وغوث وقته وأوانه وقوله: «الشفاعة في الجنة» يعني: في دخول الجنة ﷺ.

الكرامة الثالثة والخمسون:

أخبرنا شيخنا محيي الدين أحمد بن أبي بكر الرداد -أمدنا الله من سره- غير مرة قال: رأيت رؤيا قصصتها على الشيخ أبي القاسم سيف الخير وكان ممن صحب الشيخ في البداية وكان من الأبدال وكانت الأحوال تطرق الشيخ فيحصل، ونحن صحبناه في الكمال فلما قصصت رؤياي عليه قال لي: بالله لا تقصص رؤياك على الشيخ فإنه غيور فقلت: لا بدَّ أن أقصصها عليه فإن كانت خيرًا فمن بركته ونرجو الزيادة عليه، وإن كانت غير ذلك كفينا ببركته.

فقال: أخبرك بشيء من ذلك غيرة الشيخ قال لنا يومًا يا جماعة افترقوا عني فإني أخشى عليكم مني في هذا. أي في هذا الزمان وكان الشيخ يومئذ تغلب عليه الأحوال فتفرقنا في البلدان فمنا من راح السلامة ومنا من راح بيت حسين ومنا من راح ببيت

الفقيه بن عجيل ومنا من راح موزع وكنت أنا ممن راح موزع، فجلست عند الشيخ أبي بكر بن سلامة ستة أشهر فجاءتني رسائل الشيخ أني أعود وكنت أحب الإشارات بالعود فلما وجدت زيادات في مقامي بموزع فنويت ألا أرجع، وقلت: الشيخ والشيخ أبو بكر شيء واحد فخرجت يومًا إلى صحراء موزع للبراز وبعدت عن القرية قليلاً وإذا الشيخ مقبل يمشي نحوي فرهبت وقلت: من أين جاء الشيخ! فلما قرب مني ما هو بالقرب الكثير تحول أسدًا، وأقبل يمشي إلى أسدًا عظيماً فهالني ذلك فما زال مني يقرب حتى وصل إلى مكان لو زاد عليه بخطوة لهلكت أو قال لمت، ثم رجع يمشي على حاله أسدًا إلى موضعه الذي تحول فيه وتحول إنسانًا في صورته المعروفة وولي حتى غاب عن بصري فبعدها لم يستقر لي قرار.

وقلت: ما بقي إلا أن ترجع أو يأكلك الأسد فخرجت من موزع للفور.

وأخبرنا الشيخ ابراهيم الأكوع أنه لما صار أبو القاسم سيف الخير عند المحرى بظاهر زبيد أطلع الشيخ عليه وقال للجماعة: قوموا بنا نلقى الشيخ أبا القاسم فتلقوه.

الكرامة الرابعة والخمسون:

أخبرنا الشيخ الكبير الولي الشهير الشريف النسيب السيد الحسيب شهاب الدين أحمد بن يحيى المساوي الحسني -نفع الله به- أنه قصد زيارة الأولياء من بلده إلى زبيد.

قال: فلما جئت إلى سيدي الشيخ إسماعيل الجبرتي ووقفت على بابه لم يبرز إليّ ولم يفتح لي الباب وإنما أخرج يده وإذا هي والله يد أسد ففزعت وعرفت بأن ذلك بسبب كوني لم أقصده بالزيارة خاصة ولم أفرده بالقصد فرجعت إلى بلدي ونويت زيارته خاصة فتلقاني قبل أن أصل إلى بيته وآنسني وحصل لي منه أُنس كبير وبسط كثير- نفع الله به.

الكرامة الخامسة والخمسون:

أخبرنا الشيخ الكبير صاحب المنازلات جمال الدين محمد بن محمد المزجاجي والأمير غياث الدين عيسى بن محمد بن حسان وشيخنا أحمد الرداد واللفظ له غير مرة أن بعض المشايخ حكى من شيخنا سماعًا فتحرك شيخنا فأسقط أسنان ذلك الرجل الشيخ كلها بدمه فجمعها صاحبها إلى يده وجاء بها إلى الشيخ السراج السلامي وكان حاضرًا وذلك للسماع فجاء بها الشيخ السراج إلى شيخنا وهو في حال حركته وقال انظر ما فعلت مع فلان فأخذ شيخنا الأسنان منه في يده ورمى بها فم صاحبها كما يرمي الإنسان بالحصى حتى لو لم تكن أمرًا معتويًا ما وقعت من تلك الرمية إلا في الأرض فما وقعت

كل منها إلا في موضعها.

قال الشيخ محمد المزجاجي: أن الشيخ بصم على فم ذلك الرجل وعلى لحيته وكان ما ذكر.

وقال الأمير الغياث: حلف الرجل بالله لقد ابتلع الشيخ رأسه ورقبته ومنكبيه في فمه وسقطت أسنانه فردها الشيخ كما كانت وطلبه الملك الأفضل الأشرف رحمه وسمعنا منه، وكان يحكيها لكل أحد إلى أن مات.

قلت: هذه الكرامة متضمنة لكرامات وهي من أعظم خوارق العادات وأعجب الكرامات.

الكرامة السادسة والخمسون:

أخبرنا الشيخ الأجل شيخنا الإمام أحمد الرداد غير مرة قال: دخل الشيخ ببيت الفقيه يحيى الصفدي ومعهم بنية صغيرة قد أكلت سم الفأر وقد ماتت وهم يبكون عليها، فقال: إنها لم تمت فحيت وعمرت بقدرة الله تعالى.

الكرامة السابعة والخمسون:

أخبرنا الشيخ الكبير الولي بكر بن حقرة الرعيني أحد أكابر الطبقة الأولى من أصحاب شيخنا -رحمه الله- قال: جاء رجل من أهل الهند إلى الشيخ فقال: يا سيدي في بلدنا جبل فيه أربعون فارساً أو قال أربعون رجلاً ينهبون والتزم الشيخ فيهم ففحص الشيخ برجليه وهو يقول: زالوا زالوا فسافر الهندي إلى مكة ثم رجع إلى بلده ثم رجع إلينا مرة أخرى فأخبر أنه مر على الجبل فلم يجد هناك لا جبلاً ولا أحدًا.

الكرامة الثامنة والخمسون:

أخبرنا الأخ الصالح الشيخ الولي الأصيل جمال الدين محمد بن حسين بن ياسين البجلي والأخ الصالح طلحة بن علي الهناد القرشي كلاهما خدما الشيخ وشيخنا رضي الدين أبو بكر الصديق له أنهم حضروا مع شيخنا ﷺ سماعًا في الموقي قرية من قرى حازة زبيد قال فحصل في ذلك السماع وقت مبارك وحصل فيه على الشيخ شيء عظيم وبكى فبكى جميع الحاضرين وبكت السماء بالمطر من غير السحاب فكان الشيخ يبكي والسماء تمطر مطرًا بقي كمطر الربيع من غير سحاب والجو صاح والنجوم زواهر.

قلت: هذه من أعجب الكرامات وأغرب خوارق العادات.

وفي ذلك قلت:

بـكَ الـسماءُ مـا بِها سحب لُر ى ... الجـوُ صـاحٍ والـنجومُ زواهـرُ
أمـستْ تـنازعهُ الشجى مِنْ شَجْوِهِ ... وبـهِ لـه باتَـتْ كـذاكَ تُـسامرُ
فلدمـوعهُ فـوقَ الخـدودِ سَـوافحُ ... ودمُـوعها فـوقَ التـرابِ مواطـرُ

الكرامة التاسعة والخمسون:

أخبرنا الشيخ الكبير الولي المقرب الشهير ذو الاستقامة، التامة، والبركات الفائضة العامة والأوراد الكثيرة والواردات العزيزة والكرامات الظاهرة والأحوال الباهرة عبد الرحيم بن عبد الصمد الجبرتي أحد أكابر أصحاب شيخنا والشيخ الصالح أبو القاسم ابن الشيخ الكبير المعمر أبي بكر بن أبي القاسم الأهدل والشيخ الأجل محمد جمال الدين بن إسحاق القرشي أنهم سمعوا الفقيه الإمام العالم عليّ بن حسين المقري الجبرتي -نفع الله به- يقول: صليت التراويح في أخر ليلة جمعة من رمضان في المسجد مع الجماعة ببلاد الجبرتي فلما قضيت الصلاة خرجت إلى موضع كنت أعتاد الصلاة فيه فرأيت نورًا عظيمًا أبيض يضرب إلى خضرة قد ملأ الأفاق حتى رأيت مخ يدي وجريان الدم في العروق من قوة ذلك النور فنظرت إلى السماء فقهرني النور فأطرقت إلى الأرض فرأيت أمعائي وجميع ما في بطني ثم رأيت ما تحت التحت وما فوق الفوق حتى يزيغ عقلي فأتاني رجل من على يميني رائحته كالمسك فصافحني وصافحته فقلت له ما هذا النور؟ فقال: نور رجل صالح يسمى الجبرتي الشيخ إسماعيل الجبرتي يسكن بزبيد فقلت: وأين زبيد؟ قال: هي في بر العرب في اليمن فقلت له نور روح رجل واحد يبلغ من قاف إلى قاف من الشرق إلى الغرب؟ فقال: نعم وهو من خلف قاف مسيرة شهر ليلاً ونهارًا فقلت له: هل وراء قاف بلد؟ فقال: نعم، قلت: فبم وصلت إليها قال: بضوء الشمس ونور المؤمن أقوى من ضوء الشمس.

قال: فأقمت أيامًا وسافرت للحج فلقيني ذلك الرجل في زيلع ثم في البحر ثم في مسجد المخا وقال لي: إذا وصلت إلى زبيد فادخل من باب القرتب وهو باب زبيد اليماني ولا تأكل ولا تشرب إلا في بيت الشيخ إسماعيل ففعلت ذلك والحمد لله رب العالمين وسألت الشيخ عبد الرحيم عن الرجل الذي يروي عنه الفقيه عليّ بن حسين فقال: ما يكون إلا أبو عباس الخضر.

الكرامة الستون:

أخبرنا الفقيه العالم الشيخ الصالح الولي جمال الدين محمد بن إبراهيم المرشدي

الحنفي بالمسجد الحرام تجاه الكعبة المعظمة عام أربع وثمانمائة وسمعته يقول للشيخ الصالح الولي المعتقد جمال الدين محمد بن أبي بكر المرشدي المصري الشافعي حكيت لي أن أم المعروف امرأة الشيخ لما حجت وسافرت إلى المدينة وبلغوا مع الركب المصري عقبة السويق قطعوا المصارية قطارات الجمال عن جمالهم في العقبة وقطعوا قطار جملها فقالت: يا شيخ إسماعيل وإذا بالشيخ إسماعيل قد صار قبل الجمل أخذ خطامه بيده جاعلاً له على كتفه ومشى في زحمة الركب وإذا الركب قد انفلق له نصفين عن يمينه وعن شماله حتى قطع الشيخ بالجمل الركب وعدا به العقبة وقال للجمال إليك الخطام ولم يروه بعد فقال جمال الدين المرشدي الشافعي لجمال الدين الحنفي نعم كان ذلك.

الكرامة الحادية والستون:

أخبرنا شيخنا الإمام أحمد الرداد والشيخ رضي الدين أبو بكر العباصري والشيخ الأجل السيد شهاب الدين أحمد بن علي الحجازي فأما شيخنا أحمد فقال: قال لي الشيخ في بعض الليالي وقعت هذه الليلة في علم ﴿مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [سبأ:2].

وأما الشيخ العباصري فقال: قال الشيخ: أعطيت علم ﴿مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [سبأ:2]، وأنا في المعلامة.

وأما الحجازي فقال: سمعت الشيخ يقول: علمت ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها قبل أن ينبت شعر وجهي.

الكرامة الثانية والستون:

أخبرنا شيخنا محيي الدين أحمد الرداد والشيخ الكبير محمد بن محمد المزجاجي والشيخ برهان الدين إبراهيم بن عبد الله الأكوع والأخ الصالح طلحة بن علي القرشي والشيخ جمال الدين محمد بن إسحاق بن دلف القرشي، والشيخ شهاب الدين أحمد الحجازي وغيرهم.

فأما شيخنا أحمد والمزجاجي في بعض رواياته وإبراهيم الأكوع ومحمد بن إسحاق فقالوا: قال الشيخ: أنا لا يساق إليّ إلا الربانيون.

وأما طلحة بن علي فقال: سمعت الشيخ غير مرة يقول: لا يصحبني إلا الصديقون.

وأما المزجاجي والحجازي فقالا: سمعنا الشيخ مرارًا يقول: قيل لا يصحبك إلا الصديقون، وقيل: لا يصحبك إلا الربانيون.

وقال لي شيخنا أحمد: فكم رأينا في أصحابه ومدته من بر ومقرب ومحب لله وعارف.

قلت: والربانيون هم الذين معارفهم ربانية وهم أهل التنـــزل الرباني قال ﷺ في الحديث الصحيح المشهور: «ينـــزل ربنا تبارك وتعالى في كل ليلة إلى السماء الدنيا»[1].

الحديث المشهور إلى الاسم الرب، وكذلك ما كانت معارفه رحمانية فأهل النفس الرحماني نسبة إلى الاسم الرحمن وهكذا أحكم نسب العارفين إلى سائر الأسماء فما أشرفها من نسبة وما أرفعها من رتبة فهذه كرامة أكرم الله بها شيخنا ؓ في أصحابه وهي الكرامة العظيمة والموهبة العميمة فيا بشرى من كان له منه صحبة ويا فوز من كانت إليه نسبة صحح الله لنا نسبته وحقق لنا صحبته ومحبته آمين.

الكرامة الثالثة والستون:

أخبرنا شيخنا رضي الدين جمال المقربين أبو بكر الصديق والشيخ أبو بكر العباصري والشيخ الولي المستقيم مع الله بالمراقبة وتلاوة القرآن كتابة جمال الدين محمد بن عبد الله الجرازي ساكن المنيرة أحد أكابر أصحاب الشيخ والشيخ النجيب الولي القريب برهان الدين إبراهيم ابن شيخنا ؓ والأخ الصالح الولي نصر بن عبد الله والفقيه الأجل الولي الصالح أبو بكر بن الفقيه أحد كبار خدام الشيخ أنهم كانوا في حضرة شيخنا فذكر الشيخ إبراهيم الجبلي والشيخ حسن بن الهبل كرامات الشيوخ وما اشتهر منها عن أكابر المتقدمين من الآيات وخوارق العادات حتى وصلنا بالذكر إلى الشيخ أبي الغيث بن جميل ثم إلى أهل العصر، وقال الشيخ: حسن بن الهبل: وأما هذا وأشار إلى شيخنا فما هو إلا كالماء في الكثيب ما حصل في الكثيب الرمل من الماء ابتلعه قالوا: وكان الشيخ مستقليًا فجلس وقال: والله ما منهم إلا من أخذنا بحجزته هكذا وسقناهم على الله وأخذ بحجزة بعض الجماعة وأخره وراءه، ورواية الشيخ محمد عبد الله الحرازي[2] سمعنا من نثق به من أصحابنا يقول: قال الشيخ: ما أحد من المتقدمين إلا وتركنا بعدنا.

---

(1) رواه مسلم (1/521)، والترمذي (2/306)، وأحمد (2/419)، والدارمي في السنن (1/412).

(2) قال ابن رافع: وفي شوال منها توفي الشيخ الصالح شهاب الدين أبو العباس أحمد بن قاسم الحرازي اليمني الشافعي بمكة الشريفة سمع منه جماعة وتفقه وبرع وأفتى. الوفيات لابن رافع (ص 72).

الكرامة الرابعة والستون:

أخبرنا بعض الأخيار الصادقين من أصحاب الشيخ الصالح عبد الرحمن الفرضي الحسيني قال كنا في النخل فوقعت شعشعة عظيمة بخبر جاء من الجبل وتخبط حال الناس فأرسل السلطان الملك الأشرف خمسة من الأمراء فجاء الشيخ إسماعيل وأنا أراه إلى دار السلطان وناداه بصوته فأشرف عليه فقال له الشيخ هذا المشرف قد قبضت عليه وقبض كفه وضرب بكفه الآخر على المنقبض وقبض عليه، وقال: وهذا ختمه فإن شئت أن تتحرك وإن شئت أن تسكن فقد كفيت.

الكرامة الخامسة والستون:

أخبرنا شيخنا محي الدين أحمد الرداد، وغيره فيما قرأته عليه، و سمعته منه غير مرة، قال: شيخنا: وقعت في قلب الأعيان وما هو؟ وقلت: يا سيدي وما هو؟ قال: ما شئت معنى ولفظًا غيره.

قال: قال الشيخ : كنت لا يحجب عني شيء، وأعلم جميع ما في الكون، فسألت الله في ذلك، فرقيت إلى ما هو أعلى من ذلك، وأنا الآن قلب الأعيان ، ما شئت كان.

الكرامة السادسة والستون:

أخبرنا الشيخ الكبير ذو اللطائف والمعارف أبو بكر العباصري أنا وجماعة كثيرين منهم شيخنا أحمد وشيخنا رضي الدين أنه كان مع شيخنا ﷺ في سماع فأحس قلبه تكلم بشيء فجاءه الشيخ من طرف السماع وضم فم قلبه بإصبعيه المهللة والإبهام فيغم قلبه وسكت، ثم بعد ساعة تكلم قلبه أيضًا فجاءه الشيخ أيضًا وضم فم قلبه بإصبعيه كما تضم الشفتان.

قال: فما تكلم قلبي بعدها إلى الآن.

قلت: فقال لي شيخنا أحمد أثبتها فأثبتها، وهذه من إشارات التمكين والإشراف على القلوب وما يكون منها وفيها التصرف فيها بالحس.

الكرامة السابعة والستون:

أخبرنا شيخنا شيخ الشيوخ أحمد الرداد نفع الله به أن القاضي الأجل جمال الدين محمد ابن أبي بكر المصري أحد أصحاب شيخنا أخبره أنه رأى رسول الله ﷺ على صورته الموصوفة المعروفة لابسًا ثوبًا كبيرًا أبيض متزرًا به ملقي طرفيه على عاتقيه قاعدًا متربعًا واضعًا إحدى رجليه على الأخرى وبيده ﷺ عصي صغيرة في فضاء فسيح ومعه جميع الأنبياء المائة الألف والأربعة والعشرون الألف.

قال: وعرفت منهم إبراهيم وموسى وعيسى - صلى الله على جميعهم وسلم - فقال ﷺ لموسى وعيسى: «هذا الشيخ إسماعيل جاء قوما تلقياه» فقاما فقمت معهما وكان الشيخ راكبًا على دابة وبين يديه جماعة منهم الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله اليافعي عليه مرقعة من سرته إلى ركبتيه فقلت له: يا فلان بالأمس وأنت تقول في الشيخ ما تقول والآن أنت تمشي بين يديه قال: فالتفت إلى الشيخ إسماعيل وقال: خل الفضول فلما رأى الشيخ موسى وعيسى عليهما السلام نزل ومشى حتى لقياه فعانقاه فقال أحدهما للآخر: هذا الشيخ إسماعيل الذي أُعطي مقاليد السموات والأرض أو مفاتيح السماوات والأرض ثم مشى إلى رسول الله ﷺ فلما قرب الشيخ من رسول الله ﷺ نهض له حتى قام على ركبتيه وعانقه وضمه إليه وأجلسه إلى جانبه فقال موسى أو عيسى: يا محمد سمعت ما قال أخي عيسى أو موسى هذا الشيخ الذي أعطي مقاليد السماوات والأرض فقال ﷺ: «نعم»، قال: وجلست خلف رسول الله ﷺ فرأيت خاتم النبوة كزر الحجلة بين كتفيه.

الكرامة الثامنة والستون:

أخبرنا الشيخ رضي الدين أبوبكر العباصري والشيخ النجيب العالم المقرب العارف بالله جمال الدين زين العابدين ابن شيخنا أحمد وجماعة من الإخوان قالوا: حضرنا مع الشيخ سماعًا فسمعناه يقول: أبشروا يا أصحابي ما أحد منكم يموت إلا وقد عرف الله إما في الدنيا وإما في الآخرة عند ظهور ناصية ملك الموت، زاد زين العابدين وأطلق الشيخ القول.

قلت: يعني في أصحابه ولم يقيد صاحبه منهم دون أحد وهذه والله الكرامة العظمى له فينا والبشارة الكبرى به لنا والمنة القصوى له علينا فإن معرفة الله سبحانه هي غاية مطلوب كمل المقربين من أولياء الله ونهاية مرغوب المحققين من عباد الله وهي أعلى الكرامات والمناقب وأعلى المنح والمواهب وأكرم الله بها شيخنا في عموم أصحابه حيثما كانوا وأياماً كانوا وكيفما كانوا، والحمد لله رب العالمين.

الكرامة التاسعة والستون:

أخبرنا شيخنا العارف بالله أحمد الرداد غير مرة أن السلطان الملك الأشرف -رحمه الله- أخبره غير مرة قال: كنا حاطين على «إبّ» بألف مكسورة وباء موحدة مشددة مدينة حصحب فانكسر عسكرنا يومًا كسرة عظيمة وحصل فيهم القتل فقلت يا شيخ إسماعيل فرأيته بعيني هاتين على فرس أخضر لابساً وقد حمل عليهم فانكسروا وعطف عسكرنا عليهم وقتلوا منهم.

الكرامة السبعون:

أخبرنا أيضًا فيما قرأته عليه وسمعته منه غير مرة أن شيخنا -رضي الله عنه- حضر ليلة سماعًا بالأوشج هو وأصحابه بمنزل الشيخ الصالح بكر بن محمد بن مقرة القرشي، وحضر ذلك السماع جمع كثير من المشايخ والفقراء والصوفية وغيرهم.

وكان فيمن حضر الشيخ الكبير الصالح السراج الصوفي وغيره من المشايخ المعتبرين فلما كان شيء من الليل وهم في حال السماع والاستماع صرخ الشيخ إسماعيل -قدس الله سره ونفع به- صرخات وجرى في الطابق وهو يقول: الحلبة الحلبة ثم استقام وهو مشير بيده كالذي يشد شيئًا بمسكه بيديه ثم وقف ما شاء الله ثم رجع وكان قد شكى عليه بعض أصحابه ممن يتعود سفر البحر وهو يعقوب المخاوي كثرة مما يتغير عليه أحوال البحر وكثرة ما ينكسر فيه فقال له الشيخ: إذا تغير عليك حال فناد يا آل ياسين وكان يعقوب يومئذ مصاهرًا للشيخ بلبيد فلما أصبح الشيخ سئل عما صدر منه في حال السماع من ذلك القول والفعل، فقال صاحب لنا من المسافرين في البحر تغير عليهم البحر وأشرفوا على الغرق فاستغاث بنا فكان ما رأيتم وقد سلمهم الله تعالى فلما كان بعد ثمانية أيام وصل يعقوب المخاوي، فسئل عما كان، فقال لما كان في الليلة الفلانية في الوقت الفلاني من الليل تغير علينا البحر وأشرفنا على الغرق فاستغثت بسيدي الشيخ إسماعيل وناديت بصوتي يا سيدي الشيخ إسماعيل الغارق فرأيته والله بعيني وقد أقبل طافحًا على وجه البحر كالطائر وشد الحلبة بيديه الثنتين فاستقر الحال وسلمنا الله تعالى وكانت الليلة الليلة والوقت الوقت.

قلت: ورواها لي يعقوب المخاوي من لفظه.

وقال: خرجنا من زيلع فاشتد علينا الريح للسباحة ليلاً في الباحة فامتلأت الحلبة ماء وأشرفنا على الهلاك وتهيأ من يسبح وأتم الحكاية، وكان يعقوب هذا من أهل المخاطبات صحب الأولياء والأكابر، وصحب الشيخ أبا بكر بن سلامة، والشيخ بكر والفقيه عليّ بن موسى وشيخنا أبا المعروف وتحكم على يده وأخبرنا الشيخ بدر الدين حسن بن أبي بكر بن الهبل القرشي أنه كان حاضرًا ملازمة يعقوب للشيخ قبل سفره، وكان حاضرًا ذلك السماع وقال: رأيت ما كان من الشيخ فيه من الفعل وسمعت ما قاله فيه من القول وحضرت حكاية يعقوب عند قدومه على الشيخ بما جرى عليهم.

قال شيخنا أحمد: ولا يشك أحد من ذوي العقول والألباب أن مثل هذا الشأن لا يصدر إلا عن أرباب التصريف والتمكين والأحوال من أكابر الأولياء فإن هذه الحالة

جمعت بين أحوال شتى منها سماعه لصوت هذا المستغيث في حال اشتغاله بشأن السماع واستغراقه فيه من حوائج البحر إلى مستقره الذي هو فيه من البر، ومنها سرعة الإجابة والإنقاذ على بعد المسافة في ظلام الليل وظلمة البحر ومنها إصابة الموضع الذي فيه من ناحية البحر ومنها التصرف في الرياح المزعجة والأمواج المضطربة وتسكينها وتقرير حال الجلبة ومن فيها وسلامتهم بعد أن كانوا قد أشرفوا على الهلاك، ومنها اتخاذ المكانين به من البر والبحر فهو مع هؤلاء ومع هؤلاء وأول هذا كله علمه بأن له من الله سبحانه هذه المكانة وأنه إذا دعي لحادثة من كرب أو شدة أو غير ذلك أجاب على بعد النادي وغيبة المنادي حيث قال له إذا تغير عليك حال فناد يا آل ياسين، وكم له من مثلها ومن أعظم منها -قدس الله سره ورضي عنه ونفع به.

الكرامة الحادية والسبعون:

أخبرنا شيخنا رضي الدين أبو بكر بن موسى ومعه جماعة فمنهم الشيخ الزين بن النعمان الكاتب، وكان إبراهيم الأكوع يومئذ مريضًا مدنفًا.

قال: فقال الشيخ: هذا قبر الفقيه وهذا قبر خادمه عمر المختار[1] وهذا الموضع يكون لخادمه إبراهيم الأكوع فقال الشيخ الزين لا والله يا سيدي أنا أشتهي أن يكون هذا الموضع لي.

فقال الشيخ: إذا أحببت هذا كان لك فما كان إلا أن مرض وتوفي ودفن في ذلك المكان وتعافى إبراهيم الأكوع.

---

(1) هو عيسى بن إقبال، المعروف بالمتار -بكسر الميم، وفوقية مخففة- أحد المشايخ الكبار، صوفي وافر الصلاح، سافر الصباح، مثابر على النجاة والنجاح، برع في الفضائل، ومهر في حل مشكلات المسائل، ووعظ في المجالس، وأتى من در بحر صدره بالنفائس، وكان صاحب أحوال ومقامات عوال، ومكاشفات باهرة، وكرامات ظاهرة. قيل بلغ في سياحته جبل قاف.

ومن كراماته أنه لما أنزل الرماد على أهل اليمن، ودام ثلاثة أيام، حتى أظلم الجو في الثالث، ونزل رماد أسود، فكشف لأحد أصحاب العارف الجيلاني أنه يصيب أهل اليمن صاعقة، فشفع فيهم، فقيل له: قد شفع فيهم رجل منهم يقال له عيسى المتار. وذلك سنة ستمائة.

ومنها أنه أتته امرأة مغنية -مشهورة بالفجور- لتزوره، فوقع نظره عليها فتابت، وزوجها لفقير، وعمل الشيخ وليمتها عصيدة، وجمع الفقراء، ووضعها بغير أدام، وقعد ينتظر من يأتي به، وكان للمرأة صاحب من أمراء الدولة، فأرسل بزجاجتين من خمر، وقال للرسول مستهزئًا: قل للشيخ يجعل هذا إدامًا. فأخذهما وصب من إحداهما سمنًا، والأخرى عسلاً. مات سنة ست وستمائة، عن مائتين وستين سنة، وقيل بل مائتين، وقيل ثلاثمائة. انظر: مرآة الجنان (4/358)، روض الرياحين (365)، طبقات الخواص (109)، جامع كرامات الأولياء (2/226).

قلت: وهذا من كمال التمكين في التصرف مات من كان حيًّا وحيا من كان سيموت.

الكرامة الثانية والسبعون:

أخبرنا أيضًا شيخنا رضي الدين وشيخنا أحمد الرداد والشيخ محمد المزجاجي والشيخ إبراهيم الأكوع أنهم حضروا مع الشيخ سماعًا كانوا في رباط شيخنا أحمد قالوا: فتحرك الشيخ وفي أثناء الحركة فحس الأرض برجليه وقال: «اللهم انصر عساكر المسلمين اللهم أنصر أهل السنة على أهل البدعة»، وكان يفحس الأرض برجليه ويقول طاحوا ويقول للحاضرين قولوا: طاحوا فيقولون طاحوا فبعد ساعة ظهر عليه السرور فأرخ بعض الحاضرين يوم ما كان من الشيخ وتلك الساعة وتلك الليلة فما كان إلا جاء العلم أن الإمام غزا قومًا من أهل السنة تلك الليلة فانتصروا عليه وقتلوا من عسكره شيئًا وثلاث مائة فقتلوا مقدمًا كبيرًا ممن يعز عليه من أهله.

الكرامة الثالثة والسبعون:

أخبرنا الشيخ برهان الدين إبراهيم الأكوع غير مرة أنه حضر مع شيخنا -قدس الله روحه- سماعًا فسمع منشدًا ينشد هذه القصيدة:

هَـلْ عـندكمْ مـنْ أنـاسٍ قالوا خبر   امْ لا فأتـركُ مـاءَ العـينِ تـنحدرُ
مَـا لي ومَـا بَعْـدي دونَ بِيـضِهِم   وبِيضِ الـصفايحِ وَالأرْمَـاحِ تُشْتَجرُ

قال: فصرخ الشيخ فهرب عامة الناس ثم صرخ الثانية فهرب أكثر الفقراء ثم صرخ الثالثة فهرب خواص الفقراء ولم يبق مع الشيخ في السماع إلا الحادي فلما أصبح قال: الليلة سمعت مع الخمسة أولي العزم.

الكرامة الرابعة والسبعون:

أخبرنا أيضًا أنه حضر مع شيخنا رضي الله عنه ليلة سماع قال فسمع منشدًا ينشد:

لقَـدْ وَلَجـتْ صـوافنا محـلاً   كَـبَتْ مِـنْ دون صـفن الجيـادِ
وسَـاوقنا هـناك بـراقَ سـعدٍ   ولامعـنا اللوامـعَ مِـنْ سُـعادِ

فحصل عليه حاصل عظيم وكان يدور بسرعة كالبرق الخاطف ولم تدركه الأبصار وجهدنا أن نتحقق رؤيته فما قدرنا من سرعة حركته وقال أين المسايرون الذين سايروا رسول الله ﷺ ليلة الإسراء به بأسرارهم أين الذين سايروه بأرواحهم.

قلت: وقد قيل أن الشيخ الكبير القطب الشهير العارف بالله محمدبن أبي بكر

الحكمي، قال: كنت ليلة أسرى برسول الله ﷺ آخذاً بحجزته ووقع على سلامه ﷺ بقوله السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين مع الحضور هذا كلامه أو معناه وإلى ذلك أشار شيخنا أحمد الرداد في بعض مدائحه النبوية.

فَسُبْحَانَ الذي أسْرىَ إليهِ بأحمدَ مِنْ دُوَيْرةِ أمِ هانِي

ورَافقهُ بأسرارٍ كِرامٍ تُسَايرهُ إلىَ تلكَ المعَانِي

وقَدْ كَانَتْ هنالكَ في سراهُ مُسَايرةٌ لهُ سَيْرَ العَيَانِي

وهي قصيدة طويلة عجيبة هذه الأبيات منها غير متوالية.

الكرامة الخامسة والسبعون:

أخبرنا الشيخ الكبير رضي الدين أبو بكر العباصري قال حضرنا مع الشيخ سماعًا فتحرك الشيخ وزاد في القميص حتى ملأه وتفطر القميص من كل ناحية.

الكرامة السادسة والسبعون:

أخبرنا شيخنا الإمام محيي الدين أحمد الرداد أوردنا الله من موارده غير مرة فيما قرأته عليه وسمعته منه قال لي الشيخ يومًا وأنا أماشيه بين الناس بباب سهام ما تقول يا فلان هل يجوز الإتصاف بصفات الذات؟ فقلت: الله أعلم.

فقال: اختلف أهل المعرفة في ذلك فمنهم من أجازه ومنهم من لم يجزه وأنا اليوم أصبحت قائمًا قيومًا. وأخبرنا الشيخ محمد بن إسحاق القرشي أنه سمع الشيخ إبراهيم الجبلي والشيخ حسن بن الهبل القرشي يقولان سمعنا الشيخ يومًا يقول: أصبحت اليوم قائمًا قيومًا.

الكرامة السابعة والسبعون:

أخبرنا الشيخ الصالح الولي العارف محمد بن إسحاق بن دلف القرشي قال: سمعت الشيخ يقول: من أحبني أحبه الله و من أبغضني أبغضه الله.

الكرامة الثامنة والسبعون:

أخبرنا شيخنا رضي الدين أبو بكر الصديق رحمة الله عليه قال سمعت الشيخ حسن بن الهبل يقول: حضرنا مع الشيخ سماعًا فسمع منشدًا :

لمنْ الديَارُ عَرفْتها بفنائها قَفْرٌ تحملَ أهلها لسوَاها

لَمْ يَبْقَ فِيهَا بَعْدَ سَاكنِ أهلِها إلاَّ رمالٌ والرِمَالُ غَشَاها

فزاد في جبة كانت عليه حتى ملأها وزاد عليها حتى تفتقت من كل جانب وكنا نسمع طقطقة الخيوط حتى نزلت عنه وصرخ صوتًا فهرب جميع الحاضرين وكانوا يخرجون في الشوارع فهرب أصحابه أيضًا عنه.

قال شيخنا رضي الدين: وسمعت أنه لم يبق عند الشيخ إلا عيسى نقيب الفقراء وكادت نفسه تخرج لولا أن الشيخ لحظه فرجعت إليه روحه.

الكرامة التاسعة والسبعون:

أخبرنا شيخنا أبو المعروف أحمد الرداد ونفع الله به غير مرة كنا نسمع عليه رسالة القشيري، فلما قرأت كرامات الشيوخ قال: قد شاهدنا من الشيخ مثل هذه الكرامات ولولا أن المجلس لا يحتمل الرواية لرويت لكم، ومرة قال جميع ما في رسالة القشيري من كرامات الشيوخ، قد رأيت لكل كرامة منها نظيرًا من الشيخ، ومرة قال: ما سمعنا للمتقدمين كرامة إلا رأينا للشيخ مثلها، وقال: جاء الشيخ الكبير أبو بكر بن سلامة الموزعي مرة إلى زبيد مسافرًا للحج وصحبته قافلة عظيمة فنزل بعضهم في الملاج وهو وأهل موزع وآخرون في النويدرة وكان شيخنا ﷺ يتردد إليه مدة إقامته فإنهم كانوا يقيمون أيامًا في انتظار من يسافر معهم من أهل زبيد، ففي بعض الأيام قال لنا الشيخ: أقدموا قبلي إلى الشيخ أبي بكر وأنا ألحقكم فتقدمنا إلى الشيخ فوجدنا عنده الفقيه الصالح عمر الخبة والفقيه العالم المدرس الصالح جمال الدين محمد بن عمر اللوبدي والشيخ أبو بكر يذاكرهم في معنى هذا البيت:

سـحر أي هَلمُـوا للرضـا الـرُكوا الـصفحَ فالـصُفْحُ أمرضـا

فجاء شيخنا أبو المعروف والشيخ أبو بكر يتكلم في معنى هذا البيت رافعًا صوته مبتهجًا بما هو فيه والمحطة تعج وترج من كثرة العوالم وفيها البيع والشراء وأصوات الدلالين وأصوات الديكة ونهيق الحمير ومنزلة الشيخ أبي بكر كذلك فلما دخل شيخنا سلم وجلس عند الشيخ أبي بكر وسكت فسكت الشيخ أبو بكر وسكت من عندنا من الناس، وإذا أنا لا أسمع صوتًا في المنزلة ولا في المحطة و لا من أصوات بني آدم ولا من غيرها وإذ المحطة حرف جامد لا إعراب له فوقفنا كذلك ما شاء الله وعجبت من ذلك وما شككت أنه من أحد الشيخين فورد على قلبي وارد كالسؤال فمن موجب السكوت منها فما تم الخاطر إلا وقد ورد عليه خاطر آخر كالجواب موجب السكوت فمن يفتتح الكلام وإذا شيخنا إسماعيل قد فتح الكلام وإذا الكلام قد دار وإذا الأصوات قد ارتفعت في المنزلة والمحطة وإذا تلك الرجة قد عادت كما كانت.

قال: وهذا من الكرامات الكبار، فإن الشيخ لم يسكت واحدًا ولا اثنين ولا نوعًا ولا نوعين ولا جنسًا ولا جنسين وإنما أسكت أنواعًا وأجناسًا من الآدميين والجمال والحمير والدجاج.

الكرامة الثمانون:

أخبرنا الأخ الصالح الشيخ الولي العارف محمد بن الحسام أنه حضر مع شيخنا ﷺ سماعًا وكان فيه جمع كبير وعالم كثير قال فقال الشيخ لمن في السماع ارتفعوا فارتفعوا كافة إلا رجلين كانت حركتهما غلبة فخرا إلى الأرض كالحنطتين وتوسط دائرة السماع وقرأ كلام الله سبحانه عن نفسه ﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النمل:9] ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه:14].

وكرر ذلك ثم جعل أصبعه على فيه إشارة إلى ذلك الجمع أن يسكتوا جميعًا حتى ما بقي من ذلك الجمع قريبهم وبعيدهم من رأى إشارة الشيخ ومن لم يرها إلا وسكت غلبة وضرورة وحكمًا حتى كأن لم يبق بذلك المكان أحد ما شاء الله، ثم بكى فانفجر ذلك العالم كلهم بالبكاء غلبة وضرورة وحكمًا لحال الشيخ حتى سالت الدموع وكادت الأرجل تدحض.

الكرامة الحادية والثمانون:

أخبرنا الشيخ جمال الدين محمد المزجاجي وبعض المريدين الصادقين أن بعض الفقهاء أخبر أنه حضر مع شيخنا ﷺ فتحرك الشيخ ما شاء الله ثم أسكت القوال فسكت فكان بسكوته جمد كل ما على وجه الأرض من ناطق وصامت يعني في ذلك المكان حتى ما سمعت في ذلك الجمع ناطقًا وقد كانوا في غوش عظيم وهممت أن أتكلم فلم أستطع ولا بلا إله إلا الله ورأيت أنا وجميع الحاضرين شيئًا كالغمامة البيضاء فيه من النور لا مزيد عليه نازلاً من السماء وإذا هو جبة فيها من النور العظيم ما لا يحد وكأنها شيء من أنواع الجواهر واللؤلؤ وكان يدنو ويدنو حتى ظننا أنه سيغشانا جميعًا وندخل فيه فما وقع إلا على رأس الشيخ وغشيه وكان يلبسه كما يلبس القميص فلما خرج رأس الشيخ منه أذن للقوال أن يقول فنطق الناس.

قلت: هذه الكرامة فيها كرامات كريمة وآيات عظيمة.

الكرامة الثانية والثمانون:

أخبرنا الشيخ الكبير الولي رضي الدين سليمان بن محمود اللكنوي بعدن في قفوله

من الحج في محرم الحرام سنة ست وثمان مائة.

قال: قال الشيخ يومًا ما: يا سليمان قد رأيت الرجل- يعني: الرجل من أولياء الله- قال فقلت له يا سيدي إنما رأى الرجل الرجل وأنا ما بلغت مبلغ الرجال فقال: لا بدَّ أن يكون في قلبك ميل إلى أحد.

فقلت: نعم إلى رجلين رجل في بنجالة ورجل في السحر فأطرق الشيخ ساعة ثم قال لي نعم هذان رجلان كبيران الذي في بنجالة حليته كذا وكذا وسنه كذا وكذا، والذي في السحر حليته كذا وكذا وسنه كذا وكذا فحلاهما الشيخ وذكر سنهما فقلت له: يا سيدي أنت هنا وهذا في الهند وهذا في السحر؟ فقال: كنت عندك وكنت في حضرة النبي ﷺ فرأيتهما جاءا إليَّ سيدي رسول الله ﷺ.

قلت: هذه كرامة اشتملت على كرامات جليلة منها علمه بحال الرجلين وحليتهما وسنهما.

ومنها، اتحاد الأمكنة وعلم ما مضى في ماضي الأزمنة.

ومنها أنه من أهل حضرة النبي ﷺ ومن أهل محاضرته، ولا نشك أن حضرته ﷺ معنى للأمكنة والأكوان جامع ولعلم الأزمنة الماضي والمستقبل والحال واسع فمن حضرها أخبر ولا يدعى الغيوب الأكوانية والزمانية والأحوال الماضية والمستقبلة والآتية ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: 11].

الكرامة الثالثة والثمانون:

ومن كرامته أنا كنا نجد في حضراته وسماعاته أذواقًا عجيبة وأحوالاً غريبة ومعارف إلهية وواردات ربانية وصفاء تامًا وحضورًا مع الله وجمعية عليه وأنواعًا من العلوم وألوانًا من الفهوم.

وأما في حال طروق الأحوال عليه وما ينـــزل في السماعات والحضرات من التنـــزلات إليه خفي، غالب أحوالي لا يخطر لي في أمر في الدارين ولا حظ من الملكين غير الله ويستولي على حاله وتأخذني عني ويدوم علينا ذلك مادمنا عنده فإذا فارقناه فقدناها لنعلم أن تلك الحالة إنما هي من فيض حاله ﷺ.

وهذا من الآيات المحمدية قال رسول الله ﷺ: «ولو بقيتم على ما تكونون عليه عندي لصافحتكم الملائكة»[1].

---

(1) سبق تخريجه.

وفي ذلك أنشد بعض المريدين الذائقين:

وقَائلـــــةٌ جَـــــاء ابـــــنُهَا بِغَنِــــيمَةٍ ولَـــوْلاَ ابْـــنُ أخْـــرَى لَمْ تجتْهَا المغَانمُ

ويدل على ذلك قوله ﷺ فيما أخبرني به الشيخ النجيب السعيد جمال الدين محمد ابن شيخنا والشيخ أبو بكر العباصري عنه أنه قال: جئتم إلى قلوب قد امتلأت بالله فأفاضت عليكم وما حكي عن ابنٍ صغير للشيخ أبي مدين ﷺ[1] أنه كان يخبر بأمور

(1) الأســـتاذ الأعظم العارف الأفخم، عظيم الأكبار، رأس الصوفية في وقته، ووليـــهم المشهور، علم نعته زاهر، زاهد مراقب مشاهد، يُقصد ويزار من جميع الأقطار، وبنان العرفان إليه يشار، يوصل ويقطع ويخفض ويرفع.
ولد ببجاية ونشأ بها واشتهر حتى ملأ الآفاق وصار إمام الصديقين في وقته بلا شقاق، وأخذ عنه الكـــبراء كالعـــارف ابن عربي ﷺ وقال: كان سلطان الوارثين. ومكث في بيته سنة لا يخرج، فاجـــتمع الناس ببابه يسألونه أن يتكلم عليهم والزموه، فخرج، فنفرت منه عصافير على سدرة بداره فرجع وقال: لو صلحت للحديث عليكم ما فرّ مني الطير ولا الوحش، فرجع فمكث سنة، فأتـــوه فخرج فلم تفر منه، فتكلم عليهم، وترك الطير تضرب بأجنحتها وتصفق حتى مات منها كثير، ومات رجل ممن حضر.
وكان الشيخ أميًا، وعلوم الأمي تأتي خالية من الإشكال.
وقال العارف ابن عربي ﷺ: كان حال وقته التجريد، وعدم الادخار.
اتفـــق له أنه نسي في جيبه دينارًا، وكان كثيرًا ما ينقطع في جبل الكواكب، وكانت هناك غزالة تأتيه فتدر عليه لبنها فيكون ذلك قوته، فلما جاء إلى الجبل جاءت الغزالة على عادتها وهو محتاج إلى الطعـــام فجـــاء ليشرب من لبنها فنفرت عنه وما زالت تنطحه بقرونها، وكلما مد يده إليها نفرت منه، ففكر في سبب ذلك فتذكر الدينار، فأخرجه من جيبه ورماه، فجاءته الغزالة وأنست به ودرت عليه.
قال- أعني العارف ابن عربي ﷺ-: كان شيخنا أبو مدين ﷺ قد ترك الحرف وجلس مع الله على مـــا يفـــتح له، وكان على طريقة عجيبة مع الله في ذلك الجلوس فإنه ما كان يرد ما يؤتى به إليه كالـــشيخ عبد القادر الجيلاني ﷺ لكن عبد القادر كان أنهض شيئًا في الظاهر لما يعطيه الشرف فقيل له: يا أبا مدين، لم لا تحترف؟ قال: الضيف عندكم إذا نـــزل بقوم كم توفيه زمن وجوب ضيافته؟ قالوا ثلاثة أيام، قال: وبعدها، قالوا يحترف، قال: الله أكبر، أنصفونا نحن أضياف ربنا، نـــــزلنا عليه في حضرته على وجه الإقامة عنده، إلى الأبد تعينت الضيافة، فإنه تعالى ما دل على خلق كريم لعبد إلا كان هو أولى بالاتصاف به، وأيام ربنا كما قال تعالى: كل يوم كألف سنة مما تعـــدون، فضيافته بحسب أيامه، فإذا أقمنا عنده ثلاثة آلاف سنة وانقضت ولا نحترف، توجد اعتراضكم علينا، ونحن نموت وتنقضي الدنيا ويبقى لنا فضلة عنده تعالى من ضيافتنا، فاستحسنه المعترض.
فانظـــر في هذا النفس إن كنت منهم، ثم قال العارف ابن عربي ﷺ: ذهبت أنا وأحد الأبدال إلى جـــبل قاف، فمررنا بالحية المحدقة به، فـــسلمنا عليها فردت، وقالت: ممن أنتم؟ قلنا: من بجاية،
=

قالت: ما حال أبي مدين مع أهلها؟ قلنا: يرمونه بالزندقة ويؤذونه، فقالت: عجبًا لابن آدم، كيف يؤذي ولي الله؟! ما ظننت أنه تعالى يوالي عبدًا من عباده فيكرهه أحد.

قال العارف الخواص ﷺ: كان مذهب الشيخ ﷺ تقريب الطريق على المريدين ونقلهم إلى محل الفتح من غير أن يمرَّ بهم على الملكوت خوفًا عليهم من تعشق نفوسهم بعجائب الملكوت.

ودخل على أبي مدين ﷺ رجل فقال: الفرنج نصروا على المسلمين، فقال: صدق الله ولم يتأثر أصلاً، فعجب الحاضرون من عدم تأثره، فمد أصبعيه وأشار إلى أحدهما وقال: هذا الهادي، وإلى الآخر وقال: هذا المضل، ثم وضع أصبعه على موضع اجتماعهما من ظاهر كفه وقال: قلبي هنا معناه أن من كان قلبه مع الله لم يختلف عليه معاني الأسماء.

ووقع له في سياحته أنه دخل على عجوز في مغارة، فأقام عندها، فجاء ابنها آخر النهار فسلم عليه، فقدمت العجوز سفرة فيها صحن وخبز، فقعد الشيخ والابن يأكلان فقال: تمنيت لو كان هذا كذا، فقال: بسم الله وكل ما تمنيت فلم يزل يعدد التمني وهو يقول مقالته الأولى واللون الواحد يتقلب ألوانًا كثيرة ويجد طعم ما يتمنى.

قال العارف ابن عربي ﷺ: كان شيخنا أبا مدين ﷺ إذا جاءه مأكول طيب أكله أو خشن أكله، وإذا جاع وجاعه فقد علم أن الله تعالى خيره إذ لو أرد أن يطعمه أي صنف أراد من المأكول جاء به إليه فينظر في ذلك الوقت ما هو الأحب إلى الله من المأكول بالنظر إلى صلاح المزاج للعبادة لا إلى غرض النفس.

وكان إذا خطر له خاطر في نفسه وجد جوابه مكتوبًا في ثوبه الذي عليه، فخطر له يومًا أن يطلق امرأته- وكان بحضور العارف أبي العباس الخشاب- فرأى مخطوطًا في ثوب الشيخ: أمسك عليك زوجك.

قال العارف ابن عربي ﷺ: وكان شيخ الشيوخ أبو مدين ﷺ يرى المناسبة بين الأشياء ويقول بها، فاتفق أن علق خاطره بالغير فماشاه شخص وهو على ذلك الخاطر، فاستوحش للشيخ فسأله فإذا هو مشرك.

قال العارف ابن عربي ﷺ: شيخنا أبو مدين من الثمانية عشر نفسًا الظاهرين بأمر الله عن أمر الله، لا يرون سوى الله في الأكوان، وهم أهل علانية وجهر مثبوتون للأسباب، وخرق العوائد عندهم عادة ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ [الأنعام:91].

قال: وكان يقول لأصحابه أظهروا للناس ما عندكم من الموافقة كما يظهر الناس بالمخالفة، وأظهروا بما أعطاكم الله من نعمه الظاهرة يعني خرق العوائد والباطنة يعني المعارف، فإنه تعالى يقول: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى:11].

وهذه الطبقة اختصت باسم الظهور لكونهم ظهروا في عالم الشهادة.

وقال في موضع آخر شيخنا أبو مدين ﷺ الغالب على قلبه وبصره مشاهدة الحق في كل شيء، فكل حال عنده أعمال فتعلن بالصدقة كما يذكره في الملأ، فإن من ذكره في الملأ فقد ذكره في نفسه، فإن ذكر النفس متقدم بلا شك، وما كل من ذكره في نفسه ذكره في الملأ.

فهذه حالة زائدة على الذكر لها مرتبة تفوق صاحب ذكره النفس لا يطلع عليه في الحالين فهو سر بكل وجه، فصدقة الإعلان تؤذن بالاقتدار الإلهي، فمن يخفيها أو يسرها وهو الظاهر في المظاهر الإمكانية.. فهذه كانت طريقة شيخنا.

وكــان يقــول: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ [الأنعام:91]، ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾ [الأنعام:40] قال: وكان يقول لأصحابه أعلنوا بالطاعة حتى تكون كلمة الله هي العليا، كما يعلن هؤلاء بالمعاصي ولا يستحيون من الله.

وكــان يقــول في قــوله تعالى﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ [الانشراح:7] فإذا فرغت من الأكوان فانــصب قلبك لمشاهدة الرحمن وإلى ربك فارغب في الدوام، وإذا دخلت في عبادة فلا تحدث نفسك بالخروج منها وقل: يا ليتها كانت القاضية.

وقــال إنمــا فضلت صلاة الجماعة على صلاة الفرد؛ لأنه يكتب لكل عبد من صلاته ما قام به مــنها، فيكــتب من صلاة عشرها، ومن صلاة ثلثها ونصفها وغير ذلك، أي كما في الحديث، فيرتفع للجميع صلاة مكملة الأجزاء بعضها ببعض، فيعيد الله بركة الكمال والاتمام على الجماعة فيكــتب لكــل واحــد منهم صلاة كاملة ببركة الاجتماع. وقال: كان الأمر بسجود الملائكة لأدم ﷺ عــن إغــضاب خفي لا يشعر به كل أحد، فكان كالكفّارة لما وقعوا فيه من تزكية نفوسهم وتجريح آدم ﷺ.

وقــال العارف ابن عربي ﷺ: كان شيخنا أبو مدين ﷺ يقول: من علامة صدق المريد في إرادته فراره عن الخلق، ومن علامة فراره عنهم وجوده للحق، ومن علامة صدق وجوده للحق رجوعه إلى الخلق، فهذا هو حال الوارث للنبي ﷺ فإنه كان يخلو بغار حراء وينقطع إلى الله فيه ويترك بيته وأهله ويفر إلى ربه حتى فاجأه الحق فبعثه الله رسولاً مرشدًا لعباده، فهذه حالات ثلاث ورثه فيها من اعتنى الله به من أمته، ومثله يسمى وارثًا، فالوارث الكامل من ورثه علمًا وعملاً وحالاً.

ولمــا علم الخضر رتبة موسى عليهما السلام وعلو قدره بين الرسل امتثل ما نهاه عنه طاعة لله ولرســوله فإنــه تعالى قال: ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر:7]، فقال له في الثانية: ﴿إِن سَــأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلاَ تُصَاحِبْنِي﴾ [الكهف:76] فقال: سمعًا وطاعة، فلما كانت الثالثة وسأله نسي موسى ﷺ حالة قوله: ﴿ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص:24].

ولما طلب الإجارة على سقايته مع الحاجة فارقه الخضر ﷺ وبعد ما أبان له علم ما أنكر عليه ثم قــال: ﴿ وَمَــا فَعَلْــتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف:82] لأنه كان شرعه من ربه ومنهاج في زمانها، بخلاف حاله بعد بعثة محمد ﷺ فإن كل الصيد في جوف الفراء.

ومن كراماته: إن الوحش كان يذل له، فإذا رآه ارتعد لهيبته.

ومــرَّ بحمار أكل السبع نصفه وصاحبه ينظر من بعد، فذهب بصاحب الحمار إلى الأسد وقال: أمسك بأذنيه واستعمله مكان حمارك حتى يموت، فركبه واستعمله سنين حتى مات.

ورأى أحــد الأولياء إبليس فقال له: كيف حالك مع أبي مدين؟ قال: ما شبهته في نفسي إليه في قلبه إلا كشخص بال في البحر المحيط فقيل: لم تبول فيه؟ قال: لأنجسه، فلا تقع به الطهارة، فهل رأيتم أجهل من هذا فكذا أنا، وقلب أبي مدين ﷺ كلما ألقيت فيه أمرًا قلب عينه.

وله تصانيف منها كتاب «أنس التوحيد ونــزهة المريد».

مات سنة نيف وثمانين وخمسمائة على نحو ثمانين سنة بتلمسان.

وكــان آخر كلامه: الله الحي، ثم فاضت نفسه ﷺ ونفعنا به في الدنيا والآخرة آمين. الكواكب (417).

تحدث في أماكن بعيدة فيجيء العلم بعد ذلك بتصحيح ما أخبر به، فإذا سُئل كيف ترى ذلك؟ يقول: رأيته بعيني، ثم يقول: لا بل رأيته بقلبي ثم يقول: لا بل رأيته بوالدي إذا كان حاضرًا ونظرت إليه رأيت الذي أخبرتكم به وإذا غاب عني لم أر شيئًا قال الشيخ محيي الدين فكان ينظر بأبيه كما ينظر بعينيه في المرآة.

الكرامة الرابعة والثمانون:

أخبرنا الأخ المبارك الشيخ الصالح محمد بن أبي بكر الموزعي ساكن جزيرة كمران، قال قال لي بعض الأصحاب: إن أعضاء الشيخ كلها تنطق.

قال: فحضرت يومًا صلاة فقال لي الشيخ صل عندي وأقامني إلى جانبه فسمعني كل أعضائه تنطق تقول: «الله الله» ولسانه ينطق بما في الصلاة من الأذكار والقراءة.

الكرامة الخامسة والثمانون:

أخبرنا شيخنا أحمد الرداد أنه رأى شيخنا ﷺ في سماع من سماعات أصحابه بعد موته ورآه في صورة كل شخص من الحاضرين ورآه ظهر في كل صورة بوصفها.

قلت: هذا من كمال التمكين في التصرف في الأحوال ظهر في هذه الدار ثم تعددت صوره بظهوره في كل شخص متنوعة توصف كل صورة من صور الحاضرين.

الكرامة السادسة والثمانون:

أخبرنا الشيخ رضي الدين أبو بكر بن محمد العباصري -نفع الله به- أن شيخنا ﷺ دخل المسجد ليلة بعد هوى من الليل وكان هو وجماعة سامرين فاستدناهم الشيخ منه.

قال: فنظرت إلى وجه الشيخ فرأيت والله نورًا متجسدًا خرج من وجهه صاعدًا متراكمًا بعضه على بعض حتى صار قليصًا ملأ ما بين السماء والأرض ورأيت عوالم [لا أحسني] لا استطيع أتكلم بها.

قلت: القليص هو ما تراكم من السحاب وعلا وعظم.

الكرامة السابعة والثمانون:

أخبرنا أيضًا أن الشيخ قال له ما عرض لك من العوائق وشغل قلبك فصورني في خيالك وانظر إلى صورتي يذهب عنك ذلك.

قال: فما عرض لي شيء وخطر بقلبي مما يشغله أو يهمه وصورت صورة الشيخ في خيالي ونظرت إليها إلا ذهب عني ذلك.

قلت: هذه كرامة عظيمة لا تكون إلا للأكابر من الشيوخ الأئمة الهادين الداعين إلى الله يعينون بها من أراد وجه الله فيكون تصور صورهم حجابًا للمريدين عن العوائق

التي تعرض لهم في مسالك سلوكهم فإن صور أولياء الله مظاهره وإذا تجلى الحق في صورة فني ما سواها.

سئل رسول الله ﷺ عن أولياء الله؛ فقال: «الذين إذا رأوا ذكر الله»[1].

الكرامة الثامنة والثمانون:

أخبرنا الشيخ جمال الدين محمد بن محمد المزجاجي، وقال: إنه سمع من الشيخ غير مرة وشيخنا أحمد الرداد -زادنا الله من فوائده- واللفظ له قال: طلبني شيخنا يوم جمعة فجئت إليه وعنده الشيخ بكر بن محمد بن مقرة القرشي قال أعلمت أن الملك الأفضل مات فقلت لا وكان الملك الفضل إذ ذاك حيًّا.

فقال: اختلف الأولياء في موته؛ فمنهم من قال: لا يموت أما سمعت قول الجريري: فيكم من إذا أراد الله أن يحدث في المملكة حدثًا أعلمه قبل أن يبديه وإلا فابكوا على قلوب.

قال شيخنا أحمد: وسكت شيخنا، ولم يتم مقالة الجريري كراهية أن يواجه أصحابه بتمام المقالة بشرى لهم وشفقة عليهم فأوقف الملك الأفضل بعد ذلك إلى ثلاثة عشر يومًا ومات.

قلت: تمام مقالة الجريري[2]: «وإلا فابكوا على قلوب لم يكن لها من الله نصيب»؛

---

(1) رواه أحمد (227/4)، والترمذي في «نوادر الأصول» (39/2).

(2) شيخ الصوفية أبو محمد الجريري، الزاهد قيل: اسمه أحمد بن محمد بن حسين، وقيل: عبدالله بن يحيى، وقيل: حسن بن محمد.

كان للأثقال حمولاً، وعن القواطع ذبولاً، وكان للحكمة عن غير أهلها صائنًا، وللمدعين والمكتسبين بها شائنًا. لقي السري السقطي، والكبار، ورافق الجنيد، وكان الجنيد يتأدب معه، وإذا تكلم في شيء من الحقائق قال: هذا من أبي محمد، فلما توفي الجنيد أجلسوه مكانه، وأخذوا عنه آداب القوم.

حج في سنة إحدى عشرة، فقتل في رجوعه يوم وقعة الهبير، وطئته الجمال النافرة، فمات شهيدًا، وذلك في أوائل المحرم سنة اثنتي عشرة وهو في عشر التسعين. وقيل: سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، وأسند الحديث.

وقال أبو الطيب العكي: قال الجريري: التسرع إلى استدراك علم الانقطاع وسيلة، والوقوف على حد الانحسار نجاة، واللياذ بالمهرب من علم الدنو وصلة واستفتاح، فقد ترك الجواب ذخيرة، والاعتصام من قبول دواعي استماع الخطاب تلطف، وخوف فوت علم ما انطوى من فصاحة الفهم في حين الإقبال مساعفة، والإصغاء إلى تلقي ما يفضل من معدنه بُعد، والاستسلام عند التلاقي جراءة، والانبساط في محل الأنس غرة.

وقال أبو محمد الراسبي ببغداد: سمعت أبا محمد الجريري يقول: رأيت في النوم كأن قائلاً يقول =

فسكت الشيخ ﷺ عن مواجهة أصحابه بهذا بشرى لهم بأن قلوبهم لها من الله نصيب وشفقة عليهم أن يأخذهم من مفاجأة الخطاب ما يأخذهم من الخوف ﷺ.

الكرامة التاسعة والثمانون:

أخبرنا الشيخ المجذوب السالك حسن بن الهبل القرشي وشيخنا أحمد فيما قرأته عليه وسمعت غير مرة قال دعي شيخنا ليحضر وفاة أحمد الضجاعي أحد أصحابه وخواصه وهو في النـــزع فدخل عليه هو وجماعة من أصحابه فجلسوا عنده وهو في السياق فنظر الشيخ في وجهه ثم بكى وأطرق برأسه ما شاء الله ثم رفع رأسه وهو يضحك وقال: خيرت بين موت أحمد الضجاعي وبين حياته فاخترت حياته ثم قال لبعض الحاضرين: اقرأ شيئًا من القرآن فقرأ فما انصرفوا من عنده إلا وقد رفع الله عنه ما كان به من الاحتضار والوجع وعوفي وشفي وهو إلى الآن يعيش.

=
لي: لكل شيء عند الله حق، وإن أعظم الحقوق عند الله حق الحكمة، فمن جعل الحكمة في غير أهلها طالبه الله بحقها، ومن طالبه بحقها خصم.

وقال أبو بكر الرازي: سمعت أبا محمد الجريري وسئل عن القراء؟ فقال: هو الذي طلب الآخرة، وسعى لها سعيها، وأعرض عن الدنيا والاشتغال بها.

وقال أحمد بن عطاء: سمعت أبا صالح يقول: قيل لأبي محمد الجريري: متى يسقط عن العبد ثقل المعاملة؟ فقال هيهات ما بد منها، ولكن يقع الحمل فيها.

وبهذا الإسناد قال الجريري: أدل الأشياء على الله تعالى ثلاثة: ملكه الظاهر، ثم تدبيره في ملكه، ثم كلامه الذي يستولي كل شيء.

وقال أبو محمد الجريري: من استولت عليه النفس صار أسيرًا في حكم الشهوات محصورًا في سجن الهوى، وحرم الله على قلبه الفوائد فلا يستلذ كلامه ولا يستحليه، وإن كثر ترداده على لسانه، لأن الله تعالى يقول: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف:146]: أي حتى لا يفهمونه ولا يجدون له لذة، لأنه تكبرون بأحوال النفس والخلق والدنيا، فصرف الله عن قلوبهم فهم مخاطباته، وأغلق عليهم سبيل فهم كتابه، وسلبهم الانتفاع بالمواعظ، وحبسهم في عقولهم وآرائهم، فلا يعرفون طريق الحق ولا يسلكون سبيله.

وكان يقول: قوام الأديان، ودوام الإيمان، وصلاح الأبدان في خلال ثلاث: الاكتفاء، والاتقاء، والاحتماء. فمن اكتفى بالله صلحت سريرته، ومن اتقى ما نهي عنه استقامت سيرته، ومن احتمى ما لم يوافقه ارتاضت طبيعته، فثمرة الاكتفاء صفو المعرفة، وعاقبة الاتقاء حسن الخليقة، وغاية الاحتماء اعتدال الطبيعة.

وقال أبو محمد: غاية همة العوام السؤال، وبلوغ درجة الأوساط الدعاء، وهمة العارفين الذكر.

انظــر في تــرجمته: تــاريخ بغــداد (4/430)، وحلية الأولياء (10/347)، وطبقات الشعراني (1/110)، وصفة الصفوة (2/252)، وطبقات الصوفية (259).

ولهذا الحديث اليوم أكثر من أربعين سنة زاد الشيخ حسن: فما قمنا من عند أحمد الضجاعي إلا وقد تكلم واشتهى اللحم فأمرني الشيخ بأخذه له.

الكرامة التسعون:

وأخبرنا أيضًا شيخنا أحمد فيما قرأته عليه وسمعته غير مرة، قال: أخبرني بعض الفقهاء الصلحاء الثقات الأثبات أن أمه مرضت مرضًا شديدًا ثم حضرها الموت وكان الرجل رجلاً حاذقًا فطنًا لبيبًا حريصًا على الخير، وكان ممن يعرف أحوال المحتضرين وكان -رحمه الله- من قدماء أصحاب الشيخ -رحمه الله- قال: فأحببت لوالدتي أن يحضر وفاتها الشيخ فدخلت له المدينة، وكان الرجل يسكن النويدرة بظاهر زبيد فقلت يا سيدي والدة محتضرة فأحببت أن تحضروا وفاتها ليحصل لها بذلك البركة.

قال: فخرج الشيخ معي ودخلت به عليها فنظر في وجهها ما شاء الله ثم أخذ بيدي وانصرف وهو يضحك وقال لي: يا فلان والدتك تعيش بعد هذا عمرًا طويلاً قال ومشيت معه إلى أن دخل من باب سهام إلى المحدادة ثم رجعت ودخلت على والدتي وقد سرى عنها وهي جالسة في وسط السرير.

قال: ولهذا الحديث اليوم أكثر من عشرين سنة وعاشت بعد ذلك أكثر من عشر سنين.

الكرامة الحادية والتسعون:

أخبرنا أيضًا قراءة وسماعًا غير مرة من كتابه «عدة المرشدين» قال: دخل عليَّ الشيخ يومًا وبي حمى شديدة فتحدث عندي ما شاء الله ثم قام لينصرف فأخذت بطرف قميصه وقد ضجرت من شدة الوجع فقال ما لك؟ فقلت: والله يا سيدي ما بقي لي طاقة لهذه الحمى. فقال: ما تريد؟ فقلت أريد زوال الحمى والوجع. فقال: يا حمى زولي يا وجع زل فوالله ما كان إلا أن قال ذلك وزالت والله الحمى والوجع عند قوله وخرج من عندي وليس بي وجع من حمى ولا غيرها ولم أحم بعد ذلك سنين.

الكرامة الثانية والتسعون:

وأخبرنا أيضًا قراءة وسماعًا غير مرة قال: دخل الشيخ مرة إلى منـــزلنا بالغل وبعين بعض أهلي من النساء رمد فتحدث معنا قليلاً ثم أراد الانصراف وقام فأخذت بطرف قميصه فقال: لها ما لك؟ فشكت عليه ما تجد من الألم والوجع الذي بعينها فقال -رحمه الله-: ما تريدين؟ قالت: أريد أن تقول لي كما قلت لفلان -تشير إليَّ فقال: وما قلت لفلان؟ قالت: دخلت عليه يومًا وهو محموم فأخذ بطرف قميصك فقلت له: ما تريد؟

قال: زوال الحمى هذه، فقلت: يا حمى زولي فزالت، قال: وكنت قد أخبرتها بذلك، فقال لها -رحمه الله-: فقولي ما أقول، فقال: قل يا رمد زُلْ، يا حمرة زولي، يا وجع زُلْ، فقال ذلك وخرج وما بها والله مما كانت تجده من الرمد أثرٌ قط قدس الله سره ونور ضريحه ورحمه ورحمنا به و ﷺ.

الكرامة الثالثة والتسعون:

أخبرنا شيخنا رضي الدين، وتذاكرنا حفظ قلوب المريدين أدبًا مع الشيوخ قال: حضر الشيخ ساعًا فحصل عليه حالٌ عظيمٌ وظهر على هيكله مظهر عظيم فتشوف بعض الناس إلى مقام الشيخ أو قال: إلى حاله فينفس أن خطر بقلبه ذلك فقد جميع أحواله وبقي على ذلك أيامًا فتوجه بباطنه الشيخ إليٌ وتضرع إليه فأرجع له حاله.

قلت: وقد سمعت شيخنا ﷺ يقول: حرام علي المريد أن يتشوف إلي درجة شيخه.

الكرامة الرابعة والتسعون:

أخبرنا المشايخ الأجلاء الأولياء ناصر الدين إبراهيم بن أبي القاسم بن مريغد ورضي الدين أبو بكر بن محمد بن قنيقن الحسنات وجمال الدين محمد بن إسحاق القرشي الموري وتداخل حديثهم وأقر كلٌ واحدٍ ما رواه الآخر أنهم خرجوا يومًا من زبيد لزيارة السبعة الذين في مقبرة باب سهام الذين يقال من زارهم دخل الجنة أو قضيت حاجته وهم:

الفقيه عبد الرحمن الجبرتي والشيخ الصياد[1] وابن

---

(1) هو الولي الكبير صاحب الأحوال العظيمة والمواهب الجسيمة، كان من عوام زبيد فبينما هو نائم أتاه آت، فقال: قم يا صياد فصلِ- ولم يكن يصلي قبل ذلك- فتوضأ وصلى، ثم أتاه بعد ذلك فذهب به إلى مسجد به صفوف يصلون وعليهم ثياب بيض ونور ساطع فصلى معهم ثم غابوا عنه، ثم بينما هو نائم سمع مناديًا ينادي يا صياد تريدنا؟ قال: نعم. قال: انقطع إلينا في المفازات فانقطع فيها ملازمًا للذكر مدة طويلة يرى العجائب ويحدث عن الغرائب.

وصلى يومًا فغاب في سجوده حولاً كاملاً لا يتحرك، فما أفاق إلا وقد قلعت إحدى عينيه.

وكان يغلب عليه حال الفناء فيقيم زمانًا مطروحًا تسفي عليه الرياح وينبت عليه العشب.

وذكر عنده أن أحد الصالحين يركب الأسد، فقال: والله لولا أن الناس ما يتحملون لربطت لهم سبعين أسدًا بالباب، وإن أحبوا تركتها تمشي معهم بالشوارع لا تضر أحدًا.

وله كلام حسن في الحقائق منها :

قال: الولي من تولى الحق رعايته.

وقال: الحركة بركة، وحركة الظواهر تورث حركة السرائر.

وقال: الواردات غرّة الأوراد، فمن دامت أوراده كثر من الخير ازدياده.

وقال: كل أحد موجود على قدر وجوده، ومن لم يكن له مجاهدة لم تكن له مشاهدة.

=

المرتضى[1]، والشيخ يونس، وإبراهيم الفشلي[2]، والشيخ مورق، والشيخ علي أفلح، فلقيهم الشيخ وقال لإبراهيم الأكوع ومن كان معهم: إلى أين يا أصحابنا؟ فقالوا: سيزورون السبعة، فقال: الغالب أن السبعة منهم من هو من هؤلاء ومنهم من هو من غيرهم، قالوا: فقال: أتعرفون ما تقولون للأموات؟ يعني وما يقال لكم من اجتمعتم به من الأولياء؛ فاسألوه لنا الدعاء، قال الشيخ أبو بكر بن قنيقن: فأنا الذي أجبته.

قلت له: أما أنا فلم يكن لي هذا من قبل يعني الاجتماع بالأموات، والكشف عنهم، والحديث معهم، فقال الشيخ: زرت بلادكم -يعني: سردد ومورا- وأنا دون القلتين زرت الفقيه أبا بكر بن محمد يعني ابن أبي حربة، ورجعت فلما صرت قبلي ببيت حسين شممت وليًا فأممته ووقفت على قبره فخرج إليَّ وإذا هو الشيخ عيسى بن حجاج فذاكرني في لا إله إلا الله بما يأتي منه الكتب، وزرت الفقيه أبا بكر عمران ووقفت بين يديه وكان حيًّا يومئذ فحصل لي ما لم يكنِ في حاصلي ولم يعلم به الشيخ الفقيه.

ثم زرتُ الشيخ أبا الغيث[3] فبرز إليَّ و عانقني، وذاكرني في سر الألف بما لا تسعه

=

وقال: قلب العارف كالبحر تضطرب أمواجه وهو ساكن.

وقال: العارف لا يأنس بغير معروفه، مات سنة تسع وخمسين وخمسمائة. انظر: روض الرياحين (565)، طبقات الخواص (17).

(1) عليُّ بن المرتضي الحضرمي، كان موصوفًا بالعرفان، معدودًا من أكابر الأعيان، ظاهر الكمال، وافر الجلال، صاحب تربية وأحوال وكرامات.

منها أنه خرج يومًا من زبيد ومعه فقير من أتباعه إلى ناحية البحر كي يزرع الذرة، فقال لمريده: خذ معك شيئًا من قصب، ثم مضى إلى بلدة أخرى يشرب أهلها المسكر، ولا يصلُّون، ولا يعرفون شيئًا من الشرائع، فوجد فيهم رجلاً طويلاً يضرب بالطبل، فقال لمريده: أضربه بالقصب حدَّ السُّكر، ففعل. ثم أخذه، فأوثقه، وأتى به إلى البحر، فعلمه الوضوء والصلاة، ثم فرش سجادته على الماء، ووضع قدميه على الماء، ومشى عليه حتى غاب عن العين.

فقال المريد للشيخ: وامصيبتاه، خدمتك سنين ما حصل لي منك هذا، وهذا حصل له هذا المقام في ساعة؟! قال: ماذا كنت أنا؟ هذا فعل الله.. قيل لي فلان من الأبدال مات بأرض الحبشة فأقم فلانًا مكانه، ففعلت. انظر: جامع الكرامات (2/180)، طبقات الخواص (94)، العقود اللؤلؤية (1/154)، روض الرياحين (حكاية 239).

(2) انظر: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان لليافعي (2/ 222).

(3) هو أبو الغيث بن جميل، بحر الحقائق، موضع الدقائق، الملقب شمس الشموس اليمني، عارف تأرّج الكون بعرفه، وصوفي ظهرت الأسرار على لسان كشفه، منزله محط الرحال، وملجأ أرباب القال والحال، ينثر على الناس جواهره الفاخرة، ويزجرهم بمواعظه الباهرة.

وكان من قطاع الطريق، فخرج لذلك مع أصحابه، فقالوا: اصعد هذه الشجرة، انظر من يمر في

=

الطريق، فسمع قائلاً يقول:

يا صاحب العين، عليك العين

فوقع ذلك من قلبه، فنــزل منكسر القلب، صفيًّا خاضعًا، وطرح ثيابه وسلاحه، وهام على وجهه حتى وصل إلى الشيخ عليِّ بن أفلح بزبيد، فأقام عنده مدة طويلة حتى ظهرت عليه الكرامات، وتوالت منه خوارق العادات.

منها أنه خرج يحتطب على حمار الشيخ، فجاء الأسد فأكل الحمار فقال: وعزة سيدي، ما أحمل حطبي إلا على ظهرك، فحمله عليه حتى بلغ المدينة، فأنزله وقال: إياك أن تضر أحدًا حتى تبلغ موضعك، فقال له الشيخ: هذا البلد لا يسعك، فاخرج، فخرج إلى الشيخ علي الأهدل، فأقام عنده مدة، وانتفع به وتهذب.

وكان يقول: خرجتُ من ابن أفلح لؤلؤةً عجماء، فثقبني الأهدل.

ثم طلع بعد ذلك إلى الجبال الشامية، وظهرت له هناك أحوال خارقة، ومال إليه جمع عظيم، وكثر أتباعه، وتواترت هناك كراماته.

فمنها أن أحد مريديه رجع إلى بلاده، فافتتن بامرأة، فدخل معها البيت، وقعد منها مقعد الرجل من المرأة، وإذا بقبقاب الشيخ قد وقع في ظهره، فارتعد وقام وتاب.

ومنها أنه أتته امرأة مغنية طلبت التوبة وصحبة الفقراء، فقال لها: إنَّا نذبحك، أتصبرين على الذبح؟ قالت: نعم، فأمرها أن تسوق الماء للفقراء، فمكثت عنده ستة أشهر تحمل الماء على ظهرها، وكانت من المترفات المتنعمات، فقالت له: إني اشتقت إلى ربي، فقال: يوم الخميس تلقين ربك، فماتت فيه.

وجاءه جمع من الفقراء يمتحنونه فقال: مرحبًا بعبيد عبدي، فاستعظموا ذلك وأنكروه وحكوه للحضرمي فقال: صدق، أنتم عبيد الهوى، والهوى عبده.

ومنها أنه كان أميًا، فيحضر مجلسه أكابر الفقهاء فيمتحنونه بالمســائل الدقيقة، والفروع المشكلة، فيجيبهم.

ومنها أن فقراء اشتهوا لحمًا فقال: إلى يوم كذا -وكان يوم سوف تأتيه القوافل- فلما جاء اليوم، جاء الخبر أن قطاع الطريق أخذوا القافلة، ثم جاءه بعض القطاع اللصوص بثور، فقال الشيخ للفقراء: كلوا. وطبخوه وأحضروه، فتنحى الفقهاء، فدعاهم للأكل، فقالوا لا نأكل حرامًا، فلما فرغوا من الأكل جاء رجل للشيخ وقال: نذرت للفقراء ثورًا فأخذه اللصوص. فقال: قد وصل.

وكان ينكر السماع، ويقاتل من يتعاطاه، فقدم بعض كبار المشايخ على عزم أن يدخلوا عليه قريته بالسماع، فخرج بأهل بلده لقتالهم، فقربوا منهم وهم في حال السماع، فأخذه حال، وصار يدور مثلهم. فعجب أصحابه، وكلموه فيه فقال: وعزة من له العزة، ما درت حتى رأيت السماء دارت.

أثنى عليه اليافعي في التاريخ وروض الرياحين ونشر المحاسن وغيرها وقال: إنه صبّاغ يصبغ القلوب، وينقلها من الصفات الدنية إلى الصفات السنية، وكراماته ومكاشفاته لا تكاد تحصى. وله في الحقائق كلام يدل على معرفته وتمكنه.

ومنه قوله: الصوفي من صفا سرّه عن الكدر، وامتلأ قلبه من العبر، وانقطع إلى الله عن البشر.

وقال الحضرمي: وقد تمثلت لي صورة الشيخ في اليقظة، وخاطبني خطابًا كثيرًا من جملته: ليدع

الكتب فلما صرت خارجًا من الكدراء كان مَن قيدني و عجزت عن المشي، فالتفت كذا وكذا و إذا بولي قد خرج إليّ وذاكرني في علوم مثيرة فسألته عن اسمه، فقال الخلاصي: قلت: قيل: إن الخلاصي كان ملامتيًا بوابًا على أبواب الأمراء وقدره في طرق قرية القدراء من الغرب، وأخبرنا الشيخ محمد المزجاجي أنه سمع هذه الحكاية من الشيخ مرارًا عديدة.

الكرامة الخامسة والتسعون:

أخبرنا الفقيه الفاضل الأصيل الصالح أبو البركات أحمد بن القاضي الكبير بدر الدين علي بن أحمد بن عبد العزيز النويري القرشي المكي إمام مقام المالكية بالمسجد الحرام في عام أربع وثمانين ومائة بمكة -شرفها الله تعالى- قال: أخبرنا الفقيه عبد الرحيم ابن الشيخ العالم جمال الدين أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الرحيم الأسيوطي قال: كنت لا أعتقد الشيخ إسماعيل وكنت أحط منه فمشيت ذات ليلة في جماعة من أهل مكة في زبيد فلما رجعنا وأردت أن أنام فبينما أنا بين النائم واليقظان وإذا الشيخ قد دخل عليَّ في جماعة فقال لرجل هات الوجع الفلاني فجاء به.

فقال: ضعه عليه فوضعه عليَّ فما زال يطلب الأمراض ويضعها عليَّ حتى وضع عليَّ ثلاثة وعشرين مرضًا حتى كدت أموت وخرج فبقيت عندي تلك الأمراض باقي ليلتي ويومي إلى العصر فدخل عليَّ الشيخ كما رأيته بغير نوم فرفع عني فقمت فكان من رآني يقول: أنت مريض فأقول نعم فيقولون لا تعرف بك مرضًا فأقول مرضت يومًا،

=

المتصوفون تصوفهم إلا من كان فيه أربع خصال:

- أن يكون له، لا للناس ولا لنفسه.
- سالكًا إلى الله طريقًا واحدة، وهي طريق مخالفة النفس.
- متوجهًا إلى جهة واحدة وهي جهة ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 78].

ثم قال: احذر بنيات الطريق؛ فإنهن يلحسن اللمحة والنظرة.

قال الحضرمي: وهي الكرامات التي تعرض للسالك في طريقه متى لاحظها، حُجب عن مقصودة.

ومن كلامه أيضًا: أهل الحضرة أربعة أقسام:

- رجل خوطب فصار كله أذنًا.
- ورجل أشهد فصار كله عينًا.
- ورجل مصطلم تحت أنوار التجلي.
- والرابع لسان حال الشفاعة، وهو أكمل.. وكلامه كثير.

مات سنة واحد وخمسين وستمائة، ودفن بقرب بيت عطاء باليمن، وتربته لا نظير لها في بلاد اليمن. انظر: نشر المحاسن (72، 298، 370)، روض الرياحين (55)، جامع الكرامات (1/ 283).

فيقولون: ما كان مرضك إلا سنة أو قال أكثر، فحكيت لهم السبب، قال: فتاب وحسنت توبته واعتقاده في الشيخ.

الكرامة السادسة والتسعون:

أخبرنا شيخنا العارف بالله أحمد الرداد فيما قرأته وسمعته عليه غير مرة قال: حضرنا مع الشيخ سماعًا في بعض ليالي الخريف فمطرنا مطرًا شديدًا وهبت في حال المطر ريح شديدة فما طفيت لنا طوافة من الشمع الذي نستضيء به ولا تغير علينا طار ولا شبابة حتى كف المطر والريح ونحن فيما نحن فيه من السماع تحت أديم السماء، لا حائل بيننا وبين السماء إلا المطر والريح ولو وقع ذلك المطر على قرية حارقة في حال حريقها لأطفأ ذلك المطر تلك القرية الحارقة وصارت غدرانًا وشعابًا.

الكرامة السابعة والتسعون:

أخبرنا أيضًا كذلك فيما قرأت وسمعت عليه غير مرة، قال: وحضرنا معه مرة سماعًا وكان به رمد شديد فتحرك -رحمه الله- في السماع حركة شديدة وبكى بكاء شديدًا أو صرخ صراخًا شديدًا أو بطش بالشموع بيديه بطشًا شديدًا حتى ظننا أنه لا يخرج من السماع إلا وقد أثرت تلك الأحوال التي طرأت عليه في عينيه وأبصر بذلك خبرًا شديدًا فوالله ما خرجنا من السماع وبه أثر من الرمد، فلما أصبحنا تحدثنا معه في ذلك؛ فقال - قدس الله سره ورحمه: إن من السماع ما يتداوى به.

الكرامة الثامنة والتسعون:

أخبرنا أيضًا كذلك قال: وكذلك حضرنا معه مرة سماعه وبساقه حمل كبير لم ينفتح بعد وما وصل إلى السماع إلا وهو يتوكأ على بعض أصحابه من ألم ذلك الدمل ووجعه فلما قام للسماع واستوى جري من الشيخ من الحركات العظيمة ما يعتاده في حال العافية فما انصرفنا من السماع وبالشيخ أثر من ذلك الدمل قط فلما أصبحنا تحدثنا معه في ذلك فأجابنا مثل الجواب الأول: إن من السماع ما يتداوى به.

الكرامة التاسعة والتسعون:

وأخبرنا أيضًا غير مرة قراءة وسماعًا منه وعليه قال: قال لنا الشيخ يومًا ونحن جماعة من أصحابه في ابتداء صحبتي معه -قدس الله سره- ولي اليوم عشرون سنة لا أتحدث مع أحد فيما أنا فيه بل فيما هم فيه وعاش بعد ذلك أكثر من ثلاثين سنة -رحمه الله-.

الكرامة المائة:

أخبرنا الشيخ الصالح الأصيل محمد بن حسن بن ياسين البجلي أحد خدام شيخنا وخواصه قال والله والله والله الذي لا إله إلا هو لقد رأيت الشيخ مرارًا كثيرة في السماع يدور ويغيب عن قميصه حتى يكون القميص يدور وليس فيه شيء ولا أحد ويمر بنا القميص في دورانه ويمسنا وليس فيه شيء والله ما رأيت هذا لا مرة ولا مرتين ولا ثلاثًا ولا عشرًا.

الكرامة الأولى بعد المائة:

وأخبرنا أيضًا غير مرة وحلف بالله أنه حضر مع الشيخ في سماع وأخذه بيد واحدة ورمى به من فوق رؤوس الناس كما يرمي بحدة اللقيم حتى وقع على الناس، قال: فوقعت قائمًا.

الكرامة الثانية بعد المائة:

سمعت شيخنا الأكبر قطب الأولياء أبا المعروف أبقى الله آياته وهو في مجلس الجامع يوم الجمعة بعد قراءة القرآن وقد وقع عليه حال عظيم وحاصل كريم؛ فقال: يا أهل الله يا رجال الغيب يا حاضرين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الكرامة الثالثة بعد المائة:

وسمعته أيضًا يقول: دخل علينا رجل ونحن في مسجد ابن عبد الملك أظن أنه قال في سماع وذلك في أيام البداية.

قال: فرأيته يختطف من بيننا فرأيت المرسلين والأنبياء شفعوا فيه فلم يقبلوا ورأيت الأولياء والصالحين شفعوا فيه فلم يقبلوا ورأيت القرآن شفع فيه فقيل له يبقى في مشيئة الله قال: فسألت عن الرجل فقيل هو من القرتب قتل رجلاً.

قلت: هذه كرامة كبيرة جامعة لكرامات منها اطلاعه على كون ذلك الرجل سيؤخذ بذنبه قبل شفاعة الشافعين، ومنها اطلاعه على شفاعة الشافعين، ومنها اطلاعه على عدم قبول الشفاعة وبقائه في مشيئة الله إلى أن يشاء الله، ومنها شهوده للمرسلين والأنبياء والصالحين والأولياء، ومنها شهود القرآن وليس هو صورة وهذه كلها غيوب: منها ما هي صوري، ومنها ما هو معنوي لا يكشفه إلا الكمل من عباد الله وإذا كان هذا من علامات البداية فما تكون كرامات النهاية.

الكرامة الرابعة بعد المائة:

أخبرنا الشيخ سالم بن حسين قال: كنا مع الشيخ في سماع، وكان بعض الفقهاء

حاضرًا بخفية في أخريات الناس بينه وبين السماع عالم عظيم، وكان منكرًا فأخذ الشيخ شمعة، وقضى بها الناس حتى جاء إليه؛ فقال له: يا فقيه اعلم أني قد تدرعت بدرع من العظمة لا تجوز فيه سيوف المنكرين فخرج الفقيه وأخبر أنه خطر بباله الإنكار على الشيخ في تلك الحال.

الكرامة الخامسة بعد المائة:

أخبرنا جماعة من الإخوان منهم الشيخ الكبير أبو بكر العباصري أنهم سمعوا الشيخ في سماع في النخل يقول: قولوا قال إسماعيل: أنا أعلم الأولين والآخرين كما قال رسول الله ﷺ: «أنا علم الأولين والآخرين»[1].

الكرامة السادسة بعد المائة:

أخبرنا بعض المريدين الصادقين قال: كنت مع الشيخ في سماع وأنا أصلي على النبي ﷺ فجاء الشيخ إليّ وفرق الناس حتى وصل إليّ وقال: قد يكون من هو مع الناس وقلبه يجول في الملكوت الأعلى بالصلاة على النبي ﷺ؛ فقلت في نفسي: من يعني الشيخ؟ فأشار بإصبعه إلى قلبي فبقيت بعد ذلك مدة دائم الذكر بقلبي ولساني حتى اتحد قلبي ولساني ببركته.

الكرامة السابعة بعد المائة:

أخبرنا شيخنا رضي الدين جمال المقربين أبو بكر الصديق والشيخ ناصر الدين إبراهيم بن مريغد الحسيني والفقيه جمال الدين محمد بن إبراهيم المرشدي الحنفي واللفظ له أنه سمع الشيخ ﷺ يقول: صرخ مرة بعض الفقراء قال: يعني نفسه صرخت فرآها صاعدة نورًا حتى شقت السماء الأولى والثانية حتى شقت السبع سماوات وطلعت وهو ينظر إليها.

قال شيخنا رضي الدين والشيخ إبراهيم: كان ذلك عند قبر ولده المعروف فلما صرخ الشيخ خرج من فيه نور طلع في الجو رأيناه ورآه جميع الحاضرين.

الكرامة الثامنة بعد المائة:

أخبرنا الفقيه العالم الشيخ الولي العارف شهاب الدين أحمد بن محمد العبيدي الأشعري أحد نواب الشيخ برباطه بثغر عدن قال تحركت في سماع حركة عظيمة من الوجد حتى تكسر حلقي ووجدت الماء عظيمًا حتى وجدت كرب الموت ولم يظهر مني ما يعلم به حالي، فجاء الشيخ من طرف السماع وقام على رأسي، وقال: يا لطيف يا

---

(1) رواه الترمذي (3549).

لطيف وكرر هذا ساعة فزال عني ما كنت أجده بقدرة الله تعالى.

الكرامة التاسعة بعد المائة:

أخبرنا الشريف الحسيب النسيب العالم شهاب الدين أحمدبن الفاسي المكي بشهب المعلاة عام أربع وثمانمائة أنه اجتمع بشيخنا ﷺ في عام ست وثمانين وسبعمائة قال: فقال لي الشيخ: يا أحمد حجابك من الله اثنتان حب النساء وحدة الخلق.

قال: ولم أكن أظهر لهم إلا بالسكينة والوقار ورياضة النفس ولم أتعلق بالنساء ولم يعلم أحد مني بهذا ولا أعلمه أنا من نفسي، قال: فبعد قول الشيخ لي بأربع عشرة سنة تزوجت امرأة فأحببتها محبة عظيمة ووجدت مني إليها ميلاً عظيمًا مع شدة الأذى الذي لا يمكن الوقوف معه فاجتمع فيَّ الاثنتان اللتان ذكرهما الشيخ حدة الخلق من شدة أذاها وشدة الميل إليها.

الكرامة العاشرة بعد المائة:

أخبرنا الشيخ الكبير العالم الرباني العارف المحقق كريم الدين عبد الكريم بن إبراهيم الكيلاني أحد كبار أصحاب شيخنا ﷺ، قال: رأيت في أيام تأديب الشيخ لي على ما كنت فيه من القول بالإطلاق أن الشيخ في مكان وعنده أوراق كثيرة كبار كهيئة العمود من جميع أهل الآفاق والأقاليم يشكون فيها إلى الشيخ ما حل بهم؛ فمنهم من يشكو الغلاء، ومنهم من يشكو أجور الملوك، ومنهم من يشكو غير ذلك، وكان ما شكاه أهل الهند أنه غرق لهم في البحر اثنان وخمسون مركبًا والخلق كلهم مجمعون على أنه لا يغيث من هذا إلا رجل واحد وعلمت أنه الشيخ ورأيت فلانًا وسمى شخصًا كان يقول: بالإطلاق وهو يقول: لي بقليل من الضرب: رجعت عن الطريق التي كنت عليها يعني القول بالإطلاق إلى طريق الشيخ فقلت له: ظهر لي الحق بخلاف ما كنت عليه أولاً فرأيت الحق مع الشيخ فرجعت إلى الحق فلما سمع مقالتي هذه صار صورة بلا روح كالصورة المنقوشة في الجدار وتحولت صورته صورة قرد ثم استيقظت فحكيتها للشيخ وهو عند قبر ولده المعروف ومعه جمع فلما بلغت الحكاية إلى ذكر تغير صورة ذلك الرجل صرخ الشيخ صرخة فخرج من فيه عمود من نور أخضر ثم صرخ ثانية فخرج من فيه نور أحمر منتشر قهر نور الشمس في الظهيرة حتى لم يبق لنور الشمس معه ظهور فمن الحاضرين من صرخ، ومنهم من وقع على قفاه، ومنهم من بهت، ومنهم من رأى في ذلك النور صورًا، ومنهم من رأى صورًا أخرى غير الصورة التي رآها الآخر.

وقال الشيخ: قد يجعل الله أشياء تكون سببًا لزوال علل كثيرة وكان في ذلك

المجلس بعض ولاة الدولة وكان مغلولاً في الشيخ سيء الاعتقاد فحسنت عقيدته لما رأى من الشيخ ما رأى حينئذٍ وآخرون لما سمعوا بما جرى من الشيخ زال عنهم وحسنت عقيدتهم في الشيخ ﷺ ونفع به.

الكرامة الحادية عشرة بعد المائة:

أخبرنا أيضًا الشيخ كرم الدين أنه كان مع شيخنا ﷺ في سماع فوقع في شيء والشيخ يتحرك حينئذ وهو يمشي خلف الشيخ بينه وبينه جماعة فخطر ببالي أن الشيخ فيما أنا فيه فبنفس مرور هذا الخاطر ببالي التفت الشيخ وقال لي: تأدب والتهب، حتى صار كله نورًا.

الكرامة الثانية عشرة بعد المائة:

أخبرنا الفقيه العالم النجيب الأصيل شهاب الدين أحمدبن علي النويري المكي المالكي إمام مقام المالكية بالمسجد الحرام أن رجلاً من أهل المدينة المشرفة أخبره أنه كان يوم جمعة في نخل لهم بظاهر المدينة فحضر وقت الصلاة فجاء ليدخل المدينة فوجد الباب مغلقًا فدفعه بيديه ليتحقق هل هو مغلق أم لا فلم يتدفع وذلك عادة أهل المدينة إذا أرادوا الصلاة أغلقوا الأبواب قال: فتحيرت ساعة وإذا الشيخ إسماعيل جاء من البقيع فدفع الباب فانفتح، ودخل فدخلت معه فخطر ببالي أنهم نسوا إغلاق الباب والتفت فرأيت الباب مغلقًا بالحديد ورددت وجهي إلى الشيخ فلم أره ولا عرفت أين ذهب ولا بما احتجب.

قلت: اشتملت هذه الكرامة على كرامات شتى كون الشيخ بالمدينة وهو ما فارق مكانه من زبيد وكونه متصفًا بأعمال وأحوال في آن واحد فاتحدث به وله الأمكنة بما فيها منه من الأعمال والأحوال من غير تغاير الأزمنة وانفتح له الباب وكان مغلقًا وانغلق بعد أن كان مفتوحًا واحتجب بعد الظهور وهذه كلها من إشارات كمال التمكين -نفع الله به- آمين.

وقال بعض أكابر المحققين في هذا المعنى: ولم يبعد أن يكون الشخص الواحد في أماكن متعددة في الزمن الواحد وهو الذي تحيله العقول، فالعارف يكون مع كثير من الأسماء الإلهية في أحوال مختلفة مع أحدية العين فيكون زيد المصلي في حال صلاته يراه عمرو نائمًا، ويراه خالد كائنًا، ويراه محمد خارجًا، ويراه قاسم داخلاً، والعين واحدة، وكل ذلك بالفعل مشهود لكل راء وكل راءٍ في بلد غير البلد الأخرى الذي فيها صاحبه.

الكرامة الثالثة عشرة بعد المائة:

أخبرنا الشيخ الكبير بدر الدين حسن بن أبي بكر القرشي أنه سمع شيخنا ﷺ يقول: عصابتي كلها ترد القيامة.

قلت: في هذه الكرامة كرامتان كبيرتان:

إحداهما: هي أن مقالته هذه لها تمام وهو ترد القيامة عليَّ فيرد جميع من صحبه عليه القيامة فيكونون تحت لوائه ويحشرون إليه ولا يقطع منهم أحد دونه كرامة له فيشفع في مسيئهم ويلحق بمحسنهم إن شاء الله وهي كرامة من معجزات رسول الله ﷺ فإنه هو فاتح باب الشفاعة للشافعين.

والكرامة الثانية: فيها لطيفة هي أن عصابته التي مات عنهم مستمرة أتباعهم لا ينقطع أتباع أحد منهم فلا يزالون جيلاً بعد جيل إلى أن تقوم الساعة وهذه من أعظم الكرامات.

وإلى هذا أشار شيخنا الأكبر محي الدين عبد القادر الجيلاني ﷺ بقوله :

أَفَلَتْ شُمُوسُ الأَوَّلِينَ وشَمْسُنَا أَبَدًا على فَلَكِ العُلاَ لاَ تَغْرُبُ

وأخبرنا أن القاضي الكبير إبراهيم بن أحمد التهامي قال لشيخنا رأيت أنك يتبعك وعلي قدمك سبعون، على قدم كل واحد سبعون وهكذا الى يوم القيامة. وقال الشيخ أبو بكر بن محمد العباصري: سمعت الشيخ في سماع يقول: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: 19] وطبقتي هذه أعلى الأطباق.

الكرامة الرابعة عشرة بعد المائة:

أخبرنا الشيخ الأجل الصالح حمزة بن محمد الكيلاني الناصر احد من صحب الشيخ وتردد إليه وتعرف بركاته فيما كتب به إلينا قال حصلت فتنة عظيمة في بغداد في سنة أربع عشرة وشاشائة فحصل فيها قتل ومصادرات التجار وولاية وعزل.

قال: وغرقت في دجلة مكتوف اليدين مربوط الرجلين وكنت كلما أردت أن اخرج رأسي من الماء لأتنفس وضع رجل رجله عليَّ وغطسني في الماء فما وجدت الي النفس سبيلاً، وكانوا يفتحون فمي ويفكون شدقي ليدخل الماء في جوفي وأطالوا بي هذا الفعل فذكرت في تلك الحال سيدي الشيخ إسماعيل الجبرتي -قدس سره ونفع به- فوالله لقد رأيته معي تحت الماء فآنسني وحصل لي منه القوة والراحة في ذلك العذاب بحضوره معي وأنسه لي ورؤيتي إياه وبعدها خلصني الله منهم ببركته.

الكرامة الخامسة عشرة بعد المائة:

أخبرنا الشيخ الصالح سالم بن حسين والأخ الصالح طلحة بن علي المختار القرشي قالا: كنا مع الشيخ في سماع في بيت الشيخ أحمد الرداد فحصل على الشيخ حاصل عظيم وقال: يا فقراء خذوا أعينكم وانظروا إليَّ فإن نظركم إليَّ في هذه الساعة أفضل وأنفع لكم من تعلقكم بالله، ورددها مرارًا ثم مشى في السماع حتى جاء إلى صف المشايخ وقال: الله الله الله ما هذه إلا مقامات عظيمة.

وقال للشيخ أحمد: يا أحمد هل ترى معي ما أرى إني أرى قومًا على منابر من نور علمت أنهم الأنبياء والمرسلون، وبين أيديهم قوم مشدودو الأوساط كالخدام بين المخدوم علمت أنهم الملائكة المقربون وأثنى على ما رأى الأنبياء فيه ثناء عظيمًا، وقال الله الله ما هذه إلا مقامات ما هذه إلا مراتب.

الكرامة السادسة عشرة بعد المائة:

وأخبرنا أيضًا سالم بن حسين أنه كان يومًا مع الشيخ بتربة ولده المعروف، قال: فسمعته يقول للشيخ أحمد الرداد: إن مجلسي هذا قد جمع الأولين والآخرين.

الكرامة السابعة عشرة بعد المائة:

الأخ الصالح الفاضل القاضي الشهيد عفيف الدين العَلوي أعلى الله مقامه أنه سمع الفقيه عمر الحنبة أحد كبار أصحاب الشيخ يقول: سمعت الشيخ قديمًا يقول: الأولياء على ثلاث مراتب منهم من لا يطلع على سيئات مريده ولا يقدر على حفظهم، ومنهم من لا يطلع على سيئاتهم ويحفظون به، ومنهم من يطلع على سيئاتهم ويحفظهم، وأنا اليوم أطلع وأحفظ.

الكرامة الثامنة عشرة بعد المائة:

أخبرنا شيخنا أحمد الرداد -زادنا الله من فوائده- قال: رأيت الشيخ في سماع ابتلع رامي الحادي موسى بن قوس بعمامته إلى منكبيه ووقف كذلك ساعة وقد رأينا ذلك ورآه جميع الحاضرين.

الكرامة التاسعة عشرة بعد المائة:

أخبرنا أيضًا شيخنا أحمد الرداد والشيخ إبراهيم الأكوع أنهم كانوا جماعة بين مكة والمدينة ذاهبين إلى المدينة المشرفة فخرج عليهم العرب وجاؤوا أيضًا في الطريق فوقفنا حائرين لا نعرف الطريق ولا ندري أين نذهب فأخذت بعض الجماعة سنة فرأى الشيخ ثم قال وهو يراه يقظة فقال يا هذا والله رأيت الشيخ وهو يقول لي: سيروا ولا تخافوهم

فلم يوافقوه.

فقال: يا جماعة رأيت الشيخ أراه وهو يقول: سيروا فقلنا له فقط مر أنت فكان يمشي خلف الشيخ وهو يراه يقظة ونحن بعده حتى بلغنا الطريق وقطعنا أودية وحرتين في لحظة حقيقة فما شككنا أن الأرض طويت لنا ببركة الشيخ.

قالا: وكان هذا الرجل له عادة عظيمة واجتهاد ولا يزال يبرح الماء في مسجد طويل يومه ويقرأ قل هو الله أحد ألوفًا وكان يقرأ الفاتحة كثيرًا فإذا أكثر من قراءتها صار يلتهب من الحرارة ويقول: أحرقتني الفاتحة الحمد لله وينتقل إلى قراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1] فيسكن حره ويبرد ويقول أنها تبرد بقدرة الله تعالى.

الكرامة العشرون بعد المائة:

أخبرنا الشيخ رضي الدين أبو بكر العباصري أنه حضر مع الشيخ في جماعة من أصحابه سماعًا لرجل غريب مقدسي صوفي استحضر الشيخ تبركًا بحضوره قال: فاستولى ذلك الرجل على السماع وكانت الحركة له فيه طول الليل فلما كان آخر الليل وقع على الشيخ حال عظيم حتى صار وجهه كهذه وأشار بيده إلى صحفة كبيرة في مسجد الشيخ يوضع عليها المسرجة لما يسقط من الدهن مدورة قدر ذراعين في ذراعين وصار وجهه محمرًا وتركز شعر رأسه حتى قامت كل شعرة وحدها وانتشر في القميص حتى ملأه وكانت كل يد له ملء كمها وحتى ذيل القميص امتلأ برجليه حتى صار الشيخ مختمات للقميص فهرب الحاضرون كلهم حتى نحن يا أصحاب الشيخ ولم يطق أحد منا الوقوف فوقفنا هاربين ما شاء الله ورجعنا إليه فوجدناه تنحى عما كان.

الكرامة الحادية والعشرون بعد المائة:

أخبرنا شيخنا محيي الدين أحمد الرداد والشيخ جمال الدين محمد بن محمد المزجاجي والأمير غياث الدين عيسى بن محمد بن حسان بأن شيخنا أبا المعروف ﷺ كان في الجامع ليلة القيام فأخبرهم أنه كشف له عن القيامة وأحوال الناس فيها على اختلاف أحوالهم وتباين مراتبهم ورأى أهل الكراسي على كراسيهم ورأى المسكنين للروعات جماعة يتخللون الصفوف يسكنون روعات الناس قالوا: وفضلهم الشيخ على أهل الكراسي، وقال: فجاء المحمديون أناس قليلون وأنا منهم.

قلت: شهود الشيخ القيامة شهود الأجل في العاجل، والمستقبل في الآن الحاصل وهذا مما يكرم الله به من شاء من عباده؛ فإن الله سبحانه من الولي كما قال: «وكنت سمعه

الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به»[1].

فمن كان يبصر بالله لم يبق في حقه ماض ولا مستقبل بل إنه لم يزل ولا يزال ويستوي في علمه وشهوده الماضي والمستقبل والحال والله بكل شيء عليم

الكرامة الثانية والعشرون بعد المائة:

وأخبرنا أيضًا شيخنا أحمد الرداد والشيخ الكبير جمال الدين محمد المزجاجي وتداخل حديثهما أنهما كانا مع شيخنا ﷺ في السمطين قرية من قرى موزع فجاءه أهلها وشكوا أنهم مجدبون منذ سبع سنين وألزموه في المطر وأغلقوا عليه باب البيت فما كان إلا أن مطروا بقدرة الله تعالى للفور مطرًا عظيمًا حتى تخرق سقف البيت الذي هو فيه من شدة المطر.

الكرامة الثالثة والعشرون بعد المائة:

أخبرني أيضًا أنهما كانا معه في جماعة بقرية من قرى وادي موزع وكان منها جماعة من أصحابه فجاؤوا عليه وشكوا عليه الجدب، وقالوا له: لا نقدرنه مثلك كملازمة أهل السمطين فما كان إلا يسيرًا فإذا الوادي قد جاء وسقوا، قالا: وتغمسنا فيه ببركته.

الكرامة الرابعة والعشرون بعد المائة:

أخبرنا الشيخ -العارف بالله- محمد بن محمد المزجاجي والأخ الصالح طلحة بن علي القرشي وجمال الدين محمد بن الحسام وشيخنا رضي الدين أبو بكر الصديق واللفظ له أن شيخنا ﷺ كان في سماع فسمع قوالاً يقول:

وسَعَيْتُ نَحْوَ النُوقِ أبْغِي أخْذَهَا   فبَكَى الجَوَادُ فَقُلْتُ قُمْ واسْتَنْجِدِ

فقال على رؤوس الأشهاد قولوا: وأنا إسماعيل: إن كل مريد لله لا بدَّ أن يسوقه الله إلى هذه الحضرة.

قال الشيخ محمد المزجاجي وطلحة بن علي: سمعنا ذلك منه غير مرة في غر السماع.

قلت: يساق المريدون على غوثهم ضرورة وحكمًا؛ فإن القطب الغوث الفرد الجامع بصير واسطة بين الله وبين خلقه فهو غوثهم وغياثهم متلقى شمول قابليته من الله بالعبادة منه، ويمدهم بحكم ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ﴾ [الزخرف: 32]، ويعطي كل ذي حق حقه فلكل الطالبين لله ترجع أصواتهم إليه، ومستمد اسرارهم مما لديه.

(1) سبق تخريجه.

الكرامة الخامسة والعشرون بعد المائة:

أخبرنا الشيخ الصالح إبراهيم بن عبد الله الأكوع والشيخ النجيب العارف بالله جمال الدين زين العابدين ابن شيخنا أحمد وشيخنا رضي الدين واللفظ له أن شيخنا -قدس الله سره- كان في سماع في رباط شيخنا أحمد فسمع منشدًا ينشد قصيدة أولها:

وأَغطَتْ مِنَ الكَأْسِ مَا أعطَتْ مِنَ الشعبِ ومازَجَتْ بَيْنَ حبِ الدُرِ والحبَبِ
وحرَّكَتْ حلْقَ الخلخالِ فانعطَفَتْ طَوَائفُ العشْقِ بالتبريحِ والوصبِ

فحصل عليه حاصل عظيم، وزاد في القميص حتى تقطع قميصه وكان جديدًا من طرفه إلى ساقه، وبقي هائ الجسد في السراويل وقال: اسألوا حوائجكم بغير واسطة ولا النبيين ولا غيرهم، وحصل على الناس خشوع عظيم حتى بكى جميع من حضر وإذا إبراهيم الأكوع.

وقال الشيخ: كان توجهي في ذلك الوقت باسمه الله، وزاد زين العابدين: إن الحاصل كان على بيت مخصوص من القصيدة وهو كذا.

الكرامة السادسة والعشرون بعد المائة:

أخبرنا أيضًا شيخنا رضي الدين -أتم عليه الله نعمته- أنه سمع الشيخ يقول: أنا ما أطيق لا والله، لا والله ما أطيق هذا من وراء الأسماء والصفات ما يحمل الله والله.

الكرامة السابعة والعشرون بعد المائة:

وأخبرنا أيضًا شيخنا رضي الدين والفقيه الصالح الولي أبو القاسم الخليف أحد كبار أصحاب الشيخ وخدامه وشيخنا أحمد الرداد والشيخ الكبير بكر الرعيني واللفظ له قال: كنت أصحب سعيد النويري وكان كله كالشمس نورًا، وكان ذا أحوال، وكانت روحه تصعد إلى السماء وتجول مع الملائكة في الملكوت ولها صلصلة كصلصلة الجرس وكان يخبر أن الملائكة طائفة لهم زوائب يطوفون بالعرش وقد كان صحب الشيخ ﷺ.

وكان الشيخ يقول له: أنا واسطتك إلى الله فيما معك وهو يقول: لا، قال: وكنت أقول له: يا سعد، أنا أخاف عليك من الشيخ وكنت لجامًا في رأيه فلم يقبل فما زال كذلك مدة فدخله خوف من الشيخ وكنا يقول لكل من لقيه: حصنوني فاجتمعت يومًا أنا والشيخ أبو القاسم بن سيف الخير عند الشيخ -قدس الله سره- في مسجده، فقال أبو القاسم: يا سيدي، رأيت ديكين حمل أحدهما الآخر وحمله وأراد أن يصرعه فعجز فتغير الشيخ، وقال: ما أصبت أنا إسماعيل وصرخ وكان قاعدًا على قعادة فأخذ بجانبي القعادة

بيديه وحملها ثم رفعها عن الأرض وهو عليها وضرب بها الأرض ثم رفعها عن الأرض ثانيةً، ثم ضرب بها الأرض ثم رفعها ثالثة، ثم ضرب بها الأرض حتى تكسرت من جوانبها الأربعة، ثم رمى على بطنه كما يرمى الحنش من رأس المسجد إلى رأسه الآخر حتى كاد رأسه يمس الجدار ولم يمسه مرتفعًا عن الأرض قليلاً ثم حضرنا معه سماعًا تلك الليلة وحضر سعيد من جملة من حضر فتحرك سعيد في السماع ما شاء الله فحمله الشيخ وأراد أن يصرعه فعجز وتركه ووقف ساعة ثم انقض عليه مثل الباز وأخذه فضمه إليه ورمى به الأرض فوقع كالخشبة وقرأ الشيخ:﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: 17].

وقال تاج العارفين: أنا كليمي، أنا موسوي، أنا يحيوي، أنا عيسوي ويرثني من يرثني، قال بكر: سألت سعيدًا لم عجز الشيخ عنك في الأولى وقدر عليك في الثانية؟ فقال: أما في الأولى فكنت متعلقًا بالذات، وأما في الثانية فرجعت إلى التوحيد والأسماء والصفات، قال: وسألت الشيخ أيضًا عن ذلك فقال: أما في الأولى فوجدته متعلقًا بالذات، وأما في الثانية فوجدته قد رجع إلى التوحيد والمقامات. قال بكر: فبعدها فَقَدَ سعيد جميع أحواله حتى صار من جملة العوام، ورواها الشيخ أحمد عن أبي القاسم سيف الخير على اتفاق بعض الألفاظ واختلاف في بعضها مع اتفاق المعنى.

قلت: وهذه الكرامة اشتملت عل كرامات جليلة منها: رفعه للسرير في الهواء وهو عليه، وضربه به الأرض مرارًا وهذا غير ممكن إلا بخرق العادة، ومنها رميه كما يرمى الحنش مرتفعًا عن الأرض، ومنها إشرافه على تنقل سعيد في الأحوال والتعلقات، ومنها أخذه له بقوة يد المرتبة العالية الغالبة الواسعة الجامعة الكاملة الشاملة مرتبة الذات الإلهية، فقال:﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: 17]؛ فاستحق أن يكون تاج العارفين، وجوهرة عقد المحققين(1).

ومنها: كونه كليمًا موسويًا يحيويًا عيسويًا، من حيث أخذه من محمد ﷺ بوساطة موسى الكليم، ويحيى، عيسى وأكمل ما أُخِذَ من رسول الله ﷺ ما كان بوساطة كمل

(1) منــــزع: أهل الصدق في الإرادة في باب الأعمال قانون أدبًا مع قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات:96].

وأهل المعرفة فنازهم في حضرة الصفات والأسماء وذلك لهم أسْنى؛ تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال:17].

الرسل -صلوات الله عليهم- لكمال استعدادهم ووسع قبول استمدادهم وكون سعيد صار إلى ما صار إليه من سلب الأحوال، لأنه لم يتأدب مع الشيخ ولم يقر له بالوساطة بينه وبين الله انقطع سببه، وبطل نسبه، وعوقب بسلب جميع أحواله، وإن كان يرجى له ما يرجى للموحدين في ما له بالأدب يحفظ الوهب، وتركه يفضي إلى العطب، قال شيخنا فيما سمعته منه: من لم يحفظ الآداب رد إلى سياسة الدواب.

الكرامة الثامنة والعشرون بعد المائة:

أخبرنا الشيخ الصالح أبو بكر بن محمد بن قنيقن -رحمه الله- قال: سمعت الشيخ يقول: كان الشيخ طلحة يعرف اسم الله الأعظم فسألته أن يعلمني إياه فأبى، فدخلت المسجد على: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: 282] ففي اليوم الثالث أتاني آتٍ فعلمني الاسم الأعظم وكتبته في كفي وجئت به إلى الشيخ طلحة، وقلت له: أتعرف هذا؟ فقال: نعم هذا الاسم الأعظم فمسحته من كفي، وقلت له: أشهدك أني قد خرجت عنه إلى المسمى ورواها أيضًا شيخنا رضي الدين أبو بكر الصديق بن شيخنا قال سألت الشيخ طلحة أن يعلمني الاسم الأعظم فأبى، فمثل لي في الهواء حروفًا مقطعة، فقلت: سيدي، أليس هو هذا؟ فقال: اللهم من علمك وحلف أشهد أني قد خرجت عنه إلى المسمى.

وفي رواية للقاضي عفيف الدين العلوي عن الشيخ الموهوب المحبوب محمد المعروف ابن شيخنا قال: طلب الشيخ طلحة الاسم الأعظم ففتح به عليه، وأنا لم أطلبه وفتح به عليَّ وتصرف به وأنا لم أتصرف به.

قلت: وترك التصرف مع التمكن منه عبودية من كمال المعرفة بالله، وذلك من أكرم الكرامات ورواها الفقيه الصالح أبو القاسم الخليف وقال: قال الشيخ كُتب لي بالنور.

الكرامة التاسعة والعشرون بعد المائة:

أخبرنا شيخنا محيي الدين أحمد الرداد نفع الله به، والفقيه العالم الأصيل شهاب الدين أحمد بن علي النويري أن شيخنا ﷺ قال: لقيني رجل على باب المسجد في أيام البداية فناولني قرطاسًا كبيرًا وقال لي: خذ هذا يا إسماعيل، فقلت له: ما هذا؟ فقال: هذا الكبريت الأحمر الذي إذا طرح منه قيراط على كذا وكذا قنطارًا من النحاس صار ذهبًا.

فقلت له: ما أريده، فقال: لي ما تريد؟ فقلت: ما أريد إلا الله، زاد شيخنا أحمد أنه سمع الشيخ يقول إن الرجل الذي ناوله القرطاس هو الخضر ﷺ وحلف شيخنا أحمد في رواية أنه سمع الشيخ غير مرة يقول: إن الخضر أعطاه كبريتًا أحمر في قرطاس فأبى أن

يأخذه.

قلت: هذه وإن كانت من أحوال أرباب البدايات؛ فهي من أجل الكرامات، فمن كان الله مراده من الكونين، ومحبوبه من الدارين فقد حصل كل شيء ولم يفته شيء، قال الله لموسى عليه السلام: يا موسى، لمن وجدني: ماذا فقد؟ ولمن فقدني: ماذا وجد؟

الكرامة الثلاثون بعد المائة:

أخبرنا الشيخ العالم الصالح إبراهيم بن محمد الحجوى أحد ملوك الآخرة، كما قال فيه بعض أولياء الله، وكان من كبار أصحاب الشيخ قال: سمعت الشيخ يقول في أثناء ما بسط به مع الأمير الغياث من أحوال البداية.

قال شيخنا: أن بعض أصحابنا في أيام البداية كانوا متعلقين بالأسماء وكان لي متعلق غير متعلقهم يشير إلى الذات، قال: وكنت إذا شئت أن تكون هذه الجبال ذهبًا كانت ذهبًا.

الكرامة الحادية والثلاثون بعد المائة:

أخبرنا القاضي الشهير عفيف الدين العلوي -رحمه الله- عن الفقيه العالم الصالح محمد بن [حنكاس] قال: كان الفقيه محمد لا يقدر أن يسيغ الطعام الحرام أو الذي فيه شبهة فدُعِي الشيخ إلى طعام في النويدرة، قال: وكنا معه فأكل الفقيه محمد ربنقط لقمةً وأراد أن يسيغها فعجز فألقاها فأُعلم الشيخ بذلك، فنظر الشيخ إلى الطعام وأجرى نظره إليه من طرف السماط إلى طرفه وقال لواحد قل له يأكل فأكل فانساغ الطعام، وأخبرنا بها أيضًا الشيخ ناصر الدين إبراهيم بن أبي القاسم بن [....[1]] عن الشيخ أبي بكر بن [قنيقن[2]] عن الفقيه محمد [ربنقط[3]] أنه اجتمع مع الشيخ على طعام بعض الولاة وكان ربنقط بينه وبين الله علامة إذا كان الطعام حرامًا وما رأى فرأى الطعام دمًا فامتنع من أكله فاطلع الشيخ على ذلك فتناول لقمة منه وأطعمها الفقيه فاستحال ذلك الطعام حلالاً ببركة الشيخ، فأكل منه الفقيه.

قلت: كان علامته على رواية ابن [حنكاس[4]] أنه لا يسيغ الطعام الحرام وعلى

(1) غير واضح في الأصل.

(2) هكذا في الأصل.

(3) هكذا في الأصل.

(4) هكذا في الأصل.

رواية بن [قنيقن[1]] يراه دمًا فلعلهما كانتا علامتين له من الله وبعد هذا أكل الطعام لما ظهرت له علامة استحالته حلالاً بعد أن كانت ظهرت له علامة تحرمه فهو كان في الحالين على بينة من ربه ظاهرة.

وقد روينا عن شيخنا ﷺ أنه قال: أيدي الفقراء مدبغة تظهر النجس وتقلب الأعيان وبلغنا أن الفقيه الكبير الولي المحبوب الشهير إسماعيل بن محمد الحضري اجتمع هو والشيخ الأكبر أبو الشموس أبو الغيث بن جميل -نفع الله بهما- على طعام بعض الكتاب وكان الفقيه بينه وبين الله علامة للطعام فظهرت له العلامة في ذلك الطعام فأمسك عنه فوضع الشيخ أبو الغيث يده في الطعام وقرأ: ﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾ [الأنعام: 145]. وقال: كل يا فقيه، فأكل الفقيه لما ظهرت له علامة استحالته حلالاً.

الكرامة الثانية والثلاثون بعد المائة:

أخبرنا الشيخ الصالح سالم بن حسين قال: كتب الشيخ كتابًا إلى أصحابه بعدن ولم يذكرني فوقع عندي انكسار بعدم تخصيص الشيخ لي بالسلام فدخلت البيت؛ فقال رجل: ذاك الشيخ فنظرت فرأيته يمشي هو والشيخ حسن بن الهبل وكان يومئذ بعدن والشيخ بزبيد فالتفت الشيخ إليَّ وقال: السلام عليك، السلام عليك، السلام عليك؛ فقلت: وعليك السلام يا سيدي الشيخ، وعليك السلام يا سيدي الشيخ، وعليك السلام يا سيدي الشيخ.

الكرامة الثالثة والثلاثون بعد المائة:

أخبرنا الشيخ رضي الدين جمال المقربين أبو بكر الصديق -أمده الله من فضله- قال: ذكر في بعض مجالس الشيخ السيمياء والكيمياء وكان في المجلس رجل مغربي يقول إنه يعرفها، فقال له الشيخ: من قال أن الكيمياء يدرك بالصنعة فقد أخطأ تدرك بالوهب فقيل له: فهل تعرفها؟ فقال: أما هذه الكيمياء التي يريدونها فلا، وأما كيمياء الحال فأنا والله أعرفها.

وفي رواية لبعض أصحابنا: قال سمعت الشيخ يقول: عرضت عليَّ الكيمياء في الخلوة؛ فأبيتها وأما الاسم الأعظم فكتب لي في الهواء.

وفي رواية للشيخ أن أبا بكر العباصري قال: وذكرت عند الشيخ الكيمياء.

---

(1) هكذا في الأصل.

وقال: ما الكيمياء إلا كيمياء السعادة، والله إن معي من الإكسير ما يملأ هذا الكون.

الكرامة الرابعة والثلاثون بعد المائة:

وأخبرنا شيخنا رضي الدين والشيخ رضي الدين أبو بكر العباصري والفقيه الصالح الولي أحمد بن يحيى الجبائي أحد كبار أصحاب الشيخ وصالحيهم والشيخ جمال الدين محمد المزجاجي والشيخ الصالح أبو القاسم الأمين وتقاربوا في العبارة.

فأما شيخنا رضي الدين والشيخ أبو بكر العباصري فقالا: كان الفقراء إذا اشتدت حاجتهم وضروراتهم شكوا إلى الشيخ فيقول: تريدون أن أعمل لكم عملة ثم يجلس فيدخل من يدخل بدارهم فيفرقها عليهم.

قلت: قول الشيخ ﷺ أعمل لكم عملة عبارة بلسان أهل الكيمياء. وفي رواية لشيخنا ﷺ أن الشيخ كان إذا احتاج أولاده يتناول الدراهم من الجدار أو من تحت العيدان ومن أين ما مد يده حتى كأنه يخبئ الدراهم هناك.

وأما الجبائي فقال: كان الشيخ يومًا جالسًا في المسجد فقيل له إن أهل بيوتك لم يكن معهم اليوم هذا شيء، فقال: هم فقراء يصبرون، فقيل له: الكبار يصبرون والأطفال لا يقدرون على الصبر فجلس وتوسط السرير، فقال: نركب تركيبة فدخل رجل بدراهم في خرقة مختومة وكتاب مختوم فأعطاه الشيخ وخرج، ثم قال الشيخ: نركب تركيبة ثانية فدخل آخر بدراهم في خرقة مختومة وكتاب مختوم فأعطاها الشيخ وخرج. ثم قال الشيخ: نركب تركيبة ثالثة فدخل آخر بدراهم في خرقة مختومة وكتاب مختوم فأعطاها الشيخ وخرج. ثم قال الشيخ: نركب تركيبة رابعة فدخل آخر بدراهم في خرقة مختومة وكتاب مختوم فأعطاها الشيخ ففرق الشيخ تلك الدراهم على بيوته الأربعة.

وأما الشيخ محمد المزجاجي فقال: رأيت ذلك من الشيخ غير مرة وذلك لعامة أصحابه، وأما خواصهم فلا يلتفتون من الشيخ إلى شيء من الكرامات بل كانوا يعظمونه ويبجلونه ويعرفون بما له عند الله من المكانة العظيمة وبما يلقيه إليهم من العلوم والمعارف الإلهية الربانية، والحمد لله رب العالمين.

ورواية الأمين قال: ذكر الشيخ قول أهل الكيمياء نركب تركيبة فقال: كنا إذا احتجنا إلى شيء، قلت: شيء لله فيأتي هذا بشيء، وهذا بشيء ثم تركنا ونظرنا إلى الله. فحصل لنا فتح كثير من ذلك.

الكرامة الخامسة والثلاثون بعد المائة:

وأخبرنا أيضًا شيخنا رضي الدين أعلى الله شأنه قال: كان الشيخ ﷺ عند أمه يومًا، فقالت له: والله لقد تعبت من هذه الحياة، فقال ﷺ، ما تموتين إلا إذا شئت، ثم التفت فرآني خلفه، فقال: أستغفر الله، أستغفر الله.

الكرامة السادسة والثلاثون بعد المائة:

أخبرنا أيضًا -بارك لنا في بركاته- قال: كان الشيخ في سماع في المسجد وأنا على سطح المسجد، فأخذتني سنة فرأيت محمد بن الأحمر وكان من كبار أصحاب الشيخ بعد موته فجاءني واطلع إليّ فقلت: مرحبًا وأهلاً وسهلاً ما جاء بك؟ فقال: استأذنت الحق في حضور سماع سيدي الشيخ فأذن لي فاستيقظت وإذا الشيخ في حال عظيم في السماع في شيء لا أحسن وصفه راقدًا على الأرض يبكي وأهل السماع يبكون والشيخ غائب عنهم فلما أصبحت حكيت للشيخ ما رأيت فقال الحمد لله هذه الرؤيا حال شاهدة للحال الذي كنت فيه الليلة في السماع لما حصل لي ما حصل ذكرت أصحابي الذين تقدموا واشتقت لهم لأن حصل لنا بعدهم شيء كبير، وقلت: يا ليت شعري هل لأصحابي المتقدمين ما لنا من الزيادات والترقيات التي صحت لنا بعدهم؟ فقيل لي: نعم لهم ما لكم، قلت: وأنا كنت تلك الليلة مع شيخنا رضي الدين على سطح المسجد وأخبرني بما رأى حينئذٍ ورأيت الشيخ وما ظهر عليه في ذلك الوقت الكريم، وفي هذه الكرامة كرامات جليلة، منها استئذان ابن محمد بن الأحمر الحق في الحضور سماع سيدي الشيخ من الوجه الخاص، وإذن الحق له في ذلك، كذلك ومنها تصديق ذلك بكون السماع كان في تلك الساعة ووقت الشيخ المشار إليه كان فيها ومنها أن أصحاب الشيخ لهم ما له من الله إكرامًا له فينا وامتنانًا وإنعامًا علينا به وإحسانًا.

الكرامة السابعة والثلاثون بعد المائة:

أخـــبرنا الشيخ الكبير جمال الدين محمد بن محمد المزجاجي والأمير الصالح غياث الدين عيسى بن محمد بن حسان رحمه الله قالا: كان الشيخ يقول: كان أصحابنا يقعون في الشيء يعني من الأحوال والمقامات ويقعون فيه الشهر والشهرين والسنة والسنتين، وأنا ما أقف فيه إلا لحظة واحدة وأمر وأتركه وأذوقه كما يذوق الإنسان الشيء من الحلو وغيره فأعرفه وأحفظه وما المراد منه إلا ذلك.

قال الشيخ المزجاجي: سمعت ذلك منه مرارًا.

وفي رواية لشيخنا رضي الدين وشيخنا محيي الدين أحمد الرداد: إن الشيخ ﷺ

أخبرهم أنه في أول ما فتح به عليه كان يساير الشيخ جمال الدين الضجاعي في الأحوال والمقامات.

قال: فكنت أسايره وما أقف في المقام إلا لحظة وهو يقف فيه اليوم واليومين والشهر والشهرين والسنة، وضرب الشيخ مثلاً لحاله وحال الضجاعي.

قال: فكان الشيخ حالي كالثوب الرقيق ينطبع فيه أدنى شيء من البلل وحاله كحالة الثوب الثخين لا ينطبع فيه إلا بتكرار البلل.

قال: وكان الضجاعي يقول لنا إذا احتضرت رأيتم مني العجب فدخلت عليه وهو محتضر فوجدته ملقى على ظهره منطعًا صدره يعني كمن يريد أن يرى نفسه على محبوبه وهو يقول: السلام عليك أيها الرحمن الرحيم، السلام عليك أيها الرحمن الرحيم ومات.

الكرامة الثامنة والثلاثون بعد المائة:

أخبرنا الشيخ برهان الدين إبراهيم عبد الله الأكوع أنه سمع الشيخ يقول: محبتكم لي أنفع من كل عمل.

وفي رواية له أيضًا: أنفع لكم من كل شيء أزادنا الله وإياكم من محبته وحفظها علينا.

الكرامة التاسعة والثلاثون بعد المائة:

وأخبرنا أيضًا أن أم المعروف امرأة الشيخ وسيدة نسائه وأم بيوته وفقرائه أخبرته أنها عام حجت هي والنقادة امرأة للشيخ أخرى قالت: خطر ببالي حال مرورنا بمنى إلى عرفات هل يعرف الشيخ ما نحن فيه أو تزوج ونسينا؟

قال: فرأيت الشيخ في تلك الحالة بين الجمل والجمال وخطام الجمل على كتفه فتنبهت النقادة وقلت لها: اجلسي و انظري الشيخ فلم تجلس فمشى الشيخ معنا قدر قراءة سورة يس ثم غاب.

الكرامة الأربعون بعد المائة:

وأخبرنا شيخنا رضي الدين أبو بكر الصديق أن أمه أم المعروف أخبرته أنها هي والنقادية رأيا الشيخ عند دخولهما المدينة المشرفة دخل المدينة قال: قالت: فكنت أقول ذلك الشيخ والنقادية تقول ذاك الشيخ.

الكرامة الحادية والأربعون بعد المائة:

أخبرنا الشيخ الصالح إبراهيم الأكوع قال: كنا جماعة في مكة وكنا نقعد عند ميزاب الكعبة فكنا نرى الشيخ كثيرًا يطوف نراه لكنا ولا يشك فيه منا أحد ويجري من

يجري منا ليسلم عليه.

وفي رواية لشيخنا أحمد: إن العماد القاهري أخبره أنه رأى الشيخ عند البيت ﷺ.

الكرامة الثانية والأربعون بعد المائة:

وأخبرنا أيضًا أنه حضر مع شيخنا -قدس الله سره- سماعًا قال: فسمع الشيخ شيئًا من شعر الشيخ أحمد بن علوان فتحرك حركة عظيمة وتقطع قميصه ونزل وبقي في السراويل فخلع الشيخ حسن بن الهبل قميصًا كان عليه وألبسه الشيخ تفتق من جانبيه ومن على قلبه قال وفي تلك الليلة تحكمت للشيخ.

الكرامة الثالثة والأربعون بعد المائة:

سمعت شيخنا الأكبر أبا المعروف عرف الله من عوارفه يقول: في جمع كثير من المشايخ والفقراء والقضاة والفقهاء والأمراء كل من أراد من العلماء يسألني في أي علم شاء من علوم المعاملات؛ فليسأل وأنا أبارز لأن الله فتح علينا حتى قويت حجتنا وسايرنا هذا العلم وجاريناه.

الكرامة الرابعة والأربعون بعد المائة:

وسمعته أيضًا ﷺ يقول: والله ما جعلنا الله إلا رحمة للخلق ولا بدَّ أن ننشر هذا العلم يعني علم التوحيد ويكثر ويرجع من يخالفنا من تحت ونحن من فوق كالماء والسليط.

الكرامة الخامسة والأربعون بعد المائة:

أخبرنا الشيخ الكبير المجذوب حسن بن أبي بكر الهبل القرشي أن شيخنا أرسله إلى بعض المشايخ يسأله عن خارجة المشرق وقد كان حصلت الإشاعة بترددهم إلى زبيد قال فقلت له الشيخ يسألك هل ينزلون هؤلاء؟

فقال: نعم ينزلون ويدخلون زبيد ثم يدخلون حيس ثم يدخلون ثغر، ثم يدخلون عدن فرجعت إلى الشيخ فأعلمته بما قال، فقال: ارجع إليه وقل له: الذي اطلعت عليه إنما هو الذي في عالم الملك وقد عمي وأما الذي في عالم الجبروت وعالم اللوح فإنهم لا يدخلون زبيد ولا حيس ولا ثغر ولا عدن فنزلوا وكان حدهم زبيد ولم يدخلوها بفضل الله وبركة الشيخ ﷺ.

الكرامة السادسة والأربعون بعد المائة:

وأخبرنا أيضًا أنه منذ صحب الشيخ ﷺ ما حدث قط حادثة إلا وأخبره بها قبل كونها وأخذ عليه في عدم التحدث بها.

وفي رواية له قال: كان الشيخ يخبرني بالحوادث ومنها ما يخبرني به حال كونها

ومنها ما يخبرني به قبل كونه بمدة ويظهر هكذا إلى قضية بن نجاح قلت وهي آخر حادثة في حياة الشيخ.

الكرامة السابعة والأربعون بعد المائة:

وأخبرنا شيخنا ﷺ بموت الفقيه عبد اللطيف المعلم أحد كبار أصحابه قبل أن يمرض وأمرنا بقراءة سورة يس وإهداء ثوابها له قبل موته بأيام وقال له الأمير الغياث حين سمع منه ذلك لو امتعتنا به، وكذلك أمرنا بقراءة يس وإهداء ثوابها لأم ولده إبراهيم قبل موتها ولما مات عبد اللطيف وخرجنا به إلى المقبرة جئنا وقبره لم يفرغ فأمرنا الشيخ بقراءة يس وكان ينظر إلى عبد اللطيف وهو على السرير وهو يضحك كثيرًا وأشار لنا أنه يتحدث معه بشيء من غرائب التوحيد قد كان عبد اللطيف يأخذه منها أحوال وأوماً للشيخ بها وكان من الرجال.

وأخبرنا شيخنا أحمد أنه قرأ ثلاثة أجزاء من القرآن وقرأ عبد اللطيف معه تسعين جزءًا فيما بين اصفرار الشمس وارتفاعها قليلاً ورأيته أخذ الجزء فيرفعه ويرفعه إلى فيه ويقبله ويضمه ويضعه ويأخذ غيره فيكمل الختمة في ساعة واحدة، ولم أعلم من ذلك إلا أنه يعرض القرآن عرضًا على قلبه وقد يكون يقلب الجزء ورقًا كالذي بعده.

وأخبرنا جماعة من أصحابنا عنه أنه كان يدرس الجزء وهو يكتبه فما يتمه قراءة إلا وقدمته كتابة وهذا مما كانوا عليه أصحابنا من دوام تكرار تلاوة القرآن في مجالسهم وحلقاتهم وخلواتهم وأورادهم آناء الليل وأطراف النهار فما كانت طريقة الشيخ وأصحابه إلى الله إلا القرآن وكان فيهم كثير من يسر الله له القرآن.

أخبرني شيخنا أحمد -قدس الله سره- أنه دخل على بعض أصحابنا وهو قائم ليلة القيام ليلة العيد في مسجد عند انتصاف الليل وقد قام بست عشرة ختمة ثم راح إلى الجامع وقام بمثلها، وكان بعضهم يقرأ يس ويعدها في السبحة دون توقف كما يعد المسبح الأذكار المفردة.

الكرامة الثامنة والأربعون بعد المائة:

سمعت شيخنا شيخ الشيوخ أبا المعروف وعرف الله من عوارفه في سماع يقول أن ﷺ يقول: «إني لأشم نفس الرحمن من قبل اليمن»[1] ؛ فهل منكم من يشم معي نفس الرحمن؟

---

(1) ذكره المناوي في «فيض القدير» (129/4)، والعجلوني في «كشف الخفاء» (251/1).

الكرامة التاسعة والأربعون بعد المائة:

أخبرنا الشيخ الصالح الولي محمد بن أبي بكر البجلي الشهير بالمستند -رحمه الله- قال: كنت أنشد للشيخ وكان يحصل عليه من الأحوال ما لا يطاق ففي بعض السماعات حملني بيد واحدة ولوح بي في الهواء فلم أدر أين أنا في السماء أو في الأرض وداربي كذلك ما شاء الله.

الكرامة الخمسون بعد المائة:

وأخبرنا غير واحد منهم أخي أحمد بن أبي بكر وأخي عليّ بن أبي بكر والأخ الصالح محمد بن يوسف الأشكل[1] أنه كان ينشد في سماع لشيخنا قصيدة من قصائد عنتر

---

(1) قال المناوي: هو ابن الشيخ يوسف بن علي الأشكل اليمني. كان من أكابر الصالحين، حسن السيرة، جميل السلوك، معظما عند الأكابر والملوك.

وله كرامات ومكاشفات. وأصله من قرية الناشرية، خرج متجردًا للعبادة، فأقام مدة في كهف من جبل الظاهر بناحية نبهان، فأقحط أهل تلك الناحية، وتطاول القحط بهم فسألوه الدعاء فدعا، فأمطروا سريعا، فأخصبوا، فانتقل إلى ناحية، ثم ناحية، وكل جهة يحصل لها فيها ذلك، حتى استقر في موضع، فزرع فيه، فطالبه أمير تلك الجهة بالخراج فلم يدفع، فحبسه، فكان يُرى يصلي مع الجماعة، فشدد الأمير على الموكلين بالسجن، فصاروا يقعدون معه على السرير، ولم يروه فارقهم أصلاً، ويوجد وقت الصلاة في الجامع، فأطلقه الأمير. وعرفت كراماته بعد ذلك.

وكان له ولد اسمه علي، أخذ عن الحضرمي وغيره، وله كرامات أيضًا.

منها أن ابن أخته كان يخدم الدولة، فغضب عليه السلطان، وأمر بشنقه، فجاءت أمه إلى أخيها وبكت فقال: لا تخافي، ما تشرق الشمس غدًا إلا وهو مقبل من هذه الجهة على فرس أحمر، فكان كذلك.

وأخبر بأن السلطان طلبه تلك الليلة وقال: دخل علي رجل من الكوة، وبيده شعلة نار وقال: إن تغيرت على فلان، ما فيه إلا روحك. فقلت: من أنت؟ قال: يوسف الأشكل.

وكان ولده محمد من كبار الصالحين الأولياء أيضًا، رأى إبليس والده فقال له: يا فقيه، ولدك محمد ما لي به طاقة، ولا أحضر مجلسًا يحضره.

وتأخر المطر عن الناس في فصل الخريف، فلازموه، فقال: ما ثم خريف ولا شتاء، ولكن سيقع مطر في الربيع، ويكون مع الناس بعض دخن، فكان كما قال.

وكان ابن المكدش يقول: ما رأيت في الأولياء كمحمد بن علي الأشكل، قلت له: أحب أن تريني كرامة؟ فقال: انظر؟ فنظرت إلى إصبعيه، في أحدهما نار، والآخر يفور ماءً، فقال: رأيت؟ قلت: نعم، فقبض إصبعيه.

وبنو الأشكل بيت علم وصلاح، ومن متأخريهم محمد بن أبي بكر، تفقه وتصوف.

وجمع كراماتهم في مجلد حافل. انظر: طبقات الخواص (169)، كرامات الأولياء (2/295)، الكواكب (579).

فابتلعه الشيخ فالوا قال: فكنت والله أنشد في فم الشيخ وأنا أرى أني في سعة واسعة، وأرى حنك الشيخ فوقي كالسقف.

ورواية أخي عليّ قال: قال: والذي لا إله إلا هو ابتلعني الشيخ فكنت في فمه هكذا أو تربع وكان فم الشيخ كهذا المسجد وأنا فيه، وكان في مسجد قال: وذكر من أحوال الشيخ ما لا يطاق حتى اضطره الخوف إلى ألا يدخل زبيد أو يدخلها سرًا وترك الإنشاد للشيخ مع ما كان يحصل له من بركات الشيخ وإقبال الناس عليه بسبب الشيخ وإقباله عليه ونال بذلك من متاع الدنيا كثيرًا حتى ذكر أنه حصل له في ساعة نحو ثلاثة آلاف دينار.

قلت: وكان المستند يذكر هذه الواقعة وغيرها كثيرًا ولو أنه لزم تلك الحضرات وغنم بركات تلك الواردات لكان ما يخاف منه حفظًا له لكن أخذ ما قدر له ونعم له ولو كان لحظة من اللحظات.

الكرامة الحادية والخمسون بعد المائة:

أخبرنا شيخنا رضي الدين أبو بكر الصديق زاده الله من فضله قال: كان الشيخ يتلون ألوان ظاهرة في الحس فحينًا يشرق، وحينًا يؤنس، وحينًا يوحش قلت: رأيت تكونه في الألوان المتضادات وظهوره في المظاهر المختلفات ﷺ ورضي عنا به آمين.

الكرامة الثانية والخمسون بعد المائة:

أخبرنا رضي الدين الشيخ أبو بكر العباصري أنه كان به وجع شديد في رأسه لا يقدر معه على فتح عينيه ولا أن يرفع رأسه قال: فجاءني الشيخ فقال لي: ارفع وجهك وانظر وجهي فما قدرت فكرر عليّ القول فنظرت بمشقة إلى وجهه فزال عني جميع ما كنت أجد.

قلت:

وإنْ السقيمُ رأىَ أسرَةَ وَجْهِهِ ذَهَبَ السِقَامُ وزَالَت الآلامُ

الكرامة الثالثة والخمسون بعد المائة:

أخبرنا الشيخ الصالح محمد بن أبي بكر الموزعي أنه تخلى في مكان للعبادة قال فكنت كلما أخذني النعاس انتهرني الشيخ فاستيقظ فأراه يقظة هكذا كان حالي معه.

الكرامة الرابعة والخمسون بعد المائة:

أخبرنا الشيخ ﷺ كان يساوقه على الخواطر ويحضره حيث كان وقال: وكنت قد

أجيء وهو نائم فأقول في نفسي يقولون العارف لا ينام فيشير إليَّ أنه غير نائم أو يتحدث معي أو يأمرني بفعل شيء وقد أكون عنده فيخطرني أن لو أذن لي أن أذهب لحاجتي فيأمرني بالذهاب وكنت مولعًا به لا أقدر على مفارقته فإذا اشتقت إلى رؤيته خرج إليَّ من البيت طلبني إليه واشتقت إليه مرة وأنا في مكان بعيد فحضر عندي ووقف معي ساعة وغاب عني.

الكرامة الخامسة والخمسون بعد المائة:

أخبرنا الشيخ العالم الصالح إبراهيم الجحوي وغيره قال سمعت الشيخ يقول: كنت ليس لي في الأعمال اختيار إنما كانت أعمالي بحكم الواردات وكانت محافظتي على دوام استقامة قلبي مع الله.

قلت: هذا من تربية الحق له كما أخبرنا شيخنا رضي الدين وشيخنا محيي الدين أنهما سمعا الشيخ يقول: أنا تربية الحق؛ فهذه الكرامة من أعظم الكرامات وفيها كرامتان أيضًا:

إحداهما: إن الله سبحانه وتعالى تولاه بعنايته ووالاه برعايته فلم يجعل لغيره عليه منة.

والأخرى: إن الله منحه الإرث المحمدي؛ فإن رسول الله ﷺ قال: «أدبني ربي فأحسن تأديبي»[1].

قال بعض شيوخنا الأكابر المحققين: وتأديب الله بغير واسطة سار في المحمدين بحكم الوراثة المحمدية.

الكرامة السادسة والخمسون بعد المائة:

أخبرنا بعض إخواننا المريدين الصادقين أن شيخنا ﷺ كاشفه على ما كان منه من أيام الصغر والمعلامة إلى اليوم الذي صحبه فيه وأخبره بما كان منه من خواطر وأمانٍ وأفعال واحدًا واحدًا وأخبره بما حصل من أمانيه وما لم يحصل وما حصل بعضه وما حصل كله.

قال: ولذلك كان في أكثر الأوقات مدة حياته يسايرني على خواطري خاطرًا، خاطرًا أدام الله لنا رعايته.

---

(1) سبق تخريجه.

الكرامة السابعة والخمسون بعد المائة:

أخبرنا القاضي العالم الكبير جمال الدين خلاصة القضاة الأكابر الأولياء المقربين محمد بن علي بن أحمد النويري المكي القرشي وحلف بالله أنه رأى الشيخ يقظة في أيام الحج في مقام إبراهيم ﷺ.

الكرامة الثامنة والخمسون بعد المائة:

وأخبرنا أيضًا كان الله له أنه التزم الشيخ -قدس الله سره- في موت والي مكة أو عزله وكان بينه وبينه أشياء يخاف منه من أجلها على الروح.

قال: وقلت له أنه لم يمت أو يعزل ما أدخل مكة ما دام وخشعت بين يديه وبكيت وتضرعت وكررت ذلك فقال لي : لا يموت ولا يعزل ولا تقف أنت عن مكة بل يجعل الله بينكما مودة ورحمة، فسافرت من زبيد إلى مكة فوافيت الناس صاعدين إلى الموقف فلما أفضت من عرفات لقيني الشريف في منى فبدأني بالسلام والمصافحة وأظهر لي بشاشة كثيرة ثم بعد أن وليت أرسل خلفي بألف وثمان مائة قفلة، وقال لي رسوله: هذه من الشريف وهو يسلم عليك.

وقال: تصرفها في مهامك وكنت قد شكوت على الشيخ إنما حصل لي من اليمن شيء.

فقال: سافر فالخير أمامك فحصل لي في تلك السنة نحو ثمانية آلاف قفلة ولم أر من الشريف ما أكره ولا ما أخاف أبدًا وكان كل ذلك ببركة الشيخ نفع الله به آمين.

الكرامة التاسعة والخمسون بعد المائة:

أخبرنا الفقيه العالم الصالح القاضي حسين بن محمد التهامي- قاضي عبدان- بروايته لشيخنا أحمد الرداد وأنا أسمع أنه كان عند قاضي القضاة ركن الدين أبي بكر بن يحيى بن أحمد بن موسى عجيل وهو محتضر وكان يومئذ بتعين والشيخ بزبيد وحلف بالله لقد رأيت الشيخ يعني جاء يقظة وجلس عنده على السرير ساعة وذهب رأيته رؤية لا أشك فيها كما أراه في مسجده.

الكرامة الستون بعد المائة:

أخبرنا نقيب الفقراء أنه سمع الشيخ على قعادة في المسجد يقول القعادة عليها السعادة الكبرى سعادة الدنيا والآخرة.

قلت: وقد سمعت الشيخ وذكر له بعض المشايخ وأنه كثير الأسفار إلى الحرمين فقال هنا من سافر وهو على قعادة وهنا من سافر وخرج عن عادته، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي

الَّذِينَ يَعْلَمُون وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: 9].

أراد الشيخ ﷺ السفر المعنوي الذي هو الانتقال من أوطان الأكوان إلى حضرات الرحمن والانتقال أيضًا من اسم إلى اسم ومن صفة إلى صفة ومن تجلٍ إلى تجلٍ ومن معرفة إلى معرفة ومن كان هكذا فقد أعطى السعادة الكبرى بل أعطي من صاحبه أو جالسه السعادة الكبرى، وهذه إشارة صريحة منه إلى نفسه حفظ الله علينا صحبته ووفر فينا محبته آمين.

الكرامة الحادية والستون بعد المائة:

أخبرنا شيخنا رضي الدين أن الأمير غياث الدين عيسى بن محمد بن حسان -رحمه الله- أخبره أن الشيخ الصالح الولي أبا بكر بن محمد الشريد المهجمي أخبره وكان صاحب كشف خارق وكان أصحابنا إذا أراد أحدهم أن يمضي في حاجة سأله هل تنقضي فيمضي أولاً فيتق وكان يرى رسول الله ﷺ في اليقظة كثيرًا.

قال: أخذ الشيخ مالي وكأنه في حق فتعبت تعبًا عظيمًا فدخلت المسجد وتوضأت وأخذت المقدمة ووضعتها على رأسي وتضرعت إلى الله عز وجل فجاء الشيخ وقعد على قعادة في المسجد، وقال لي : يا أبا بكر. قلت: لبيك قال: تعال غمزني فغمزته ساعة فطلبني ما أنا فيه فقمت وأخذت المقدمة على رأسي وتضرعت إلى الله فدعاني الشيخ فأجبته. فقال: من أحسن من يحفظ له ماله إلى وقت الموسم وظهور السلع الفاخرة ويعطي إياه فيأخذ به من السلع الفاخرة أو من يكون مال معه يتصرف فيه حتى يفرغه فيأتي الموسم وليس معه منه شيء يا ولدي شيئك محفوظ.

الكرامة الثانية والستون بعد المائة:

أخبرنا شيخنا محيي الدين أحمد الرداد غير مرة قال: مشيت مرة خلف الشيخ من المسجد إلى دكة المحتسب في السوق فما سلم عليه أحد، وعادة الشيخ إذا مشى في موضع يسلم عليه كل من لقيه فخطر في نفسي التعجب من عدم التفات الناس إليه وسلامهم عليه فبنفس هذا الخاطر وإذا الناس يجرون إليه وأهل الدكاكين يثبون من دكاكينهم يسلمون عليه حتى ما خلصنا من كثرة الناس إلا بعد جهد عظيم، وفهمت أن الشيخ قصد في الحالين بأن له التصرف في القلوب وإقبالها وإدبارها.

الكرامة الثالثة والستون بعد المائة:

وأخبرنا أيضًا شيخنا أحمد الرداد أمدنا الله من همه والشيخ محمد المزجاجي، واللفظ لشيخنا أحمد قال: احترقت زبيدة مرة حريقًا عظيمًا حتى خرجت النار من فوق

الدرب وكان الفقيه عليٌ بن موسى في مسجد صغير وكان المسجد محمولاً على دكاكين للحطابين مشحونة حطبًا فلما قربت النار منه أقبلت غائرة على شيخنا علي الفقيه فلما قربت من المسجد رأيت اثنين من أصحابنا ممن كان يخدم الشيخ الفقيه قائمين على باب المسجد فوقع قلبي معي إنما وقفا على باب المسجد إلا والفقيه ما هو فيه فوقفت مكاني ساعة وإذا النار قد طارت وأقبلت فأقبلا إلى هاربين فقلت لهما: أين الفقيه؟ فقالا: في المسجد فلم يمكن الرجوع إليه، فرجعت إلى مسجد الشيخ ووقفت لحظة وأنا أفكر في الفقيه، وإذا الشيخ قد أقبل فسألني عن الفقيه، فقلت في المسجد فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ومضى يريده فمشيت خلفه أنا وجماعة حتى وصلنا إلى مكان فكاد حوم النار يهلكنا فوقفنا هناك ومضى الشيخ وحده وكان دون المسجد بيوت قد احترقت فمشى الشيخ فيها في النار ونحن ننظره حتى بلغ المسجد وقد احترق من أسفل ومن أعلى فجاء الشيخ إلى الباب وقد احترق وهو جمرة واحدة تلتهب فوكزه برجله ونحن ننظر إليه فتناثر الباب جمرًا فدخل وكان مع الفقيه رجل من أصحاب الشيخ، قلت: هو أبو بكر بن الفقيه أحد أصحاب الشيخ وخدامه.

سألته: كيف كان حالكما؟ فقال لما قربت النار دخلت أنا وأبو يحيى بن مشية فوجدنا الفقيه جالسًا على قعادة في المسجد فقلت له يا سيدي: النار جاءت فقال: لا تخف الله معنا فقام فطالع النار وطالع إليها وقد أحرقت باب المسجد وأواني كانت في خبانة المسجد فقال: الله، الله هذه النار جائحة وجلس على فراش المسجد ووضع رأسه على ركبتيه وأطرق ما شاء الله ورفع رأسه وقال ﷺ مصيبتي على الخلق ما قبلت الشفاعة وكان المسجد محمولاً على دكاكين مشحونة حطبًا فاحترقت الدكاكين واحترقت قاع التي كانت تحتنا، التي هي سقف الدكاكين وأحرقت سقف المسجد الأعلى الذي فوقنا وكان الجمر ينزل علينا حتى انفصلت عن الجدران من جوانبها الأربعة ونحن مع ذلك عليها قعود فصرنا نحن وهي محمولين على الهواء وكان الدخان واللهب يطلع إلينا من أسفل ومن شدة الدخان ما كنت أقدر أتنفس إلا جعلت كفيَّ على وجهي أتنفس فيهما نفسين أو ثلاثة حتى استريح ثم طلعت النار علينا واللهب تلفحنا فأما صاحبي فضاق وخرج من غير باب المسجد طلع على جدار ونزل فقال لي الفقيه: هات الماء فكنت أرش على ساقيه من لفح النار ومع ذلك والفقيه في غيبة فقلت له: وأنت فما كان حالك؟ فقال: أخذت عيني ولم أحس بشيء لاشتغالي بالفقيه فلما رأيت قاعة المسجد انفصلت من تحتنا من جوانبها الأربعة وبقيت على الهواء وخشيت أن يقع بنا هممت أن

أحمل الفقيه وأضعه على طاقة في جدار المسجد بحيث لو سقط السقف الأعلى والأسفل والسقف سلم الفقيه لأن الجدار يبقى قائمًا وإذا الشيخ قد جاء إلى باب المسجد وقد احترق وهو قائم جمرًا فوكزه برجله فسقطت فردة من الباب وبقيت الأخرى قائمة تلتهب فوقف عندنا قليلاً وجعل الفقيه على ظهري وأخذ باقي الفراش المحترق فقطعه وجعله على الفقيه وقاية من حوم النار وجعلني قدامه فمشيت قبله فلما بلغ الباب دلق فردة الباب الأخرى بيده فتناثرت جمرًا وكنت أمشي على النار ولا أحس بها قال شيخنا أحمد وغيره فحال أن خرج الشيخ بالفقيه من باب المسجد انهدم المسجد أعلاه على أسفله، وكان الشيخ هو الذي يحمل الفقيه يمشيان على النار حتى جاء به إلى مسجده وخرج فنظر الفقيه في قفاه وقال: الله الله يا إسماعيل ما أنت إلا ولي الله، الله يا إسماعيل ما أنت إلا ولي، فقال الشيخ إبراهيم الجبلي للفقيه: يا سيدي نحن عبيدك وأولادك فقال: نعم وأنا والله أستحقكم عند الله من يقول إنكم ذريته والله ما أنتم إلا فقهاء والله إلا مليح بإحسان الجنة.

الكرامة الرابعة والستون بعد المائة:

وأخبرنا أيضًا شيخنا أحمد والشيخ جمال الدين المزجاجي أنهما حضرا مع الشيخ سماعًا لبعض المشايخ قال: فقالا لنا الشيخ: يا جماعة آثروا أهل السماع بسماعهم ولا يتحرك أحد منكم حتى تقربوا مني فحفظنا وصيته إلا الشيخ إبراهيم الجبلي فإنه تحرك هو وفلان وذكر بعض المشايخ فنظر الشيخ إليهما كالمكاره فعلهما فأما ذلك الشيخ فتحرك قلبه وجمد، وأما الشيخ إبراهيم الجبلي فوقف من ساعته وكان يمشي على قفاه حتى خرج من طابق السماع إلى زاوية من الزوايا فلما كان آخر السماع تحرك الشيخ والجماعة معه فلما فرغ السماع رجعنا والشيخ إبراهيم معنا ساكتًا لا يتكلم حتى أتينا بيت الشيخ فلما دخل الشيخ البيت صرخ الشيخ إبراهيم وبكى فرجع إليه الشيخ وعاتبه ساعة ودخل عنه وهو على الباب يبكي وربط رقبته برجل دابة الشيخ، فلما كان في أثناء النهار بكى وتضرع وتوجه بقلبه إلى الشيخ.

قال الشيخ إبراهيم: فعطف عليَّ الشيخ ورد لي جميع ما أخذه مني وأضعافه وقد فقدت جميع أحوالي حتى فقدت الإسلام نسأل الله السلامة والعافية.

الكرامة الخامسة والستون بعد المائة:

أخبرني أيضًا وقد تداخل حديثهما قالا كان لنا صاحب يسمى الشيخ أبو القاسم بن سيف الخير وكان من الأبدال وكان يجوع هو وعياله الأوقات وكان ممتحنًا

بالفقر وقال الشيخ: إنه اشتهى اللبن سنتين ما قدر على ثمنه ففتح عليه يومًا بأربعة فلوس فاشترى لبنًا فجاء به ووضعه على السرير وطلع عليه فاضطرب فانكفأ اللبن قبل أن يطعمه ثم وقف أيضًا شهرًا وفتح عليه بشيء فاشترى به لبنًا فوضعه على الأرض ليتناوله بعد أن يقعد على السرير خوفًا من مثل المرة الأولى فكفته الهرة، ثم وقف أيضًا زمانًا واشترى لبنًا فوجد فيه وزغًا أو غيره فتركه، فجاء يومًا إلى الشيخ يشكو عليه حاله وحال عياله وحاجتهم فجاء رجل من أهل البادية الحارة يسمى سعيد بن عيسى ومعه رجل يسمى سهيل فشكي على الشيخ أن زرعهم أحرقته الشمس وإن لم يحصل له مطر حرق بالكلية ولازم الشيخ في المطر فقال له الشيخ هل معك شيء أتيت به؟ قال: لا.

قال: انظر فحلف أن ما معه شيء فقال الشيخ لصاحبه: اقرب سهيل إليّ فقرب إليه فأخرج من عطفه إزاره ستة دراهم أو خمسة قد كان أودعها معه سعيد بن عيسى ونسيها فعاتبه الشيخ على جحدله الدراهم، فقال سعيد: والله يا سيدي أنسيتها فأعطاها الشيخ أبا القاسم بن سيف الخير وقال له: برح بها لعيالك وقال: يا سعيد قم انظر بلادك هل ترى عليها سحابًا فقام فقال: لا، فحدثه الشيخ ساعة وقال له: انظر فقام فقال: رأيت سحبية صغيرة فشاغله الشيخ بالحديث ساعة وقال له: قم انظر فقام فقال والله يا سيدي أرى السحاب قد كثر فشاغله ساعة بالحديث وقال له: قم انظر فقام فقال والله يا سيدي أما اليوم فما نفر ليلاً أنا طير من شدة المطر فجاء العلم أن بلادهم مطرت مطرًا عظيمًا.

الكرامة السادسة والستون بعد المائة:

أخبرنا الفقيه الكبير النجيب الولي العارف القريب رضي الدين خلاصة أولياء الله الأكابر المقربين أبو بكر بن محمد بن عيسى الزيلعي[1] صاحب اللحية نفع الله به وبسلفه قال: جئت إلى الشيخ فرحب بي وسلم وكان في نفسي أشياء فلما استقربت المجلس أخذ يتكلم على ما في نفسي واقعة، واقعة حتى تكلم بجميع ما عندي فلما أردت أن أودعه

---

(1) محمد بن عيسى الزيلعي. صوفي واضح الدلائل، حسن الخلق لطيف الشمائل. وله كرامات خارقة، ومكاشفات صادقة. منها أن ولده لعب مع الناس في دعوة بسيف -كعادة أهل البادية- فأصاب عين رجل فقلعها، فوضعها الشيخ مكانها، وبصق عليها فعادت كما كانت. ومنها أنه لما بني مسجده، سقط أحد البنائين على عنقه فانكسر، فأتوه به، فتفل عليه، فاستقام وعاش.

ومنها أنه كان إذا لازمه الناس للمطر سقوا فورًا.

وكانت وفاته سنة 787هـ. انظر: طبقات الخواص (129)، كرامات الأولياء (1/144، 162).

كلمني في أذني بكلمة فحصل لي منه في مجلس واحد أو قال ساعة واحدة ما لم يحصل لكثير من أصحابه.

الكرامة السابعة والستون بعد المائة:

أخبرنا شيخنا أحمد والشيخ أبو بكر قتيقن قالا: أرسل مشدقشال للشيخ رسالة ثم أرسل له ثانية فظالم الشيخ لذلك فعزله السلطان في ذلك اليوم ومشى بطنه في ذلك اليوم وحمل وبطنه يمشي إلى زبيد في ذلك اليوم ومات في اليوم الثاني.

الكرامة الثامنة والستون بعد المائة:

أخبرنا نقيب الفقراء وأحد خواص الشيخ عمر المستريح أنه وقع بينه وبين امرأته شيء فأرادت أن تشكوه إلى الطوسي [....] فسألها الشيخ ما تريد فقالت أريد أن يرسم عليه الطواشي، فقال لها الشيخ: أنا أرسم عليه.

قال: فجاءني خمسة عشر عرقًا فجلست أربعة أشهر فقال: لها الشيخ قولي له إن تاب تعالى فقلت نعم أتوب فخرجت العروق بأنفسها بقدرة الله تعالى.

الكرامة التاسعة والستون بعد المائة:

أخبرنا بعض أصحابنا وكان الشيخ أبو بكر العباصري حاضرًا يسمع وقال: إنه يذكر هذه الحكاية قال: كنت أنا والشيخ أبو بكر العباصري جلوسًا في المسجد عند المعلامة فخرج الشيخ من الخزانة التي فيها مقدمات القرآن وعلى عينيه أثر البكاء فتكلم على في نفسي العباصري وقال: وأنا كنت في تلك الأيام متعلقًا بذكر اللطيف فقال: ومن أصحابنا من يتعلق باللمعة النورانية، ولا يصلح له ذلك، فقلت في نفسي لعله يعني غيري، فقال: لمن يتعلق باسمه اللطيف قف على قول الشيخ نفع الله به اذكروا الله لله لا لمن يأتي يحتجمه ريحان يريد عليها درهمًا وكان عندنا رجل بدوي في يده قارورة فيها سليط فكاشفه الشيخ عما في نفسه فقال له: يا سيدي أنتم ترون القلوب؟ فقال له الشيخ: نعم كما ترى ما في قارورتك هذه أرأيت إذا رميت بحبة في قارورتك هذه ما تراها؟ فقال: نعم، فقال الشيخ: كذلك الولي أو قال العارف تكون الدنيا عنده كذلك السليط في هذه القارورة يرى ما فيها.

الكرامة السبعون بعد المائة:

أخبرنا الشيخ الأجل الصالح الفقيه العالم المحدث عفيف الدين عبد الله بن محمد العبادي إمام جامع الرعارع بلحج والمحدث فيه، قال: كنا قد سمعنا بحكاية يعقوب المخاوي مع الشيخ، وقول الشيخ له: إذا أفزعك أمر فقل: يا آل يس، فوقع ذئبٌ على

شاة فاقترب منها، فمنعته منها، فعطف عليَّ الذئب.

قال: فلما عطف عليّ رميت له النعلين فقطعهما قطعة قطعة ثم حمل عليَّ ثانية فرميت له ثوبي فمزقه ثم حمل عليّ فضيّق عليّ حتى آيست من الحياة وجعل يديه في صدري فألهمت الاستغاثة بالشيخ فقلت: يا آل يس وإذا بطائر قد انقض عليه فوقع على رأسه وجعل يلطمه بجناحيه على عينيه فولى الذئب هاربًا والطائر يلطمه بجناحيه.

الكرامة الحادية والسبعون بعد المائة:

أخبرنا الشيخ الصالح سالم بن حسين بن وكع اللحجي أنه حضر مع شيخنا ﷺ سماعًا وكان ذكره في ذلك الزمان آية الكرسي قال: فسكت الشيخ القوال، وقال للقارئ: اقرأ ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ﴾ [البقرة: 255].

فقرأ فغبت عن حسي فما كنت أسمع القراءة إلا من الله فلما أفقت أخذ الشيخ أحمد الرداد بيدي وأقعدني بين يدي الشيخ فألبسني ونصبني فمن بعد ذلك رأيت ما لم أكن رأيته وعلمت ما لم أكن علمته.

الكرامة الثانية والسبعون بعد المائة:

وأخبرنا أيضًا قال: كنا مع الشيخ يومًا في تربة ولده المعروف فأخذ الجماعة في الثناء عليه فقام الشيخ ودار على قبره مرتين، وقال: والله لو علمت أن ولدي المعروف هكذا أو أقول عليه هكذا ولو بيدي على صدره وكان يقبل مني، ورويناها أيضًا عن شيخنا رضي الدين.

وقال: قال الشيخ بعد موت ولده المعروف: والله ما عرفت ولدي إلا بعد موته فلو عرفته قبل موته كنت دخلت على الله فيه وفي رواية للمعبيدي أنه سمع الشيخ يقول: لو علمت أن ولدي كان على هذا الحال مات بل كنت أدور عليه وكان يقبل مني.

الكرامة الثالثة والسبعون بعد المائة:

أخبرنا شيخنا محي الدين أحمد الرداد والشيخ جمال الدين محمد المزجاجي والشيخ برهان إبراهيم الأكوع واشتركوا في اللفظ: وكنا نتذاكر تنوع الشيخ في الصور والأحوال باختلاف الأحوال عليه والواردات والتجليات قالوا كنا مع الشيخ في الهرمة قرية من قرى وادي زبيد فخرجنا إلى برها فجرى بيننا ذكر معرفة كنه الذات فحصل على الشيخ حاصل عظيم وصرخ صرخة عظيمة وتغير لونه وقام شعر رأسه حتى صارت كل شعرة قائمة وحدها وطالت رقبته حتى صارت قريبًا من ذراع وجرى جريًا عظيمًا وجرينا بعده، فلم يلحقه منا أحد إلى أن وقف وأدركناه، فلما جئناه بكى بكاءً شديدًا وبكى

الجماعة لبكائه، ودخلنا القرية ونحن كذلك نبكي والشيخ حافيًا لم يلبس نعليه.

الكرامة الرابعة والسبعون بعد المائة:

أخبرنا الشيخ الصالح إبراهيم الأكوع أنه سمع شيخنا ﷺ يقول: كانت ربيبتي مريضة فلازمتني أمها في حياتها فقلت لها: اذهبي إلى الشيخ فلان وذكر لها بعض الشيوخ فذهبت إليه فقال لها: نظرت فلم أجد بقى لها شيء فأعظم الله أجرك في بنتك فجاءتني وأخبرتني فحصل لي تعلق فيها فقيل لي زيد في عمرها اثنتا عشرة سنة أو قال عشر سنين ولا بدَّ أن تحمل وتلد فحييت وتزوجت وحملت وولدت ثم تزوجت برجل تاجر سافر بها إلى عدن قال إبراهيم: وكانت أمها تستأذن الشيخ في زيارتها وهو يمنعها فبعد مدة بدأها الشيخ بالإذن وجهزها فسافرت إلى عدن فجاءت وبنتها مريضة فماتت في آخر ذلك اليوم، فذكروا قول الشيخ فحسبوا مدة الزيادة في عمرها فوجدها كما قال وكانوا قد نسوا ذلك.

قلت: تضمنت هذه الكرامة أربع كرامات منها علمه بأنه إذا استزاد لها أجيب ومثل هذا لا يقدم عليه إلا من كان على بينة من ربه، ومنها إجابته إلى ما سأل من الزيادة في العمر وهذا لا يكون إلا للمتمكنين، ومنها علمه بأنها ستحمل وتلد ومنها توقفه في الإذن لأمها في زيارتها حتى إذا علم انقضاء أجلها أذن لها لتدرك رؤيتها قبل موتها خيرًا لها.

الكرامة الخامسة والسبعون بعد المائة:

أخبرنا القاضي الصالح الشهيد عفيف الدين العلوي -رحمه الله- أن شيخنا أحمد الرداد أخبره أنه إذا وجد قسوة في قلبه شرب من بيت الشيخ شربه ماء فتزول تلك القسوة وأنه ما شرب من بيت الشيخ شربة ماء على شيء إلا حصل.

قلت: وسألت شيخنا أحمد عن هذا، فقال: نعم.

فائدة عظيمة في شرب الماء الذي هو من البئر التي في بيت سيدي إسماعيل نفع الله به وهي إلى الآن موجودة في بيته المعروف قرب الجبرتية من جهة الأيمن ويؤخذ منها للشرب في الدرس.

الكرامة السادسة والسبعون بعد المائة:

أخبرنا الشيخ الكبير الشهير رضي الدين سليمان بن محمود اللكنوتي الهندي في اجتماعي به بعدن قال: وقفت في مسجد الشيخ أربعة أشهر، فكان الشيخ إذا كان معي غداء أو عشاء دخل وخرج وهو ساكت، وإذا لم يكن عندي شيء قال لبعض خدامه خذ

لسليمان كذا وكذا، فلما كان بعد أربعة أشهر قال لي: يا سليمان أبوك قد تعب من الشوق إليك والبكاء عليك، والمصلحة أن تسافر إليه فسافرت إليه.

الكرامة السابعة والسبعون بعد المائة:

أخبرنا الفقيه العالم الشيخ الصالح جمال الدين محمد بن إبراهيم المرشدي الحنفي المكي بمكة شرفها الله تعالى أن بعض المكاشفين أخبره أنه رأى الشيخ يمشي خلف جنازة في آخر الناس وبعض الفقهاء المنكرين عليه يمشي أول الناس.

قال: فما زال الشيخ يتقدم حتى حازى الفقيه، فلما حازاه رأيت وجه الشيخ صار وجه أسد ثم ما زال الفقيه يتأخر حتى صار آخر الناس.

الكرامة الثامنة والسبعون بعد المائة:

أخبرنا بعض أصحابنا الفقراء وقال أنا أحكي لك وأحلف انقطعت عن القافلة في سبخة الغراب بالنوم فما استيقظت إلا مثل هذه الساعة يعني بعد العصر والقافلة فارقتها فحمى النهار فاقتصصت آثار الجمال فلم أجد لها أثرًا قد سفت عليها الرياح فصرخت: يا شيخ إسماعيل، وكنت أستقبل اليمن وأنادي الشيخ وأستقبل الشام وأنادي الرسول ﷺ وجلست أضع عجزي على الأرض فأخذتني سنة خفيفة، فرأيت الشيخ إسماعيل وهو بين أبي بكر وعمر كهولاً وأشار بأصابعه المسبحة والوسطى والبنصر فقال لي الشيخ في النوم: أما رأيتني أنا والنبي ﷺ وأبا بكر وعمر ثم استيقظت، وكان معي اثنان فما كان إلا أن لقينا الطريق ومشينا خلف القافلة فأدركناها قبل أن يحط الأول، فلما رجعنا حكيت هذه الحكاية للشيخ فأقرها، وقلت له أني لم أر إلا أنت وأبا بكر وعمر ولم أر الرسول ﷺ فقال الشيخ: في هذا لطيفة لا يدركها عقلك.

الكرامة التاسعة والسبعون بعد المائة:

ومن عجائب آياته وغرائب كراماته كنت ليلة معه -قدس الله سره ونفع به- في سماع خاص فحصل عليه حاصل عظيم وظهر بمظهر جلالي قاهر فعجبت في نفسي على ظاهره لا يكاد يطاق فكيف لو ظهر بشيء من باطنه فبمرور هذا الخاطر ببالي وقعت في عالم لم أكيف له وصفًا ولا أرى فيه شخصًا ولا أشياء من المخلوقات ولا أسمع فيه حسًا من الأصوات ولا أحكم عليه بشيء من الجهات أقرب ما يكون في تشبيهه بالغمام، فكنت أقلب طرفي فيه فلا أرى أحدًا ولا أرى فيه شيئًا وأنا كذلك وافر الحس، فوقفت في ذلك ما شاء الله، وإذا أنا أسمع صوت الشيخ إسماعيل كما يسمع الصوت من البعد وهو يقول: احفظوا قلوبكم مع المشايخ فانجلى عني ذلك الكون كما ينجلي السحاب،

وبانجلائه كانت كيفية رؤيتي للبيت كأن جدرانه جاءت تسعى من جهاتها الأربع والسقف نزل من فوقي، فكان ذلك في رأي عيني أعجب العجائب وأغرب الغرائب، ورجعت إلى عالم العادة والشهادة فرأيت الجماعة في مواقفهم والشيخ قائمًا عندي ناظرًا إليّ ثم دار في السماع وكان لما جاءني قام عندي وقال: احفظوا قلوبكم مع المشايخ فهذا خاطر التعجب أوقع في العجب فكيف لو كان خاطر إنكار والعياذ بالله كان أوقع في الهلكة والعطب.

وسمعته في تلك الليلة يقول للقوال: والله يا فلان لتذكرن هذه المجالس في الجنة فهذا دليل على أن من حضر مجالسه دخل الجنة، وأكد ذلك بالقسم بالله ومثل هذا لا يصدر إلا ممن هو على بينة من الله في أمره، والحمد لله وهاتان الكرامتان من أكرم الكرامات.

الكرامة الثمانون بعد المائة:

وكنت معه رضي الله عنه في سماع فلما فرغ السماع ازدحم الناس على باب المسجد وهو مرتفع فكاد يحطم بعضهم بعضًا وكان الوقت ظلامًا فجاء وقام على باب المسجد وطلب نورًا فلم يوجد في المسجد نور فأخذ شمعتين بيديه لم يوقدا بعد ونفخ على هذه فأضاءت وعلى هذه فأضاءت، وقام بهما على باب المسجد يضيء للناس حتى نزل آخرهم، هكذا رأيته ورآه معي جمع من الناس وقال أحدهم: هذا وحق الله بالحال وكنت أسمع بعض من رآها يحكيها دائمًا.

الكرامة الحادية والثمانون بعد المائة:

وحضرت معه سماعًا فقال القوال قولاً فيه من الأوصاف الغزلية ما أشكل عليّ توجيه سماعه وتجويزه لقائله فتحرك الشيخ عليه حركة شديدة فخطر ببالي ما وجه سماع الشيخ في هذا وما وجه قائله فيه وكان الشيخ في آخر السماع فبمرور هذا الخاطر جاءني الشيخ وقال لي وجه سماعي في هذا كذا وكذا ومعنى قائله كذا وكذا وكان كلما حاذاني في دورانه أعاد عليّ الكلام، وكان هذا في ابتداء صحبتي معه.

وأما فيما بعد فكنا نحترز عنده من خطرات الخواطر وغلطات الفكر والضمائر وتبادر إلى مدافعة ما غلب وإلى الاستغفار عما كان وذهب، وجاء في هذا السماع إلى صف المشايخ، وقال لهم: هل فيكم مبارز لإسماعيل الجبرتي؟ هل فيكم مبارز لإسماعيل الجبرتي؟ ما كل سارٍ سري و كل جند جنيد.

الكرامة الثانية والثمانون بعد المائة:

وحضرت معه قدس الله روحه مجلس ختم رسالة القشيري على شيخنا أحمد بقراءة

القاضي الكبير العالم الجليل جمال الدين محمد بن سعيد بن ربن الطبري قاضي ثغر عدن، وكـــان المجلس في بيت شيخنا أحمد، وحضر جمع كثير فجاء شيخنا أحمد بتمر للحاضرين فقـــال شيخنا الأكبر إسماعيل: هذا التمر لما أكل له من كان له مريض فليأخذ له من هذا التمر.

فقال الشيخ الولي المحدث العارف بالله أبو الفتح ابن الشيخ الإمام زين الدين المراغي المدني، وكان حاضرًا: يا سيدي والنوى؟ فقال شيخنا: والنوى كذلك التمر واسع، فقيل له: من كان مريضًا غائبًا قال يوكل له فأخبرني الفقيه العالم النجيب شهاب الدين أحمد بن علي النويري وكان حاضرًا يومئذ أنه أكل لأخته وكانت بمكة وكان بها استطلاق البطن دمًا من مدة، وقد أعيت الأطباء فكفَّ سيلانه وبرأت.

الكرامة الثالثة والثمانون بعد المائة:

أخبرنا أحد أصحاب الطبقة الثانية من أصحاب الشيخ، قال: تذاكر الشيخ والشيخ أحمد الرداد في مسائل فقهية والشيخ يتكلم عليها فقال له الشيخ: أحمد وقف والدي مدة لم يعرف هذه المسائل، فقال له الشيخ إن لدي علمًا منذ أربعة عشر سنة لكفرتني لو أعلمتك به أنت وأنت أخص أصحابي، وأخبرنا شيخنا أحمد حين رويت له هذه أن ذلك كان.

قال: وكان من تلك المسائل مسألة طهارة الكلب سبعًا إحداهن بالتراب هل اشتراط التراب لأجل الخشونة فتشترط طهارته أو للتعبد، فلا تشترط طهارته قال: فأجابني الشيخ فيها بنص الوسيط، ولم يكن له نظر في الكتب أصلاً قال: وهذا ما أذكره من تلك المسائل ونسيت ما نسيت؛ ولكن نقول كما قال بعضهم أخبرني فلان عني، وكما قال أنس بن مالك ﷺ يقول: إذا سئل اسألوا مولانا الحسن فإنه حفظ وحفظنا وذكر ونسينا.

وأخبرنا محمد المرشدي أنه سمع الشيخ يقول: ما قرأت كتابًا قط وربما أطالع ربع الباب أو شيئًا وما أكلت بابًا قط وهذا الكلام الذي أتكلم به فتح من الله.

الكرامة الرابعة والثمانون بعد المائة:

أخبرنا شيخنا رضي الدين أبو بكر الصديق قال: رأيت الشيخ بكى حتى مسح الدمع بالدم وأخبرنا بمثل ذلك المريد الصالح أبو بكر بن مسعود أحد أصحاب الجيلي قال: أنشد المستف للشيخ إسماعيل بشيء من شعر الطرائفي فبكى حتى بكى الدم فلما بكى الدم أسكته أحمد الرداد.

الكرامة الخامسة والثمانون بعد المائة:

أخبرنا الشيخ النجيب الولي جمال الدين زين العابدين وشيخنا أحمد الرداد أنه كان جالسًا عند الشيخ بعد موته على السرير قال: فرأيت الثوب الذي على وجه الشيخ يرتفع وينحط بحركة نفس الشيخ ورأيت عليه ما لا أحسن وصفه.

الكرامة السادسة والثمانون بعد المائة:

أخبرنا بعض أصحابنا قال أمرني الشيخ مرة أن أصلي به صلاة فصليت به وكان معي درهم فاشتغل قلبي بذلك الدرهم حيث إنه لا يقع موقعًا من ضرورة أولادي فأنسيت قراءة الفاتحة في ركعة من الركعات فلما سلمت من الصلاة قام الشيخ وجاء بركعة وقال بعد الصلاة: صلاتك باطلة بنسيانك الفاتحة بفكرك في الدرهم وأمر أولادك.

الكرامة السابعة والثمانون بعد المائة:

أخبرنا الشيخ رضي الدين أبو بكر محمد العباصري قال صليت بالشيخ يومًا صلاة بأمره فقال: من الساعة تدعو لك فرفع يده ليدخل فرأيت العالم أعلاه وأسفله صار ماء، والشيخ جالس فيه ولم يبلغ ذلك الماء إلا إلى تحت لحيته ورقبته ورأسه من فوق العالم قلت: أقام الشيخ ﷺ شيخنا العباصري نائبًا له في إمامة الجماعة في الصلوات وفي مجالس القرآن وقدمه في ذلك عليهم وكان الشيخ بعد ذلك يصلي خلفه ويقف حيث كان من مجلس القرآن وهو في صدر المجلس ومضى أمره في ذلك مدة طويلة في حياة الشيخ واستمر الحال له بعد وفاة الشيخ إلى الآن وقطع الله عنه العلائق والعوائق ولم يقيده بأهل ولا سبب وكفاه الله كل مؤنة وفرغه كذلك بيبته مسجد الشيخ ليلاً ونهارًا وأكله من الغيب ينتظر الصلاة بعد الصلاة ومجالس القرآن المجلس بعد المجلس مشغولاً فيما بين ذلك بالله ويذكر الله أتم الله نعمته عليه وزاده منه ومما لديه.

الكرامة الثامنة والثمانون بعد المائة:

أخبرنا الشيخ الصالح أبو القاسم الأمين أحد كبار أصحاب الشيخ وخدامه قال سمعت الشيخ يقول: أنا نائب الله في أرضه.

الكرامة التاسعة والثمانون بعد المائة:

وأخبرنا أيضًا أن بعض الولاة تعمد الشيخ بالضرر فتحرك له خاطر الشيخ فمات.

قال الشيخ: كان بقي من عمره خمس سنين قلت في هذه الكرامة كرامات منها: إماتة الوالي، ومنها علم الشيخ بأنه بقي من عمره خمس سنين، ومنها تعجيل أجله، وقد ثبت للأولياء ﷺ تعجيل الآجل وتأجيل العاجل.

الكرامة التسعون بعد المائة:

أخبرنا شيخنا أحمد الرداد وغيره أنه لما مات الملك الأفضل قال الشيخ: يا جماعة من يتولى؟ فقالوا: من قلت أنه يتولى وتكلم الجماعة فيمن يكون، فمنهم من قال: الملك الظافر، ومنهم من قال: غيره.

فقال الشيخ: ما نشتهي إلا إسماعيل ثم جعل يده في يد بعض الجماعة وقال: اشهدوا أني وليت إسماعيل، فجاء العلم بالولاية.

الكرامة الحادية والتسعون بعد المائة:

أخبرنا الفقيه الكبير عليّ بن أبي بكر بن أبي حربة أن أصحاب الشيخ كانوا يترددون إلى أبيه وكانوا يذكرون من خوارق أحوال الشيخ ما يذكرون، قال: فوقع في قلبي للشيخ ما وقع فلقيني مرة شخص لم أعرفه فقال: أعرفك إني أردت الدخول على الشيخ يومًا وهو في بيت، فرأيته ملأ البيت فرجعت هاربًا قال: ثم فارقني الرجل ولا أعرفه ولم يعرفه أحد ولا رأيته بعدها، فعلمت أنه لم يكن شخصًا في الحقيقة وإنما هو معنى من المعاني تصور لي بصورة وخاطبني.

الكرامة الثانية والتسعون بعد المائة:

أخبرنا الشيخ برهان الدين إبراهيم الأكوع أنه دخل على الشيخ في مرض وهو يصرخ ويتألم تألمًا عظيمًا من شدة الوجع قال: فوددت أني لم أكن دخلت عليه فدخل عليه الفقيه الصالح شهاب الدين أحمد بن عبد اللطيف الرندي المدني فهشَّ له ورحب به وجلس إليه وتحدث معه، خرج عن ذلك الحال في ساعة واحدة في لحظة واحدة في كلمة واحدة في لحظة واحدة.

وأخبرنا بمثل ذلك شيخنا رضي الدين، قال: قلت للشيخ في مرض: يا سيدي أخرج عن هذا الحال فخرج عن المرض وعوفي للفور قال وكان في مرض موته في أشد الألم وغاية العجز والضعف من أمراض اجتمعت به مختلفة وإذا دخل وقت الصلاة يقول: نقوم للصلاة فيقوم كأصح الأصحاء وأقوى الأقوياء وإذا تم الصلاة رجع الألم القوي والعجز الكلي.

الكرامة الثالثة والتسعون بعد المائة:

سمعت شيخنا أبا المعروف عرف الله من عوارفه عقب مجلس القرآن، فعلنا هذا يدل رؤيا الذي رأى النبي ﷺ وسأله عن الأولياء، فلما أتى إلى إسماعيل قال له: سيدي يا رسول الله ما تقول في الشيخ إسماعيل، فقال: تعني المدرب، قال يا سيدي يا رسول الله

الشيخ إسماعيل بن إبراهيم فقال: تعني المدرب، فقال: يا سيدي يا رسول الله الشيخ إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي فقال: يعني المدرب، فقال ما معنى المدرب يا سيدي يا رسول الله، فقال: يدرب على أمتي بالقرآن.

الكرامة الرابعة والتسعون بعد المائة:

وأخبرنا شيخنا محي الدين أحمد الرداد والشيخ بدر الدين حسن بن الهبل القرشي ولكل منهما شيء من الحديث قال رأى الشيخ بنتي عافية وهي صغيرة تمشي عريانة فقال لي: يا حسن هذه زوجة لي فلبثنا مدة طويلة، وسافرت أنا الشيخ أحمد إلى المدينة فتذاكرنا الزواج في الطريق فوقع في نفسي أن أزوج الشيخ أحمد بها قال شيخنا أحمد وأنا وقع في نفسي ذلك أيضًا وكررت طلبه بجد في ذلك فلما وصلنا مكة قال الشيخ حسن للجماعة: أنا أحب أن أزوج بنتي بفلان وأحب أن تعقد في الحجر، فمضينا إلى الحجر فما أتيناه إلا وقد محي ذلك من قلبي جملة فامتنعت منه وأنينا هذا الحديث إلى أن رجعنا إلى زبيد فلما وقع نظر الشيخ ذكرناه فأجلسنا الشيخ بين يديه وجعل يحدق إلينا ووقع في أنفسنا أن ذلك من أجل ما كنا أردناه من الزواج.

قال الشيخ حسن: وكان الشيخ قد تزوج بها في غيبتنا ولم نعلم فقال لي علمت أن فلانة قد صارت زوجتي؟ فقلت: لا فقال: رأيتم ما كنتم تقولون في الطريق وما كنتم ستفعلون في مكة أنت وأحمد أما كنت قد قلت لك من قديم أنها زوجة لي؟ فقلت: قد نسيت ذاك. فقال: اليوم الذي كنت تعقد بها على الشيخ أحمد فيه كنت قد عقدت بها من الليل وأنا الذي منعتكم.

الكرامة الخامسة والتسعون بعد المائة:

أخبرنا بعض أصحابنا الفقراء قال: مشيت مع الشيخ ليلة في السوق فلما بلغنا قصة الحلاوة التفت الشيخ إلى دكان ونحن في ظلام، وإذا فيه شخص كأنه عافى فسلم عليه وحياه ورحب به وقال له: متى دخلت بلدنا؟ فقال: الساعة هذه ثم مضى الشيخ، فقلت له: عرفت ذلك الرجل فقال: نعم والله إني أعرف الولي بقفاي.

فلما بلغ الذي يريده التفت إليّ وقال لي ما معنى قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ [البقرة آية:20] فقلت: ما أعرف هذا العلم؟ فقال: صدقت، وأخبرنا بمثل هذه شيخنا أحمد والشيخ جمال الدين المزجاجي قال شيخنا أحمد: قال لي الشيخ أعرف الولي بقفاي إذا مرّ وراء ظهري عرفته وقال المزجاجي: يعرف العاصي أيضًا بقفاه.

قلت: الولي مستور بحجاب نور الولاية والعاصي مستور بحجاب ظلمة المعصية والنور والظلمة حجابان لا يكشفهما إلا الأكابر الكمل من عباد الله بالنور الإلهي وهذه الكرامة موروثة من المعجزات المحمدية، فإن رسول الله ﷺ كان يرى من خلفه كما يرى من أمامه.

الكرامة السادسة والتسعون بعد المائة:

أخبرنا الشيخ الكبير بدر الدين حسن بن الهبل القرشي أنه مشى مع الشيخ يومًا من زبيد إلى النخل في شدة حر الشمس فلما وصلا النخل أكثر الشيخ المشي في الشمس أيضًا مكشوف الرأس قال فخطر ببالي لو أعطيت ملء ما بين السماء والأرض ما فعلت الذي فعله الشيخ مع أني أجلد منه على ذلك، فلما تم هذا الخاطر قال: إني لست كمثلك.

والله إني كالذي قال: والله ما أكلت حتى قيل لي بحقي عليك كل، ولا شربت حتى قيل لي بحقي عليك اشرب، ولا فعلت شيئًا حتى قيل لي بحقي عليك افعل ولا تركت شيئًا حتى قيل لي بحقي عليك اترك.

قلت: هذا دليل على أنه ﷺ كان لا يفعل شيئًا ولا يترك شيئًا إلا بأمر من الله معلوم له عند كل شيء وهذا لا يكون إلا لأكابر عباد الله المقربين وهذا أيضًا تصريح من الشيخ ﷺ أنه قال مقام الشيخ عبد القادر ﷺ فإنه هو قائل هذه المقالة.

الكرامة السابعة والتسعون بعد المائة:

وأخبرنا بما صرح أن شيخنا قال ما قاله الشيخ عبد القادر القاضي الأجل الصالح رضي الدين أبو بكر بن الخلي أن رجلاً من الأولياء السياحين الأخفياء المنقطعين إلى الله في جبل تحمس كان يتردد إليه في أوقات متباعدة وإذا جاءه لا يطلب منه إلا شربة لبن وماء ثم يذهب لا يأكل غير ذلك.

قال: ويفهم أنه يقف على تلك الشربة اللبن والماء قدر ما يغيب عنا فجاءنا مرة، وقال لي: أعرفك أن الشيخ إسماعيل الجبرتي جيلاني وقته فقلت له الله كريم فوقفت سنة ونصف سنة وذهبت إلى زبيد لحاجة فلقيني الشيخ إسماعيل في النويدرة وقبض على يدي ومشى بي إلى بيته بزبيد وقال: هات ما قال لك ذلك الرجل لي.

فقلت: من هو؟ وكنت قد أنسيته، قال: الذي جاءك منذ سنة ونصف فقلت: قال: إن الشيخ إسماعيل الجبرتي جيلاني وقته.

فقال لي: فما قلت له ؟وكنت قد أنسيت ما قلت له أيضًا، فقال الشيخ له: قلت: الله كريم، قلت: نعم، قلت: قال القاضي إن هذا الرجل من رجال الله المنقطعين بتَحْمُس،

وتحمس بتاء مثناة من فوق مفتوحة وحاء مهملة ساكنة وميم مضمومة وسين مهملة جبل مشهور الفضل متعبد عباد الله الأخفياء ورجال الغيب لا يثبت فيه من الرجال إلا المثبتون المعني بهم ومن لم يكن له قدم مع الله صحيح أزعج عنه وأخرج منه لا يسكنه أحد غيرهم، ولا يقدر أحد أن يستوطنه وقد هَمَّ بسكانه من همٌ من قبائل تلك الجبال، فلم يثبت لهم بناء ولا استقر لهم حِلاً.

أخبرني جمع من الناس صادقون من أهل تلك الجبال بذلك وأخبرني غير واحد أنهم سمعوا ولي الله المشهور عبد القادر الهديهد -تصغير الهدهد- أحد أولياء الله في تلك الجبال يقول: إن أولياء الله المقيمين بتحمس لا يعلم أحد منهم مكان الآخر وأنهم يجتمعون يوم الجمعة من نواحي الجبل إلى مكان في رأسه ويصلون الجمعة فيه ويعودون إلى أماكنهم وأن نواحي الجبل تضيء بالليل كالسرج وأنهم يتناوبون قوتهم وأنه ممن يدخل معهم في النوبة، وأن الخضر عليه السلام أيضًا ممن يدخل معهم في النوبة، وهذا الهديهد صاحب أحوال وكرامات وعجائب وغرائب لا يفتر عن ذكر الله، سخرت له الأسود يخالطها ويركبها وينام عندها وقد تكون تطرد عنه ما يوقظه، لم أره وإنما سمعت عنه بأكثر مما أشرت إليه، وكان يراسلني بالسلام والإخبار بالمحبة لي وجاء إلى بلدنا ووقف بها أيامًا عند أهلي ولم يقدر لي الاجتماع به إلى أن مات، وعلامة جبل تحمس لمار الطريق من الجبة إلى المهجم أنه الشرقي هو من الأربعة جبال المتقاطرة شرقًا وغربًا ويسمى الكوكب أيضًا وهو جنوبي طرفي جبل ملحان اليماني مسيل وادي سردد بينهما وإنما شرحت ذكره وفضله وما يعرف به لمن يقصد زيارته وهذه العلامات والحدود مشهورة معروفة مع أنه شهير بفضله.

الكرامة الثامنة والتسعون بعد المائة:

سمعت شيخنا أبا المعروف عرفنا الله من عوارفه يقول مما يحكيه عن أيام البداية: ظهرت لي صورة ملك وجهه من المشرق إلى المغرب يقول: عباد الله هلموا إلى الله، عباد الله هلموا إلى الله، عباد الله هلموا إلى الله.

الكرامة التاسعة والتسعون بعد المائة:

وسمعته أيضًا يقول: كنت في أيام البداية أيام اجتماعنا في مسجد بن عبد الملك أرى الصور يعني صور المملكة وأرى جموعًا تأتينا من الشام ومن اليمن ومن المشرق ومن المغرب ومتى جاء حصل من الرحمة شيء كثير وأرى سيدي رسول الله ﷺ يحضرنا.

الكرامة المائتان:

أخبرنا الشيخ برهان الدين إبراهيم الأكوع قال: جاء الشيخ يومًا إلى بيتي والإمام حاط على زبيد ودعاني بصوته فخرجت إليه فوجدت العدد فقيرًا معه قدر ستة أعصية فأعطاني منها ومشى فمشينا حتى أتى باب النخل، فسأل عمن عليه من الأمراء واستقبله، وتمتم بشفتيه ثم مشى تحت الدرب حتى أتى باب سهام وسأل عمن عليه من الأمراء واستقبله وتمتم بشفتيه، ثم مشى تحت الدرب فكان يمشي تحت الدرب فسمع من الأصوات الحسنة مع أصبهانية يمشون على الدرب فكان يمشي وهو غائب عن حسه حتى أتى باب الشباري، فاستقبله وتمتم بشفتيه وسأل عن من الأمراء ثم مشى تحت الدرب حتى أتى باب القريب فاستقبله وتمتم بشفتيه وسأل عمن عليه من الأمراء، ثم مشى تحت الدرب حتى أتى باب النخل إلى المكان الذي بدأ منه ولم يتم دورة الشيخ إلا ومعه ما يفي على الثلاث مائة من الفقراء وغيرهم، ثم دخل بيته هذا في يوم الخميس ولم يكن فيه حرب.

قال إبراهيم وشيخنا رضي الدين وشيخنا أحمد: واشتد الحرب يوم الجمعة وكان النشاب يطير من فوق الدرب إلى زبيد كالجراد المنتشر وكان للإمام عساكر عظيمة، وكان في دار حائط البيق، وكان الشيخ فوق باب المشارق مقابلاً له، وقال ما دام هنا فنحن هنا فزحف عسكر الإمام على المخلولة، وكادوا يدخلون فهرب من عليها وعلى باب النخل من الأمراء وجاء فقال للشيخ: إن زبيد قد دخلت.

فقال الشيخ: لا يكون هذا فما كان إلا أن جاء العلم بأن عسكر الإمام الذين كانوا هناك انكسروا وقُتل منهم من قُتل وجُرح من جُرح فركب الإمام وكانت كسرتهم وخرج الناس في أثرهم.

وأخبرنا الشيخ بدر الدين حسن بن أبي القرشي قال: سمعت الشيخ تلك الليلة وهو يدور في المسجد ويقول: لا نجب لهذه الطائفة الآية علينا أصلاً فارتفع الإمام صبح تلك الليلة.

الكرامة الأولى بعد المائتين:

أخبرنا القاضي عفيف الدين العلوي –رحمه الله– أنه سمع الشيخ ﷺ يقول: حضرت سماعًا مع شيخي علي بن حسن بن مرزوق وأنا يومئذٍ من المسترزقين فحصل عليه حاصل عظيم وفتح عليه بفتح كبير ففتح عليَّ بعين ما فتح به عليه ووقعت فيما وقع فيه وسايرته في ذلك الحال ساعة وترقيت عنه ورقيته في الوقت.

الكرامة الثانية بعد المائتين:

أخبرنا الشيخ جمال الدين محمد بن الحسام أنه سمع الشيخ ﷺ يقول: إذا وردت عليَّ الأهوال ما أتلقاها إلا بالله.

الكرامة الثالثة بعد المائتين:

سمعت شيخنا أبا المعروف -قدس الله سره العزيز ونفع به- يقول متحدثًا بنعمة ربه إن لله علينا نعمًا كثيرة ما رأيت أحدًا شاركنا فيما نحن فيه، ولا رأيت أحدًا له ما لنا.

الكرامة الرابعة بعد المائتين:

أخبرنا شيخنا محيي الدين أحمد الرداد قال: كان الشيخ يحضر مجالس العلماء وأتى عليه زمان كان يقول للعلماء اسألوني عن أي مسألة غامضة شئتم وأنا أفتيكم.

الكرامة الخامسة بعد المائتين:

أخبرنا الشيخ الكبير الولي الشهير جمال الدين محمد بن محمد المزجاجي أنه حضر ساعًا مع شيخنا ﷺ قال: فحال وصول الشيخ السماع جلس واحتبى وجعل رأسه على ركبتيه فما زال كذلك والسماع جامد، والجماعة مفتونون إلى أن ذهب من الليل لكثرة فجئت إلى الحادي موسى بن قوير وكان خبيرًا بموارد الشيخ فقلت له حرك لنا الشيخ فقال: ومن يمنعني منه إذا تحرك ووقع عليَّ فقلت يكفيك فأنشد:

لِمَنْ الديارُ عَرَفْتَهَا بِفِنَاهَا ... قَفْرٌ تحمل أهلُها لِسِوَاهَا
لَمْ يَبْقَ فيها بعدَ سَاكِنِ أهلِها ... إلا رِمَالٌ والرِمالُ غَشَاهَا

فصرخ الشيخ ووثب وهو يحبو وثبتين والثالثة وقع على الحادي، وكان بينه وبينه أكثر من أربعين ذراعًا ولما انحلت حبوته طاب السماع وانبسط الوقت والفقراء وكان جماعة السماع قليلين فنادى بهم.

الكرامة السادسة بعد المائتين:

أخبرنا الشيخ الصالح محمد بن أبي بكر الموزعي أنه اختلى مرة في جزيرة «كمران» في مسجد ابن عبدويه، قال: ففتح عليَّ بشيء امتلأت به، فلم أطقه وكادت نفسي تخرج، فاستغثت بالشيخ إسماعيل وبالإمام ابن عبدويه، فرأيت سيدي الشيخ وأنا بين النائم واليقظان جاء كالبرق وخطف ذلك النور الذي كنت أجده فزال عني ما كنت أجده من الألم.

الكرامة السابعة بعد المائتين:

أخبرنا الشيخ الكبير الصالح العارف كريم الدين عبد الكريم بن إبراهيم الكيلاني أنه كان به حمى شديدة، فاشتدت عليه يومًا حتى جاءني الموت، فأرسل من يطلب له الشيخ فحال وصول رسوله إلى الباب ناداه الشيخ قبل أن يتكلم من جوف البيت مكانك حتى أخرج إليك كيف حال الشيخ عبد الكريم. قال: فجاءني فشكوت عليه شدة الحمى وقلت له: ارفعها عني. فقال: ما يرفعها إلا الله، فقلت له: نعم، فقال: يا حمى ارتفعي، فارتفعت للفور.

الكرامة الثامنة بعد المائتين:

أخبرنا الشيخ الولي جمال الدين محمد بن إسحاق القرشي قال: ظهر في واسط مورعترة بطشت بجماعة فماتوا كلهم إلا اثنين قلت لهما إن أجبتماني إلى التوبة إلى الله والتحكم لسيدي الشيخ إسماعيل بن إبراهيم ضمنت لكما الحياة على بركة الشيخ فعقدا التوبة وتحكما على يدي الشيخ، فلم يضرهما وعوفيا، فأما أحدهما فكان خادمًا لله وله فتاب وحسنت توبته ولم يعد إلى خدمة الدولة وكان يمشي في الطرقات يذكر الله تعالى ويذكر بالله ولم يزل كذلك حتى مات، فكان يقال له من حسن حاله وخروجه عن الحال الأول. أما أنت يا عليّ فما هطشك إلا كلب التوفيق.

الكرامة التاسعة بعد المائتين:

أخبرنا صاحبنا فخر الدين أبو بكر بن محمد الحريري الدمشقي قال: جئت إلى الشيخ فرحب بي وسلَّم، فقيل له هذا الرجل يحب الفقراء، ويحب أن يتحكم فقال: وقت تحكيمه يكون فيه جمع كثير وقال لي: من الساعة زال عنك كل ما تكره، وكنت في تلك الأيام تطرقني أفكار فيما كنت فيه من الدنيا وذهابها من يدي، وفيما جرى علينا فكاد قلبي من تلك الأفكار يتصدع، وكنت لا أزال باكيًا بالدموع فمن تلك الساعة زال عني ذلك كله وما عاودني فكر في ذلك بعدها إلى الآن حتى كأني لم أخلق إلا على هذا الحال، والحمد لله، فوقفت ما وقفت فحكمني الشيخ في مجلس ختم «الرسالة القشيرية»[1] على الشيخ أحمد الرداد في جمع كثير فحصل ما أشار إليه الشيخ من الجمعية.

الكرامة العاشرة بعد المائتين:

أخبرنا الفقيه الكبير عليّ بن أبي بكر بن أبي حربة أن والده أبا بكر أخبره أن والده

(1) للأستاذ أبي القاسم القشيري.

محمد بن يعقوب كان يحصل عليه حال من الأحوال، فينتفخ حتى يكون مثل الظرف، فحصل له هذا الحال على جبل عرفات، فسئل عما وقع فقال حصلت رحمة اشترك فيها جميع الخلق ثم سمعت في اليوم الثالث من موت الشيخ إسماعيل قائلاً يقول حصلت رحمة اشترك فيها جميع الخلق.

الكرامة الحادية عشرة بعد المائتين:

أخبرنا الشيخ الكبير حسن بن الهبل القرشي -نفع الله به- أنه سمر مع الشيخ ليلة قال: فقال: لي يا حسن الآن وقعت فيما وقع فيه الشيخ محمد بن عمر النهاري، يا حسن سلني التحكم لأهلك، فقلت: يا سيدي كيف أقول؟ قال: قل رضيتك شيخًا لهم: فقلت الأحياء والأموات فقال: الأحياء والأموات فقلت: رضيتك شيخًا لأهلي الأحياء والأموات. فقال: اشهد أنهم فقرائي أحياؤهم وأمواتهم.

قلت: كان مما للشيخ محمد بن عمر النهاري بسطة الحال والتمكين من إدخال من أراد في عقد يده من سأل منهم ذلك ومن لم يسأل غالبًا وهذا لا يكون إلا لم هو على بينة من ربه أن له ذلك من الله فيفعل ذلك ليكثر الأتباع وليكونوا تحت لوائه يوم القيامة تعمهم شفاعته وبركته وراثة محمدية.

وكان يقول: كل من صحبني دخل الجنة تحت هذه الشميلة لشملة كان يلتحف بها نفع الله به.

الكرامة الثانية عشرة بعد المائتين:

أخبرنا الشيخ الكبير رضي الدين أبو بكر بن محمد العباصري نفع الله به أنه حضر سماعًا من الشيخ فرأى في يد الشيخ شيئًا كالحبل يلويه عليه من حقويه إلى إبطيه.

قال: ورأيت في رأس ذلك الحبل مرآة عظيمة فيها نور عظيم وكلما لمعت تلاشى كل شيء ورأيته يريد أن يقابل بها وجهه وهي تضطرب ساعة وسكنت فقابلها بوجهه فرأى وجهه فيها على أتم ما يكون وفهمت أن تلك المرآة ضرب بها مثل على الذات أي عن تجلي الذات أو مظهر الذات.

الكرامة الثالثة عشرة بعد المائتين:

أخبرنا شيخنا رضي الدين جمال المقربين أبو بكر الصديق زاده الله من فضله قال: أكثر ما تجده عند الجماعة وتسمعه يعني من العلوم والمعارف ما هو إلا من الشيخ وإذا كنت عنده أجد العلوم تتراكم عليَّ وتتدافع كالسيل حتى أحاديث نبوية تجرى على ما قد طرقت سمعي وعلوم موضوعة منصوصة ما قد وقفت عليها وقد تطرقني سؤالات فبوقوع

نظري على الشيخ يقع الجواب وبحصول ووقوع الجواب.

يقول الشيخ: هو هكذا، وأخبرني جمال الدين المرشد المكي بمثل ذلك قال: أكون في زبيد أحسن مما أكون في غيرها، وأكون في مسجد الشيخ أحسن مما أكون في غيره وأكون في حضرة الشيخ أحسن من ذلك، وأكون عند مذاكرة الشيخ أحسن من ذلك وتكون العلوم تطرقني وتشكل عليَّ فمنها ما يظهر لي عند حضوري مجلس الشيخ قبل السؤال. ومنها ما يظهر لي بعد السؤال وقبل الجواب.

الكرامة الرابعة عشرة بعد المائتين:

أخبرنا الشيخ محمد بن إسحاق القرشي أنه سمع الشيخ يقول: ما تحرك قلبي على أحد من الخلق إلا على اثنين، فأحدهما مات والآخر عزل من الولاية.

وأما اليوم، فوالله لو ألطم ما تحرك قلبي، ولو تحرك قلبي لجبل زال.

الكرامة الخامسة عشرة بعد المائتين:

أخبرنا بعض أصحابنا الفقراء أنه لطم بعض أصحابنا الفقراء لطمة فأعلم الشيخ.

فقال لي الشيخ: لم تلطم أخاك، اختر إما: بَر العجم، أو مرض سنة.

فقال له:بَر العجم أحسن له، فجاءه بعض الناس إلى الشيخ، وقال له أحب أن يسافر معي بعض الجماعة. فقال له الشيخ: لا آمر على أحد منهم خشية أن يخالفني؛ ولكن وافقك منهم، فقد أذنت له فقال لي سار معي إلى عدن فسافرت معه، ثم لقيت بعض الأصحاب مسافرًا إلى بر العجم فسافرت معه فدخلنا ونحن صاغون سواكن، ودرنا جميع ذلك البر وما بقي عليّ شيء من مراسي بر العجم ولا وادٍ من أوديته إلا دخلته وكل ذلك وأنا ناسٍ قول الشيخ.

الكرامة السادسة عشرة بعد المائتين:

أخبرنا القاضي عفيف الدين العلوي رحمه الله أن الطواشي أهيف أمر بإمساك الشيخ حسن بن الهبل القرشي في أيام متابعته للقرشيين والعوارف فأمسكوه فتبعهم الشيخ وقال لهم: أمرتم بإمساك حسن بن الهبل فقالوا: نعم.

فقال لهم: فهل هو هذا وهو في أيديهم يعرفونه ولا يفكرون فيه، فنظروا إليه وإذا هو غيره قد استحال في صورة غيره فتركوه.

الكرامة السابعة عشرة بعد المائتين:

وأخبرنا أيضًا أن بعض العيانين عان ولده أحمد فاستطلق بطنه للفور ثلاثة أيام حتى كاد يموت. قال: فجئت مسرعًا إلى الشيخ فأخبرته، فأطرق ساعة، فعوفي ولدي للفور

ومرضت بنت للعيان يومين وماتت. قال: فعكس الشيخ القضية على العيان.

الكرامة الثامنة عشرة بعد المائتين:

أخبرنا بعض الإخوان ونحن بالمسجد الحرام عام سبع وثمانمائة أنه سافر من بلده من جزائر بحر الهند على قدم التوكل منفردًا لا يتقيد بأحد، وأنه زار من مر به في الطريق من الأولياء، ومرَّ على الشيخ وأخذ منه اليد ولبس منه الخرقة وأوصاه أن يمر على الشيخ موسى صاحب الخلق، فلما صار في حديثي [مشيب ابن حرقن] [1] وجاز أن خرج عليه العرب وافتتنوا فيما بينهم على السبق عليه قبل الوصول إليه ليحوز كل منهم سلبه، وكان عليه ثياب ملطخة.

قال: فرأيت الشيخ إسماعيل بعيني يقينًا لا شك فيه وعليه قميص مشمرًا أزيل قميصه بيده وكالمشرع فأشار إليَّ بيده أن جز فجزت وهو يمشي معي ما شاء الله وهم قيام ثم غاب عني فلحقوني وسألوني الدعاء بالمطر فطلبت منهم ماءً أغتسل به والماء هناك قليل فجمعوا إليَّ ما اغتسلت به وقمت عندهم ساعة وسرت ومررت على الشيخ موسى وهذا وصولي وهو أول حجة لي.

الكرامة التاسعة عشرة بعد المائتين:

أخبرنا شيخ الشيوخ العارف بالله تعالى أحمد الرداد -تم عليه نعمته- أن السلطان الملك الناصر نصره الله حصل عليه وجع عظيم فأرسل شيخنا أحمد فدخل عليه وهو معه وهو يتقلقل لا يقدر أن يتكلم من شدة الألم فقال له الشيخ: أين موضع الألم فلم يستطع الكلام فوضع الشيخ يده عليه وخرج، فقال السلطان: ما وضع الشيخ يده إلا على الألم وما رفعها إلا بالألم ووجدت العافية حال دخول الشيخ.

الكرامة العشرون بعد المائتين:

أخبرنا شيخنا أحمد والشيخ جمال الدين محمد المزجاجي، والشيخ جمال الدين محمد بن إسحاق القرشي وتداخل حديثهم قالوا: سافرنا إلى مكة المشرفة وكان بها رجل صامت لا يتكلم وكان قد أخذ اليد من الشيخ إسماعيل وجلس في مسجده مدة، فجاءنا ونحن جلوس في الحرم فكتب في الأرض أنه بريء من الشيخ إسماعيل وأصحابه فقام فتبعه بعض الجماعة، وقال له: ما حملك على هذا؟ فتكلم وقال: قيل لي إنهم يحبون الدنيا وأنا لا أحبها.

---

(1) هكذا في الأصل غير واضح.

قال الشيخ محمد المزجاجي: فحكيت هذه الحكاية للشيخ حسن الشيرازي وكان يقال له الغوث. فقال لي: هذا يموت عن قريب. فقلت له: وما ذاك؟ فقال: لأنه كان مرتبطاً بسلسلة الشيخ إسماعيل والشيخ مرتبط بشيخه وهكذا إلى النبي ﷺ فما تبرأ كأنه انقطع.

قالا: فما كان إلا ثلاثة أيام وسقط من سطح الدار فانكسر رأسه واندقت عنقه ومات ووقف ملقى ولا التفت إليه أحد ومثله إذا مات بمكة اتعش لموته وتبرك به إليه باقي في ليلته إلى ضحى النهار ولم يتنبه لموته ولا حضر على جنازته أحد وما غسل وكفن إلا في السبيل وما صلى عليه إلا إمام الجنائز وما حمل جنازته إلا أهل السبيل ودفن في مقبرة باب الشبيكة.

وقال الشيخ محمد بن محمد المزجاجي: فرجعت إلى اليمن فحكيت للشيخ هذه الحكاية، وقول حسن الشيرازي فصرخ الشيخ صرخة عظيمة، ووقع على الأرض وغشي عليه ما شاء الله فلما أفاق: قال يرجى له ما يرجى لأهل التوحيد، زاد الشيخ جمال الدين محمد بن إسحاق أن الشيخ نفعه لما حكيت له حكاية هذا الرجل كان على سرير فحمله عن الأرض في الهواء وهو عليه.

قلت: لما تبرأ هذا الرجل من الشيخ وهو شيخه وانقطع سببه وبطل نسبه كما أشار الشيخ حسن الشيرازي إليه مات على كبيرة من الكبائر بل صار شبيهًا بالمرتد.

قال الإمام ابن فورك: عقوق الوالدين يمحوه التوبة وعقوق الأستاذين لا يمحوه شيء ألبتة.

وكلام ابن فورك هذا أخطر من قيل في ذا ولا يخلو هذا القول من نظر ولاشك أن من نزع يده من يد شيخه فقد أشبه من نزع يده من يد نبيه فإنه قد ورد «الشيخ في قومه كالنبي في أمته»[1].

وقال شيخنا أحمد الرداد في كتابه ذي القفار: وقد قال علماء هذه الطريقة أن المريد إذا خلع شيخه فقد خلع ربقة الإيمان ولبس خلعة القطيعة والخسران ودخل في حوزة دائرة الشيطان، وقالوا إذا خرج المريد من تحت نظر شيخه وعاد إلى عاداته فهو مرتد فكيف إذا أنكره وطعن في طريقه وأخذ في معاداته وهو معتد.

قلت: ولكن قول شيخنا أبي المعروف نفعه في هذا الرجل أنه يرجى له ما يرجى

(١) تقدم تخريجه والكلام عليه.

للموحدين عطف منه عليه وإيفاء لحق عهده منه وانتسابه إليه وإثبات للرجاء فيه أن يكون له ما للموحدين من الشفاعة فيهم أو الرضا عنهم وانتقالهم إلى النعيم بعد أن أخذ حق العقوبة منهم، فإن حكم الإسلام يعود عليهم ويعادون إليه بل يرجى له إن شاء الله أن تعمه بركة عهد الشيخ وحق صحبته فيكون تحت لواء سعة شفقته ورحمته فإن الكمل من ورثة رسول الله ﷺ مجبولون على الشفقة على عباد الله وسعة الرحمة لخلق الله إرثًا لهم ممن قال الله فيه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء آية: 107] ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

الكرامة الحادية والعشرون بعد المائتين:

وأخبرنا شيخنا أحمد الرداد -زاده الله من فضله- فيما قرأته عليه وسمعته منه غير مرة قال: ومن عجائب الشيخ العجيبة ونكته الغريبة- رحمه الله- أنه خرج إلينا يومًا من البيت إلى المسجد في صدر النهار، ونحن جماعة من أصحابه جلوس في المسجد، فقام عليَّ وقال لي: يا فلان احلق رأسك. وكانت لي جمة حسنة فحضر المزين وحلقت كما أمرني الشيخ -رحمه الله- وحلق معي نيف وعشرون مريد من أصحاب الجمم والوفرات، ومن لا جمة له ولا وفرة ثم قال -قدس الله سره: أنا لا آمر إلاَّ على هذا وحده يشير إليَّ يعني رحمه الله أنه لا يحتم إلا عليَّ وأن الباقين من الأصحاب يشير إليهم دون الأمر والحتم وصرح بهذا في المقام ثم نادى المنادي يومئذ في البلد بأمر أمير البلد الطواشي أهيف رحمه الله بحلق الرؤوس ثلاثة أيام فحلق الناس جميعهم رؤوسهم بالحكم وبذل محمد بن فرج التاجر ناظر السواحل الشامية على ترك شعره وكانت له جمة عظيمة حسنة ألف دينار من الدراهم فيما سمعنا وكان صاحبًا للأمير أيضًا فلم يقبل منه إلا الحلق فحلق ثم بعد سنتين أو أكثر خرج علينا الشيخ إلى المسجد في مثل ذلك الوقت، وقد صار لي جمة فقال يا فلان احلق رأسك فحلقت رأسي كما أمر رحمه الله وحلق معي جماعة كثيرون ثم نادى المنادي في البلد بأمر الأمير الحلق ثلاثة أيام فحلق الناس رؤوسهم. وقال الشيخ -رحمه الله: أنا لا آمر إلا على هذا وحده يشير إليَّ.

قلت: في هذه الكرامة كرامات منها سريان أمر الشيخ في البلد بحلق الرؤوس باطنًا لما أراد حلق الرؤوس أصحابه أولئك المخصوصين ظاهرًا وظهر أمره في الناس بذلك بأمر أمير البلد ظاهرًا فحصلت الموافقة من الناس لأصحابه وهذا وإن كان الحلق في بعض الأحوال لبعض الأشخاص مقصودًا عند الطائفة فوقوعه على هذا النحو كرامة.

ومنها احتمال غير هذا هو أن يكون الشيخ ﷺ لما اطلع على هذا الأمر سيكون

في الناس كافة بأمر الأمير جعل ذلك في أصحابه بأمره أنفة لهم من أن يقع عليهم أمر الأمير به على هذا النحو الذي هو غير لائق بهم ولا بطريقتهم ومنها علمه لهذا وكونه في وقته وأما إيقاع الأمر بالحتم على شيخنا أحمد خاصة دون غيره من الأصحاب ففيه إشارة لطيفة وبشارة له وخصوصية له شريفة.

الكرامة الثانية والعشرون بعد المائتين:

أخبرنا الشيخ الصالح برهان الدين إبراهيم الأكوع قال: عد الشيخ يومًا جماعة من أصحابه الذين قد ماتوا وعد عمر المقَّار منهم وهو حي معنا في المجلس فمات في اليوم الثاني.

الكرامة الثالثة والعشرون بعد المائتين:

أخبرنا بعض أصحابنا الأولين قال مر العسكر يوم دخل الطواسي زبيد برأس أشيب يشبه رأس بكر الدعيبي فجعل الشيخ يعدو بعده وهو يسبق العسكر ويفتح يديه كالذي يسبح في البحر وكلما فتح يديه رمى عشرين ثلاثين رجلاً يعني من العسكر عن يمينه وعن يساره حتى لحق الرأس وأخذه في يده ونظر إليه، وإذ هو غير رأس بكر وما قدر أحد من العسكر يتعرض للشيخ بشيء ولما رآه مقدمو الترك ترجلوا عن خيلهم وسلموا عليه.

الكرامة الرابعة والعشرون بعد المائتين:

أخبرنا الفقيه الصالح عليّ بن أحمد بن وهاس البري أحد أصحاب الفقيه الكبير الشهير أحمد بن محمد الحرضي قال سمعت سيدي الفقيه أبا بكر بن محمد يعني ابن أبي حربة يقول: دخلت زبيد فجئت إلى المسجد الذي عند بيت الموفق الديمي فقلت في نفسي: ليت شعري هل علم لي أحد من أولياء هذه البلد فما أتمت خاطري إلا ولقيتني امرأة وقالت: النساء علمن بك فكيف الرجال فدخلت المسجد فما أتممت الركعتين إلا والشيخ إسماعيل قد دخل عليَّ وقال لي: نعم الرجال يعلمون بك.

الكرامة الخامسة والعشرون بعد المائتين:

أخبرنا بعض الصادقين من بيت حسين أن الفقيه العالم الولي الصالح عمر بن أبي القاسم بن مربغد أوصاه عند سفره إلى زبيد إلى شيخنا الأكبر إسماعيل وشيخنا أحمد الرداد والشيخ إبراهيم الجبلي يشكو عليهم ظلم بيت حسين.

قال: فلما جئت زبيد وجدت المشايخ الثلاثة مجتمعين فكلمت منهم الشيخ إبراهيم الجبلي فيما بيني وبينه بوصية الفقيه فقال: اعرض شكواك في نفسك في حضرة الشيخ فعرضتها في نفسي فالتفت الشيخ إسماعيل إليَّ وقال: تقضي الحاجة عاجلاً في أسرع مدة

فما كان إلا ثمانية أيام وجاء العلم بأنه عزل وهرب.

قلت: نعم كان الشيخ ﷺ تعرض الأشياء عنده عرضًا على الخواطر فينطق عنها وأهلها سكوت.

سئل الجنيد: من العارف؟ فقال: من نطق عرف سرك وأنت ساكت[1].

الكرامة السادسة والعشرون بعد المائتين:

أخبرنا صاحبنا يعقوب المخاوي أنه دخل مرة زبيد وكان يتجر فأرسل إليه الناظر بعض أعوانه يطالبه بالمتوجه فيه من الجبا فضيق على يعقوب وأكثر عليه الكلام فدفعه يعقوب فوقع فانكسر رأسه فهرب إلى الشيخ قال: فقبل دخولي على الشيخ سمعته يقول يعقوب وقعت عليه قضية فدخلت عليه وأخبرته فقال: قد ضمنت لك على الله أنهم لا يطالبونك به قلت: ولا الجبا. قال: ما يأخذون منك شيئًا فما طالبوني إلى الآن.

الكرامة السابعة والعشرون بعد المائتين:

وأخبرنا أيضًا يعقوب أنه جاء مرة أخرى زبيد فدخل له به بعض أبناء الملوك من الباب خشية المكس وبقي يسير منه أخذه بعض الفقراء وأعطاه امرأة من العرب ممن تبيع اللبن فدخلت به في آنيتها فلم يجدها ولم يعرفها.

فقال: فأعلمت الشيخ فقام معي يمشي مسرعًا وأنا خلفه حتى أتى النساء اللاتي يبعن اللبن وخص واحدة منهن وقال لها: هاتي ما معك فناولته إياه.

الكرامة الثامنة والعشرون بعد المائتين:

أخبرنا شيخنا أحمد الرداد غير مرة فيما قرأت وسمعت قال: حدثنا جماعة من الصالحين منهم: الشيخ الشهير رضي الدين أبو بكر بن [كندح] وولده الشيخ الصالح جمال الدين محمد وكل منهما يحدث عن انفراده. ومنهم الفقيه عماد الدين يحيى بن إبراهيم القاهري. ومنهم الشيخ بدر الدين حسن بن علي الحلبي القرشي. ومنهم الفقيه الصالح حسين المعلم وغيرهم كثيرون.

وكلهم يقول: سمعت الفقيه عليًّا الخطيب المعلم يقول: كنت أعتقد الفقيه عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليافعي -رحمه الله- لا أقدم عليه أحدًا وأقول في نفسي لا يأتي الزمان بمثله فرأيت النبي ﷺ في منامي وهو يقول: ولي أنت تقول ما أحد مثل الفقيه عبدالله اليافعي، ولا يأتي الزمان بمثله قال: قلت له: نعم يا رسول الله قال: فقال لي النبي ﷺ:

---

(1) انظر: نفحات الأنس للجامي (ص98)، وكتابنا الإمام الجنيد (ص265).

«الشيخ إسماعيل الجبرتي أفضل عندي من الفقيه عبد الله اليافعي، فقلت له: بماذا يا سيدي يا رسول الله؟ قال: لأنه سلك طريقًا ما سلكها أحد غيره».

قال شيخنا أحمد -كثر الله فوائده: انظر واقعة هذه الجملة التي لم يتقدم لها عارض سبب في الخبر.

وقوله ﷺ: «أفضل عندي» قضى له بالفضل عليه بفصل الخطاب» وأثبته فيما عنده لرفع الشك والارتياب ولو قال هو أفضل منه، ولم يقل عندي لكفاه، ولكن مكن له عندية الاختصاص وفيه لطيفة لما يعلم الرائي ولما يعلم أكثر الناس من ظاهر الفقيه -رحمة الله عليه- وكثرة علومه المشتهرة وتصانيفه المنتشرة ورياضاته المستطرة وأحواله المعتبرة لما لم يظهر به الشيخ كذلك.

فقال: عندي إني كما لا تعلمون منه كما علمتم من الآخر وحققه بعد قوله: «بماذا يا رسول الله؟» بقوله: «بأنه سلك طريقًا ما سلكها أحد غيره» إشارة منه إلى حقيقة باطنة مخصوصة به لا يشاركه فيها أحد بباطن ولا بظاهر.

وقد علمت أنه ﷺ حكم بحق رؤيته في المنام بمثل حق رؤيته في اليقظة لقوة قيوميته وظهور حقيقته بقوله ﷺ:

«من رآني فقد رآني حقًّا؛ فإن الشيطان لا يتمثل بي»[1].

---

(1) رواه البخاري (6479)، ومسلم (4206).

معناه الظاهري: مَن رآني في المنام؛ فقد رأى الرؤيا الحقة الصادقة.

وقد جاء في بعض الأحاديث: «فإن الشيطان لا يتمثَّل بي» وذلك لأن الشيطان مظهر الاسم المضل بالفعل، وهو ﷺ مظهر الاسم الهادي بالفعل، فلا يظهر أحدهما في صورة الآخرة صونًا للحقائق، وضبطًا للمراتب.

وأمَّا الله سبحانه وتعالى فهو وإن لم يكن له مثل، كما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:11]، وذلك في مرتبة ذاته الأحدية؛ لكن له مظاهر من حيث أسمائه المختلفة، وصفاته المتفاوتة، ومن ذلك الاسم المضل الذي ظهر الشيطان بحقيقته فدلُّ على أن الشيطان ظهر في صورة الحق من حيث اسمه المضلّ، كما أن النبي ﷺ ظهر في صورة الحق من حيث اسمه الهادي.

فلله تعالى أن يتجلى بكل صورة من الصور الأسمائية من غير مزاحمة؛ لأن له الإحاطة التامة بالكل بالفعل.

وأمَّا الشيطان: فله الإحاطة بجزئيات الاسم المضلّ، بالفعل وبالاسم الهادي وجزئياته بالقوة.

وأمَّا النبي ﷺ: فله الإحاطة بجزئيات الاسم الهادي بالفعل، وبجزئيات الاسم المضل بالقوة؛ لأن له الاسم الجامع؛ لكن فرق بين القوة والفعل.

ولذا يُقال: إن النفس لأمَّارة بالسوء: أي بالفعل في المظاهر الجلالية، وبالقوة في المظاهر الجمالية، =

صيانة لحقائق أحواله وأقواله وحرمة لحق ذاته وصفاته وأفعاله هذا والفقيه عفيف الدين -نفع الله به- شيخ الطريقة بالاتفاق، وإمام الحقيقة على الإطلاق قد سرعت الآفاق علومه ومعارفه، وقد برعت السبع الطباق رسومه وعوارفه انتهى كلام شيخنا أحمد.

قلت: والله أعلم: الطريق التي سلكها شيخنا ﷺ وما سلكها أحد غيره التي فضله بها رسول الله ﷺ عنده وفضل هو بها غيره هي جمعية الناس على تلاوة كتاب الله دوامًا أناء الليل وأطراف النهار وهو ومن صحبه في بلده وسائر بلدان والأمصار والأقاليم والأقطار وإهداء ثواب قراءتهم إلى أموات المسلمين من هذه الأمة المحمدية وسائر أمم الرسل الأقدمين فما أحد منهم إلا وصلته واصلة إليه وصدقته في كل حين جارية عليه:

قَامَتْ فِي الرِّقَابِ لَهُ أيادٍ هِيَ الأَطْوَاقُ والنَّاسُ الحَمَامُ

فهذه الطريقة اختص بها شيخنا فيما علمنا لم يشركه فيها أحد إلا بحكم التبعية إما اقتداء استنان أو اقتداء استحسان، وقد بسطت الكلام في هذا فيما سلف في ديباجة الكتاب.

=

وإلا لما كانت الحقيقة الإنسانية لجمع الحقائق الكونية والإلهية، وكما أن الشيطان لا يتمثل بصورة النبي ﷺ وأن مَن رآه بهيئته الأصلية، فقد رآه في الصورة الخيالية المتصلة بصورته الحقيقية، فافهم جدًا.

فكذا لا يتمثل في صور المظاهر الجمالية من أكامل الإنسان؛ لأنهم خلفاؤه ﷺ ونوابه، والخليفة لا يظهر إلا في صورة المستخلف، فمَن رأى واحدًا منهم بحليته الذاتية؛ فقد رآه تحقيقًا، وإن كان لا يدري المرء أنه ظهر للرائي؛ وذلك لأن ظهوره للرائي إنما هو بالواسطة: أي بالصورة الخيالية التي تحكم على الرائي في المنام أو الانسلاخ؛ لأنها هي الصورة البرزخية، وقلّ مَن تفطن لهذا المقام من العارفين.

وأمَّا المعنى الحقيقي للحديث فهو: إن مَن رآه ﷺ في المنام، أو في اليقظة؛ فقد رأى الحق سبحانه وتعالى؛ لأن الله تعالى خلق آدم على صورته؛ وهو ﷺ أكمل أفراد آدم، فقد خلقه على صورته الحقيقية الأسمائية والصفاتية، فمَن رآه، وهو مظهر تام الحقائق جميع الأسماء والصفات؛ فقد رأى الحقيقة الإلهية متجلية بجميع الحقائق.

وكذا مَن رأى خليفة من خلفائه ونوابه؛ فقد رآه؛ لأنه صورة من صورة الكلية؛ وبوساطة رؤيته رأى الله تعالى، فالله تعالى مرئي أبدًا في الصورة المحمَّدية الكلية الصورة الإنسانية؛ ولكن المحجوبين لا يرونه في عين رؤيتهم؛ لاحتجابهم بأنفسهم عنه، ولو كُوشفوا عن حقائقهم لرأوا أن حقائقهم عين الحقيقة المحمَّدية، ولو من وجه الجزئية، كما أن الحقيقة المحمَّدية عين الحقيقة الإلهية من وجه الكلية؛ لأن لم يكن في الإمكان أبدع مما كان، فالله تعالى ظاهر لأُولي الأبصار، باطن عن أعين الأغيار، وليس في البين إلا حجاب الغفلة.

الكرامة التاسعة والعشرون بعد المائتين:

أخبرنا الشيخ رضي الدين أبو بكر بن محمد العباصري أنه سمع شيخنا -قدس الله سره- يقول: إن الله يغفر في بعض سماعاته للحاضرين حاضرين وناظرهم، وفي بعضها يغفر الله لأهل البلد مستيقظهم ونائمهم، وفي بعضها يغفر لأهل القطر، وفي بعضها يغفر للخلق كلهم.

الكرامة الثلاثون بعد المائتين:

أخبرنا أحد أكابر إخواننا أنه كان مع شيخنا -قدس الله روحه- في سماع فقال القوال:

أهْــــلاً بِكُـــــمْ يَـــــا قَادِمـــــينَ   جَـــاءَ القُـــدُومُ عَلَـــى قَـــدَر

فورد عليه وارد وحصل له شهود للحق تعالى وتقدس وكان في شهوده ذلك يرى من يرى من أكابر الشيوخ سائرين إلى الله قادمين عليه وهو يسمع في ذلك الحال لوارده ذلك هذا القوال من الحق تأهيلاً بالشيوخ القادمين عليه، قال: فرأيت الشيخ عبد القادر الجيلاني ﷺ في صورة حسنة في غاية ما يكون من الجمال كأنه ملك من الملوك عليه ثياب حسنة لزار ورداء ذو وفرة حسنة بمفرق حسن ورأيته في حال قدومه متشوقًا لأصحابه منتظرًا لهم، ورأيت الشيخ أبا الغيث بن جميل ﷺ رجلاً كبير السن كبير الخلق حسن اللباس عليه قميص وعمامة ورأيته في حال قدومه أيضًا ينتظر أصحابه ورأيته سيدي الشيخ إسماعيل في صورة حسنة ولباس حسن وعليه قميص وعمامة وله وفرة حسنة تقطر ما جاء مسرعًا وأصحابه بعده جم غفير مسرعين فكان السابق على الله فعجبت في ذلك المشهد من تعوق الشيوخ بتعوق أصحابهم، ومن إسراع الشيخ، وإسراع أصحابه بعده وسبقهم على الله.

الكرامة الحادية والثلاثون بعد المائتين:

أخبرنا الفقيه الأصيل الصالح تالي القرآن كثيرًا أحمد بن أبي بكر البقال بن حشيبر أن صاحبنا الفقيه الصالح الشيخ الولي المقري جمال الدين محمد بن عبد الله الحرازي ساكن المنيرة قرية في جنب سردد أخبره أن الله تعالى يسر عليه تلاوة القرآن، وأنه قال له: إنه يقرأ في ساعة ختمة والختمتين والعشرين ختمة وكما شئت، وكنت أنا قد حكيت لابن البقال حينئذ عن محمد بن عبد الله أنه أخبرني أنه قرأ القرآن في من قراءة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1] ثلاثًا، بل في أقل من قراءتها مرة، بل في دون ذلك حتى قال: جمع

لي ككلمة واحدة فنطقت به لفظة واحدة وكان رجلاً غريب الوصف ذا عبادات وخلوات واستقامة تامة عاش به سفرًا وحضرًا زمانًا طويلاً وما رأيت أملك منه لبصره لا يزال غاض الطرف في الملأ والخلاء وقل أن يرى بصره، وكان من أعيان أصحاب شيخنا أخذ منه اليد ولبس منه الخرقة ونصبه شيخًا.

أخبرني عنه أحمد بن البقال أنه قال: كنت في مهرمل فسمعت قائلاً يقول على لساني: «لا إله إلا أنا» فقلت: يا رب اغفر لي فقال قد غفرت لك ولمن صحبك ولمن نظر إليك، فقلت: وبما نلت ذلك يا رب! قال: ببركة شيخك.

قلت: هذه كرامات أكرمه الله بها ببركة الشيخ ﷺ منها تيسير قراءة القرآن عليه في أيسر زمان إلى هذا الحد الذي ذكر وهذا من خوارق العادات وأغرب الكرامات، ومنها استجابة غفران ذنوبه وذنوب من صحبه ومن نظر إليه ومنها سماع كلام الله ﷻ وسماع كلام الله ﷻ من أعلى المواهب وسماع كلام الله لا يكون إلا للمقربين من عباد الله الذين لا يسمعون إلا من إله وهي كرامة من كرامات شيخنا ﷺ فإنها ببركته والحمد لله. ومهرمل موضع على ساحل البحر جنوبي جزيرة كمران به مسجد يتعبد فيه من وقف به فتح عليه غالبًا مشهورًا الفضل والبركة.

الكرامة الثانية والثلاثون بعد المائتين:

أخبرنا بعض الأصحاب أن شرف الدين الواسطي التاجر أخبره أنه كان مرة بزبيد ومعه مال يريد به عدن وأنه تعذر عليه السفر لانقطاع طريق الجبل من الخوف، والبحر لمخالفة الريح فتعب لذلك فعزم على السفر إلى ثغر فأخذ شيئًا من الدراهم، وذهب بها إلى الشيخ -نفع الله به- صدقة ونوى وداعه والاستغاثة ببركاته على أمره فوجده في مجلس الجامع بعد صلاة الجمعة بمجلس قراءة القرآن فقعد مع الناس فطال عليه المجلس بالقراءة ثم بمدح النبي ﷺ فلما قام الشيخ ازدحم الناس للسلام عليه والمشي معه فضاق الواسطي لمضايقة خروج القافلة وعدم تمكنه من الخلوة بالشيخ لإخفاء صدقته وشرح حاله فنظر إليه الشيخ، وأشار إليه مكاشفًا له وقرأ: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ [البقرة: 271]، فقال الواسطي: بل أبديها فأعطاه إياها والناس ينظرون، فقال له الشيخ: سافر حيث شئت برًا وبحرًا ولم يعلمه بسفره فسافرت فسلمت وغنمت في الدراهم ثلاثة أمثاله، قلت وأقول: إني سمعتها من الواسطي والله أعلم.

الكرامة الثالثة والثلاثون بعد المائتين:

أخبرنا الشيخ الولي أبو بكر العباصري أن الشيخ بكر الرعيني أخبره أنه كان في أيام

البداية يخدم الشيخ وينبسط في بيته ويدخل أحيانًا بغير إذن فدخل يومًا بغير إذن فحلف بالله لقد رأى الشيخ ملأ البيت من جميع جوانبه الأربعة حتى ما وجد أين يضع قدمه، فرجع هاربًا إلى المسجد وكاد عقله يذهب، فبعد ساعة جاء الشيخ إليه وسكن جأشه، وقال له: لا تعد إلى مثل هذا لا تدخل حتى تستأنس.

الكرامة الرابعة والثلاثون بعد المائتين:

أخبرنا العباصري أن الشيخ الصالح الصديق العدني كان بزبيد متزوجًا بامرأة.

قال: فأخبرني أنه أصبح يومًا ليس معه شيء فتكلمت عليه امرأته وآذته وخرجت عنه من البيت، قال: فقلت يا شيخ إسماعيل شيء لله، يا شيخ إسماعيل شيء لله، يا شيخ إسماعيل شيء لله، فوالله لقد تساقطت عليَّ الدراهم من سقف البيت.

قال العباصري: وأنا حصل عليّ قبض كثير حتى اضطررت فشكوت على الشيخ وليس مرادي إلا ما أسد به يومي أو قال: وقتي ورجعت إلى المسجد ونمت ساعة فوالله ما استيقظت إلا وفي يدي ملؤها دراهم.

الكرامة الخامسة والثلاثون بعد المائتين:

وأخبرنا أيضًا العباصري أنه حدث به وجع في ركبتيه حتى نزلت إحداهما إلى قريب من ركبتيه؛ فرأى الشيخ في المنام وشكا عليه فوالله ما استيقظت وبي شيء من ذلك ببركة الشيخ ﷺ ونفع به آمين.

الكرامة السادسة والثلاثون بعد المائتين:

وأخبرنا أيضًا العباصري -نفع الله به- وحلف بالله أنه كان مع شيخنا رضي ﷺ في ليلة سماع؛ فسمع شيئًا من عنترة، قال: فحصل على الشيخ حاصل عظيم، فقال لي: امش بعدي فمشيت بعده، فرأيت نورًا عظيمًا ليس كنور القمر بل كنور الشمس فنظرت، فإذا هو نور شمس فزج الشيخ في ذلك النور وأنا بعده أتستر به ولا زال يزج في ذلك النور وأنا خلفه حتى وصل إلى تلك الشمس فنظرتها فإذا هي مكتوبة ألف لام لام هاء.

الكرامة السابعة والثلاثون بعد المائتين:

وأخبرنا أيضًا العباصري والشيخ النجيب برهان الدين إبراهيم ابن شيخنا والشيخ إبراهيم بن عبد الله الأكوع وذكروا مما سمعوه من شيخنا ﷺ مما كان من أول ما فتح به عليه.

قال العباصري: سمعت الشيخ يقول: كنت أعلم الصبيان في المدرسة السيفية، وكان بها سدرة فجاءني الصبيان بنبق منها فأكلته ففتح علي في العلم حتى عرفت القولين

والوجهين ومنشأ كل قول ووجهه.

قال إبراهيم ابن شيخنا: وأنا سمعته يقول: صمت يومًا وأفطرت على نبق منها فعزف على قلبي في علم الأصول ما لا تسعه الأوراق، وصمت يومًا آخر وأفطرت على نبق فعزف على قلبي من علم المعاني ما لا تسعه الأوراق.

وقال إبراهيم الأكوع: وأنا سمعته يقول: فتح عليَّ -يعني: في تلك الأيام- في العلم حتى عرفت المذاهب الأربعة، وعرفت أيضًا طريق كل واحد منهما برسول الله ﷺ.

الكرامة الثامنة والثلاثون بعد المائتين:

وأخبرنا العباصري أنه بات ليلة واستيقظ وقد دار لحيه الأسفل كان يراه معارضًا لوجهه، قال: فأصابني تعب عظيم لذلك، ثم نمت فرأيت الشيخ قبض عليه فعاد إلى مكانه وزال ذلك الأثر ثم استيقظت وكأن لم يكن بي شيء من ذلك.

الكرامة التاسعة والثلاثون بعد المائتين:

وأخبرنا بعض الإخوان أن بعضهم انقطع إلى اسم الله تعالى الوكيل وأدام ذكره ووجد فيه ذوقًا حسنًا فنابته نائبة فتوجه فيها بهذا الاسم، فلم يجد له أثرًا فأهمه فجاء إلى الشيخ فبداه الشيخ بأمره، وقال له: قد من ينقطع إلى اسمه تعالى الوكيل، فإذا جاء المقدور بما لا يريد لم تصح عنده وكالته وكرر عليه هذا القول فزال عنه الاهتمام بذلك الأمر جملة، ولم يبق فيه منه أثر.

قلت: في هذه ثلاث كرامات منها اطلاع الشيخ على ما في قلبه، ومنها تعليمه كيف يكون الإنسان في الانقطاع إلى اسم من الأسماء لا يكون ذلك لغرض من أغراضه، ولا يستبطئ أثره، ومنها محو ذلك الهم من قلب ذلك الرجل بمجرد القول وإراحته منه.

الكرامة الأربعون بعد المائتين:

أخبرنا شيخنا رضي الدين أن بعض الفقراء من أصحاب الشيخ كان كثير الأسفار والتنقل إلى البلدان وكان أولاده بحازان؛ فقال له الشيخ: در حيث شئت، فما تموت إلا عندنا فما مات إلا بزبيد بعد موت الشيخ ودفن عند الشيخ ﷺ.

الكرامة الحادية والأربعون بعد المائتين:

وأخبرنا الفقيه الصالح الولي أبو القاسم الحليف أحد خدام الشيخ قال: وقفت سنتين أعمر الشيخ من أول الليل إلى آخره وينام ويغط وأكون أسمع قلبه يقول بلسان فصيح «الله الله»، قال الحليف: فيكون لسانه يقول: «الله الله».

الكرامة الثانية والأربعون بعد المائتين:

وأخبرنا أيضًا قال: كان الشيخ إذا تكلم على أصحابه بالعلم أرى عند كل كلمة يتكلم بها كمثل النجم الكبير يدخل بين كتفيه، ويخرج من فيه هكذا أرى ذلك عند كل كلمة تتكرر تلك الأنوار كالنجوم دائمًا.

الكرامة الثالثة والأربعون بعد المائتين:

أخبرنا الشيخ الكبير النجيب الولي العارف إسحاق ابن الشيخ الكبير حسين العراقي أن الشيخ الصالح عبد الحكيم الهندي أخبره أنه سافر مع الشيخ الكبير الممكن الشهير يعقوب بن خضر الهندي إلى مكة وأنه كان يسمعه كثيرًا يقول: سيدي الشيخ إسماعيل معنا في المركب الساعة هكذا كان طول السفر.

قال: وفي بعض الأوقات كالشيخ يعقوب يشير إلى ناحية من المركب يقول ذاك الشيخ إسماعيل، وكذلك كان لي وقوفه بزبيد إذا كان في سماع له ولأصحابه يقول لي كثيرًا: سيدي الشيخ إسماعيل الساعة معنا.

الكرامة الرابعة والأربعون بعد المائتين:

أخبرنا أيضًا أن الشيخ الكبير كريم الدين عبد الكريم الكيلاني أخبره أنه كان يتحرك مع الشيخ في سماع والشيخ حينئذ يتحرك أيضًا.

قال: فالتفت إلى الشيخ، فرأيت والله بعيني هاتين لا كشفًا كله نار تلتهب سيحرقني.

قلت: وقد سبق للشيخ عبد الكريم رواية أنه رأى الشيخ في سماع يلهب نورًا وهذه رآه يلتهب نارًا، والشيخ عبد الكريم ممن يميز النار من النور، ويعرف أثر هذا، وأثر هذا، ولهذا قال: في هذه الرواية رواية: «النار سيحرقني» لمعرفته تأثير النار وإن من أثرها الإحراق فلا يتوهم أن الرواية تكررت، والله أعلم.

الكرامة الخامسة والأربعون بعد المائتين:

أخبرنا الصالح محمد بن أبي بكر الموزعي ونحن بجزيرة «كمران» أنه كان في مركب قافلاً من ينبع فعرى مهم المركب ليلاً بين جزيرة «كمران» وجزيرة «أرمك» وأشرفوا على الغرق، وكان قد قال له الشيخ: استأذنوا أهلكم في السكون معنا بزبيد؛ فإن أذنوا لكم وإلا فنادوني بالصوت والمنادى يجيب.

قال: فقلت: يا سيدي الشيخ إسماعيل الغارة وإذا هو عندي في المركب وأنا قاعد أقرأ سورة «يس» فحال رؤيتي له مشى المركب سالمًا وغاب الشيخ عن نظري.

الكرامة السادسة والأربعون بعد المائتين:

وأخبرنا أيضًا أنه مرَّ في جلبة صغيرة في باحة بحر جابر فحصل عليهم نوء عاصف ومطر وصار الموج كالجبال ولم يتحرك سكان الجلبة للريان وأشرفوا على الغرق.

قال: فرأيت الشيخ تلك الساعة معنا فبرؤيته انقطع الريح وسكن الموج وركد البحر ولم يبق فيه من الموج شيء أصلاً وسَلِمْنَا.

الكرامة السابعة والأربعون بعد المائتين:

أخبرنا الحكيم الصالح الناسك جمال الدين محمد بن الهندي أنه اشترى بعض دار بزبيد وبقي البعض الآخر في ملك غيره فضاره ذلك الرجل مضارة بليغة حتى منعه أن يستقي الماء من بئر في الدار فبذل له في الاستقاء منها أكثر من ثمنها فأبى، وكان يسمعه السب الأليم فضاق حلاً فجاء إلى شيخنا أبي المعروف ﷺ فشكا عليه وبالغ في الشكوى منه فقال له الشيخ: اسكن فهو يذهب عنك ففي اليوم جاء له جماعة من عبيد السلاح بأمر السلطان الملك الأشرف وأخرجوه من الدار وطافوا به على أبواب زبيد الأربعة وأخرجوه من زبيد ونفوه إلى الهند فوقف بتانه ست سنين وخرج إلى ظفار الملك فمات الملك الأشرف -رحمه الله- وولي بعده الملك الناصر -أدام الله بقاءه- فجاء الرجل طمعًا أن يدخله الملك الناصر زبيد فلما صار بظاهر بيد علم به بعض أصحابه من الأمراء فتلطف السلطان في إدخاله زبيد فأذن بدخوله فأصلح له بيته وهيأ له طعامًا.

قال الحكيم: فجئت إلى الشيخ مسرعًا وأخبرته فقال لا يدخل زبيد فقلت قد أمر السلطان بدخوله وقد هيأ له البيت والضيافة فقال الشيخ: ما للسلطان هنا أمر، ليس هو الذي أخرجه فيدخله، قال: فوقف الطعام مهيأ إلى آخر النهار وهم يقولون: الساعة يدخل الساعة يدخل، فما كان إلا أن ورد أمر السلطان بنفيه فأرسل إليَّ فجئته فقال لي: تشتري مني البيت؟ فقلت له: أما منك فلا أشتري. فقال: فممن؟ فقلت: من ورثتك فرجع إلى ظفار فوقف بها مدة وقتل لأنه كان ذا عقيدة سيئة والعياذ بالله فشريت البيت من ورثته وملكته أجمع وتفسحت فيه ببركات الشيخ ﷺ.

الكرامة الثامنة والأربعون بعد المائتين:

أخبرنا القاضي الأجل صارم الدين إبراهيم بن عبد القادر بن الميت أحد أصحاب شيخنا ومحبيه وقال له أنت منا في الدنيا والآخرة أن الموفق الريمي جاء إلى شيخنا أبي المعروف ﷺ وأخبره أن امرأته محتضرة لها في النـــزع ثلاثة أيام وسأل من الشيخ أن يحضر وفاتها، فقال الشيخ: وأين الأولاد الذين سيكونون فكان منها عمرو وعبد الله

وقضاة ما تموت اليوم، فقال له الموفق: ما بقي فيها شيء فقال له الشيخ: اذهب قبلي وأنا خلفك واعملوا لها شيئًا تأكله.

فقال: لمن نعمل هذه لها ثلاثة أيام لم يدخل الماء فمها وهي محتضرة؟ فقال له: الشيخ افعل ما أقول لك فذهب ولحقه الشيخ وقد عملوا لها شرابه فنظر الشيخ إليها وقال لها: ما هذا يا فلانة أين الأولاد الذين سيكونون منك عمرو وعبد الله وقضاة وقال لهم: اقعدوا فقالوا: من يقعد هذه ما بقي فيها عضو يشتد فأقعدوها وأسندوها إلى امرأة وأخذ الشيخ الشرابة بالملعقة وفتح فمها وأدخل منها شيئًا فيه وذهب، وقال: أعود إليكم وهي طيبة إن شاء الله فعاد في أثناء النهار وهي طيبة تتحدث فعوفيت وجاءت بالأولاد الذين سماهم الشيخ عمرو وعبد الله وقضاة وعمرت إلى أن ولد ولدها.

وأخبرنا بهذه الحكاية القاضي الأجل شرف الدين إسماعيل ابن الوزير تقي الدين عمر بن معبيد بغير هذا اللفظ ومن لفظه أن الموفق الريم أخبره والشيخ يسمع أنه جاء إلى الشيخ وسأل منه أن يحضر وفاة أم أولاده فجاء الشيخ إليها وهي في الموت وقد مالت أنفها وظهرت علامات الموت عليها فقال له الشيخ: قد استوهبت لها العافية من الله فعوفيت سريعًا وعمرت بعد ذلك دهرًا طويلاً قال: فلما أتم الموفق حكايته لي والشيخ يسمعه قال للشيخ: يا سيدي نذكر ذلك، قال الشيخ: نعم.

الكرامة التاسعة والأربعون بعد المائتين:

أخبرنا الشيخ الأجل شهاب الدين أحمد ابن شيخنا أن الشيخ الصالح عمر ابن الشيخ الكبير بكر بن مقرة الأوشجي القرشي أخبره أنه نام ليلة في مسجد شيخنا ﷺ بزبيد فما أيقظه إلا الشيخ في أثناء الليل وبيده شمعة، وقال له: انظر ما تحت فراشك فوجد ثعبانًا عظيمًا؛ فقال له الشيخ: اقتله فقتله وعاد الشيخ إلى بيته.

الكرامة الخمسون بعد المائتين:

أخبرنا الشيخ أبو بكر العباصري أن رجلاً أخبره أنه كان يبيع التمر وكان يحتال في إخفائه عن الحرس عند دخوله به زبيد مرة بعد مرة فعلم الحرس بذلك فأوعده السجن إن ظفروا به فشكا أمرهم إلى الشيخ فقال له: لا تخفهم فظفروا به مرة ومعه تمر فأرادوا أخذه فوجدوا الآنية فارغة خالية ليس فيها شيء وأنساهم الله ما كان منهم من الوعيد وما في قلوبهم من الحد عليه فتركوه فذهب وتمره ملأ الآنية ظاهرًا.

الكرامة الحادية والخمسون بعد المائتين:

أخبرنا الشيخ شهاب الدين أحمد ابن شيخنا أبي المعروف والأخ الصالح طلحة بن

علي أحد خدام الشيخ أنهما مشيا يومًا بين يدي الشيخ فواجهتهم امرأة داخلة من باب سهام زبيد معها آنية فيها لبن فلزم الشيخ رأس دابته وقال لهما خذا ذلك الإناء وأشار إلى أحد الآنية وسألها كم ثمنه فأخبرته فأعطاها ثمنه وخرج من الباب هو وهما وهي إلى باب الخندقين وأمرهما أن يحفرا حفرة ويدفنا فيها اللبن ففعلا فوجدوا فيها سنفًا فقال الشيخ للمرأة: هكذا تغفلون عن آنيتكم وتتساهلون في تغطيتها.

قلت: «السنف» بسين مهملة مضمومة ونون ساكنة وفاء: دابة كالبرم الكبير وهو من أرباب السموم القاتلة والعياذ بالله.

الكرامة الثانية والخمسون بعد المائتين:

أخبرنا الفقيه الصالح أبو القاسم بن الحليف أحد خدام شيخنا أنه قرأ عند شيخنا أبي المعروف ﷺ «اللمعة النورانية» للبوني فكان كلما قرأ شيئًا من الأسماء أو من الأدعية أو من الأفاق أو الآيات التي أوردها البوني يقول شيخنا في بعضها: هذا هنا ويشير إلى جنبه الأيمن وفي بعضها هذا هنا ويشير إلى جنبه الأيسر حتى أتوا على آخرها وقال: القلب ملآن بالله وأشار إلى قلبه.

الكرامة الثالثة والخمسون بعد المائتين:

وأخبرنا أيضًا أن رجلاً جاء إلى الشيخ ملهوفًا على دابة ضاعت عليه وشدد في ملازمة الشيخ فجعل الشيخ يسكنه ويعده فقال: ما أعرف دابتي إلا منك.

فقال له الشيخ: اذهب عند القرية التي في هذه الناحية وأشار إلى ناحية تجد دابتك مربوطة بعرج فذهب فوجدها هناك بقدرة الله.

الكرامة الرابعة والخمسون بعد المائتين:

وأخبرنا أيضًا أن رجلاً جاء إلى الشيخ يشكو عليه ضياع دابة له أخرى والتزمه في ردها. فقال له الشيخ: قم وامش في الشارع الفلاني فدابتك تواجهك فيه فقال ومشى في ذلك الشارع وإذا دابته مقابلة له فأخذها بقدرة الله.

الكرامة الخامسة والخمسون بعد المائتين:

وأخبرنا أيضًا أنه خدم الشيخ مدة وكان في الليل كلما خطر به أن الشيخ قد نام تحرك الشيخ إعلامًا له أنه لم ينم هكذا طول الليل.

قال: وكنت أسمع قلب الشيخ يقول: «الله الله الله»، وقالت لي أم المعروف امرأة الشيخ: يا أبا القاسم إني أسمع تسبيح الملائكة فوق رؤوسكم.

الكرامة السادسة والخمسون بعد المائتين:

وأخبرنا أيضًا هو وإبراهيم الأكوع أن شيخ الصمتين وأحد مشايخ القرشين كانا مأسورين بزبيد فجاء كل واحد منهما إلى شيخنا ﷺ والتزمه في الإطلاق ولم يقبل كل منهما إلا أن يعين له الشيخ يومًا يطلق فيه فقال: لكل واحد يطلق يوم كذا، وكذا فأطلق كل واحد في اليوم الذي عينه له الشيخ.

الكرامة السابعة والخمسون بعد المائتين:

أخبرنا شيخنا رضي الدين أيد الله فتوحاته أنه حضر سماعًا من سماعات أبيه مختفيًا في عموم الناس وكان شيخنا الأكبر ﷺ حينئذ لم يأت بعد من البيت وما في السماع إلا أصحابه وكان في مكان فيه جمع كثير من العرب والحضر وأرباب الدولة وأهل الجبال فكان من تحرك من الفقراء سبُّوه وضحكوا عليه واستهزؤوا به وانتقضوه والناس في غوش عظيم ولغط كثير والفقراء داخل السماع على اختلاف أحوالهم هذا يبكي وهذا يصيح وهذا يرقص وهذا يثبت وهذا يتكلم، فبينما الناس في ذلك الحال وإذا الشيخ قد طال من الباب فلما رأى الناس الشمعة التي تحمل بين يديه ورأوه استحال حاله وتغير كونه وحمدوا وسكتوا وتوجهت قلوبهم إلى الله واشتغلوا بذكر الله فدخل الشيخ السماع فارتفع كل واحد من الفقراء إلى جانب وهو يتكلم على معنى قول القوال ما يفيد به الحاضرين والكل له منصتون لكلامه مستمعون والناس منهم من يتوسل به إلى الله ومنهم من يثني ومنهم من يدعو له بطول العمر ثم بكي فبكى الناس لبكائه وما سمعت بأحد في أحد كلمة سوى بعلها.

قلت: كان هذا حال شيخنا ﷺ في سماعه وحضراته مع الناس وحال الناس معه يأخذهم حاله عن أحوالهم ويشغلهم بالله عما هم فيه ويتكلم على سرائرهم ويساوقهم في خواطرهم حتى الفقراء ولو كاتب أحدهم قد أخذه حال أورده عليه وارد، فلا بد من مفاجئته لهم أن يذهب ذلك عنهم حتى ينظر في حركة المتحرك منهم وحال صاحب الحال منهم ووارد صاحب الوارد ويقر ما يقر مما هم فيه وينفي ما ينفي ويثبت ما يثبت لهم ويمحو ما يمحو عنهم ويعلي هممهم ويرقيهم ويتوجه بتوجهاتهم ويؤم متعلقاتهم وهذا من أكرم الكرامات وأعظم الآيات حفظه الله في جميع أحوالنا لنا إمامًا، وحيثما توجهنا إمامنا بمنه وفضله آمين.

الكرامة الثامنة والخمسون بعد المائتين:

ومات ميت من بعض أكابر أهل البلد فصليت مع شيخنا في مسجد الأشاعر

واجتمع مع تلك الجنازة جنازة أخرى رثة الهيئة وسخة الثياب وليس معها إلا قدر من يحملها هيئتهم أيضًا رثة ومنظرهم زرى فأشار شيخنا ﷺ أن تقدم تلك الجنازة الرثة في المشي مهما إلى المقابر فلما خرجنا من المسجد واستقبلنا الشارع الذي يخرج إلى باب سهام وهو مستقر القبلة والشيخ وأصحابه وجميع أهل البلد مع الجنازة المحتشمة وإذا الشيخ قد تخلل الجمع وأشار إلى أصحابه فتبعوه ولحق بتلك الجنازة الرثة وإذا هي متغيرة الحال كلما أراد حاملوها استقبال القبلة دارت بهم واعترضت فنهرهم الشيخ وأمرهم بالاستواء فقالوا: كلما أرادوا استقبال القبلة دارت على أعناقهم فظهر على الشيخ اهتمام كبير بها وكان يدور حولها وحتى حمل بجوانبها وكان يكرر قراءة «يس» ويأمر أصحابه بتكريرها وكلما فتروا عن القراءة أمرهم بالقراءة، وبكى الشيخ كثيرًا فما زال الحال كذلك حتى بلغنا إلى باب سهام وإذا الجنازة قد استوت واستقبلت القبلة وكادت تطير بحامليها وانصبت في الباب كما ينصب الماء من الميزاب، فقام الشيخ والتفت إلينا وضحك وظهر عليه السرور وأفهمنا أن حالها الأول كان حال أهل الشقاء وببركة اطلاعه على حالها واهتمامه بها وتوجهه إلى الله فيها استحال حالها وسعد مآلها، ووقف الشيخ ينتظر تلك الجنازة التي خرج بسببها وشيعها حتى دفنت وركب إلى قبر ولده المعروف وذكر الجنازة وما كان من أمرها وصرح بأنها غفر لها ورحمت وسأل عنها، فقيل: كانت ممن يبيع بعض المسكرات، ونحن معه في ذلك كله نشهد أثر اختلاف الأحوال عليه رحمه الله ورحمنا به آمين.

الكرامة التاسعة والخمسون بعد المائتين:

أخبرنا الفقيه الصالح أبو القاسم الحليف -رحمه الله- أنه سمع شيخنا ﷺ يقول لبعض أصحابه: والله إنكم يا أصحابي أنتم وغيركم في كفي هذا كهذه الشمعة لشمعة في يده أعرف بواطنكم وظواهركم.

الكرامة الستون بعد المائتين:

أخبرنا الشيخ الأجل شهاب الدين أحمد بن معيبد أنه رأى الشيخ ﷺ في المنام يقول له: كان النبي ﷺ مظهر نور الحق وأنا مظهر سر الحق فبعد أن استيقظت قال: قال لي الشيخ قبل أن أحكي له الرؤيا ولا لأحد أبدًا احك لنا ما رأيت الليلة فحكيت له الرؤيا وأنسيت منها شيئًا فقال: بقي من الرؤيا شيء فاحكه لنا فأتممتها.

قلت: وسمعت شيخنا أحمد يقول: هكذا كان حال الشيخ إذا قص عليه أحد رؤيا ونسي منها شيئًا قال له بقي من رؤياك شيء لا يزال يردده حتى يكملها.

الكرامة الحادية والستون بعد المائتين:

أخبرنا القاضي عفيف الدين العلوي –رحمه الله– أنه سمع الشيخ ﷺ في سماع يقول: «أصحابي نجوم الأرض».

الكرامة الثانية والستون بعد المائتين:

أخبرنا شيخنا محيي الدين أحمد الرداد ﷺ أنه سمع شيخنا الأكبر يقول: الناس يقولون الشيخ إسماعيل يخرج الجنب من السماع وما هو إلا أن السماع نراه نورًا كله فقد نرى فيه ظلمة فنـــزيلها.

قلت: وكم كنا نراه ويراه عليه الناس في السماعات تمضي إلى ناحية من نواحي السماع وينحي الجمع عن شخص ويخرجه أو عن جماعة مختفين منكرين وقد يضرب من يضرب بيده أو بشمعة ويصبحون يتكلمون بما كان منهم، وقد أخبر كثير من المنكرين أنهم قصدوا دخول السماع مجنبين كي يروا ما سمعوا به عنه فما يكون إلا أن يخصهم ويفرق الجمع عنهم وينحيهم فيتولون، وقد يستر من يعلم من حاله أنه فيهم بالإشارة ويكون ممن يهتك منصبه الكشف فيهرب إلى الناحية التي هو فيها ويشيروا إلى الجمع بشيء من القول ليفهم المعنى منهم أن الإشارة إليه ولا زال على ذلك ما عاش وعشنا معه رحمه الله تعالى ورحمنا به آمين.

الكرامة الثالثة والستون بعد المائتين:

أخبرنا بعض العارفين الأثبات وكان صحبني مدة وسافر معي مرة إلى زبيد أنه كان يرعي الشيخ في السماع إذا أشار إلى الناس بيده أو رفع صوته عليهم إذا ازدحموا وضيقوا المكان يهربون ويقع بعضهم على بعض من هيبته ويفسحون فقال في نفسه مرة: هم يخافون وتغافل ووقف مكانه وأدار وجهه عن الشيخ وأبى أن يتأخر قال: فأشهد الله لقد رأيت الشيخ أسدًا ما رأيته الشيخ ما رأيت والله إلا أسدًا وجاءني وكاد يأكلني.

الكرامة الرابعة والستون بعد المائتين:

وأخبرنا أيضًا وقد أصابه رمد شديد وأضر به وأطال عليه وألزمه الجلوس وكان بمسجد الشيخ أيام كان معي قال فجاء الشيخ يومًا ورقد على سرير في المسجد فقلت ما لي إلا الشيخ فقمت إليه بتلطف هائبًا له فغمزته من قدمه إلى رأسه وهو ساكت. فقال: من أنت؟ قلت: صاحب لفلان وسماني له جئت معه. فقال: وأنت معه، فقلت: وأنا معه وشكوت عليه ما بي وأقسمت عليه بالله إني ما أشتهي إلا زوال الوجع فوضع يده على عيني وقال: يزول، فوالله لقد نمت فما انتبهت وبي شيء من الرمد ولا من العشى إن كان

بك الساعة رمد في رمد.

الكرامة الخامسة والستون بعد المائتين:

أخبرنا بعض إخواننا أن شيخنا ﷺ نطق عن سره في أمور كثيرة وقال له: أنا أعلم الظاهر والباطن.

الكرامة السادسة والستون بعد المائتين:

أخبرنا الشيخ النجيب الولي القريب العالم زين العابدين بن محمد ابن شيخنا أحمد الرداد أنه رأى شيخنا الأكبر ﷺ يقظة بعد موته بمدة في سحر ليلة من شهر رمضان معترضًا في الهواء أبيض كقضيب الفضة.

الكرامة السابعة والستون بعد المائتين:

أخبرنا الشيخ الكبير الولي أحد أكابر الطبقة الأولى من أصحاب شيخنا بكر الرعيني والشيخ الولي جمال الدين محمد بن إسحاق القرشي أن شيخنا ﷺ كان على سرير فحكى له حكاية أخذه منها ما أخذ من الأحوال فحمل السرير بيديه في الهواء وهو عليه وزاد بكر في روايته أن الشيخ كان يحمل السرير إلى الهواء ويضرب به الأرض مرارًا حتى تكسر السرير، وكل واحد منهما لروايته واقعة غير واقعة رواية الآخر، وهذا الفعل من خرق العادة فإنه فيما أقول غير ممكن، والله أعلم.

الكرامة الثامنة والستون بعد المائتين:

أخبرنا الشيخ جمال الدين محمد المزجاجي أن الفقيه جمال الدين محمد ابن القاضي موفق الدين عليّ بن عثمان المطيب الحنفي أخبره أن والده القاضي موفق الدين كان ممن صحب شيخنا ﷺ ولبس منه خرق التصوف وكان إذا نابته نائبة جاء إليه وشكا عليه فيحصل له ما أراد وكان إذا مرض أحد أولاده ذكر ذلك له فيشفى، وفي آخر عمره مرض ولده محمد فجاء إليه فقال له إن ولدي محمد غير طيب، فقال له الشيخ: هو طيب ولكن غيره غير طيب فشفي الولد ومرض أبوه سبعة أيام ومات وقد كان أمر بحفر قبره وكتب وصيته وأشهد عليها من تلك الساعة قبل ظهور المرض به لما علمه من صدق إشارة الشيخ.

الكرامة التاسعة والستون بعد المائتين:

وأخبرنا أيضًا أن الفقيه محمد بن علي المطيب أخبره أنه رأى في المنام أنه يقبل أخمصي قدم الشيخ فأصبح على نية يفعل ذلك في اليقظة فخرج لذلك فلقيه الشيخ راكبًا دابته فلما قرب منه رفع قدميه فقبل أخمصهما كما رأى في منامه وقال له الشيخ:

﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: 90].

قال: وأخبرني أنه كان يلازم الشيخ في الحج فيقول له استأذن والدك وكان إذا استأذن والده لا يأذن له، وتكرر ذلك منه سنين فبعد ذلك لازم الشيخ فدعا له ولم يأمره أن يستأذن والده فاستأذن والده فأذن له من غير توقف.

الكرامة السبعون بعد المائتين:

وأخبرنا أيضًا الشيخ جمال الدين محمد بن المزجاجي عن الفقيه جمال الدين المطيب أنه سافر للحج في جلبة وكان معهم في البحر نحو خمس وعشرين جلبة فحصل عليهم نوء عظيم وريح عاصف شديدة حتى أشرفوا على الغرق قال: فرأيت سيدي الشيخ في اليقظة قائمًا في الجلبة التي أنا فيها ففرج الله في تلك الساعة على الجميع والله أعلم.

الكرامة الحادية والسبعون بعد المائتين:

وأخبرنا أيضًا المزجاجي عن ابن المطيب أنه لما مات أبوه وأصابه حزن عظيم حتى كان يسير مع الجنازة ولا شعور له، ففي أثناء ذلك خطر به أن يسأل من الشيخ أن يصلي على أبيه قال: فبنفس أن خطر بي هذا أخذ الشيخ بيدي وأقامني عند رأس الجنازة وقال لي: صل على والدك وضرب بيده بين كتفي ضربة شديدة فزال ما كنت أجده من الحزن واشتغال الخاطر، ثم شكوت عليه كثرة ديون والدي وكثرة عياله فقال لي: ينقضي الدّين بلطف الله فلا تشجن والعيال يكفيهم الله تعالى ولا يتغير عليك حال إلى أن تموت إن شاء الله تعالى فلاطفنا الله ببركته وانقضى الدين على أحسن حال وكفيت هم قوت العيال، وأنا الآن في بركاته رحمه الله ونفع به آمين.

الكرامة الثانية والسبعون بعد المائتين:

أخبرنا الأخ في الله الحبيب فيه القاضي الأجل السيد الصالح الكريم رضي الدين محبوب أولياء الله المقربين أبو بكر بن علي بن أحمد الصنعاني -جمع الله بيني وبينه في كل موطن من مواطن الخير في الدنيا والآخرة- إن بعض أصحابه ممن أعرفه حضر سماعًا من سماعات شيخنا ﵁ وكان منكرًا وكان في آخر ذلك السماع في أخريات عموم الحاضرين فخطر بقلبه خاطر إنكار، فبنفس حصول ذلك الخاطر انقض الشيخ عليه، وفرق الناس عنه ومد يده إلى وجهه وقال له: يا هذا، أحسن عقيدتك، فأرهب وتاب وحسنت عقيدته إلى أن مات.

الكرامة الثالثة والسبعون بعد المائتين:

أخبرنا بعض الإخوان أصحاب المريدين أنه سمع شيخنا قدس الله سره العزيز وهو

على تربة ولده المعروف يقول يا فقراء أوصيكم وأفيدكم كل ما طلبتموه من خير الدنيا والآخرة ففي هذا المكان أكثروا من الوقوف فيه وإن أمكنكم السكون فيه فاسكنوا.

الكرامة الرابعة والسبعون بعد المائتين:

أخبرنا بعض الإخوان الصالحين عن رجلين من أعيان أهل ثغر صادقين أنهما كانا يسمعان بأوصاف الشيخ وحسن سماعاته وما يكون فيها من عجائب أحواله ومكاشفاته فنزلا من ثغر إلى زبيد لرؤية الشيخ وحضور سماعاته وكان مما رأياه في بعض السماعات قالا: رأينا شيئًا أسود نازلاً من السماء وما زال يدنو ويدنو حتى دنا من الشيخ وإذا هو كالجبة فلبسه الشيخ رأيناه ورآه غيرنا.

الكرامة الخامسة والسبعون بعد المائتين:

أخبرنا القاضي الكبير الإمام العالم جمال الدين محمد بن سعيد بن علي بن كبن الطبري قاضي ثغر عدن وهو أحد أكابر أصحاب شيخنا أنه كان بزبيد بمسجد شيخنا أحمد الرداد فقال فجاءني الشيخ يومًا وطلب أبا الفتح المدني ويوسف الحنفي وأمرهما بإحضار جزء من الفتوح المكية وأن يفتشا على شيء في ذكر أهل البيت وفضلهم ففتشا على كلامه ﷺ على قوله تعالى: ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: 23] فقرأ أحدهما فكرر الشيخ سماعه فوقعت في شيء كأني أرى الله عيانًا، وحصل عندي من تعظيم أهل البيت وحرمتهم وإكرامهم زيادات دينية ولله الحمد.

وأخبرنا أيضًا قال: كنت جالسًا عند الشيخ بمسجده فخرج من الباب اليماني منه فخرجت معه إلى بيته وبيدي سبحة فأخذها ودخل بيته ثم بعد ثلاثة أيام وجدته في المسجد فوقفت عنده ساعة وخرج فمشيت معه إلى البيت فأخرج إليّ السبحة وقال لي: «إذ نابتك نائبة فناد باسمي» فكانت النوائب تطرقني، وأجل الشيخ أن أذكره وأصبر فتأتيني نائبة ضرورة فاقة أنا وعيالي، وطرقنا ضيف ليلاً ولم يكن عندنا شيء واشتهي الضيف شهوة لم تكن عندي ولا ثمنها فناديت باسمه في أثناء الليل، وإذا طارق يطرق الباب فخرجت إليه وإذا هو رسول من بعض الولاة الكرماء فقال لي: يسلم عليك فلان، وقال تفضل قبول هذه وأعطاني دراهم ومعه حمالون يحملون حبًا وسمنًا وعسلاً.

الكرامة السادسة والسبعون بعد المائتين:

وأخبرنا القاضي أيضًا أنه لما استمر في قضاء الثغر وبرز له مرسوم السلطان جاء به إلى شيخنا ﷺ ليلاً، وقال له يا سيدي أجد في نفسي كراهية هذا الأمر خوفًا من معارضة متولي الثغر وكان زيديًا فقال له الشيخ: أنت نائبي وفلان إن غير عليك غير عليه

أو يخرج من البلد.

قال: فقلت للشيخ: إن أناسًا خوفوني منه ومن جماعة غيره في الثغر فقال له: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ [آل عمران: 175] فزال بعض ما عنده. قال: فقلت له: غرضي أسافر وحدي من غير رفقة والطريق مخيفة ولو يؤخذ لي ولو ما في رحلي. قال: من قال هذا من بركة المتفضل فلما سمع كلامي استلقى على قفاه وبمجرد أن استلقى على قفاه أخذني النوم وأنا جالس فرأيت أني سافرت ووصلت إلى البلد سالمًا وجاءني الناس يسلمون علي ويهنئون بالسلامة ثم عاد إليّ حسي فأخبرت الشيخ فجلس، وقال: الحمد لله الأمر هكذا ثم سافرت فلم يحدث علينا سوء فلما صرت بظاهر عدن نمت فرأيت الشيخ وهو يقول: وفيت لك.

الكرامة السابعة والسبعون بعد المائتين:

أخبرنا الأخ الصالح حسين بن الحلوي خادم قبة شيخنا ﷺ أن شيخنا قال في سماع لهم [اللهم اجعلني لك وارثًا] فسأل بعض من سمعه بعض الفقهاء عن هذا القول فقال: هذا لا يصدر إلا ممن هو مملوء بالله.

فقال له: هو قول الشيخ إسماعيل الجبرتي فأنكر كونه مقام الشيخ فنام فرأى وكأن الملائكة حافين حول الدنيا تريد الأرض يمينًا ويسارًا وأهل اليمين يقولون: أمرنا أن نقلبه من اليمين إلى اليسار وأهل اليسار يقولون، و نحن أمرنا أن نقبلها من اليسار على اليمين، والفقيه مرعوب فبينما هو كذلك جاء إليهم من جاء وقال لهم لا يمين ولا يسار فقد حصلت الشفاعة فقالت الملائكة: من شفع لهم؟ فقال: الشيخ إسماعيل، فانتبه الفقيه تائبًا وجاء إلى الشيخ فقبل أن يحكي للشيخ الأمر قال له الشيخ: هات يا فقيه احك لي ما كان من أهل اليمين وأهل اليسار، فتاب وصحب الشيخ.

الكرامة الثامنة والسبعون بعد المائتين:

أخبرنا بعض المريدين الصالحين قال: صحبت الشيخ عشر سنين فما سمعته تحدث بشيء مع الفقراء سوى الله.

الكرامة التاسعة والسبعون بعد المائتين:

أخبرنا الأخ الصالح الولي حسن بن علي الجبرتي أنه جاع تسعة أيام حتى أضر به الجوع فدعا أصحاب الشيخ إلى طعام فقال لي نفسه أذهب مع الجماعة وآكل وأشبع فذهبت. قال: فلما قربنا من بيت الدعوة طلبني الشيخ وقال لي يا حسن ارجع اسرج لنا المسجد فرجعت فصلينا المغرب والعشاء وخرج إلى البيت وجاءني رسول منه يطلبني

فدخلت عليه البيت فاستدعى لطيف أدمة سمن ولبن ولحم فقال لي: اشرب أولاً من هذا اللبن تبرد حرارة الجوع ثم كل هذا فهو أحسن لك مما لو أكلت معنا من ذلك الطعام على ما أنت فيه من الجوع العظيم وإنما رددتك خوفًا عليك وليتم صوم يومك وكان صائمًا ولم يكن أعلم الشيخ بجوعه ولا بصومه.

الكرامة الثمانون بعد المائتين:

أخبرنا الأخ الصالح حسين الحلوي أنه جاع خمسة أوقات ونال مشقة من الجوع فقال له الشيخ اذهب ادع لي طلحة فذهبت أطلبه فلم أجده فرجعت وإذا برجل يخبرني أنه في بيت فجئت ذلك البيت فوجدت معهم سماطًا ممدودًا فحلف صاحب البيت أن آكل فأكلت وشبعت وجئت بطلحة إلى الشيخ فلم يقل له الشيخ شيئًا كأن لم يكن له به حاجة وما أراد إلا أني أدخل البيت الذي كان فيه طلحة لأكل من ذلك الطعام.

الكرامة الحادية والثمانون بعد المائتين:

وأخبرنا أيضًا أنه أصابه وجع شديد وأنه جاء إلى قبر الشيخ بعد موته ونفسه تطلع وتنــزل من شدة الألم فشكا ما به وقال للشيخ إنه لا يجد من يقوم بحاله ولا يقوم بخدمة المكان فما قام من مجلسه ذلك إلا وقد زال ما به.

الكرامة الثانية والثمانون بعد المائتين:

أخبرنا الفقيه الفاضل الأديب عليّ بن أحمد المعقلي قال: لما بقي الشيخ إسماعيل صالح المصري من حدود تهامة في الدولة الأشرفية اجتمع صالح بالسلطان الأشرف-رحمه الله- وشكا عليه فعل الشيخ إسماعيل وسوقه إلى زبيد فكساه السلطان وكتب له إلى أمير زبيد أن يسكن من زبيد حيث شاء فعزم على النــزول إلى زبيد بأمر السلطان.

قال: فنــزلت في صحبة الشيخ الصديق فلما وصلنا زبيد أعلمنا الشيخ فقال: لا يكون هذا وأمر بقراءة [يس] فما كان إلا أن جاء العلم أن السلطان غضب على صالح وأمر به إلى سجن عدن.

قلت: ثم بعد ذلك أمر بنفيه إلى الهند فما عاد إلى اليمن بعدها ومات بالهند.

الكرامة الثالثة والثمانون بعد المائتين:

وأخبرنا أيضًا أن رجلاً ظهر بوادي ثغر وفتح عليه فأعطاه سؤالاً في علم الحقائق يسأل به أهل زبيد.

قال: فسمعه الشيخ فصرخ وكان الشيخ مدة إقامتي بزبيد يسأل مني كثيرًا سماع ذلك السؤال وإذا رويته له صرخ؛ ففي مرة قال لي: يا عليّ علمت أن صاحب هذا مات

فقلت: يا سيدي هل تعرفه؟ هل تعرف بلده؟ هل جاءك أحد بخبره؟ فما كان إلا أن جاء العلم بموته في اليوم الذي أخبر الشيخ بموته فيه.

قال: وقال لي الفقيه أحمد الحرضي أن الشيخ إسماعيل غيور لا يرى ذا حال إلا سلبه حاله أو قتله وتصديقه قصة صاحب السؤال.

قلت: وهذا ليس مطلقًا وإنما يكون من الشيخ لمن أظهر ما لم يتحقق به وادعى ما لم يكن له حالاً ومقامًا وجعل العلم له حالاً أو كدر في ذلك فيغار الشيخ على المقام صيانة لأسرار الله وقد علمنا من الشيخ –قدس الله سره العزيز– كثيرًا من ذلك.

الكرامة الرابعة والثمانون بعد المائتين:

أخبرنا الشيخ أبو بكر العباصري أنه سمع الشيخ –قدس الله سره– يقول أنه إذا دخل المقابر يتنادون الأموات ويخرجون ويقول بعضهم لبعض انظروا هذا الذي يقرأ لكم القرآن، وأخبرنا هو والصديق القناوي وغيرهما أن الشيخ حسن بن الهبل القرشي مر بمقبرة الدهينة من المقصرية وكان من عادته إذا مر بمقبرة قرأ لأهلها [يس] أو ما تيسر من القرآن على عادة الشيخ فلم يقرأ في تلك المرة لأهل تلك المقبرة نسيانًا فسمع ضجة خلفه فالتفت وإذا أهل المقبرة قد خرجوا من قبورهم يقولون ذاك الذي من أصحاب الشيخ إسماعيل كان يقرأ لنا إذا مر بنا ولم يقرأ لنا الساعة فرجع إليهم وقرأ وأهدي لهم.

الكرامة الخامسة والثمانون بعد المائتين:

أخبرنا الأخ الصالح أبو بكر بن الفقيه أحد خدام شيخنا وخواصه أنه مشى بين يدي دابة الشيخ فلما خرجا من باب زبيد التفت إلى الشيخ فرآه وقع في حال وثقل على الدابة وقد ساخت الدابة إلى الأرض حتى لم يبق بين بطنها والأرض إلا قيد شبر ويداها ممدودتان إلى قدام ورجلاها ممدودتان إلى وراء وهي مع ذلك الحال فمشت الدابة على ذلك ما شاء الله فأفاق الشيخ فقامت قوائم الدابة وارتفع ظهرها.

قلت: ومشي الدابة والحال ما ذكر من أعجب العجائب ولولا حفظه لها لم يقع للدابة شيء من سر الشيخ، ولم تمش بل لتفسخت قوائمها وتعذر قيامها.

الكرامة السادسة والثمانون بعد المائتين:

وأخبرنا أيضًا أنه سمع من بعض الناس أن قبرًا من القبور لامرأة يسمع منه أنين بالليل يسمعه كثير من الناس فجاء إلى رجل يسمع فرج المكحول يصحب الفقراء وكان ذلك القبر قريبًا من بيته فقال له صحيح ما يقال عن صاحب القبر؟ قال: نعم، قال له: فإذا شئت أن أسمعه قال: سمعته وأنا منذ سكنت هذا البيت أسمعه بالليل فجاءه ليلاً فجلس

عنده فقال فسمعت أنين امرأة تتألم فاقشعر جسمي واضطرب من الفزع وكدت أضمحل فضمني فرج المكحول إليه وصرخ في أذني ليملأ سمعي عن سماع صوت صاحب القبر خوفًا علي فبعد ساعة عاد إليّ عقلي فدخلت المدينة وكان الباب مفتوحًا لكون السلطان يومئذ على الكثيب وكان عليَّ خدمة بالليل للشيخ ففرشت له فراشه فاستلقى عليه ووضع ساقيه على فخذي فحكيت له حكاية أنين المرأة في قبرها فوقع مما وقع فثقل حتى وجدت لساقيه من الثقل ما يكن للحديد ولا للرصاص إن قلت لكم قدر كذا وكذا أجلاً أو مهارًا من النحاس فما وجدته أثقل فآيست من رجلي، فلما أفاق الشيخ خف رجلاي سالمين بحفظ سره وحاله فأنَّ وتنهد فاجتمعت بعد ذلك بفرج المكحول وأخبرته أني أخبرت الشيخ في تلك الليلة وأخبرته بما حل على الشيخ فقال فرج المكحول: من تلك الساعة التي ذكرت لم نسمع لها أنينًا ولا سمع بعد ذلك أبدًا.

الكرامة السابعة والثمانون بعد المائتين:

وأخبرنا أيضًا أن فرج المكحول كان من الرجال وأنه أخبره أنه كان متى شاء أن يرى رسول الله ﷺ يقظة رآه وكان يقع عليه بعض الأوقات ما يغيبه عن حسه ويبقى ملقى لا شعور له بشيء يومًا وليلة أو أكثر.

قال: فسألته عن ذلك فقال إنما يقع عليَّ إذا سمعت صوت الشيخ إذا مر تحت بيتي فيقع عليَّ ما لا تعلموه، ويكون منه هذا ولو كنتم تطلعون على أحوال الشيخ مرة ما قدر أحد منكم ينظر إليه.

قال: وكنت مع الشيخ مرة على قبر الفقيه عليّ بن موسى فجاء فرج المكحول فلما قرب عرق عرقًا عظيمًا وارتعد فضمه الشيخ إليه فسكن ما به فسألته عن ذلك فقال: رأيت رسول الله ﷺ مع الشيخ والفقيه عليّ بن موسى قد برز إليهم من قبره.

الكرامة الثامنة والثمانون بعد المائتين:

أخبرنا الأخ الصالح حسن بن علي التنوخي أنه كان شديد العناية بأمر سعد الدين والمسلمين والملازمة للشيخ -قدس الله سره- في النصر لهم على الكفار فظهرالكفار مرة على المسلمين وقتلوا منهم وأجلوهم إلى طرف البلاد.

قال: فحضرت ليلة سماعًا مع الشيخ فخطر بقلبي أمر المسلمين والكفار فما تم خاطري إلا وقد قال الشيخ: نفعت الملازمة وختم السماع، وذهبت إلى بيتي وقعدت أنتظر الفجر وكان الشيخ يوصينا ألا ننام بعد السماع لنصلي الصبح في أول الوقت فأخذتني سنة خفيفة وأنا أقرأ يس فرأيت الشيخ قد وقع في الكفار وأخذ جميع ما معهم

السلاح وكسره ونتفه كالقشاش، وأنا أنظر فعاد إليّ حسي وصليت الصبح وذهبت إلى مجلس الشيخ فقال لي: حال سلامي عليه، وقبل أن أعلمه: هات ما رأيت، فأخبرته فجاء العلم أن سعد الدين والمسلمين انتصروا على الكفار وقتلوهم ومزقوهم في أطراف الحبشة وما كانت الغلبة بعد ذلك في حياة الشيخ إلا للمسلمين والحمد لله رب العالمين.

الكرامة التاسعة والثمانون بعد المائتين:

أخبرنا الشيخ الصالح إبراهيم الأكوع أنه حضر مع شيخنا سماعًا فسمع القوَّال يقول:

ربة البغل طاق المكتب ساخات لَعِبَتْ بالعُقُولِ السَّلِيمَةِ سَاعَات

فحصل عليه حال فوقع على الأرض فاجتمع عليه جماعة ليرفعوه عن الأرض فما قدروا أن يحركوا عضوًا من أعضائه فقال الشيخ أحمد الرداد للقوَّال: أعد قولك فأعاد فتحرك الشيخ وقام، وقال: ما رأيتموه كان من صفة العظمة والعظمة لا تطاق.

الكرامة التسعون بعد المائتين:

وأخبرنا أيضًا أنه حضر مع شيخنا -قدس الله سره- سماعًا في محل المحانبة فسمع بعض القول فبكى، فبكى الفقراء وبكى الحاضرون وبكى أهل القرية ومن كان قد نام استيقظ يبكي ولا سمعوا السماع ولا يعرفون ما أبكاهم.

فقال الشيخ: حصلت رحمة فخصت الفقراء ثم خصت أهل السماع ثم عمت أهل القرية ولمثل هذه الساعة يقصد الجمع في السماع.

الكرامة الحادية والتسعون بعد المائتين:

وأخبرنا أيضًا شيخنا أحمد الرداد أخبره أن الشيخ محمد المزجاجي قال للشيخ: إن أمير البلد أخذ لهم جملاً.

فقال: الجمل ما تدركه معهم ومشى إلى بيت الأمير ونحن معه فجئنا وقد حملوا على الجمل بعض حمولات الدولة إلى بعض الأماكن فرجعنا ومررنا ببيت بعض الأصحاب فقلت في نفسي لو دخل الشيخ بيت فلان وسأل لنا منه شيئًا نأكله وكنت جائعًا وقلت في نفسي: ويكون خبزًا وسمنًا وعسلاً فدعا صاحب البيت فقال أهله إنه خرج فقال الشيخ: بل هو هناك ودخل وكان الرجل دخل ولم يره أهله فقال للرجل: خذ لهذا -وأشار إليّ- خبزًا وسمنًا وعسلاً قال إبراهيم الأكوع قال الشيخ أحمد: فجمعت هذه الحكاية ثلاثة كشوفات قوله: لم تدرك الجمل وعلمه بما خطر ببالي، وعلمه بكون صاحب البيت في البيت بعد قول أهله ما هو هنا.

الكرامة الثانية والتسعون بعد المائتين:

أخبرنا الأخ الصالح الزاهد العابد الولي جمال الدين محمد المرشدي بن أبي بكر المصري المكي نفع الله به قال كل ما نحن فيه من الخير فمن بركة الشيخ، وقال إنه جاء إلى زبيد وهو شاب فقير لا يملك شيئًا وكان يسأل عن الحج والزيارة ولم يكن قد زار، وأما الحج فقد حج كثيرًا لكونه من أهل مكة قال: فانكسر قلبي لعدم الزيارة وحرك ذلك كثرة سؤالي عن الزيارة فأكثر التوسل إلى الله سبحانه بالشيخ في حصول الزيارة فقال له الشيخ: تزور هذه السنة وتزور معنا فتعجب من قول الشيخ: تزور معنا، قال: فرأيت رسول الله ﷺ على أكمل هيئة ورأيت الشيخ وأصحابه كلهم حافين برسول الله ﷺ فقال لي الشيخ: زرت معنا ثم سافرت إلى مكة فعزم القاضي أبو الفضل النويري ومعه أخي محمد فركبا فمال القاضي بأخي فقال لي إن كنت تحب أن تزور اركب معنا فركبت معهم، فحصلت لي الزيارة في تلك السنة التي قال الشيخ وفتح الله عليه باب الزيارة والعون عليها فهو يزور كل سنة ماشيًا على قدميه ملاطفًا في ذلك ويزور معه جمع من المجردين والفقراء ويكون هو القائم بأمر مؤنتهم في الطريق، وصار له وجه عند العرب وأهل المنازل يقرضونه إلى أن يفتح الله عليه بالقضاء ويهبون له وهو إلى الآن على ذلك أتم الله نعمته عليه.

الكرامة الثالثة والتسعون بعد المائتين:

وأخبرنا أيضًا أنه حصل به مرض وضعف شديد فجاءه الشيخ، وقال له: الليلة تتعافى.

قال: وكانوا أهلي يدهنونني بدهن كل ليلة فجاؤوا تلك الليلة ليفعلوا ما كانوا يفعلونه كل ليلة فقلت لا تفعلوا شيئًا فقد قال لي الشيخ: «الليلة تتعافى» فعوفيت تلك الليلة ولم يصبح بي شيء من الوجع ولا من الضعف.

الكرامة الرابعة والتسعون بعد المائتين:

أخبرنا المريد الصادق الصالح حسين الحلوي خادم تربة شيخنا -قدس الله سره- أن محمد بن الشمس وإسماعيل بن أبي القاسم كانا قاعدين عند قبر الفقيه الكبير عليّ بن موسى في أيام الغلاء في سنة قميع فذكر ما الناس فيه من الجوع.

فقال محمد بن الشمس: سمعت سيدي الشيخ الكبير إسماعيل يقول من قرأ «يس» أربع مرات على قبر الفقيه عليّ بن موسى لحاجة قضيت حاجته فأخذت إسماعيل بن أبي القاسم سنة فرأى الفقيه علي بن موسى، وصحح الكلام الشيخ وقال له: قل لهم: يقيموا

علم القبة وتنكشف عن الخلق هذه الغمة وكان في رأس القبة شيخنا أبو المعروف -قدس الله سره العزيز- علم من حديد في رأسه كصورة الهلال في قطعة خشب في عقد رأس القبة قد أكلت الأرضية الخشبة وسقط فحكى إسماعيل ما رآه تلك الساعة لشيخنا أحمد الرداد وللشيخ الصديق ابن شيخنا، والجماعة وهم في القبة، فقال: شيخنا أحمد الرداد: وجب الآن إقامته فطلبوا العمار وأقاموه في يومهم فحصل المطر الحسن المَنّي الروي تلك الليلة، وحصل الفرج للمسلمين.

قلت: وقد رأيت شيخنا ﷺ يوصي بكثرة الاجتماع في القبة ويحث على ذلك ويعظم فضل ذلك، والحمد لله رب العالمين.

الكرامة الخامسة والتسعون بعد المائتين:

أخبرنا الشيخ العارف بالله أحمد بن محمد المعبيدي أن شيخنا -قدس الله سره- أمره أن يقرأ شيئًا من علوم الشيخ المحقق محيي الدين بن العربي ليسمعه فقرأ في «بلغة الغواص» في الفصل الذي في معنى كون الحق تعالى كنزًا فأخذ الشيخ حال سكوت وأطراق قال: فقلت: والله ما هذا إلا علم عجيب عظيم فرفع الشيخ ﷺ رأسه وقال بلسان حال وجود وإشراق بهجة نور وشهود والله ما علموا ما علمت ولا شهدوا ما شهدت والله ما وجدوا ما وجدت وأقبل عليَّ وقد ظهرت عليه جلالة عظمية فتضاءلت من هيبته وقمت أمشي على ورائي وهو يتبعني ويدنو مني وهو يقول مقالته: «والله ما علموا ما علمت، والله ما شهدوا ما شهدت، والله ما وجدوا ما وجدت»؛ ففنيت في كلامه عن جميع حظوظي ولم يقع مني التفات ولا توجه إلى شيء قط ثم سكن حاله وسكت.

الكرامة السادسة والتسعون بعد المائتين:

وأخبرنا أيضًا أن الأمير غياث الدين عيسى بن حسان سأل منه الصحبة والسفر إلى ثغر وكان يعتاد منه ذلك وكان شيخنا -قدس الله روحه- يندب معه في أسفاره بعض خواص أصحابه ولا يخليه عن أحد منهم من شديد محبته ورعايته له وكنت ممن ندبني معه مرة فرأيت منه مكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال وتعظيم أصحاب الشيخ والتواضع لهم ورؤية من صحبه منهم بعين رويته للشيخ -رحمه الله.

قال المعبيدي: فاعتذرت عن السفر معه في تلك المرة.

قال: فأخبرني الأمير أنه لما فارقته وفارقته الجماعة المودعون بقي الشيخ معه مضجعًا على سرير وكان الأمير وأهل بيته وحواريه يعبون حوائج السفر ففقدوا فردة

حجل ذهب.

قال الأمير: فوقع في نفسي أن هذا الحجل لم يضع وإنما انستر ضرب به مثل لتخلف هذا الصاحب عن السفر معنا وكان هذا في نفسي فبنفس وقوع هذا الخاطر قال لي الشيخ ومكانه بعيد منا: فهمت مليح، فهمت مليح مشيرًا إلى ما وقع في خاطري وبنفس تم كلام الشيخ وإذا الحجل بين أعيننا كأنه لم ينستر.

الكرامة السابعة والتسعون بعد المائتين:

وأخبرنا أيضًا زاده الله من فضله أنه دخل مع شيخنا ﷺ بيت الأمير غياث الدين عيسى بن محمد حسان ودخل به بأذهج المجلس وأمره بتقفيل الباب وتحدث معه في ولده الشيخ الصديق وأن له في علوم الحقائق ذوقًا ومعرفة.

قال: ثم اضطجع الشيخ وكان جالسًا وإذا أنا أشهد الأرض كلها شرقها وغربها وشامها ويمنها مبسوطة لا أرى فيها عوجًا ولا أمتي و أرى قدم الشيخ مغطى عليها كلها لا يفصل منها شيء عن قدمه وقدمه على صورته المعروفة فلما تحققت شهود ذلك قعد وشرع في حديث ﷺ.

الكرامة الثامنة والتسعون بعد المائتين:

وأخبرنا أيضًا أنه كان مع الشيخ –قدس الله سره العزيز– في جمع من الفقراء في بيت الأمير غياث الدين –رحمه الله– وقوال يُسمِعَهم.

قال: ففتح عليَّ في باطني وأسمع فتارة كنت أفهم معاني تنـــزلات الحق، وتارة أفهم ترقيات العبد إلى حضرة الحق ولم يظهر عليَّ من حالي أثر ولا حركة فقال سيدي الشيخ: يا أحمد وأشار إليّ أيهما أخص التنـــزيلات أم الترقيات.

الكرامة التاسعة والتسعون بعد المائتين:

وأخبرنا شيخنا رضي الدين قال سمعت الشيخ في سماع يقول: «يا رب وحدي يا رب وحدي، ثم قال ومن على من بائس ولي فيه معارف لا يعرفها إلا أنا اللهم اجعلني وارثًا موروثًا».

الكرامة الثلاثمائة:

وأخبرنا المعبيدي قال: ومن مراقبة الشيخ أحوال مريديه واطلاعه عليها أني حصل بيني وبين امرأتي ليلة وحشة عظيمة فمضيت إلى مكان وأمور محظورة على الفقير مما يكدر القلب ويشوش الخاطر وطالت الليلة على ذلك فلما أصبحت مر عليَّ سيدي الشيخ إبراهيم بن مريفد –رحمه الله ونفع به– فدعاني من البيت فخرجت إليه فقال: أعجبك

بعجيب فقلت: وكيف ذلك؟ قال: كنت في مسجد الشيخ، والشيخ نائم على قعادة وأنا مضطجع على قعادة أخرى فاستيقظ الشيخ، وهو يقول: «عجب يا أحمد يا معيبدي ما أنت فيه في هذا الوقت» ثم نام ما شاء الله ثم استيقظ، وقال: «الله، الله ما هذا الحال الذي أنت فيه يا أحمد معيبدي» ثم نام ما شاء الله ثم استيقظ فدعا لك، وقال: «لاطفك الله يا أحمد»، أو كما قال ثم تكرر تفرغ سيدي الشيخ ولهجه بذكرك طول ليلته فما كانت ليلتك هذه فأخبرته.

الكرامة الأولى بعد الثلاثمائة:

وأخبرنا أيضًا زاده الله من فضله أنه كان جالسًا هو والشيخ الصالح جمال الدين محمد بن الشيخ طلحة على باب رباطهم فمر عليهما شيخنا ﷺ فقام إليه وقبل صدره ويده.

قال: فلما جاوزنا الشيخ قال لي الشيخ محمد بن طلحة: يا فلان الشيخ إسماعيل رجل كبير ولايته محققة وأعجبك إن كنت مزوجًا بامرأة في السر فراقبت أهلي ليلة حتى ناموا وخرجت نصف الليل أو بعد ذلك أريد تلك الزوجة فلما وصلت إلى الخان إلى دكته الشرقي ظهر شخص أسود من الأرض ملاصقًا للركن وامتد إلى فوق حتى زاد على مساحة الخان ففنيت عن نفسي من فرط الخوف وذهبت قدرتي على المشي، وكاد عقلي يذهب وإذا الشيخ إسماعيل جاءني مسرعًا وهو يدق الأرض بعصاه ويذكر الله فلما دنا تضاءل ذلك الشخص وأخذ في الانخفاض والاختفاء حتى كأنه لم يكن، فسلم الشيخ عليّ وقبلت يده ومشى معي إلى بيتي وقال: كان الله معك.

الكرامة الثانية بعد الثلاثمائة:

وأخبرنا الشيخ الصالح جمال الدين المرشدي الشافعي أنه جاء هو وأخوه محمد إلى شيخنا أبي المعروف -قدس الله سره- يودعانه عند سفرهما إلى مكة المشرفة فقال أخوه محمد يا سيدي اجعل خاطرك معنا إذا نابتنا نائبة.

فقال الشيخ: قال لي الفقيه أبو بكر بن محمد يعني ابن أبي حربة: إذا نابتك نائبة فقل: يا رسول الله، يا محمد بن يعقوب، يا أبا بكر بن محمد، وأنتم قولوا: إذا نابتكم نائبة يا رسول الله، يا محمد بن يعقوب، يا أبا بكر بن محمد، يا إسماعيل.

وأخبرنا الولد النجيب الحبيب في الله الصادق الصالح جمال الدين محمد المطيب بن أبي القاسم -طيب الله حاله- وقاله وحلف بالله أنه ما نابته نائبة منذ سمعها من المرشدي فقال بها إلا فرج الله تلك النائبة ولا أصابته نائبة إلا إذا نسي أن يقولها.

الكرامة الثالثة بعد الثلاثمائة:

أخبرنا الشيخ النجيب الموهوب المحبوب الملحوظ إسماعيل ابن شيخنا رضي الدين ابن شيخنا الأكبر -قدس الله سره- أنه سمع أباه غيره مرة يقول: فعل بعض غلمان الدولة شيئًا أغضب السلطان الملك الأشرف -رحمه الله- غضبًا شديدًا فأمر بسجنه ليلاً إلى الصبح ويشنق ولا يراجع في أمره البتة، وأجمع على ذلك قطعًا وشاع الأمر بذلك فجاءت أمه إلى الشيخ والتزمته وبكت واحترقت وحلفت بالله ما تعرف ولدها إلا من الشيخ فخرج الشيخ إلى المسجد وكان يمشي من طرف المسجد إلى طرفه الآخر مرارًا كثيرة فقال: لها قد محي ولدك من اللوح المحفوظ فزاد بها الأمر، وكادت تموت وبقي الشيخ على ذلك ما شاء الله فإذا هو قد قرأ: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: 39]، وقال للجماعة: بشروها بسلامة ولدها فلما استبان الصبح أمر السلطان بإطلاقه.

الكرامة الرابعة بعد الثلاثمائة:

أخبرنا شيخنا أحمد والشيخ محمد المزجاجي والشيخ إبراهيم الأكوع نفع الله بهم أنهم كانوا مع شيخنا الأكبر ﷺ في شعب الوادي فيه مضارب قصب فتذاكروا فقال إبراهيم الأكوع في الكنه والإحاطة فحصل على الشيخ حال فتغير لونه وتركز شعر رأسه حتى قامت كل شعرة وحدها وطالت رقبته حتى صارت ذراعًا أو قريبًا من ذراع، وجرى جريًا عظيمًا على مضارب القصب وجروا بعده فلم يلحقوه، وبكى بكاءً شديدًا وبكوا لبكائه، انتهت روايتهم.

وسمعته يقول: ورد عليَّ وأنا يومئذ دون القلتين أن الله يتعرف حتى لا يبقى إلا ما استأثر به، حكى لي ببعض هذه الحكاية ﷺ.

الكرامة الخامسة بعد الثلاثمائة:

وكنت معه في بعض مجالسه وحضراته المحضورة عند قبر ولده محمد المعروف في جمع عظيم وحضر معنا رجل غريب فالتفت إليه الشيخ وتكلم عن سره وعلى ما هو عليه من سوء العقيدة والمذهب وفساد الطوية فارتعد الرجل وأظهر التوبة، فقال له الشيخ: لا تخف فالعارف من يتخلق بأخلاق الله تعالى مع كل أحد فبان أن ذلك الرجل من أهل مشهد العراق الروافض وكان لا يظهر ذلك عليه.

وسمعته ﷺ يقول: كنت ذات ليلة في السماع فأحسست بيد وقعت بين كتفي فسرت

البرودة إلى قلبي فعرفت معنى الحديث، يعني قول رسول الله ﷺ: «إن الله ضرب بيده بين كتفي فوجدت برد أنامله بين ثديي؛ فعلمت علم الأولين والآخرين»[1]؛ فهذه الواقعة من أعظم الكرامات فإن من إرث جوامع المعجزات.

الكرامة السادسة بعد الثلاثمائة:

وسمعته -قدس الله سره- يقول: لم ننشأ على الخلوة والصيام والقيام وإنما نشأنا على الولع بالله واستقامة القلب معه، فكنت أجد قلبي مستقيمًا فإذا حصل عليه شيء من الخواطر أحسه يسقط حتى أني كنت أقبض عليه بيدي وأقيمه.

قلت: الإحساس باستقامة القلب مع الله لا يخطر به سواه من خوارق العادات وشوارق الكرامات.

الكرامة السابعة بعد الثلاثمائة:

أخبرنا الشيخ الصالح برهان الدين إبراهيم الأكوع نفع الله به قال: حضرت مع الشيخ سماعًا في القرشية فسمعت قولاً فيه أوصاف مختلفة، فكان يتلون بكل لون ووصف ذكر في ذلك القول، وقال: والله ما سمع معي فيما أسمع أحد.

الكرامة الثامنة بعد الثلاثمائة:

أخبرنا الشيخ الكبير بكر الرعيني رحمه الله قال: سمعت الشيخ في سماع يقول: أنا تاج العارفين أنا كليمي أنا موسوي أنا يحيوي أنا عيسوي من يرثني من يرثني.

وفي رواية لأبي القاسم الحليف: أنه سمع شيخنا في سماع يقول: أنا موسوي، ثم قال: من هو أنا لولا أن الله قال: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾ [طه:13].

قلت: كان بكر الرعيني من كبار الطبقة الأولى من أصحاب شيخنا بعد إلى أن كان محمديًا -رحمه الله.

الكرامة التاسعة بعد الثلاثمائة:

أخبرنا شيخنا رضي الدين -رحمه الله- أنه سمع أباه يقول: أين أنا والله ما أعرف نفسي ولا أعرف أنا، وأنا أطلب نفسي ما وجدتها ما ثَمَّ إلا الله.

الكرامة العاشرة بعد الثلاثمائة:

أخبرنا الشيخ الصالح أبو القاسم الأمين أنه سمع شيخنا ؓ يقول: وقفت سبع سنين لا يحجب عني شيء أرى جميع أحوال الناس وما يدخرون في بيوتهم فتعبت من ذلك

---

(1) رواه الترمذي (3549).

فنقلت إلى مقام التوسم.

قال: فقلت له: ما التوسم؟ فقال: إذا رأى أحد رأى ما في قلبه وهذا أتم لأن الكشف يتعلق بالظواهر والتوسم بالبواطن والقلوب.

قلت: التوسم هو الفراسة قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: 75]، من السمة وهي العلامة ولا يخطئ أبدًا وهي الفراسة، وهي كما قال المحققون من أهل الله نور إلهي في عين بصيرة المؤمن يرى به ما كان وما سيكون ويعلم معرفة السعيد والشقي ومعرفة أثرهما في الأرض ويرى به آثار الأعمال الصالحة وغيرها من وجوه العاملين وفي الأعضاء التي يكون بها العمل وفي أي زمان ومكان وهو كان مقام عثمان ﷺ دخل عليه رجل وكان قد أرسل نظره فيما لا يحل له فلما وقعت عين عثمان ﷺ قال: سبحان الله ما بال رجال لا يغضون أبصارهم عن محارم الله فقال له الرجل: أوحي بعد رسول الله ﷺ؟ فقال: لا، ولكنها فراسة ألم تسمع إلى قول رسول الله ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»[1] وعندما دخلت عليَّ رأيت ذلك في عينيك وأضيف نور الفراسة إلى الله تعالى الذي هو الاسم الجامع لأحكام الأسماء لأنه يكشف المحمود والمذموم وحركات السعادة في الآخرة والشقاء والخيرات والشرور الواقعة في الدنيا والآخرة والمذام والمحامد ومواد كل شيء ومده من الأسماء والأرواح العلوية ويفرق بين الأحكام الشرعية ولا يرى المكاشف بهذا النور إلا ما يريد الله أن يطلعه عليه في وقت ما وأما داومه فحجاب وشغل عن طلب الله وهكذا كل مقام حجاب عما هو أعلى منه وإلى هذا أشار شيخنا أبو المعروف عرف الله من عوارفه بقوله: فتعبت من ذلك الكشف الذي حبسه وحجبه.

الكرامة الحادية عشرة بعد الثلاثمائة:

أخبرنا الأخ الصالح محمد بن الشمس أحد إخواننا الصالحين أنه زار المقابر يومًا مع شيخنا -قدس الله روحه- فقال له أعرفك أن أصحابي لا يذوقون وحدة النفس بل يكونون مأنوسين في البرزخ ومن دفن في مقبرة ولدي المعروف لا يرى منكرًا ولا نكيرًا.

الكرامة الثانية عشرة بعد الثلاثمائة:

وأخبرنا أيضًا أنه وجد وحشة في قلبه من الفقراء لكلام بلغة عن أحدهم فشكا على الشيخ ذلك فطلب الشيخ ماء فشرب قليلاً وأعطاه الفضلة فزال جميع ما يجده من الوحشة.

---

(1) رواه الترمذي (3052).

الكرامة الثالثة عشرة بعد الثلاثمائة:

وأخبرنا أيضًا أنه غاب عن مجلس أول ليلة من شهر رمضان لم يحضره من مجالس الشيخ وكانت مجالس رمضان عظيمة يجتمع لها جموع كثيرة من الفقراء وغيرهم عليها جلالة وهيبة ونور للقلوب فيها أنس وحضور ولها روح وروح يقرأ في المجلس منها كل ليلة بنيف وعشرين ختمة على الشموع الكبار الكبيرة المصفوفة على الدانات والناس حولها.

وأما من سورة «يس»، «وقل هو الله أحد» والصلاة على رسول الله ﷺ فالوف عديدة ويهدون ثواب ذلك لموتى المسلمين ويقومون إلى صلاة العشاء والتراويح ويحضر أحسن أهل البلد صوتًا وقراءة ويأخذ كل واحد منهم حصة التشفيع، ثم بعد صلاة التراويح يقرؤون «يس» ثم يقومون إلى الوتر ثم يجتمعون بعد القراءة «يس»، وقد يحصل بل في غالب الأمر سماع بشيء من مدح النبي ﷺ فيحصل في الوقت رقة وخشوع ورحمة ويظهر على الشيخ -قدس الله سره- وعلى أصحابه وبعض من يحضر من المعلمة أحوال ويأخذ المجلس كل ليلة من الليل أكثر.

قال محمد بن الشمس: فخرجت الصبح مع الجماعة إلى تربة الشيخ محمد المعروف فقال لي الشيخ: أين كنت عن حضور المجلس هذه الليلة؟ فقلت له: نمت فقال: يا ولدي هذا شهر رمضان المعظم لا ينبغي فيه النوم فلا تتأخر عن حضور المجالس، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء:90]، لا تتأخر عن المجالس، ثم لما دخلنا من المقابر ودخل بيته وخرج ثم دخل بيت أحد أصحابه وأنا معه فأدناني وأخذ معصمي، بيده وقال لي: أين كنت هذه الليلة؟ فقلت: كنت نائمًا فقال: أخبرك أني أعلم الظاهر والباطن ما كنت أنت وفلانة امرأة تزوجتها هل تظن فيما تفعل؟ فقلت: يا سيدي تبت إلى الله تعالى فأقبل عليَّ بوجهه بشاشة وأنسًا وقال: يا ولدي إذا شئت تكون الأشياء محفوظة عليك فلا تتأخر عن المجالس فالليل فيه اتساع احضر مع إخوانك وارجع إلى ما تحب.

الكرامة الرابعة عشرة بعد الثلاثمائة:

وأخبرنا أيضًا أن صهرته كان بها حمى شديدة ودامت بها فأخبر الشيخ بذلك فقال له: تحب حياتها أو موتها؟ فقال: حياتها فقال له الشيخ: من الناس من يكون له في موت صهرته نفع، قال: لا أحب إلا حياتها، قال: فقال لي: رح والزم بمعصمها وقل يا حمى قال لكِ الشيخ روحي، ففعلت فوالله ما حللت يدي من يدها إلا وقد زالت الحمى

فسألني الشيخ عنها في اليوم الثاني فأخبرته أنها عوفيت للفور ولكنها لا تأكل فأخرج من فيه عرق خولجان وقال: قل لها تمتص هذا فما وضعته في فمها إلا وطلبت الأكل وشكت الجوع فالتمسوا لها أشياء توافق حالها فلم يجدوا فقالت: أطعموني ما كان فأطعموها لحومًا وقطبيًا.

وبعد أربعة أشهر حصل منها أذى كثير تريد طلاق ابنتها وجاءت إلى الشيخ لذلك.

فقال الشيخ: ما تقول؟ فقلت في سري: الأمر إليك ما علمت لي فيه الخير فعلته. فقال: منعت هوى نفسي، ولو بلغت حزنًا أطلقها، قلت: في هذه الكرامة كرامات.

الكرامة الخامسة عشرة بعد الثلاثمائة:

وأخبرنا أيضًا أنه سمع الشيخ وذكروا أن المال يفرق قلوب الفقراء ويمنعهم ملازمة إخوانهم وحضور حضراتهم، وقال الشيخ: هذا وأشار إليه لو يقع له مائة دينار ما جاء إلى المسجد.

قال: فقلت له: ما يمنعني عن الجماعة إلا اشتغال قلبي بالقبض وعدم حصول القوت فإذا حصل لي شيء لا أفارق الجماعة.

فقال الشيخ: آلله فما أمسيت تلك الليلة حتى حصل لي مائة دينار من غير سؤال.

الكرامة السادسة عشرة بعد الثلاثمائة:

وأخبرنا أيضًا أنه قال للشيخ ﷺ يومًا أحب تقف على قبر أمي وكان الشيخ حينئذ مارًا بالقرب منه فوقف علي قبر أبيه طويلاً ساكتًا ثم قرأ هو ومن معه «يس» ثم التفت إلي الشيخ أحمد الرداد، وقال له: قد يسعد الله الوالد بالولد وماتت أمه قبل أن يقدر لها الاجتماع بالشيخ.

قال: فأسفت لها فرأيتها في النوم تقول لي يا ولدي لا تظن أني في القبر الذي دفنت فيه إني مع الشيخ في القبة.

قلت: هذه الحكاية ناطقة بما أكرم الله به شيخنا -قدس الله سره- في أصحابه ووالديهم وسعادتهم وأن من مات إذا دفن أينما يدفن فهو عند الشيخ في البرزخ والحمد لله رب العالمين.

الكرامة السابعة عشرة بعد الثلاثمائة:

وأخبرنا أيضًا أنه أراد السفر إلى مكة والمدينة وأن امرأة من صواحب امرأته ذات قدر وقدرة ورياسة سألته الصحبة في السفر ومعها أمها وجواريها فجاء إلى شيخنا ﷺ

يروي له وسأل منه أشياء كثيرة مما تطرأ مصلحة المسافر مما يطلب ومما يخاف.

قال: فما سألته شيئًا إلا قال ولك ذلك وذكر له حديث المرأة وصحبتها في السفر، فقال له الشيخ: تزوجها فقال لا أقدر على ذلك لغناها وعلو قدرها، فقال له: تحب زواجها فقال: نعم.

قال: لا بأس في أول مرحلة بدأته هي بالزواج فتزوجها من حاكم تلك البلد لكون وليها غائبًا بمكة وسافروا فحدثت حوادث في السفر من المخوفات والمطلوبات فما حدث مخوف قط إلا حصل الفرج منه قبل وقوعه ولا سألوا شيئًا إلا حصل ذاهبين إلى مكة والمدينة وآيبين إلى زبيد برًا وبحرًا ومما حدث عليهم في البحر في بطن المخلاف المشهور نوء عظيم عاصف فانكسر دقل المركب وأشرفوا على الغرق وكانوا في وقت الظهر فاستغاثوا بالشيخ قال فرأيته يقظة معنا في المركب قائمًا بين الناس في ثوب واحد فانقطع النوء وسكن الريح فأصلحوا الدقل والشيخ قائم وأنا أنظره فلما تم عملهم احتجب عني.

الكرامة الثامنة عشرة بعد الثلاثمائة:

وأخبرنا أيضًا أن امرأته كانت حاملاً فحصل بها وجع، فانطلقت بالدم حتى أشرفت على الموت فذهب إلى الشيخ ليشكو عليه حالها وقنع في نفسه بحالها وإن مات الولد ذكرًا كان أو أُنثى.

قال: فلما ذكرت له أمرها ولم أذكر أمر الولد قال: ما عليها إلا خير والولد ذكر ويعيش، فكان كما قال.

الكرامة التاسعة عشرة بعد الثلاثمائة:

وأخبرنا أيضًا أن شيخنا رحمنا الله به قال له في أثناء قصة طويلة لبعض الأمراء: اعلم أننا نحن في هذا الزمان نواب رسول الله ﷺ فلا يريد لأمته إلا الخير، والله أعلم.

وصلى الله على سيدنا محمد،

وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

قسم المبشرات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: 42]، البشرى في الحياة الدنيا هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو تُرى له.

فصل

ومما لشيخنا أبي المعروف من الكرامات ما هو بالمرائي الصالحة المبشرات، وهذا القسم لا يكاد كثير من الناس يرفع به رأسًا ولا يعده شيئًا ولا يقع هذا إلا من ناقص العلم وممن لا يعرف شأن الأرواح ولا حكم العوالم، وتراه ينكر على الأحاديث النبوية في فضل الرؤيا الصالحة ولا يتنبه لخفي إشارتها، ولا لجلي عبارتها، فسواء برؤيته لها، وعلمه بها رؤية أعمى وعلم أكمه.

وما جاء فيها من الأحاديث مما أخبرنا به شيخنا أبو المعروف -رحمه الله- فيما يرويه عن البخاري بسنده المثبت في مقدمة الكتاب بسند البخاري إلى عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي: الرؤيا الصالحة، يراها في النوم»[1]

قلت: فالرؤيا على هذه الرواية وحي.

قال شيخ المحققين محيي الدين: مبادئ الوحي النبوي إنما هي المبشرات، وهي التي بقيت في الأمة بعد انقطاع النبوة فتخيل من لا علم له بالأمر على ما هو عليه أن ذلك نقص في حق هذه الأمة، وليس الأمر كما ظنه من لا علم له بتقسيم الوحي فإن وحي المبشرات هو الوحي الأعم الذي يكون من الحق إلى العبد فأبقى الله على هذه الأمة أول الوحي الذي لا يخطئ أبدًا، فإذا عرفت قدر ما نبهتك عليه علمت عناية الله بهذه الأمة فيما أبقى الله عليها من النبوة وهي زبدة مخضتها.

وقال الإمام محيي الدين النواوي - رحمه الله - : قال بعض العلماء كان ﷺ ستة

---

(1) رواه البخاري (3)، ومسلم (231).

أشهر يرى في المنام الوحي.

وأخبرنا أيضًا شيخنا ﷺ بالسند إلى البخاري بسنده إلى عبادة بن الصامت ﷺ قال: «رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة»[1].

وفي رواية للبخاري: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات قالوا: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة»[2].

قلت: وهي على هاتين الروايتين نبوة.

وقال الشيخ محيي الدين بن عربي: كان رسول الله ﷺ إذا أصبح في أصحابه يسألهم: «هل رأى أحدٌ منكم رؤيا؟»[3]؛ لأنها نبوة وكان يحب أن يشهدها في أمته، والناس اليوم في عماية من الجهل بهذه المرتبة التي كان رسول الله ﷺ يعتني بها ويسأل عنها كل يوم، والجهلاء في هذا الزمان إذا سمعوا بأمر وقع في النوم لم يرفعوا به رأسًا.

وقال الإمام أبو عبد الله الترمذي الحكيم إنه جاء عن رسول الله ﷺ قال: «إن رؤيا العبد المؤمن كلام الرب يكلمه في منامه».

قال: فإذا كانت البشرى كائنة على روحه في منامه فكائنة البشرى على قلبه في اليقظة، فإنه خزانة الله تعالى.

وقد ورد أن رسول الله ﷺ قال: «من لم يؤمن بالرؤيا الصادقة لم يؤمن بالله تعالى ولا باليوم الآخر».

قلت: وأما رؤية النبي ﷺ؛ فإنها من أكرم الكرامات، وما أخذ عنه ﷺ في المنام فهو حق.

وقد أورد مسلم عنه ﷺ أنه قال: «من رآني في المنام فقد رآني؛ فإن الشيطان لا يتمثل بي»[4].

وقال القاضي أبو بكر الباقلاني: المراد إذا رآه على صفته المعروفة له في حياته فإن رآه على خلافها كانت رؤيا تأويل لا رؤيا حقيقة.

قال الإمام محيي الدين النواوي: وهذا الذي قاله القاضي ضعيف بل الصحيح أنه

---

(1) رواه البخاري (6472)، ومسلم (4200).

(2) رواه البخاري (6475).

(3) رواه البخاري (1275)، ومسلم (4220).

(4) سبق تخريجه.

يراه حقيقة سواء كان على صفته المعروفة أو غيرها، كما قاله الماوردي.

وقال بعض العلماء: خصَّ الله النبي ﷺ بأن رؤية الناس إياه صحيحة، وكلها صدق، ومنع الشيطان أن يتصور في خلقته لئلا يكذب على لسانه في النوم. قلت: وكان شيخنا أبو المعروف - قدس الله سره العزيز الشريف - يقول لأصحابه كثيرًا إذا أصبح: هل رأى أحد منكم رؤيا؟ ويقول لمن رأى رؤيا قبل أن يحكيها لأحد: احكِ لنا ما رأيت الليلة، كان يذكره ما نسي منها، ويقول لمن قال رأيت رؤيا خيرًا: إن رأيت خيرًا يكون خيرًا لنا، وشرًّا لأعدائنا، المؤمن يسير ولا يغير.

فصل مهم

للتنبيه قاعدة مهمة يبتني عليها قواعد المرائي الصالحات

ولا يمضي عمر الرائي وما يراه صورًا لما هو عليه وهمًا وخيالات.

اعلم أن عالم المثال وهو عالم النوم عالم عظيم فسيح، وحكم ما يري فيه حكم صحيح حق هو حق ما تصور فيه، يظهر للإنسان آثار تعلقاته وعلومه ومعاملاته، وما هو عليه من الاستقامة والاعوجاج، واعتدال الطبيعة، والمزاج وجمعية الأمر على أمر محمود أو مذموم أو تفرقته فيما لا حاصل تحته ولا معلوم، وهذا العالم مرآة لما هو عليه الإنسان ويجعل المعاني صورًا مشهودة للعيان، وبينه وبين عالم الحس تصور في عالم المثال غالبًا بل قد لا يكون إلا هو، وهذا مما يفوت فوائد الرؤيا، ويحجب عن فتوحاتها فينبغي للإنسان ألاَّ ينام إلا وهو خاليًا فارغًا صافيًا عن الفكر والخواطر والتعلقات ليطلع على الحقائق المغيبات، وما له من الزيادات والترقيات، وإلى هذا أشار الشيوخ المحققون.

قال العارف المحقق صدر الدين القونوي الرومي في كلام طويل في أحكام عالم المثال: ولأخر أنفاس اليقظة التي يتلوها النوم سلطنة قوية بحسب ما كان الناظر به حينئذ معمورًا فإن لم يكن معمورًا بشيء وخاليًا بالكلية من الخواطر والتعلقات كان ذلك سببًا معينًا في مزيد الاطلاع وصحة ارتسام ما اطّلع عليه النائم في نفسه انتهى كلامه.

البشرى الأولى:

سمعت شيخنا أبا المعروف أعاد الله علينا من بركاته يقول: رأى بعض الأصحاب النبي ﷺ فقال له: يا سيدي يا رسول الله، الفقيه أبو بكر ما حاله؟ فقال: من الفقيه أبو بكر؟ فقال: أبو بكر بن محمد أبي حربة، فقال: فروعي، فقال: يا سيدي يا رسول الله الفقيه محمد ما حاله، فقال: من الفقيه محمد، فقال: محمد بن عيسى صاحب اللحية، فقال: واصل، فقال: يا سيدي يا رسول الله، الشيخ إسماعيل ما حاله؟ فقال: من الشيخ

إسماعيل؟ فقال: الشيخ إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي، فقال: من المقربين، فقال: يا رسول الله، من الصديقين؟ فقال: من المقربين، فقال: يا رسول الله، بينهما فرق، فقال: نعم بينهما لطيفة فأراد أن يسأل عنها، فقال له: يا رسول الله! اسكت لست تفهمها.

قال شيخنا: فزارنا الشيخ أبا بكر وأخبرته بها فأطرق ساعة، وأذرفت عيناه ثم رفع رأسه وقال: يُروى عن الوالد أنه جيء إليه بشراب فقيل له: أشرب فقال: لا أشرب، فقيل له: أشرب، فقال: لا أشرب، فقيل له: أشرب، فقال: لا أشرب، إنما هو من شراب المقربين قال: ولم يزدني الفقيه على هذا. قلت قال شيخ المحققين محيي الدين بن العربي: مقام القربة بين الصديقية والنبوة، انتهى كلامه.

والفروعي الذي هو ثبتت أصوله، وعلت فروعه، ولا يكون فرع إلا عن أصل، بل لا فائدة لأصل بلا فرع إذ لا تكون الثمرة إلا في الفرع وهذه إشارة صريحة إلى أن الفقيه أبا بكر ﷺ علا مقامه وحاز ثمرة الكمال، وكان هو القطب الغوث، فصارت شجرة مقامه أصلها ثابت في الأرض، البداية على الكتاب والسنة، وفروعها في السماء، سماء حضرة قدس: ﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر:55] ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: 25] تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها بيد مرتبة الغوثية الكبرى فمادة العالم إنما هي مزيدة غوثهما، وكان هو الفقيه ﷺ.

البشرى الثانية:

وسمعته يقول أيضًا: وقع بينه وبين بعض الأصحاب اختلاف في شيء فعلته، فرأى النبي ﷺ يقول له: «إسماعيل مني بمنزلة السمع والبصر، ومنزلة هذا مني وأخذ بجلد عضده».

البشرى الثالثة:

أخبرنا الشيخ الصالح سالم بن حسين بن وكيع بالحج قال: جاءنا رجل جبرتي، ونحن في مسجد الشيخ بعد صلاة المغرب، فقال: أين هو الشيخ؟ فأخذت بيده، وجئت به إلى الشيخ، فسلم عليه واكب على قدميه فجعل الشيخ يده تحت رأسه وبكى ما شاء الله، والشيخ في أثناء البكاء يقول: لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، فرفع رأسه وقال: يا سيدي، أنا كنت في بلادي قاطع الطريق، فوقع في قلبي التوبة، ونويت الحج إلى بيت الله الحرام، وزيارة نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام، ونويت زيارة الصالحين في طريقي، فحججت، وزرت، فرأيت في المدينة النبي ﷺ وأصحابه فجلست بين رجليه، ولزمت ركبتيه، وبكيت وقلت له: يا سيدي، يا رسول الله أنا مذنب، فقال لي: قل لا إله إلا الله،

فقلت له: يا سيدي، يا رسول الله أنا مذنب، فقال: قل لا إله إلا الله، ثم قال لي أنت نويت زيارة الصالحين كلهم؟ فقلت: نعم، فقال: ما زرت؟ فقلت: زرت. قال: ما زرت؟ فقلت قد زرت. فقال: زرت الشيخ إسماعيل؟ فقلت: يا سيدي، لم أعرفه، فقال: هو في زبيد، فقلت: يا سيدي دخلت زبيد المغرب وخرجت منها الصبح، فقال: ارجع إليه وقل له نبيك يقرئك السلام ويقول لك: لا تنسه، فإنه لا ينساك، فبكى الشيخ ثم قال: لا إله إلا الله هي حصني من دخله أمن من عذابي، قال سالم: فتكلمت في معنى لا إله إلا اله بما يخالف مقصد الشيخ فانتهرني الشيخ، فوقع في نفسي ما وقع، فنمت تلك الليلة وفي نفسي ما فيها فرأيت كأني عقدت بزوجة أبي فلمّا خلوت بها وصرنا في ثوب واحد، رأيت أبي قائمًا على رؤوسنا فاستحييت منه، فاستيقظت، فجئت إلى الشيخ فقال: اجلس، فجلست، ولم أكن قد أعلمته برؤياي، فطلب الفقراء، وقال: تعالوا اسمعوا ما رأى الشيخ سالم الليلة، ولكني أقول لكم قبل حرام على المريد أن يتشوف إلى منزلة الشيخ، حرام على المريد أن يتشوف إلى منزلة الشيخ، ثم قال: هات كل ما رأيت، فحكيت له، قلت: هذه كرامة متضمنة كرامات، منها: أن الشيخ مطلعًا على رؤيا هذا الرجل، وعلى قول النبي ﷺ له قل لا إله إلا الله، حين قال له أنا مذنب أي تحصن من ذنبك بحصن لا إله إلا الله، الذي من دخله أمن من عذاب الله، فحين كان الرجل متكئًا على قدمي الشيخ كان الشيخ يقول: لا إله إلا الله، لا إله إلا الله تعريفًا بأنه كان مطلعًا على رؤياه، وأمر له بما أمر النبي ﷺ. ومنها أمر النبي ﷺ الرجل بزيارة الشيخ، ولم يثبت له زيارة من زار من الصالحين حيث لم يزر الشيخ ونفي زيارته ثلاثًا تخصيصًا منه ﷺ للشيخ، وإشارة إلى أن له ما لم يكن لغيره وأنه هو صاحب مرتبة الكمال الذي لا يكمل لأحد أمر إلا منه، ولا لأحد أخذ إلا به، ومنها قوله ﷺ للرجل: «قل له نبيك يقرئك السلام، ويقول له لا تنسه؛ فإنه لا ينساك».

وهذا لا يكون إلا لأهل خصوصيات الحب النبوي، وكمالات الإرث المصطفوي، والقرب المعنوي. ومنها: إطلاعه على ما وقع في نفس سالم من التشوف إلى منزلته وعلى رؤياه وما كان فيها من ضرب المثل له من منزلة الشيخ بزوجة أبيه فكما لا يجوز له زواج زوجة أبيه لا يجوز له التشوف إلى منزلة شيخه أدبًا، وعلى الجملة فالشيخ ؓ كان في العوالم الحسية والمثالية والخيالية والمعنوية، الدنيوية والأخروية علمًا وكونًا على حظ كبير بقدر ما خصه الله به، ومكنه منه فسبحان ذي الفضل العظيم.

البشرى الرابعة:

أخبرنا الشيخ ناصر الدين بن أبي القاسم الحسيني أن بعض المريدين الصادقين أخبره أنه رأى الرسول ﷺ ورأى الشيخ عن يمينه، ويده ﷺ اليمنى في يد الشيخ اليسرى، وهما يمشيان ورأى أبا بكر وعمر ﷺ يمشيان خلفهما، ويد أبي بكر اليمنى في يد عمر اليسرى، قال فسلمت في كف الشيخ الأيمن، فالتفت إليّ وقال: سلم على الفقراء، وقل لهم لا يجبنون عن الله، والتفت رسول الله ﷺ إليّ وقال لي: «وقل للفقراء ينزهون الله، ورسوله عن الغيبة».

قلت: سماع الرائي من رسول الله ﷺ الغيبة بفتح الغين المعجمة ضد الحضور، ويجبنون من الجبن ضد الإقدام.

البشرى الخامسة:

أخبرنا بعض الصادقين قال كنت أنكر على الشيخ إسماعيل، وإذا ذُكر لي وقعت في عرضه في المحافل وأنا بين النائم واليقظان فإذا شخص يقول لي: يا فلان، لو تقوم حتى تكون كالحنية وتصوم حتى تكون كالوتر وأبغضت الشيخ إسماعيل لم تزدد من الله إلا بعدًا، فاستيقظت، وتعوذت من الشيطان، وتفلت عن يساري وعدت في نومي، وإذا الشخص بعينه يقول لي: يا فلان، لو تقوم حتى تكون كالحنية، وتصوم حتى تكونت كالوتر، وأبغضت الشيخ إسماعيل بن إبراهيم لم تزدد من الله إلا بعدًا، فاستيقظت فتعوذت من الشيطان وتفلت عن يساري وعدت في نومي فإذا الشخص بعينه يقول لي: يا فلان، لو تقوم حتى تكون كالحنية وتصوم حتى تكون كالوتر، وأبغضت الشيخ إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي لم تزدد من الله إلا بعدًا، فأصبحت كأنما أمرني، وقد زال عني الشك فيه فعزمت على السفر إلى المهجم، وأنا يومئذ بنخل وادي زبيد فلفت إلى بعض الطريق فلم أشعر إلا وقد رجعت، ولا علمت لرجوعي سببًا ولا موجبًا، فما زلت راجعًا وأنا كالمأخوذ حتى وصلت إلى البيت الذي كنت فيه، وإذا دابة على بابه معها فقيران فعدلت إليهما بغير قصد فسألتهم لمن الدابة؟ فقالا: للشيخ إسماعيل وهو هنا، فقعدت على خشبة هناك أفكر في منامي، فخرج إليّ من البيت رجل وقال لي: قال لك الشيخ أدخل، ولم يكونوا عالمين بمكاني، فدخلت فقام إليّ وسلمت عليه فقال لي: زال عنك الشك واللبس في أمرنا؟ فقلت: نعم يا سيدي، قد أظهر الله لبصيرتي ما حجبه عني في أمرك زمانًا طويلاً، فحكمني وأشار إلى شعر رأسي وقال: قد وهبنا لك هذا إن شئت حلقت، وإن شئت تركت، وقام وخرج ويدي في يده فلما مشينا إلى الدابة ودعته وقلت له: يا سيدي،

أين أجدك؟ فقال: أين ما طلبتني وجدتني، فقال أهل البيت بعضهم لبعض، هل جاء الشيخ لحاجة فلم يجدوا له حاجة غيري.

البشرى السادسة:

سمعت شيخنا الأكبر أبا المعروف - أعلا الله مناره وبسط أنواره — يقول: رأى الصديق كمال الأولين والآخرين مجتمعين على النور يعني كثيب السلطان بظاهر زبيد، قال: فجاء الشيخ، فامتدت إليه الأعناق، وصاروا كلهم ناظرين إليه، وسمعت الناس يقولون: هذا هو، جاء هذا الشيخ إسماعيل، هذا إسماعيل، قال: فعلمت أن بينك وبينهم نسبة أو قال: صلة، قال الشيخ لم يكن بيني وبينهم نسبة أو قال صلة إلا قراءتي لهم القرآن، ودعائي لهم.

البشرى السابعة:

قلت: ورأيت أني في مقابر أصاحبنا الفقراء عند قبر الشيخ محمد المعروف، ابن شيخنا ﷺ فسمعت قائلاً يقول: لا أرى شخصه من الجو، يقول: هذا الموضع روضة من رياض الجنة، وهو مستقر الأموات فاستيقظت وقصصتها على الشيخ فشبهها بالكشف، وقال: هذه ليست رؤيا إنما هي حكاية الحال الذي نحن عليه، ورأيت أيضًا أن نهرًا مبينًا ظاهرًا طرفه في قبر الشيخ محمد المعروف ابن شيخنا وطرفه الآخر في قبر صاحبي الصالح محمد بن عيسى بن محمد بن عمر بن تفاحة الحسيني -رحمه الله.

وقول الشيخ ﷺ: الحال الذي نحن عليه يعني من قراءة القرآن في ذلك المكان لموتى المسلمين بالجموع الكثيرة كل يوم بكرة وأصيلاً يقرؤون القرآن ختمًا ومن سورة يس مائتا وألفًا، ومن قل هو الله أحد كذلك ومن الصلاة على النبي ﷺ كذلك، ويهدون ثواب ذلك لأموات المسلمين، وقد يحصل في آخر المجلس أوقات طيبة إمًا بمذاكرة في علم التوحيد، أو سماع شيء من مدائح النبي ﷺ، أو من مستحسنات القول فتحصل الرحمة والبركات، ومستحسنات الدعوات، ويظهر على الشيخ ﷺ من الأحوال ما يُعرف وما لا يُعرف، ولا يُعبَّــر عنه بوصف، وتكون تلك الأوقات عندنا من المعدودات، وليست من الدنيا بمحسوبات، ولا أزال والله أتأسف عليها ما بقيت، وأتلهف عليها ما حييت.

وفيها أنشد بلسان المقال ما لا يدرك ما كان عليه الحال:

خَلِيلَــيَّ مَــا لِــي مُعِــينٌ سِــوَاكُما   نَــنُوحُ علَــى مَــا فَاتَ مِنْ زَمَنِ الوَصْلِ

وَنَــنْدِبُ أَوْقَــاتَ اللِقَــاءِ فإنَّهـا ... هِــيَ العمْــرُ كُلُّ العُمْرِ مُجْتَمِعُ الشَمْلِ

وإِنْ كَــانَ لاَ يُجـدِي الْبُكَاءُ فما عَلَى ... مُحِــبٍ أَسِــيفٍ إِنْ بَكَــى حَــرَجٍ مثل

خَلِيلِــيَّ قُــولاَ بَــلْ ولاَ حَــرَجَ إِذَا ... قَــضَى ومَــضَى فالبُعْدُ سَيْفُ يَدِ القَتْلِ

رَأَى اللهُ مَــا كُــنَّا علــيهِ ومَــا بِــهِ ... نَعُمْــنَا زمانًــا والــزمانُ بــنا يــسلي

وعـــزَّةُ فِيـــنَا قُـــرَّةُ العَـــيْنِ يَجْتَلِـــي ... بِمَجْـــلاً مُحَـــيَّاهَا الوُجُـــودُ عَلَى الأَصْلِ

ألاَ مَـــا جَلَـــسْنَا حَـــوْلَها فَكَأَنَّـــنا ... بِهـــا نَتَـــراءَى اللهَ قِـــيلَ كَـــذَا قَـــبْلِ

وَكُـــنَّا بِهَـــا مِـــثْلَ المُلُـــوكِ عَلَى عُلاَ ... أَسِـــرَّتِهِم، والقَـــوْلُ يُلْحَـــقُ بالفِعْـــلِ

ولاَ حَــادِثَ نَخْــشَى فَكُــلُّ هُمومِنَا ... بِمحبُوبِـــنا مَجْمُـــوعَةٌ بِــيَدِ الوَصْـــلِ

وحَــضْرَتُها فِــيهَا الأَمَانِــي تَجمَّعَتْ ... ومِــنْهَا عَلَى الأَكْوَانِ فَاضَ حيا الفَاضِلِ

البشرى الثامنة:

أخبرنا الأخ الصالح رضي الدين أبو بكر بن الفقيه أحد خدام الشيخ أنه فكر في الليلة الثانية أو الثالثة من موت الشيخ في خدمة الشيخ وأصحابه من موتى المسلمين بتلاوة القرآن وجعل ثواب قراءتهم مدة حياته لهم، قال: وقلت: كيف يكون الأمر في ثواب ما يقرأ للشيخ بعد وفاته؟ فنمت فرأيت كأني واقفًا عند قبر الشيخ، ورأيت شيئًا أبيض متجسد لا أحسن وصفه يسيل إلى الشيخ كالسيل العرم، ورأيت رجلاً قائمًا عند رأس الشيخ وهو يدفع ذلك الشيء بيده يفيضه على الأموات ففهمت أنه ثواب ما يقرأ من القرآن للشيخ بعد وفاته.

وبمثل ذلك أخبرني الشيخ النجيب إسحاق بن حسين العراقي أنه كان في جماعة يقرؤون القرآن عند قبر الشيخ فأخذته سِنة خفيفة فرأى ثواب القراءة للشيخ ينشر على أموات المسلمين.

قلت: لما كان شيخنا ﷺ خادمًا للمسلمين بقراءة القرآن في مدة حياته أجرى الله له صدقته عليهم بعد وفاته، وهذا من أعظم المواهب، وأكرم المناقب.

البشرى التاسعة:

أخبرنا الشيخ الأجل الصالح حيدر العراقي أنه سمع الشيخ الصالح شهاب الدين أحمد الهندي أحد أصحاب الشيخ جلال الدين البخاري يقول: رأيت الشيخ إسماعيل على سرير

في قبره وعنده جمع وهم يقرؤون يس قال: فقلت له يا سيدي، أنت في القبر كما كنت في الدنيا تقرؤون أنت وأصحابك يس؟ فقال: نعم أنا على حالي مشغول.

قلت: أورد شيخنا الإمام قاضي القضاة بالمدينة المشرفة زين الدين أبو بكر بن الحسين المراغي بما أخبرنا به قراءة من تاريخ المدينة له شواهد على حياة الأنبياء والشهداء حقيقة بأجسادهم لا معنوية، وأنهم في قبورهم يصلون وأنهم يظهرون في الدنيا في أماكن، وأنهم يحجون بعد الموت، وأن الأذان والإقامة سمعا من قبر النبي ﷺ في أوقات الصلاة أيام ترك الأذان في المسجد في أيام الحرة لما خرج الناس ولم يبق إلا سعيد بن المسيب وقف في المسجد وهو الذي سمع ذلك، وأخبر به فإذا كانت الحياة بعد الموت، والعمل في القبر، وفي الدنيا بظهور الأموات جائزًا وقوعه للأنبياء والشهداء جاز للأولياء وقوعه والمؤمنين، وقال: إن البرزخ ينسحب عليه حكم الدنيا في استكثارهم من الأعمال، وزيادة الأجور، وإن المنقطع في الآخرة إنما هو التكليف، قال الإمام ابن برجان في تفسيره في قوله ﷻ: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ أي: في البرزخ، ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 97] أي في الآخرة.

وقال يحيى: حال الموت حتى أن ذلك ليتعدى إلى بقاء الأجسام في دار البلاء، وقد صحت الأخبار عن قوم لم تأكل الأرض أجسادهم ولا الهوام لحومهم، وقال في قوله تعالى: ﴿ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: 154] كذلك المؤمنون والشهداء والعلماء بالله تعالى أحياء وإذا ماتوا صار بهم إلى حياة هي أفضل من هذه، ثم بعد ذلك يصيرهم إلى حياة هي أفضل وأكرم وأجود من الحياتين، والله أعلم.

البشرى العاشرة:

وأخبرنا أيضًا الشيخ الكبير حيدر أنه رأى الشيخ على جبل عالٍ والعالم كله تحته، قال: فقال الشيخ يا حيدر قد وهب الحق لي جميع العالم.

البشرى الحادية عشرة:

وأخبرنا أيضًا أنه رأى الشيخ في مكان، والعالم كله عنده، وعنده أرواح كثيرة وهو يسقي العالم قال: فجئته، فقال لي أنت ما صحبتني بعد، فلا يكفيك الاستسقاء بالقدح فخذ قدحًا، وأعرفك أني أسقي العالم في الآخرة كما أسقيتهم اليوم.

البشرى الثانية عشرة:

أخبرنا بعض شيوخ القدس وقد ورد إلى زبيد ووقف بها مدة أنه رأى على شيخنا

ثوب من صوف فاخر الذي يقل وجوده فأنكر على الشيخ لبسه فرأى رسول الله ﷺ لابسًا ذلك الثوب بعينه وقال له: أنكرت على الشيخ إسماعيل لبس هذا الثوب ها أنا لبسته، والله أعلم.

البشرى الثالثة عشرة:

أخبرنا القاضي العلاَّمة الولي الصالح عز الدين خلاصة العلماء والأولياء المقربين عبد العزيز بن علي بن عبد العزيز النويري المكي القرشي: أنه رأى شيخنا - قدس الله سره - في المنام بالمسجد الحرام وهو يقول والله ما مت وإني لحي أرزق، وإني عند ربي في القبة البيضاء مع النبيين والصديقين والشهداء.

البشرى الرابعة عشرة:

أخبرنا الفقيه العالم المحدث الشيخ الصالح عبد الله بن محمد العبادي اللحجي قال: رأى ابن أخي في النوم أن القيامة قد قامت، والناس في الموقف، وإذا رجل طويل أخضر مقبل وبعده جمع عظيم قال فقيل لي هذا الشيخ إسماعيل وأصحابه فجئت إليه وقلت له: يا سيدي، أنا من أصحابك؟ فقال لي: نعم، فأخذني ورمى بي الجنة، وإذا الأمين شمس الدين بن حسان بين اثنين يريدان به النار فرآه الشيخ فقال لهما: هذا من أصحابي فأخذه ورمى به في الجنة، فوقع عندي.

البشرى الخامسة عشرة:

أخبرنا بعض إخواننا الفقراء الصادقين قال صحب الشيخ رجل مدة، ثم رجع، وخلط فرأى القيامة قامت وجيء به فوزنت حسناته وسيئاته، فرجحت سيئاته فانطلق به إلى النار، فجاء الشيخ إسماعيل وامتنع عليه.

وقال: هذا من أصحابي، فقيل له: أنه قد رجع وخلط، فقال الشيخ: أليس قدْ له مني عقد، فقيل له: أنه خفت موازينه، فقال: أعيدوا الوزن لأنظر، فقيل له: قد فرغ وليس معنا إذن بذلك فاستأذن الشيخ الحق جل جلاله في إعادة الوزن، فزاد الوزن فبدلت سيئاته حسنات فادخل الجنة.

قلت: هذه كرامة تشتمل على كرامات، منها: امتناعه على صاحبه من النار بعد أن أمر به إليها ومنها سؤاله إعادة الوزن بعد أن فرغ منه.

ومنها استئذانه الحق تعالى في إعادة الوزن وأذن الحق تعالى بذلك.

ومنها تبديل سيئات صاحبه حسنات إكرامًا له.

ومنها: وهي أكبرها كونه على بينة من ربه فيما سأل، فسأل هذه الأمور التي فرغ

منها على علم وبينة من حاله مع الله تعالى، إذ لا يجوز ذلك إلا لمن كان كذلك.

ومنها أصلها أن من كان من أصحابه لا يدخل النار إن شاء الله تعالى، والحمد لله رب العالمين.

البشرى السادسة عشرة:

أخبرنا الشيخ الكبير صاحب الإشارات اللطيفة رضي الدين أبو بكر العباصري أنه رأى كأنه عند قبر الفقيه الكبير عليّ بن موسى.

قال: فلمعت لي بارقة منه فرج لي في نور تلك البارقة حتى احترقت العالم كله حتى رأيت الوجود تحتي كالشجرة فرفعت رأسي فرأيت صورة عظيمة كلها نور، رأسها نور، ووجهها نور، وكل شيء منها نور، فرأيتها صورة الشيخ إسماعيل ﷺ، ونفع به آمين.

البشرى السابعة عشرة:

أخبرنا شيخنا جمال المقربين أبو بكر الصديق أنه رأى أصحاب الشيخ كلهم مجتمعين في مسجد الشيخ، قال: ورأيتهم كالنبت من كثرتهم لا يحصى عددهم إلا الله تعالى ورأيت رسول الله ﷺ يمشي بينهم وفي يده عود في رأسه من الزعفران يعلمهم وكل من أعلمه راح الجنة فجاء إليّ رسول الله ﷺ وعَلمُني بتلك العلامة فرحت إلى الجنة والتفت فرأيت بعض أصحابنا قد تعب وآسف من إبطاء تلك العلامة عليه، فقلت له: لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون، لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون.

البشرى الثامنة عشرة:

أخبرنا الفقيه الكبير ولي الله الشهير شمس الدين عليّ بن أحمد سماعًا من لفظه قال: أن ابن أخيه عبد الله بن حسن أصابه رمد واشتد به وجعه، وقوى ألمه، ومنعه النوم، فاستغاث برسول الله ﷺ وبالصالحين من عباد الله فأخذته غفوة كأنها سِنَة خفيفة، قال فرأيت الشيخ إسماعيل وتحققته فلما قرب مني رأيته على دابة في الهواء حتى دخل عليّ من عرض العريش فقعد عندي على السرير فحال أن قعد عندي استيقظت وعوفيت، قال الفقيه فقلت له هل ذكرت الشيخ إسماعيل فيمن ذُكر من الصالحين فقال: ما أردي.

البشرى التاسعة عشرة:

أخبرنا الشيخ أبو بكر بن محمد العباصري يدو أمره فيمن صحب من الشيوخ وبأشياء فما جرى له من الشيخ، قال: رأيت الشيخ حملني على عاتقه وطار بي حتى رأيت الجوزاء فوق رأسي.

البشرى العشرون:

أخبرنا الشيخ سالم بن حسين أنه رأى الشيخ الكبير الولي المقرب عبد اللطيف العراقي الساكن ثغر عدن يقول له: تحب أن ترى قطب الوقت، قال: فقلت: نعم، فقال: هو هذا الذي يستن فالتفت فرأيت الشيخ إسماعيل يستاك.

البشرى الحادية والعشرون:

أخبرنا الفقيه العالم الأصولي الصالح الحامد بن عثمان الجبرتي أحد فقهاء الحنفية، قال: رأيت في المنام مسجدًا عظيمًا لا يوصف حده ولا وسعه وفيه عالم عظيم فقال لي: هؤلاء أخيار أبدال ينتظرون الغوث فقلت: من هو الغوث؟ فجاء بي إلى رجل وأجلسني إلى جنبه، وقال لي: هذا الخضر ﷺ وهذا موضع الغوث فجلست عند الخضر ﷺ وإذ الشيخ إسماعيل قد أقبل وجلس في ذلك الموضع بيني وبين الخضر ﷺ فعلمت أنه الغوث فتحكمت عليه في اليقظة.

البشرى الثانية والعشرون:

أخبرنا بعض إخواننا أنه رأى شيخنا ﷺ في المنام ورأى شخصًا يتوسل به إلى الله ويسمي الشيخ في حال توسله بأسماء الله الحسني التسعة والتسعين مشيرًا بها إلى الشيخ أنها أسماء له يتوسل إلى الله تعالى به ويقول في لفظ توسله: أسألك اللهم بالحليمي العظيمي الغفوري الشكوري، هكذا من أولها إلى آخرها مشيرًا إلى الشيخ ويسميه بها وينسبه إلى كل اسم منها وهذه إشارة عظيمة تشهد للشيخ بالكمال وقد قيل: وصف العارف وصف معروفه.

البشرى الثالثة والعشرون:

أخبرنا أحد المريدين الصادقين الصالحين أنه نوى زيارة أولياء الله فرأى ليلة عزمه على السفر للزيارة كأن الأولياء كافة من جميع نواحي الأرض لكل واحد منهم عرق متصل بالشيخ إسماعيل ورأى كالنخلة العظيمة قال فقلت في نفسي الذين أريد زيارتهم إنما يستقون من الشيخ ومادتهم إنما هي منه ثم استيقظت فحكيت للشيخ الرؤيا فقال لي الأمر كذلك.

قلت: هذه الرؤيا دالة على أن الشيخ كان هو الغوث الفرد الجامع الذي ترجع أصول الأولياء وغيرهم من العالم إليه وتستمد أسرارهم مما لديه وتعتمد رقائقهم عليه.

البشرى الرابعة والعشرون:

أخبرنا بعض المريدين الصادقين أنه رأى شيخنا ﷺ يقول: والله إن أصحابي

كأصحاب النبي ﷺ وما منهم إلا من له شبيه من أصحاب النبي ﷺ ويشبههم بالأنبياء أيضًا، قال: فرأيت الفقيه يوسف الحنفي، فقال الشيخ: ما تقولون في هذا أليس هذا هو الفقيه يوسف الحنفي؟ قالوا: نعم، فقال: والله إنه في مقام النبي شيث ثم أشار إلى جماعة من أصحابه، وقال: هذا في مقام النبي إسماعيل، وهذا في مقام النبي إسحاق، وهذا في مقام النبي يعقوب. قال: وكان الشيخ إذا أشار إلى شخص أنه في مقام نبي وسماه تصور في صورة ذلك النبي، قال: فسألت الشيخ عن القطب، فقلت: قالوا أنه لا يكون إلا من أهل بيت النبوة والشرف، فقال: نعم، هو من عصابتي هذه ومن أصحابي هؤلاء فكررت القول أنه لا يكون إلا من بيت النبوة والشرف، فقال الشيخ: وأي شرف كالذي انتسبوا إليه ثم استيقظت ووقفت مدة أحب أن أعرف من هو القطب من أصحاب الشيخ فرأيت الشيخ في المنام في صورته ثم تصور في صورة الشيخ أحمد الرداد ففهمت أنه أراد تعريفي أن الشيخ أحمد هو القطب قلت: قول الشيخ رحمه الله تعالى فإن هذه الطائفة ليس لهم مراد غير الله تعالى فهم أهله وبه يعرفون وبأهل الله يسمون ﷺ وجعلنا منهم أجمعين آمين، آمين.

البشرى الخامسة والعشرون:

رأيت شيخنا أبا المعروف ﷺ في سِنةٍ خفيفة يوصي بالاجتماع عند قبره، وكثرة الجلوس في قبته، وسمعته يقول: أنتم جلساؤنا ونحن جلساؤكم وعلى الصحيح، وعلى كل حال فلا يكن لكن نظر في الأخذ إلا من الله تعالى، ولم يتم كلامه لا وأنا مستيقظ حتى وقع عندي أن آخر كلامه سمعته منه في اليقظة.

البشرى السادسة والعشرون:

وسمعته يقول أول ما بشرت به قال لي رجل: رأيتك من رأسك إلى قدمك مكتوب بالجلالة.

البشرى السابعة والعشرون:

وسمعت قائلاً يقول في النوم الشيخ إسماعيل أماته ميتة طيبة ويميت أصحابه ميتة طيبة.

البشرى الثامنة والعشرون:

أخبرنا الأخ الصالح الصادق إسماعيل بن أبي القاسم وله رحم قريبة من الشيخ، ومحبة منه، ورعاية، وملاحظة له وتربية في بيت الشيخ من جملة عياله، قال: رأيت ليلة جمعة بعد طهارة وصلاة وذكر أنه جاء طالب للشيخ ولم أعلم من الطالب ولا من الذي

جاء فرأيت الشيخ حتى انتهى إلى السماء الدنيا فخرقها ثم صعد إلى السماء الثانية فخرقها حتى خرق السبع السماوات ثم صعدوا واخترق أشياء كثيرة ففهمت أنها الحجب ثم اخترق أشياء لم أفهم ما هي حتى بلغ إلى بناء مليح بدرابزين خشب فوافق صعود مواجهته لباب ذلك البناء فغشيه نور عظيم فهمت أنه نور صاحب ذلك البناء ومع ذلك كله لم يحتجب الشيخ عن نظري وسمعت قائلاً يقول من ذلك البناء للشيخ: أعبدي إسماعيل أنت؟ قال: نعم يا رب، قال: ألست أوصلتك بي حتى لصق صدري بصدرك؟ قال: بلى يا رب، قال: وتسأل، وتسأل، وتسأل طول عمرك؟ قال: نعم يا رب، قال: إلى ماذا؟ قال: بين يدي أطفال أريد أن أنكلهم هولي يا رب، قال: نعم، قال، لك الحمد يا رب، لك الحمد يا رب، لك الحمد يا رب حمدًا يوافي نعمك ويكافئ مزيدك، قال: فلما أصبحت حكيتها للشيخ فسأل تكرارها مني فكررتها مرارًا فكتبها بيده في لوح وأمر أولاده وأصحابه بكتابتها وروايتها.

قلت: وأخبرني جماعة من أولاد الشيخ وأصحابه منهم شيخنا رضي الدين وأخوه الشيخ برهان الدين إبراهيم أن الشيخ -رحمه الله- كان يرويها ويأمر بكتابتها وحفظها حتى صارت مشهورة بين الجماعة محفوظة بأمر الشيخ.

وأخبرني أيضًا أنه رأى الشيخ بعد موته فسأله عن الرواية قال له قربني الحق جل جلاله كما رأيت حتى أوصل صدري بصدره وقال لي ما سمعت قال فسألت الشيخ عن الأطفال هل نكلوا؟ قال: نعم، وقال: من أحبني وأولادهم، وأولادهم وعد أولادهم في أصابعه ثلاثًا، قال: من أحبني في نفسه أحببته في نفسي ومن أحبني في ملأ أحببته في ملأ خير منه قلت فلا ينكر ما فيها من سماع خطاب الحق تعالى وتقدس من ذلك البناء قوله تعالى وخطابه للشيخ حتى لصق صدري بصدرك فقد جاء من الأوصاف والتشبيهات كثير في سائر الكلمات الإلهيات والأحاديث النبويات والإشارة بقول الشيخ بين يدي أطفال أريد أن أنكلهم إلى المريدين والمراد بالتنكيل هنا التربية حتى ينكلوا أي يكبروا ويكملوا وهي لغة بلدنا في عصرنا.

وكان من تمام خطاب الحق تعالى للشيخ في الرؤية الأولى أن له ذلك أي لا يموت إلا وقد ربّى أصحابه وكلمهم.

وفي الرؤية الثانية أن له ذلك فيهم وفي أولادهم وأولاد أولادهم، وأولاد أولاد أولادهم، ومثل ذلك ما سمعته من الفقيه الكبير المحبوب الموهوب محمد بن أبي بكر بن محمد بن يعقوب - رحمه الله- قال: ما مات الشيخ إلا وقد كمل أصحابه وهذه من أكمل

الكرامات، وأفضل البشارات، ورؤيا الرائي الشيخ بعد موته وسؤاله عن الرؤيا، وقول الشيخ أن ذلك كان تصديق الرؤيا، وإشارتها وتحقيق لها ولبشارتها والحمد لله رب العالمين.

البشرى التاسعة والعشرون:

أخبرنا الشيخ النجيب جمال الدين زين العابدين بن شيخنا أحمد الرداد نفع الله بهما أنه رأى الشيخ جاءه بعد موته، وقال له: استأذنت الحق جل جلاله في زيارتكم من القبر.

البشرى الثلاثون:

أخبرنا الفقيه العالم الرئيس شهاب الدين أحمد بن علي النويري المكي، قال رأيت الشيخ وهو يكلمني، وقال: لي لم يبق بيني وبين مقام النبوة إلا لطيفة ولقد أطلعني الله تعالى على ما أطلع عليه الأنبياء وكنت يومئذ في البقعة بساحل زبيد مريضًا فشكوت على الشيخ في النوم من تعوقي عن السفر مع أصحابي، فقال لي: نعوقهم لك بالريح؟ فقلت: نعم، فمشى بي إلى الساحل فوجدنا أهل الجلاب قد رفعوا البروسيات، وأرادوا السفر جاءتهم ريح فكادت تغرقهم فأشفقت عليهم فقلت: يا سيدي قد سمحت نفسي بتخلفي عنهم ويسافرون، قال: وترجع إلينا إلى زبيد، قلت: نعم، فطابت ريحهم في اليوم وسافروا فما أيقظني إلا من أخبرني أن أهل الجلاب لما رفعوا البروسيات وأرادوا السفر جاءتهم ريح كادت تغرقهم ثم طابت ريحهم بعد ذلك وسافروا كالذي رأيت في النوم سواء وإذا جمال الشيخ قد جاءت لي من زبيد وأخبرني الجمال أن الشيخ أمره أن يأتيني بالجمال قبل مغرب تلك الليلة قلت: في هذه الرؤيا كرامات جليلة.

منها: قول الشيخ ﷺ لم يبق بيني وبين مقام النبوة إلا لطيفة، ومنها قوله ولقد أطلعني على ما أطلع عليه الأنبياء.

ومنها: تصرفه على المسافرين بتغيير البحر والريح عليهم وسلامتهم، ومنها تحقيق ذلك بكونه كان في اليقظة كما كان في النوم سواء.

ومنها: إرساله بالجمال للرائي قبل حدوث هذه الأمور التي كانت لرجوعه إلى زبيد واطلاعه على كونه قبل كونها وفي هذه الرؤيا بشارة للرائي لكونه رأى الشيخ حاملاً له وإشارة إلى خصوصيته من الشيخ بما كان من عناية الشيخ به ورعايته.

البشرى الحادية والثلاثون:

أخبرنا أخي أحمد بن أبي بكر الأشكل: أنه رأى الشيخ ليلة موته أو قبيل ذلك، وسمعه يتمثل بأبيات أصبح يحفظ منها هذه:

وبِكُـــلِّ نَعْمَـــةِ مَـــنْطقٍ لي سَـــكْرَةٌ فَمَـــنْ الـــذي يُحـــصِي بِهَـــا سَكَرَاتِي
أنَـــا بُلْـــبُلِ الأفْـــرَاحِ إلاّ إنَّـــه كَـــمْ بَلْـــبَلَتْ مِـــنْ عَاشِـــقٍ نَغَمَاتِـــي
ولَكَـــمْ وقَفْـــتُ عَلَـــى المَـــنَازِلِ وقْفَةً حتَّـــى اشـــتكَى العُـــشّاقُ مِنْ وقَفَاتِي
ووَصَـــلْتُ بالخَـــيْمَاتِ هُدبَ نَوَاظِرِي حتَّـــى اتـــصلتْ بِـــصَاحبِ الخَيْمَاتِـــي

البشرى الثانية والثلاثون:

أخبرنا الشيخ الصالح محمد بن أبي بكر الموزعي أن رجلاً من الأخيار كان رجل يحضر معه مجالس الذكر، قال فأخبرني أنه رأى الشيخ وبين يديه كتاب مكتوب فيه: من نظرني فكأنما نظر الله تعالى، قال: فقلت للشيخ من نظرك فكأنما نظر الله تعالى، قال: نعم، من نظرني فكأنما نظر الله تعالى وقبض على يدي بقوة فاستيقظت ويداي وارمتان من أثر قبض الشيخ قال الموزعي وأرانيهما فأريتهما وارمتين من أثر قبض الشيخ عليهما.

البشرى الثالثة والثلاثون:

أخبرنا أحد المريدين المحفوظين أنه صحب الشيخ في شبابه فقوى عليه داع النكاح حتى هم بمعصية، قال: فنمت فرأيت عليّ درعًا من حديد، فقلت: ما هذا الدرع؟ فقيل لي: هذا حال الشيخ إسماعيل، فقلت: اللهم بحق حال الشيخ إسماعيل أجرني من عذاب النار، قال: فحفظت من المعصية.

البشرى الرابعة والثلاثون:

أخبرنا القاضي الأجل، العالم الكبير، جمال الدين محمد بن علي النويري - كان الله له - أنه قرأ عليه كتاب كشف علوم الآخرة للغزالي - نفع الله به - وسمع ما فيه من المخوفات العظيمة والأفعال الأليمة في كيفية نزع الروح، وفتنة القبر وحضور الشياطين عند المحتضر وتصورهم بصور من مات من أهله ليغووه فلما سمع بذلك طرقه من الخوف شيء كثير ونام فرأى أنه مات في حضرة الشيخ ولم يجد مما ذكره الغزالي شيئًا قال فقلت لبعض من كان عندي في تلك الحال يا فلان ها أنا ذا مات وما وجدت مما ذكره الغزالي شيئًا وإذ قائل يقول: من مات في حضرة الشيخ إسماعيل، أو قال: في بلد الشيخ إسماعيل لا يجد من ذلك شيئًا.

البشرى الخامسة والثلاثون:

أخـــبرنا الشيخ الصالح أبو القاسم الأمين خادم الشيخ أن أحدهم أخبره أنه أصاب ولـــدًا له وجع شديد فآلمه وجع ابنه فرأى النبي ﷺ في المنام فشكى إليه وجع ابنه فقال

النبي ﷺ ما تعرف الشيخ إسماعيل؟ قال: بلى، فقال له النبي ﷺ: إذا نابتكم نائبة فاطلبوا الشيخ إسماعيل فحوائجكم تقضي عليه فهو في مقامي، ثم استيقظ من النوم فلما أصبح غدا إلى أرض يزرعها على أميال من زبيد ولم يطلع على رؤياه أحد غير الله تعالى فجاءه الشيخ قاصدًا إلى تلك الأرض، وقال له: هات ما رأيت الليلة فأراد أن يحكي للشيخ رؤياه فولى الشيخ عنه، قلت: أراد الشيخ – قدس الله سره – أن يحقق له رؤياه وأنه قد علم أنه قد رأى رؤياه ثم لم يقف لسماع رؤياه تعريفًا له أنه يعرفها وكيف هي وما هي كمن كان حاضرها وهكذا الأكابر من أهل الله لا يزالون في حضرة النبي ﷺ وبحضورهم في حضرته ﷺ يكونون في كل حضرة من الحضرات الحسية الملكية، والملكوتية، والجبروتية، والمعنوية، والمثالية، والخيالية، والبرزخية، والأخروية ﷺ وأما من فيه النبي ﷺ أنه في مقامي كما قال الشيخ فلا عبارة عن مقامه وحاله.

البشرى السادسة والثلاثون:

أخبرنا الشيخ الصالح جمال الدين محمد بن موسى الحرضي أنه حصل عليه حاصل وهو بلحج مرض شديد حتى قعد منه عن المشي فرأى كأنه يسمع حركة وسماع صوت الشيخ فيه والقوال يقول: أهلاً بكم يا قادمين جاء القدوم على قدر القصيدة ففزع من نومه مسرورًا بالشيخ ليقوم إليه فاستيقظ وقام يمشي حتى ما به شيء.

وأخبرنا أيضًا أنه رأى الشيخ تصور صورة عبد واختط في خديه خطين مليحين كأحسن ما يكون وبين عينيه خطًا أصغر منه.

قلت: هذه إشارة إلى أن الشيخ تحقق بالعبودية وهو مقام الكمال.

البشرى السابعة والثلاثون:

أخبرنا الشيخ إبراهيم بن عبد الله الأكوع أنه سمع الشيخ –رحمه الله– يقول زرت الشيخ السراج ونويت الإقامة معه يومين فلزمني أربعة أشهر أو أكثر وكان يرسل لأولادي بشيء من غير علمي فأصبح يومًا، قال لي: تذهب إلى موزع إلى الشيخ أبي بكر بن سلامة فإني رأيته الليلة يقول: صل إلينا، وصل معك سورة الفاتحة وما معي إلا أنت.

قلت: ما أعظم هذه الإشارة وما أعظم من هي له وإليه فإن الفاتحة هي السبع المثاني والقرآن العظيم فسبحان المنعم المتفضل الجواد الكريم.

البشرى الثامنة والثلاثون:

أخبرنا الأخ الصالح رضي الدين أبو بكر الفقيه أحد خدام الشيخ ﷺ عن بعضهم أنه رأى الشيخ مفصلاً تفصيلاً دقيقًا كل فصل كالشعرة ورأى في كل فصل الجلالة

مكتوبة حتى رأى كله مكتوبًا الله، الله.

البشرى التاسعة والثلاثون:

أخبرنا بعض الصادقين من أهل نخل وادي زبيد أنه رأى رسول الله ﷺ فألزمه في النجاة من النار بأمر أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وكانا معه ﷺ أن يمرا لسانيهما على جميع جسده ففعلا له وسأله جماعة من أهل بلدة فقال فلان أحسن من فلان، وفلان أحسن من فلان، وفلان إذا أخذ شيئًا لا يرده، وفلان يضرب زوجته، وفلان عوقب لانتسابه إلى فلان وأصحابكم أحسن من غيرهم لأنهم يصلون فقال، وقال رسول الله ﷺ: «إسماعيل قطب اليمن، ومن تكلم فيه قِلّه» فلما استيقظت حكيت لكل واحد من الجماعة الذي سئلت عنهم رسول الله ﷺ فأقر كل واحد من الجماعة منهم بما قال فيه رسول الله ﷺ.

البشرى الأربعون:

وكتب الشيخ الصالح العالم جمال الدين محمد بن إبراهيم المرشدي الحنفي المكي إلى شيخنا الأكبر أبي المعروف ﷺ كتابًا كتبت فيه: فإن العبد كتب هذا الكتاب إلى الخدم أعز الله مقامهما من ينبع في يوم السبت ثاني عشر جماد الآخر وقد عزم العبد على التوجه إلى مصر والفضل من ذلك الكتاب شفاء بعض ما أجد من الشوق إلى العلوم والفوائد التي جعلها الله منوطة بذاتك وإن كنت اعتقد أن ذلك لم يفتني كما قلت لي: وكم من بعيد الدار وهو قريب ونمت بعد أن تعوذت واستحوطت فلما نامت عيني رأيتكم بيني وبين القبلة أنا عن يمينك والقبلة عن يسارك فالتفت إليّ، وقلت: الشيخ غلبه ألاَ يستحي أن يترك الولد أو قلت التلميذ حتى يفتح عليه فاستيقظت من النوم ففتحت عيني فرأيتكم على تلك الحال فلما طال النظر تسترت عما رأيت.

البشرى الحادية والأربعون:

أخبرنا بعض الأخوان الصادقين الصالحين أنه قد رأى أبا بكر الصديق ﷺ ومعه اثنان فسأله: من أفضل الشيخ إسماعيل أو الشيخ فلان؟ فقال أبو بكر ﷺ: ما في الخافقين في هذا الزمان في هذه الساعة مثل الشيخ إسماعيل، أو قال: أفضل من الشيخ إسماعيل، فقال له: يا سيدي من أفضل الشيخ إسماعيل أو الشيخ فلان فقال له أبو بكر ﷺ: أقول لك ما في الخافقين في هذا الزمان في هذه الساعة مثل، أو قال: أفضل من الشيخ إسماعيل أو الشيخ فلان فقال له أبو بكر ﷺ أقول لك ما في الخافقين في هذا الزمان في هذه الساعة مثل الشيخ إسماعيل أو قال أفضل من الشيخ إسماعيل كرر ذلك ثلاثًا.

البشرى الثانية والأربعون:

أخبرنا الشيخ الإمام العارف جمال الدين محمد بن محمود الكرماني سماعًا من لفظه بما سطره بخطه بما هذه صورته: بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله الحق، المحقق حقائق اصطفائه لمن يشاء من عباده، وصلاته على خيرته أداة لحقوق تحقيقه في حقيقة مبدأه، ومعاده وعلى آله وصحبه وإخوانه وأولاده وبعد؛

فيقول العبد الفقير إلى الله تعالى الملتجئ إلى كنف إرادة أوليائه، الراجي اندراجه في سلك صفوة أصفيائه محمد بن محمود بن مسعود الكرماني المعروفين بسادة العباسيين رحمهم الله آمين، وخصهم بخصوص عنايته إني رأيت في مبشرة شريفة ليلة الخميس الخامس والعشرين من ربيع الثاني سنة خمس عشرة وثمانمائة من الهجرة على صاحبها السلام كأني في الجنة عند شيخين كبيرين لم أعرفهما أحدهما أخضر اللون كث المحاسن عليه مسحة من الهيبة والوقار يحدث عن رسول الله ﷺ، سماوي من رب العالمين يمن الله تعالى منه على صفوة أنبيائه بخيرته من خلقه ويعد عليهم بعض نعمه التي لا تحصى عليه ﷺ، من أني خلقته أول من خلقته وكرمته وعظمته واصطفيته وأحببته وغير ذلك من جنسه فقالوا: يعني الأنبياء يا ربنا ولكم لك عليه من الصلوات والتحيات؟ فقال: بعدد طهارات الشيخ إسماعيل الجبرتي وسائر أوليائي، فقال الرائي المبشر بهذه البشرى: ففزعت عند هذه الكلمة العليا، فسألت الشيخ المحدث بهذا الحديث عمن تروي حديثك هذا؟ فقال: عن الشيخ إسماعيل الجبرتي، فقلت: وإسناد الشيخ، قال: هو عندك مسطور ثابت، قال: فانتبهت وشكرت الله تعالى على مزيد امتنانه على تيسير هذه المبشرة وما ذلك على الله بعزيز.

البشرى الثالثة والأربعون:

أخبرنا الأخ الصالح جمال الدين محمد بن محمد المزجاجي والشيخ برهان الدين إبراهيم بن عبد الله الأكوع أو الفقيه الولي عمر [...] أحد أكابر الطبقة الوسطى من أصحاب شيخنا أخبرهما أنه رأى نهر ماء أبيض صافيًا لا يشبهه ماء جاريًا من مسجد شيخنا إلى باب سهام جار جاء منه زاد إبراهيم فإن النهر بعد خروجه من باب سهام يخص أولاً مقبرة أصحاب الشيخ، ولكل قبر مجرى يأخذ من ذلك ثم بعدهم ينتشر إلى سائر القبور فما يبقى قبر إلا دخله من ذلك النهر شيء فلما استيقظ تعجبت من هذه الرؤيا، فجاء إلى الشيخ وأخبره بها فقال: ذلك هو ما نهديه يعني من ثواب القرآن وسورة يس والصلاة على رسول الله ﷺ لموتى المسلمين.

البشرى الرابعة والأربعون:

وأخبرنا أيضًا المزجاجي أنه رأى الشيخ وأصحابه وجمعًا كثيرًا معه خارجين من باب سهام للقاء قوم واصلين إليهم، قال فلما صرنا قريبًا من العرق يعني شعبًا بين زبيد والمملاح رأيت جمعًا كثيرًا على كتب المملاح العالية فتوافينا بوادي العرق وفي يد كل واحد منهم طبق من نور عليه غطاء من نور ولم نعلم ما في الأطباق وكان علم أن فيهم رسول الله ﷺ فأعطى كل واحد منهم واحدًا منا طبقه الذي في يده فاستيقظت فقصصت هذه الرؤيا على الشيخ فقال لي ما حصل لك من فهم من تأويلها؟ فقلت ثواب ومكافأة بما تهديه أنت وأصحابك لموتى المسلمين فأعجبه هذا واستحسنه وقال: ما هو إلا هذا.

البشرى الخامسة والأربعون:

وأخبرنا الشيخ أحمد بن محمد المعبيدي أنه رأى الناس يأتون إلى المحشر وكل واحد معه ملكان عن يمينه وشماله يسوقاه إلى المحشر ويحفظاه وهما الملكان اللذان كانا معه في الدنيا، قال فرأيت ملكًا عن يميني واقفًا، وملك شمالي جاء إليّ مسرعًا فأشار إليه الذي عن يميني أي قف فإنه من أصحاب الشيخ إسماعيل فتركاني وذهبت وحدي والناس كل واحد منهم بين اثنين، قال: ورأيت مرة أن الناس في الموقف وهم فيه من الكرب، والحساب، وفي خطب عظيم، وهول مهول، ورأيت الشيخ يجمع أصحابه ويدوروا بين الخلق كلهم، فلما اجتمعوا أمرهم بالإنصات والسكوت يريد أن يختلسهم من الموقف اختلاسًا بلا حساب وأنه له هذا من الله، ورأيت الشيخ وأصحابه في ناحية عن ذلك الهول يسمعون الناس وليس عندهم منه شيء، ورأيت على الشيخ ثيابًا بيضاء نظافًا قميصًا وسراويل وعمامة وعليه هيبة عظيمة، ورأيت سيدي الشيخ أحمد الرداد أقرب الجماعة إليه.

البشرى السادسة والأربعون:

وأخبرنا أيضًا أنه رأى جمعًا عظيمًا والخلق مزدحمين في مسجد شيخنا وأن ذلك الجمع ليس بهم من العامة أحد إنما هم كلهم مشايخ، وفقراء، وصوفية، وفقهاء، وعرب، وعجم مشايخ وكهول، قال: وفيهم مشايخ محتشمون عليهم هيبة عظيمة ورآهم محتلقين ورأى سيدي الشيخ في وسط الحلقة، وعنده الشيخ عبد اللطيف العراقي بعدن الآن حاملاً علمًا أخضر مثل أعلام الطبلخانة، ورأيت الشيخ يدور عليه يعني على العلم، وهو يقول: ومني الواحد، ومني الاثنين، والثلاثة، ورأيت كل شخص يقوم بالصلاة إلى جهته التي هو متوجه إلى الشيخ فيها، والشيخ كالقبلة لهم وأنا ممن أحرم معهم.

قلت: وقد رأيت مثل هذا يقظة جرى لي بعض حضرات شيخنا في مسجده في ليلة

تسع وعشرين من رمضان سمع الشيخ شيئًا من حسن القول فسجد، فسجد من حضر وكان جمعًا كثيرًا ملأ المسجد على جدرانه وسجد كل واحد إلى حيث ما هو متوجه تلك الساعة من الجهات غلبة والشيخ ﷺ وسطهم.

تمت المبشرات بحمد الله تعالى وحسن توفيقه، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه.

بتاريخ ضحى يوم الإثنين ثاني جمادي الأولى الواقع في سنة 1193 من هجرته عليه الصلاة والسلام.

وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وأهل بيته أجمعين، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

القسم الثاني من الكتاب

قسم المعارف والإلهيات والعلوم اللدنيات



القسم الثاني من الكتاب
قسم المعارف، والإلهيات، والعلوم اللدنيات

الحمد لله رب العالمين حمدًا يوافي نعمه، ويكافئ مزيده وصلاته وسلامه على خير خلقه محمد والملائكة المهيمين، والمقربين، والمرسلين، والنبيين، وسائر عباد الله الصالحين: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114]، ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: 8].

القسم الثاني من الكتاب قسم المعارف، والإلهيات، والعلوم اللدنيات

قد مضى قسم من الأحوال والكرامات وهذا قسم المعارف، والإلهيات، والعلوم اللدنيات، وهو نوعان:

نوع سمعته من شيخنا الأكبر أبي المعروف - قدس الله سره - في المجالس والسماعات.

ونوع رويته عنه بصحيح الروايات وما كل ما برز منه العلوم، والأحوال لا يعد ولا يحصى ولا يحد ولا يستقصى؛ لأنه لا يدخل تحت الوسع كما لا يدخل تحت الحفظ كما بلغ السمع:

فحفِظنا اليسيرَ مما سَمِعْناهُ ولسينا الكثيرَ مما حفظنا
كُلُّ وَقْتٍ يَمُرُّ مِنْهُ فإنَّا عَنْ ثُبُوتِ اليَسِيرِ فيه عَجزْنا
كالعُبَابِ الخِضَمِ في كَثْرة المروج ومَا يَحْتَوِيه ظَهرًا وبَطْنًا

وما سمع منه أيضًا إنما هو على حكم ما يقتضيه أحوال سامعيه ومقاماتهم، وعلومهم، وأذواقهم لا على حكم حاله، ومقامه، وعلمه، وذوقه، وماله من الله سبحانه وما هو فيه منه. كما سمعت شيخنا محيي الدين أحمد الرداد -نفع الله به- غير مرة يقول: قال لنا الشيخ يومًا ونحن جماعة من أصحابه في ابتداء صحبتي معه - قدس الله سره العزيز: لي اليوم عشرون سنة لا أتحدث مع أحد فيما أنا فيه بل فيما هم فيه، وعاش بعد ذلك أكثر من ثلاثين سنة -رحمه الله تعالى.

وسمعت أن شيخنا الأكبر أبا المعروف ﷺ يقول: والله إن لله علينا نعمًا كثيرة ما رأينا أحدًا شاركنا فيما نحن فيه ولا رأينا أحدًا له مالنا، وسمعت شيخنا رضي الدين جمال المقربين أبا بكر الصديق بن شيخنا -رضي الله عنهما- يقول: سمعت الشيخ يقول في سماع: يا رب وحدي، يا رب وحدي، ثم قال: وما علي من ناس ولي فيه معارف لا يعرفها إلا أنا، اللهم اجعلني وارثًا موروثًا.

النوع الأول من القسم الثاني

سمعت شيخنا أبا المعروف يقول: الله أصل الأرواح ومعتمدها، وسمعته يقول: القرآن فيه جميع أسماء الله وذات الله أعجزت القرآن، ولله سبحانه أسماء غير هذه الأسماء التي تعرف بها، واسمه «الله» جامع لجميع مراتب الأسماء، وله بطون أسماء وهي مما استأثر به في علم الغيب عنده، وهذه الأسماء الظاهرة التي تعرف بها هي كالشريعة.

وسمعته ﷺ يقول: ما شرف أحد باسم إلا من أسماء الله خلق منه ونوره من نوره.

وسمعته ﷺ يقول: الغرباء هم الذين يأتون من الله بما لم يأت به غيرهم فيكونون بين أهل زمانهم الواصلين إلى الله غُرَبًا.

وسمعته ﷺ يقول: كل من اتسع علمه وسع خلقه الحق.

وسمعته -أمدنا الله من بركاته- يقول: من ألزمه الله دوام النظر إليه لا يرى إلا الله وفعله، وسمعته يقول: ما ثم أحسن من دوام الحضور مع الله.

وكان -قدس الله سره- يكرر في المجالس تعظيم مقام دوام الحضور مع الله ومقام دوام النظر إليه وهما مقامان عظيمان لا يناله إلا أكابر الورثة المحمديين الذين لا يرون إلا الله ولا يسمعون إلا منه ولا ينطقون إلا به ورجالهما قليلون فهما مما ورثه شيخنا من مقامات الكمال المحمدي والحمد لله.

فإن رسول الله ﷺ كان ذاكرًا لله سبحانه على كل حاله، وكل أحيانه، ولا يكون ذاكرًا لله في كل أحيانه إلا من كان حاضرًا مع الله دائم النظر إليه في كل أحيانه.

وممن له هذا المقام شيخنا أحمد الرداد وبشهادة شيخنا الأكبر أبي المعروف ﷺ سمعته يقول بعد أن أثنى عليه كثيرًا: له مع الله كذا، كذا سنة أظن أنه قال عشرون سنة لا يرى إلا الله وفعله ومن يوم سمعته منه إلى أن مات شيخنا أحمد -رحمه الله ورحمنا به- في ليلة تاسع عشر ذي القعدة الحرام من سنة إحدى وعشرين وثمانمائة أكثر من كان فيه الصديق الأكبر أبو بكر الصديق ﷺ.

وسمعته -رحمه الله- يقول: من أشرك الله في مراده في الخلق رأى ما لا يرى غيره.

وسمعته نفع الله به يقول الإسلام والإيمان والإحسان محدودة لكن قد يعطى المحدود ما لا حد له كالإحسان ينتج الرؤية، ورؤية الله لا حد لها.

وسمعته – أفاض الله علينا من أسراره – يقول: من وقع في التوحيد خيف عليه أن أطلق من عدم التقييد فإن القيد الذي هو الأمر والنهي وصف له تعالى في نفسه والإطلاق وصف له وراء هذا وإن يقيد خيف عليه الحرمان في مقامات الإطلاق ولا بدَّ من العلامات لمن يدعي المقامات كما قال المشايخ؛ فإن الزنديق إذا ادعى ما للصديق قلنا له: إنهم يعني الصديقين لا يظهرون ما يخالف.

قلت: قول شيخنا ﷺ في القيد والإطلاق أنهما وصفان له سبحانه، وأنه سبحانه تعرف إلى عباده بطريق أسمائه وصفاته وتعبدهم بمقتضاها من الأوامر والنواهي فهي من هذا الوجه وصف له مقيد لمن لم يعرفه إلا به، والإطلاق هو صرافة الذات وغناها عن التقييد بأحكام الأسماء والصفات فلا معرفة هنا لعارف إلا بالتعليق بما لا يعرف ولا عين لمشاهدة إلا ما يرى ويوصف فلا يعرف الله سواه، ولا إله إلا الله.

وما أشار إليه ﷺ من الخوف على من أطلق هو أن يطلق الحكم ويجعل العين واحدة آمر ومأمور وناهيًا ومنهيًا كما يجري لمن ارتبق عليه العلم ولم يحفظه الله فيترك الأوامر والنواهي ويتعدى حدود الله وما جاءت به الشرائع فيضل ويضل والعياذ بالله، وإن تقيد بالظواهر وحكم على الله بوصف وقيده به في معتقده حُرِم زيادات العلم بالله التي أمر الله بطلبها سيد العارفين بالله نبيه محمد ﷺ وقد أوتي علوم الأولين والآخرين بقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114].

وسئل ﷺ عن علامة المطلق فقال علامته أن يعرضه على الكتاب والسنة ويرجع به إلى القيد فإن تقيد فهو مطلق وإن لم يتقيد فليس بمطلق، وقدم عليه رجل من أهل الهند من المجردين لباسه قميص وسراويل جلوشًا وكان حاله الإطلاق فكان الشيخ يكرر عليه في المجالس ذكر القيد ويقول له: من لا قيد له لا إطلاق له، ومن لا شريعة له لا حقيقة له، وجرى في كلامهما ليلة ذكر اليهود، والنصارى، والمشركين فقال له الشيخ هم ما أرادوا الكفر، وإنما ارتبق عليهم الأمر وما عبدوا الأصنام إلا لتقربهم إلى الله وأخبرك أني كنت جالسًا مرة فرأيت مكتوبًا في الهواء (ب. ب. ب)؛ فقيل لي: انظر من أين أتى الناس، ناس قالوا ثالث ثلاثة، وناس قالوا ثاني اثنين، والأمر في نفسه واحد ولكن لم يميزوا فعلمت من هذا من أين أتوا وعلمت هذا وما كانت قد علمته.

وسمعته يقول: من وقع في التوحيد الظاهر ولم يحصل له نصيب من الحفظ

والتوحيد الباطن ضل وأضل.

وسمعته - هداني الله إليه بأنواره - يقول: إذا وقع الإنسان في التنزلات والتجليات قد يسمى الله بما لا يراه لا أهل الظاهر ولا أهل الباطن ويكون ذلك في حق الله اسمًا، قلت لاختلاف التجليات؛ لأن الله سبحانه ما تجلى لأحد بوصف مرتين ولا تجلى بوصف لاثنين.

وسمعته يقول المشايخ أربعة يقتدى باثنين بالسالك المجذوب، والمجذوب السالك، والسالك غير المجذوب، والمجذوب غير السالك لا يقتدي بهما يتبرك بهما ويلتمس دعاؤهما، وسمعته سُئل ﷺ عن اسم الأعظم الذي يشيروا إليه مشايخ الصوفية هل هو اسم مخصوص أم مختلف فقال: الاسم الأعظم من حيث هو، هو الذي له المزيد على سائر الأسماء ومن حيث الناس كل من فتح عليه باسم كان في حقه اسمًا أعظم؛ لأن معنى الاسم الأعظم هو الذي يستجاب به الدعاء، حتى أن بعضهم سُئل عن الاسم الأعظم فقال هو حضور القلب.

وسمعته ﷺ يقول كل الأعمال للجزاء والدرجات العلى إلا التوحيد فجزاؤه النظر إلى وجه الله تعالى ولو تذكر لأحد لذة النظر إلى وجه الله وجدته لا علم له منها ولا تحصل اللذة بذلك إلا لمن وصفه ما قاله الإمام أبو طالب المكي أنهم يولعون بالله كما يولع الطفل بالشيء إن وجده فرح به، وإن فقده بكى عليه، وإن رقد رقد به معه، وإن انتبه طلبه.

وسمعته -قدس الله سره- يقول: الطريق إلى الله بعدد أنفاس الخلق والموصلة واحدة فردة.

وسمعته كملني الله به يقول النبي ولي الولاية أفضل من النبوة في حقه وهم متفاوتون في الولاية لتفاوتهم في النبوة.

قلت: ونصوص المحققين مسطورة بما أشار إليه شيخنا.

قال القيصري وهو من أكابر المحققين - رحمه الله: النبوة البعثة وهي اختصاص إلهي قرنت بإظهار المعجزات وخوارق العادات مع التحدي ليتميز النبي من المتنبي، فالنبوة مخصوصة بالظاهر في الدعوى والهداية والتصرف في الخلق دائرة تامة مشتملة على دوائر متناهية متفاوتة في الحيطة وقد علمت أن الظاهر لا يأخذ التأييد والقوة والقدرة والتصرف والعلوم وجميع ما يفيض من الحق تعالى عليه إلا بالباطن وهو مقام الولاية المأخوذ من الولي وهو القرب والولي بمعنى الحبيب وهذا المقام يعني مقام الولاية دائرته أتم من دائرة

النبوة لذلك انختمت النبوة والولاية دائمة جعل الولي اسمًا من أسماء الله تعالى دون النبي، والمرسلون أعلى من غيرهم لجمعهم بين المراتب الثلاث: الولاية، والنبوة، والرسالة، ثم الأنبياء لجمعهم بين المرتبتين وإن كانت مرتبة ولايتهم أعلى من نبوتهم ونبوتهم أعلى من رسالتهم لأن ولايتهم جهة حقيقتهم ونبوتهم جهة ملكيتهم إذ تحصل المناسبة لعالم الملائكة فيأخذون الوحي منهم ورسالتهم لجهة مرتبتهم المناسبة للعالم الإنساني، ويمتاز كل منهم عن الآخر يعني أنبياء في الرتبة بحسب الحيطة التامة كأولي العزم من المرسلين - صلوات الله عليهم أجمعين، والغير التامة كأنبياء بني إسرائيل.

وسمعت شيخنا -رضي الله عنه- يقول: المعجزة هي الكرامة، والكرامة هي المعجزة فبالنسبة إلى النبي تسمى معجزة، وبالنسبة إلى الولي تسمى كرامة فالنبي له أن يتحدى والولي ليس له أن يتحدى بها، وسمعته - نفع الله به - يقول: اقتسم الله قسمين: قسم تسلوا بالله عن الله، وقسم تنافسوا في الله، وقوم لما كشف الله لهم عن جلاله وجماله وبقائه قنعوا بذلك وتسلوا به، والله لا نهاية له، وقوم لما كشف لهم الله عن جماله ازدادوا شوقًا إليه.

وقال - قدس الله سره العزيز: بالله عليكم هل وقعت أعينكم على واحد من أهل المنافسة في الله؟ وكرر هذا السؤال مرارًا.

وسمعته سئل أي المواهب أفضل بعد المعرفة؟ فقال: أما الذي نصوا عليه المحبة أن تخرج من هذه الدار عارفًا محبًا له وقد يظن من معرفته قليلة أن المحبة أفضل أو قال: أخص وليس كذلك فإنه لا يحب إلا بقدر معرفته.

وسمعته يقول: قلت للفقيه أبي بكر بن عيسى: هل يكون عارف غير محب؟ فقال: يا بني إبليس عرف ولم يحب، فقلت: وهل يكون محب غير عارف، فقال: هذا مدعٍ.

وسمعته ﷺ يقول: والله ما أعجبني إلا الذي قال: أود أن أعرفه قبل موتي ولو بلحظة وبكى ﷺ، وسألته هل لمعارف العارفين مجاوزة مرتبة الألوهية أو هي منتهى المعارف؟ فقال: منتهى المعارف الألوهية، وهي لا نهاية لها وهم متفاوتون فيها.

ورد عليّ وأنا يومئذ دون القلتين إن الله يتعرف حتى لا يبقى إلا ما استأثر به ففتشنا ووجدناها في الكتب.

قلت: هذا الوارد كان له واقعة وحكاية سمعت بعضها منه ﷺ وكلها من شيخنا أحمد الرداد والشيخ محمد المزجاجي والشيخ إبراهيم الأكوع أنهم كانوا مع الشيخ حينئذ وكانوا في شعب للوادي فيه مضارب قصب فلما حصل على الشيخ حاصل الوارد تغير

لونه ووقف شعر رأسه حتى قامت كل شعرة وحدها وطالت رقبته حتى صارت ذراعًا، أو قريبًا من ذراع وجرى جريًا عظيمًا على مضارب القصب وجروا خلفه فلم يلحقه أحد، قالوا فلما جئناه بكى بكاء شديدًا وبكينا لبكائه ورجعنا إلى القرية وهي المرمة من قرى وادي زبيد ونحن نبكي ودخلناها ونحن نبكي.

قلت: قوله ﷺ «وأنا يومئذ دون القِلتين» يعني دون الكمال وهذه المعرفة من المعارف العزيزة التي لا يكاد تقع لكثير من الكمل ولكن كم من بداية أعلا من نهاية.

قلت: وقد نص المحققون على أن منتهى معارف العارفين مرتبة الألوهية، أي معرفة الله سبحانه من حيث ألوهيته، قال الشيخ الإمام صدر الدين محمد بن إسحاق القونوي ولما كان متعلق معرفة كل عارف والذي يمكن إدراك حكمه إنما هو مرتبة الحق سبحانه أعني: الألوهية وأحديتها أمر في كتابه العزيز نبيه ﷺ الذي هو أكمل الخلق مكانة استعدادًا؛ فقال: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [محمد: 19] منبهًا له ولمن تبعه على ما يمكن معرفته والظفر به.

وسمعته ﷺ يقول: إن الله لا يعرف بمعرفة النفس إلا من حيث الربوبية، فإن النبي ﷺ ما قال إلا «من عرف نفسه عرف ربه»[1]، وأما من حيث الألوهية فلا.

وسمعته – عرفنا الله من عوارفه – يقول: وقد تذاكر اثنان في معنى قول بعض الشيوخ نهاية الأولياء، بداية الأنبياء.

قال أحدهما: قد يبلغ الولي في نهايته من الاتصاف بصفات الله والذهاب في الله إلى ما لم يبلغه النبي في بدايته، فقال نهاية ما يبلغه الولي سر آية الإسراء ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ [النجم: 8]؛ فقيل له: هم يقولون السير إلى الله والسير في الله فقال نعم نهاية ما يترقي إليه الولي من الذهاب في الله يكون بداية للنبي وحاصل ما يحصل للولي في النهاية يحصله النبي في البداية لأن بدايات الأنبياء ما هي إلا بالمعارف والعلوم والأحوال والمنازلات ما هي بالسلوك ونهايات الصالحين في الله بدايات الشهداء ونهايات الشهداء في الله بدايات الصديقين، ونهايات الصديقين في الله لا نهاية له بدايات الأنبياء، فقيل له: أليس كل حال وعلم يورث عن النبي؟ فقال: نعم، قيل: فإذا ورث عنه الولي في حال وورث عنه حالاً آخر أعلا منه ما يكون حال الولي في المقام الثاني أتم من حال النبي في المقام الأول، قال: لا هذا ما هو في حقه، يعني الولي لا في حق النبي فإن كل نهاية للولي وإن ترقى وإن ورث

(1) ذكره المناوي في «فيض القدير» (1/225)، والعجلوني في «كشف الخفاء» (2/343).

يجوزها النبي في بدايته.

وسمعته يقول للجميع ما تقولون في المريد إذا كان في تفرقة الأسماء والصفات ولم يقع في العين هل يسمى مستقيمًا أم لا؟ فلم يجبه أحد، فقال: إذا عجزتم عن الكلام في هذا؛ فقولوا عني أني أقول ما لم يقع في العين لا يكون مستقيمًا.

قلت: لأن صاحب العين المشاهد بعين جميع الذات أحكام تفرقة الأسماء والصفات لا يتغير عليه الحال، بل يكون سالكًا مستقيمًا في حركة تضاد وإحكام الأسماء فإن الأمر عنده في عين شهود جمعيته حق كله والله الواسع العليم.

وسمعته - جمعنا الله به عليه ورجع بنا في كمل معرفة إليه - يقول: وذكر التفرقة والجمع وتفرقة الجمع، وجمع الجمع، فقال: التفرقة هي ما دام العبد مع نفسه فإذا سار ووصل إلى الله اجتمع بالله ثم يفرقه بأسمائه وصفاته ثم يجمعه بذاته فلا تحجبه الذات عن الأسماء والصفات ولا الأسماء والصفات عن الذات وقال: هذا ما وقع لي إلا من المنازلات والذوق.

قلت: المنازلات جمع: منازلة، والمنازلة في اصطلاح المحققين من أهل الله في جمعية العبد بالحق يطلب العبد للحق وإجابة الحق بالتدلي على السواء، وكون كل منهما محبًا ومحبوبًا، ومن كان الطلب له أكثر كانت محبته أكثر، وما أحسن علم هذه الجمعية التي هي المنازلة وما أتمه وما أكمله وما أعمه وهي أربع مقامات ذكرها الشيخ ﷺ وبينها.

والسير الذي أشار إليه هو السير المعنوي الغيبي بالغين المعجمة والباء الموحدة هو الانتقال من حال إلى حال، ومن وصف إلى وصف، ومن مقام إلى مقام، ومن حكم إلى حكم، وقوله ﷺ ووصل إلى الله اجتمع بالله في هذا الوصول والاجتماع هو غير مفارقة العبد نفسه وكل ما سوى الله فيتولاه الله في أي كون كان وأي حال تحول في أي شأن وبذلك يكون ذاكرًا لله والله جليس من ذكره، ويكون ذكره شهود ووجود الله عين كل شيء لمفارقة ما سواه ويكون في تفرقة الأسماء والصفات بعد الجمع الأول غير محجوب بما هو من شهود عين الجمع ممنوح موهوب هذا الجمع يسمى مرتبة الأحدية المستهلكة جميع الأسماء والصفات فلا يبقى فيها صفة ولا موصوف ولا اسم ولا مسمى إلا الذات المطلقة لا ترى ولا تعرف ويسمى هذا الجمع أيضًا جمع الجمع، وحقيقة الحقائق والعمل، ويسمى من وجه آخر أيضًا مرتبة الإلهية ولا يذوق هذا إلا من هذا مقامه وعارفه وعلامه جعلنا الله من أهل هذا المقام من كمل ورثة حائز كمال محمد عليه أكمل الصلاة والسلام.

ومن أصول اصطلاحات هذه الإشارات ما ورد عن الله ﷻ بلسان رسول الله ﷺ: «إن الله سبحانه وتعالى يقول: يا عبدي، مرضت فلم تعدني، فقال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ فقال: يا عبدي أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده، أما إنك لو عدته لوجدتني عنده»[1].

قال بعض المحققين: إن المريض لا يزال ذاكرًا لله ذكر اضطرار وافتقار وهو الذكر الأصلي الذي انبني عليه وجود الممكن، والحق تعالى جليس الذاكر له والله عند أوليائه بقدر معرفتهم به.

وسمعته يقول: ما أحد تكلم ولا عمل بصرف التوحيد، والعمل له حد مشروع وهو البشرية فإذا فنيت البشرية وبقي الله كما لم يزل العبد كما لم يكن صار مستعملاً يكون في الظاهر عاملاً وفي الباطن مستعملاً، وسئل عن قولهم: فلان واصل، وهل ثم وصول؟ فقال: حالة يبلغونها يكون الغالب عليهم فيها الله يسمونها وصولاً وهي التي يرجع صاحبها بل يعلو ويزيد ومن كان يتلون فما وصل، وقيل له الأكسير إذا وضع على النحاس واستحال أين يذهب النحاس والوزن على حالة لا يزيد ولا ينقص والحق إذا استولى على العبد، فالعبد على حاله عبد، فقال ﷺ: النحاس باقٍ على أصله لم يذهب، وإنما صبغه الأكسير، وهكذا العبد باق والبشرية لا تزول وإنما يأتي عليه حالة يكون فيها كأنه يرى الله، كما قال رسول الله ﷺ: «أن تعبد الله كأنك تراه»[2] فكما أنه يكون يرى ذاته هذه يكون كأنه يرى الله تعالى فتنسيه رؤية الله نفسه وهذا لا يدركه إلا من وقع فيه وذاقه، ولا يدرك بالقيل والقال.

قلت: ومن هذا المقام قال ابن عمر – رضي الله عنهما – حين كلمه عروة بن الزبير في الطواف بشيء من خطبة ابنته فلم يرجع إليه جوابًا فلما لقيه بعد ذلك، قال: إنا كنا نترائى الله بين أعيننا في الطواف فذلك الذي منعني من جوابك.

ومن أمثلة بقاء البشرية وعدم انعدامها واستيلاء الربوبية وغلبة شهودها استيلاء النار على الفحم ذاته وصفة وفعلاً فتصير نارًا وتحرق وتضيء، وتنفخ لغلبة النار فإذا ضعفت النارية عادت فحمة سوداء مظلمة كذلك البشرية باستيلاء الربوبية تكون.

واستملى مني يومًا – رحمه الله – قول شيخنا أحمد الرداد سئل الله عن الفقراء،

---

(1) رواه مسلم (4661).

(2) سبق تخريجه.

فقال: هم قوم فرغوا عن الكل وما دخلوا من حيث خرجوا ولا خرجوا من حيث دخلوا قال - قدس الله سره: ما دخلوا على الله إلا بالله، ومن دخل لا يخرج عنه، وما أحد دخل على الله بعلمه، ولا يدخل على الله إلا بالله، وبالجملة السلام عليكم ورحمة الله، فالخلق بمعزل عن الله، أبشروا يا فقراء، فوالله ما لأحد ما لكم، ولا عمل أحد كأعمالكم، اليسير من أعمالكم يوازن الكثير من أعمال غيركم.

قلت: كلام شيخنا أحمد هذا كان في واقعة له مع الحق كما أخبرنا ﷺ غير مرة قال: كنت مرة فيما سلف في جماعة من أصحابنا وهم يتساءلون فيما بينهم عن الفقراء ما هم وكنا نحو ستة فانتهت إلى المسألة وليس لها عندي جواب فوقعت إلى غيب في حضور، وحضور في غيب فسألت عن مسألة الجماعة فغشيت بحق الحق من جواب الحق فلما رجعت إلى عالم الأصحاب أقبلت عليهم بوجه سرور ولسان حضور وعلم نور قائلاً: جوهرة انتبذت من باطن البحر الأكبر على ظاهر الساحل الأعظم.

سئل الله عن الفقراء فقال قوم هم فرغوا عن الكل وما دخلوا من حيث خرجوا، ولا خرجوا من حيث دخلوا، وكنت أود حينئذ لو سألني الجماعة عن معنى هذا القول لأشرحه لهم بقوة فتح النور وأوضحه لديهم بصولة نصر الظهور لما كنت أجد في الوقت من تلمع أنوار هذا الخطاب الكريم وتدفع أسرار هذا الجواب الحكيم وتكلم فيه بما هو مثبت فيما أثبت من علومه -رحمه الله ورحمنا به.

وسمعت شيخنا الأكبير أبا المعروف ﷺ يقول: أنا أقول كثيرًا في السماع على هوانك يا جارة وما هو إلا أن رسول الله ﷺ يقول: «من عرف نفسه عرف ربه»[1]، فلما عرفت نفسي وعرفت ربي ووقع لي زيادة في معرفة الله على معرفتي له بي قلت: على هوانك يا جارة وأعني نفسي التي هي بين جنبي.

وسمعته يقول: كان يجري على لساني أشياء كثيرة لا أجد لها شاهدًا من النصوص يعني من غرائب العلوم، ودقائق الحقائق، وخفيات المعاني في السماعات، والمذكرات في أيام البداية، قال: فقال أصحابي: إن جميع ما كان يجرى عليَّ وجدوه منصوصًا.

قلت: نعم، قد سمعنا عنه أشياء كثيرة من غرائب الحقائق ووقفنا عليها بعد في كتب المحققين فإنه ﷺ ما كان له نظر في الكتب ما كانت علومه إلا من الله وهبًا وكم كنا نسمع منه في السماعات من شرح الألفاظ الغزليات المذكرات والمؤنثات كسعدى وليلى،

---

(1) سبق تخريجه.

ولبنى، والطيور، والزهور، والثغور، والنحور، والشعور، والخدود، والقدود، والنهود، وغير ذلك مما هو من الألفاظ الخلقية وإحالتها على الصفات الحقية بأعرف عبارة وألطف إشارة بحيث لا يبقى على السماع مع أشكال في شيء مما يقوله القوال، وحتى تعلم الناس في عصره أطراح الأغاني وأسجاع المعاني وصاروا من الذين يسمعون القول فيتبعون أحسنه وحصل لهم بالسماع الانتفاع وسمعوه على علم وبينة.

ومما كنا نسمعه منه -قدس الله سره العزيز- إذا ذكر أو ذكر له شيء من آيات التشبيهات أو من أحاديث الصفات، يقول: آمنا بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنا برسول الله، وبما جاء عن رسول الله، على مراد رسول الله، ويوقف علم ذلك إلى الله تعالى على ما هو عنده حقيقة في علمه وعلى مراده به وفيه وبكل تفضيل علم ذلك إلى الله ولا يدخل فيه بشبهة التأويل وهذا من كمال معرفته، وعلمه بالله سبحانه وبرسوله ﷺ، فإن طور أفلاك معاني الآيات الإلهيات، والأحاديث النبويات، وغور بحارها غير مقيد بعلوم أحد من الخلق لا بعبارات، ولا بإشارات، والله سبحانه أعلم بما يحصل به العلم عن المعلومات من ألفاظ التبليغات، وهذا كان مذهب السلف العلماء بالله والمحققين من أهل الله، قال أحد أكابرهم ﷺ: فكان مما أخبر الحق عن نفسه أن قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ﴾ [الأحزاب: 57].

وقال رسول الله ﷺ: «لا أحد أصبر على أذى من الله ﷻ»[1].

وقال تعالى: «كذبني ابن آدم، وشتمني ابن آدم»[2].

وقال تعالى: ﴿وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: 6].

وقالت الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام قاطبة: «إن الله يوم القيامة يغضب غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله»[3].

فسلم العاقل ذلك كله إلى الله في خبره عن نفسه لما سلم إليه يفرح بتوبة عبده وكل من اتصف بالفرح، اتصف بنقيضه، ووصف نفسه تعالى بأنه يتعجب من الشاب ليست له صبوة، ووصف نفسه بأنه يضحك إذ قال أحد عباده يوم القيامة: أتسخر بي وأنت رب العالمين، ووصف نفسه بأنه يكره لعباده الكفر ورضي لهم الشكر والإيمان بهذا

---

(1) رواه مسلم (5016).

(2) رواه البخاري (4122)، (4592).

(3) رواه البخاري (4435)، ومسلم (194).

كله واجب على كل مسلم ولا يقول العاقل هنا كيف ولا لم كان هذا، بل يسلم ويسلم ويصدق ولا يكيف وأنه ليس كمثله شيء، ثم قال إلا عقولاً أدركها الفضول فتناولت هذه الأمور فنحن نسلم لهم حالهم ولا نشاركهم في ذلك التأويل فإنا لا ندر هل ذلك مراد الله تعالى بما قاله فيعتمد عليه أو ليس بمراده فنرده؟ فلهذا التزمنا التسليم فإذا سئلنا عن مثل هذا قلنا: إنا مؤمنون بما جاء من عند الله على مراد الله وإنا مؤمنون بما جاء من رسل الله -عليهم السلام- على مراد رسل الله ويكل العلم في ذلك إليه سبحانه وتعالى وإليهم ثم قال: وهذه كانت طريقة السلف جعلنا الله لهم خلفًا بمنه. انتهى كلامه.

فالذي أفصح عنه العبارة ومال إليه شيخنا أبو المعروف بالإشارة وهذه وراثة لشيخنا منه ومن السلف الماضين للأئمة العارفين المحققين وسمعته وصل الله إلى طوله يقول: ورد أن الله ينكر على عباده يوم القيامة، فسألت عن هذا التنكر فلم يشفني جواب فوقع لي أنه يتنكر بما هو له ومما هو فيه فزال عني الإشكال.

وسمعته مرة أخرى - واصل الله إلى طوله- يقول: ورد أن الله يتنكر على عباده فيظهر لقوم في صورة يعرفونه فيها ويظهر لقوم في صورة ينكرونه فيها فهل أحد في حال تنكره أم لا؟ فلم يجبه أحد من الحاضرين.

فقال: سألت ولم يكن عندي جواب في هذا شيء فوقع الساعة أن الألوهية تقتضي ذلك لأنها تجمع صور المعتقدات.

قلت: فالذين يعرفون الله في أي صورة تحول فيها وفي أي وصف اتصف به؟ هم أكابر المحققين من عباد الله الذين أطلقهم عن قيود العقائد وسرحهم عن ضيق الحصر، وعرفوا أن الله دائم التجلي أزلاً وأبدًا بما هو له فالله في أي شأن عندهم هو المعروف الذي ينكر، فهم أهله في الدنيا والآخرة.

قال فيهم رسول الله ﷺ: «فأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة»[1] ﷺ وجعلنا منهم.

وسمعته ﷺ يقول: وبالجملة فالله ما خلق خلقه إلا ليعرفوه فمنهم من عرفه من طريق الإسلام، ومنهم من عرفه من طريق الإيمان، ومنهم من عرفه من طريق الإحسان، الذي قال رسول الله ﷺ: «أن تعبد الله كأنك تراه»[2].

---

(1) رواه الحاكم في «المستدرك» (213/1).

(2) سبق تخريجه.

وسمعته ﷺ يقول: سألني سائل: هل القرآن جامع لجميع الأشياء؟ فقلت: نعم، الأشياء واحدة أعني الشيء الذي لا يشبه الأشياء فإن ذاته تعالى عز عن الحصر.

وسمعته -نفع الله به- وسئل ما إجاده من أتى الله لله؟ فقال: الله، وسألته: هل قد قيل إنما مع أحد من الله إلا بقدر استعداده؟ فقال: هما استعدادان: استعداد هو الذي يسمونه علماء هذه الطائفة الممتد يستعد ويفيض على هذا الظاهر، واستعداد الثاني هو ما يظهر بالإنابة والتوفيق.

قال الله تعالى: ﴿الله يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: 13].

قلت: هل يكون الفراغ لأنا لا نقبل شيئًا إلا إذا كان فارغًا، فقال: نعم، إذا وقع تجلي من التجليات على القلب فرغه من العلائق والعوائق، وقال: من كان لنا عينًا على قلبه أجرينا له جامليه أمن نال القلب معترك بين الجندين.

وسمعته ليلة ينشد هذا البيت ويكرره مرارًا:

كَمْ تُلِيجُ لِي يَا بَرِيقَ الإِبْرِيقِ وَتُذكِرُنِي بِغُرَةِ كُلَّ عَيْنِ

وسمعته - قدس الله سره - وذكر له أن بعض الشيوخ المحققين قال ما هذا بمعناه: أن المحتضرين لا بدَّ أن يكشف لهم عن الحقائق فمنهم من يرزق الاستعداد والإنابة، فقال بعض الحاضرين من فقهاء مكة لا ينفعه ذلك واستدل بقوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر: 85].

وقال: إن البأس هو ظهور الحقائق، وقال شيخنا ﷺ: تظهر الحقائق قبل البأس، وبظهور ناصية ملك الموت يظهر البأس ولا بدَّ أن تعرض عليهم العقائد والأعمال والمقاعد وقد رأى أهل الجنة مقاعدهم من النار ولم يدخلوها وهذا من أحكام الألوهة الذي لا يكاد أكثر الناس يدركها.

قلت: ينفع المحتضر الإيمان وتقبل منه التوبة والرجوع إلى الدين المحمدي ما لم يغرغر وقد ورد بذلك النص، وورد أيضًا أن المحتضر تحضره الشياطين في صورة من مات من أهله ليغووه فمن أراد الله أن يثبته وثباته على الدين الحنيفي نصره حينئذ بحضور الملائكة تطرد عنه تلك الشياطين أو يؤيده الله تعالى بالتعريف لهم أنهم شياطين فلا يقبل قولهم ولهذا شُرع تلقين المحتضر شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله إلهامًا له، وتذكيرًا، وتأنيسًا، وتثبيتًا فإن فتنة ذلك الوقت أشد الفتن أعاذنا الله منها وثبتنا وحمانا عنها.

ومن الدلائل على قبول إيمان المحتضر، ونفعه بعد ما يكشف عنه الغطاء ويعاين الحق من حقائق أمور السعادة وغيرها كراهية موت الفجاءة وقتل الغفلة والعياذ بالله لأنه يؤخذ سريعًا قبل معاينة ما يعانيه المحتضر من الحق وموجب السعادة فيموت على ما كان عليه من إيمان، أو كفر، أو طاعة، أو معصية.

قال ﷺ: «ويحشر على ما عليه مات»[1] كما أنه يقبض على ما كان عليه، والمحتضر لا يكون إلا صاحب شهود للحق ولا يزال الله سبحانه بلطفه وتدانيه ورحمته عند المريض كما قال سبحانه على لسان نبيه ﷺ: «**ابن آدم مرضت فلم تعدني، قال: وكيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده أما إنك لو عدته لوجدتني عنده**»[2].

وقد قيل: إنه ما يقبض الله أحدًا من المحتضرين إلا وهو مؤمن أي مصدق بما جاءت به الأخبار الإلهية ولهذا كره الموت الفجاءة وقتل الغفلة، وموت الفجاءة هو ألا يدخل النفس الخارج ولا يخرج النفس الداخل وقتل الغفلة هو أن يضرب عنقه من ورائه وهو لا يشعر فيقبض على ما كان عليه من إيمان أو كفر والعياذ بالله من ذلك، وذلك.

وقال شيخ المحققين محيي الدين فيما قال في الاستعاذة من فتنة المحيا والممات: فمنها ما يكون في حال النزاع والسياق عند كشف الغطاء عن بصره فيعاني ما لا يعانيه الحاضرين من رؤية الشياطين الذين يتصورون له على صورة من سلف من آبائه وأقاربه وإخوانه بأحسن زي وأحسن صورة ويعرفونه بأنهم ما وصلوا إلى ما هم فيه من الحسن إلا بكونهم ماتوا مشركين بالله فيقولون له: مت نصرانيًّا، أو يهوديًّا، أو مجوسيًّا، أو معطلاً ليحولوا بينه وبين الإسلام فينبغي للحاضرين عنده في ذلك الوقت من المؤمنين أن يلقنوه شهادة التوحيد ويعرفوه بصورة هذه الفتنة ليتنبه بذلك فيموت مسلمًا موحدًا مؤمنًا فإنه عند ما يتلفظ بشهادة التوحيد ويتحرك لسانه بها ويظهر نورها في قلبه بتذكره إياها فإن ملائكة الرحمة تتولاه وتطرد عنه تلك الصور الشيطانية التي تحضره.

وسمعته يقول: أعاذني الله به من مكره، يقول النبي ﷺ انتقل في الاستعاذة من صفة إلى صفة، قال: «**أعوذ برضاك من سخطك**» ثم رقى، فقال: «**وأعوذ بمعافاتك من**

(1) ذكره المناوي في «فيض القدير» (558/2).

(2) سبق تخريجه.

عقوبتك»، ثم رقى فقال: «وأعوذ بك منك»[1] والمتعوذ به يحكم على المستعاذ منه.

قلت: لأن المتعوذ به عين المستعاذ منه وعلى هذا نص المحققون قال: بعضهم فلم يجد يعني النبي ﷺ من يستعذ إلا منه لأنه عين كل شيء ولا وجد من يستعيذ إلا به وانظره في تعليمه ﷺ بحال المحجوب في قوله: «وأعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك» استعاذ من صفة بصفة ومن فعل بفعل فلما أراد أن يعرف الأمر على ما هو عليه من أنه عين الرضا والسخط والعافية والعقوبة، قال: «وأعوذ بك منك» موقف العلماء بالله مع هذا القول الأخير، ووقف الراسخون في العلم بالله مع الكل وأعطوا الكل موطن حقه وهو الذي يعول عليه.

وسمعته - أفاض الله عليَّ من مواهبه - يقول: وذكر علم التوحيد أنت من العلم على قدر تزكيه نفسك وطهارتها ولا يحصل لك منه شيء يعني علم التوحيد إلا بعد الطهارة والتزكية ويزكى من العلم المزكي ويتزكى من التزكية وهذا مقام عزيز به هو الفناء مع الفناء مع العبودية فافهم.

وقد شهد لنا رسول الله ﷺ: «إن الله سبحانه وتعالى إذا أحب عبدًا كان عوضًا عنه، كان سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به»[2].

فإذا صح لك هذا ما ترى قط شيئًا ما ثم إلا الله ما ترى إلا الله وفعله فمن صح له هذا كان كأبي بكر الصديق ﷺ، قال: ما رأيت شيئًا إلا رأيت الله قبله وبقدر ما تنزل إلى نفسك يكون انحجابك عن الله تعالى.

وسمعته ﷺ يقول: وحضر مجلسه رجل غريب من أهل مشهد العراق وكان يظهر أنه على مذهب أهل السنة فكلمه يومًا بما هو عليه باطنًا من سوء العقيدة وفساد الطوية فلما علم أن الشيخ قد اطلع على سريرته ظهر عليه الخوف، والرعب وأظهر التوبة فقال له الشيخ: لا تخف فالعارف من تخلق بأخلاق الله مع كل أحد ويصحب كل أحد.

وسمعته ﷺ يقول: أهل المصائب قليلون وهم المنكسرة قلوبهم الذين كشف الله لهم عن جماله ثم استتر عنهم فانكسرت قلوبهم من أجله ومن هنا أقول كثيرًا في السماعات ليس المصائب سواء.

قلت: أشار شيخنا ﷺ إلى أن المنكسرة قلوبهم متفاوتون في الكسر، فالكسر

(1) رواه مسلم (751).

(2) رواه البخاري (6021).

والجبر إذ يتفاوت فكل منكسر جبره بما انكسر من أجله وكل شيء لا يكون جبر المنكسر فذلك الجبر هو الحق الذي عنده فإن الله عند كل منكسر بما تعلق به كسره إن انكسر من مرض كان الله عنده بالشفاء، وإن انكسر من ذنب كان الله عنده بالغفران، وإن انكسر من حجاب كان الله عنده بالكشف، وعلى هذا والحق موجود عند كل منكسر بما تعلق به كسره والله موجود لمن يطلبه عند المنكسرة قلوبهم والحمد لله.

وسمعته وسئل ﷺ هل للاستقامة حد ونهاية تنتهي إليه؟ فقال: الاستقامة وصف العبد فنعم يكون لها حد، والمشاهدة بعدها فإذا وقع المشاهدة خرج من حد الاستقامة.

وسمعته ﷺ يقول: الفقراء لا يرجعون في عقائدهم إلى ما يختلف فيه العلماء ويرجعون إلى ما يكشف لهم.

وسمعته ﷺ يقول: كنت ليلة في السماع، فأحسست بيد وقعت بين كتفي فسرت البرودة إلى قلبي فعرفت معنى الحديث وعلمنا أن اليد الفضل، قلت ويوصف العلم إذا ستقر ببرد اليقين وبالثلج كما قال بعض المحققين ومنه الحديث وهو قول رسول الله ﷺ: «إن الله ضرب بيده بين كتفي؛ فوجدت برد أنامله بين ثديي، فعلمت علم الأولين والآخرين»[1]؛ فهذه الواقعة التي أشار إليها الشيخ ﷺ هي جوامع الإرث المحمدي والحمد لله.

وسمعته ﷺ يقول الناس يقولون الحقيقة والحقائق كثيرة، والحقيقة مجموع الحقائق، فترى العارفين في الحقيقة وهم متفاوتون فيها، وسمعته ﷺ يروي قول موسى ﷺ وعلى نبينا: يا رب أين أجدك فقال: «عند المنكسرة قلوبهم من أجلي»[2].

وقول أبي طالب المكي فيهم إنهم قوم كشف الله لهم عن جماله واستتر عنهم.

وقال: ينبغي للإنسان أن يطلب هؤلاء المنكسرة قلوبهم من أجل الله لعله يجد واحدًا منهم فيجد الله عنده فقيل: ماذا يوجد عند هذا المنكسر وهو محجوب؟ فقال: إن هذا حجاب عن الترقي؛ لأن جمال الله لا نهاية له ومطلوبهم لا نهاية له فهم واجدون لله في هذا الحجاب، ولهذا قال أبو طالب ﷺ في تمام كلامه: فهم ينظرون إليه من حيث لا يعلمون كما أنه ينظر إليهم من حيث لا يعلمون فقيل له العلم لا يفقد وهذا عين فقال: ما صح في العلم صح في العين، وقال قلت للشيخ أبي بكر بن سلامة إن الترقي لا يكون إلا بالعلم فقال لي: بالعين، فقلت: العين مرتبة على العلم؛ لأن التجليات مرتبة على العلم.

---

(1) سبق تخريجه.

(2) سبق تخريجه.

وسألته ﷺ من أخص علم الوارد أو وارد العلم قال: إذا حصل لك الحال وأخذت منه العلم فهو أخص من تقدم علمه حاله ما هو كمن تقدم حاله علمه كان أخص.

وسمعته - قدس الله سره - ونفع به يقول: أفضل الوسائط ما كان على يد سيدي رسول الله ﷺ لأنك تُعطى على قدره وذلك أفضل مما بينك وبين الله تعالى لأنك تُعطى على قدرك كما قال أبو يزيد -رحمه الله- لذلك الفقير قلت: قول الشيخ ﷺ أفضل الوسائط هو بتقدير مضاف محذوف تقديره أفضل مواهب الوسائط ما كان على يدي رسول الله ﷺ أي ما كان بواسطته وقول أبي يزيد ﷺ هو قول لبعض مريديه لأن ترى أبا يزيد مرة خير لك من أن ترى الله ألف مرة.

قلت: لأن تجلي الحق سبحانه لأبي يزيد على قدر استعداد أبي يزيد وعلمه ولأن يرى المريد الله في مرآة أبي يزيد خير له من أن يراه في مرآة نفسه ألف مرة.

ولا شك أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أكمل الناس مرائي وأكمل كمالات المرائي مرآة سيدنا محمد ﷺ فتجلى الحق سبحانه فيها أكمل الناظر في كل مرآة لا يرى إلا ما تجلى فيها على قدر صورتها ووسعها واعتدالها ونقصها وكمالها وهذا هو الذي أشار إليه شيخنا وأبو يزيد رضي الله عنهما وقد نص ذلك شيخ المحققين محيي الدين في فتوحاته فقال وقد علمت أن الرسل صلوات الله عليهم أعدل الناس مزاجًا لقبولهم رسالات ربهم فكل شخص منهم قبل من الرسالات قدر ما أعطاه الله تعالى في مزاجه من التركيب فما من نبي إلا بعث خاصة لقوم معينين لأنه على مزاج خاص مقصور وأن محمدًا ﷺ ما بعثه الله إلا برسالة عامة إلى جميع الناس كافة ولا قبل هو مثل هذه الرسالة إلا لكونه على مزاج يجري على مزاج كل نبي ورسول فهو أعدل الأمزجة كلها وأقوم النشآت فإذا علمت هذا المزاج الذي لمحمد ﷺ وأن الحق مهما تجلى لك في مرآة قلبك فإنما تظهره مرآتك على قدر مزاجها وصورة شكلها وقد علمت نزولك عن الدرجة التي صحت لمحمد ﷺ في نشأتها فالزم الإيمان والاتباع واجعله أمامك مثل المرآة التي تنظر فيها صورتك وصورة غيرك فإذا فعلت هذا علمت أن الله تعالى لا بدَّ أن يتجلي لمحمد ﷺ في مرآته وقد أعلمتك أن المرآة لها أثر في نظر الرائي في المرآة فيكون ظهور الحق في مرآة محمد ﷺ أكمل ظهورًا وأعدله وأحسنه لما عليه مرآته، فإذا أدركته في مرآة محمد ﷺ فقد أدركت منه كما لا تدركه من حيث نظرك في مرآتك فلا تطلب مشاهدة الحق إلا في مرآة نبيك محمد ﷺ واحذر أن تشهده في مرآتك أو تشهد النبي وما تجلى في مرائية في مرآتك فإنه ينزل بك عن الدرجة العالية فالزم الأخذ والاتباع ولا تطأ مكان لا ترى فيه

قدم نبيك محمد ﷺ وضع قدمك على قدمه إن أردت أن تكون من أهل الدرجات العلا والشهود الكامل في المكانة الزلفي انتهى كلام الشيخ محيي الدين ﷺ.

فما قاله الشيخ أبي المعروف وما قاله أبي يزيد وكلام الشيخ محيي الدين ﷺ نص صريح في أن الأخذ بالواسطة أتم من الأخذ بالخصوصية.

وأقول: أنها مسألة إجماع لا خلاف فيها من حيث تفاوت المراتب وشمولها ووسعها حيطة وجمعها للأسماء والصفات والنسب والإضافات وحضرات تجالي التجليات الإلهيات وتفاوت القوابل والاستعدادات والله سبحانه أعلم، والراسخون في العلم به أحق وأحكم.

وسمعت شيخنا أبو المعروف - أعلى الله مناره وبسط أنواره — يقول: وبالجملة ولسعادة الكبرى أن يكون أكبر همك الله والهموم كثيرة لكن يكون الأغلب على همك الله وإن لم يقع لك اجتماع الهم اليوم فلا بدَّ أن يحصل لك عند بروز ناصية ملك الموت.

قلت: هذا تعليم وإرشاد منه ﷺ لمن لم تجتمع همومه في مدة حياته على الله أن يحرص على أن يكون أكثر همومه وأجل مطلوباته وأعظم مرغوبات الدنيا والآخرة هو الله وكان أكبر همومه، والأغلب عليه هو الله لأن ذلك سبب إلى أنه لا يموت وإلا وهمومه مجموعة على الله حكمًا الأكثر والغالب ووفاء من الله لحق قربه منه وتبليغًا لأكمل المراتب، فلا يموت وله إلى غير الله نظر ولا فيما سواه رغبة ولا وطر فنعم يكون هذا هو السعادة الكبرى كما قال شيخنا ﷺ في تعليمه جزاه الله عنا من معلم أفضل ما جزى الأئمة الهادين ورضي عنه وعنهم وعنا أجمعين.

وسمعته أيضًا يقول: يا فلان اقطع ولا تبالي إن السعادة أن يكون أكبر همك الله عز وجل، فمنهم من يكون همه الزهد، ومنهم من وهمه التوكل، ومنهم من همه الرضا، وهذه شعائب موصلة لك إلى الله تعالى.

وأنشد قول القائل:

كَانَتْ لِقَلْبِي أَهْوَاءٌ مُفَرَّقَةٌ ... فاستَجْمَعَتْ إِذْ رَآكَ العَيْنُ أَهْوَائِي

أعجبني داود الطائي كان يدور في الأسواق وهو يقول :

هَمُّكَ عَظَّمَ عَلَيَّ الهُمُومَ ... وَحَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ الرُّقَادِ

وقال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم، ولا إلى أعمالكم، ولكن ينظر إلى

قلوبكم»[1] من فيها هل فيها الله تعالى أم سواه؟

وأبو طالب المكي يقول في كتابه «القوت»: إنهم يولعون بالله كما يولع الطفل بالشيء إن فقده بكى عليه وإن وجده فرح، وإن نام، نام معه وإن استيقظ طلبه، وقال: انظر هذا الوصف الذي وصفهم به أبو طالب فإذا لم يكن للإنسان هذا وكان أكبر همه الله فعما قليل يتداركه الله ويرزقه الولع به.

وسمعته أعلى الله مناره وبسط أنواره، يقول: ما حسن إلا وأحسن منه حسنات الأبرار سيئات المقربين هذا قد يشكل على كثير من الناس يظن أنها سيئات توجب الحساب والعقاب، وليس كذلك إنما هو تفاوت الدرجات وانحطاط بعضها من الدرجات العلا.

وسمعته ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن لله ضنائن من خلقه، ألبسهم النور الساطع، ويحييهم في عافية، ويميتهم في عافية، ويدخلهم الجنة في عافية»[2].

قال الشيخ ﷺ: وهنا من هو أفضل منهم وذكر حديث: «نحن معاشر الأنبياء أشد بلاء ثم الأمثل فالأمثل»[3]؛ فسألته ما هذه الصفة التي سموا بها فقال: ضن بهم عن البلاء فقال ﷺ لي مرةً: أعرف المتخلفين من أصحابنا والمتعلقين ما لأحد من أصحابنا ما لابن الرداد في التخلق المتعلق يظهر عليه من آثار بركة التعلق ولا يقدر على التخلق والمتخلق أهناً وأمراً للخلق من المتعلق فقلت أيهما أعلى وأتم؟ فقال: المتعلق، فقلت: قالوا لا يجوز التخلق بالقيومية، فقال: فيها خلاف، فقلت: لم اختصت هذه الصفة وانفردت بهذا من بين سائر الصفات، فقال: لأن الذي لا تأخذه سِنة ولا نوم ما هو إلا الله. قلت: وهذا على قول من منع الاتصاف بها فعلى قول من أجاز؟ قال: يجعلها كسائر الصفات. قال رسول الله ﷺ: «تنام عيني ولا ينام قلبي»[4] فانظر ما حصل للنبي ﷺ من هذا.

قلت: يدل هذا على أنه لا يصح لأحد كمال الاتصاف بالقيومية، فقال: نعم.

قلت: وصف شيخنا الأكبر ﷺ شيخنا أحمد بكمال التخلق وسكت عن وصفه

---

(1) رواه مسلم (4650).

(2) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (4/233).

(3) رواه الحاكم في «المستدرك» (1/99).

(4) رواه البخاري (3304).

بالتعلق بحكم مقتضى ذلك الوقت وإن كان قد وصفه غير مرة بكمال التخلق والتعلق والتحقق.

وسمعته وذُكر له أن بعض الفقهاء لا يؤمن بكراماته فقال: الكرامات عند الناس ما هي إلا خرق العادات، قلت له: لما لم ينصفوا الحق وإلا أي كرامة أعظم من هذه الاستقامة التي أنتم عليها وأدنى أصحابنا له تعلق عزيز ولا يرى بما يراه الناس من خرق العادات، فقال: يا ولدي ما يرى هذا إلا الإلحاد، وقال لي ليلةً: ثم مسألة تشكل على أكثر الناس حتى أكثر أصحابنا وهي مسألة التعلق، والتخلق والتفت إلى الجماعة وهم في مجلس القرآن، وقال لهم: من أتم التعلق، أو التخلق فقال بعضهم: التخلق، وقال واحد منهم: بالتعلق، فقال: قلت: للفقيه أبي بكر محمد بن حربة يا سيدي نرى جماعة من أصحابنا لهم صيام، وقيام، ومجاهدة، ونرى من هو أقل منهم صيامًا، وقيامًا، ومجاهدة، ويظهر عليه من علم التوحيد ما لم يظهر عليهم فأطرق ساعة ورفع رأسه، وقال: ولعل له تعلقًا أعلى من تعلقهم.

ثم قال شيخنا أبو المعروف ﷺ: لو تقطع المتخلق إربًا إربًا فالله بمعزل عنه والتعلق لا يزال مع الله لا يفارقه لا في حاضره ناضره شاهده والتعلق يؤدي إلى التخلق والتخلق قد يؤدي إلى التعلق وقد لا يؤدي وقد رأينا كثيرًا من المتخلقين ينزلون في هممهم عن الله تعالى وقد أحسن الإمام الكبير حيث قال: لو أقبل على الله مقبل كذا وكذا سنة ثم أعرض عنه لحظة كان ما فاته أكثر مما ناله.

واعلموا أن المتعلق قليل ما يظهر عليه الآثار بخلاف المتخلق فإنه ظاهر وإذا أردتكم معرفته يعني المتعلق فبالعلامات إذا تكلم أفاد بالكلمة الواحدة عن الكلام الكثير فإنه يعطى سر جوامع الكلم والمتخلق لا يفيد عن الكلمة الواحدة إلا بكلام كثير والمتخلق ينطق بالتفرقة، والمتعلق ينطق بالجمع واعلموا أن الطريق كلها أن يكون أكبر همك الله فالهموم تختلف منهم من همه الله ومنهم من همه الجنة ومنهم من همه النجاة من النار.

كان داود الطائي -رحمه الله- يدور في الشوارع وهو يقول: همك عطل على الهموم همك عطل على الهموم، فما تفاوت الناس إلا بالهمم يكون الجماعة يصلون جميعًا هذا همه في ركوعه، وسجوده الله، وهذا همه القراءة، والتسبيح، والتكبير.

وقال رسول الله ﷺ: «الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو

امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»[1].

هؤلاء عملوا عملاً واحدًا في الظاهر، وتفاوتوا في الباطن هذا همه يعني في هجرته الله ورسوله، وهذا همه دنيا ، وهذا همه امرأة يتزوجها وقبل وبعد فالله يحب منكم أن تحبوه ويحب منكم أن تشتغلوا به ويحب منكم أن تعرفوه، ومن أراد أن يعرف قدره مع الله فلينظر قدر الله عنده فيكون الله تعالى على باله فكذا، ومن كان لا يخطر له ببال فلا يبالي الله في أي وادٍ أهلك من أهلك فالعارفون يمشون في الأسواق ويخالطون الناس وقلوبهم منفردة بالحق هم مع الناس فيما هم فيه أجسامهم مع الخلق وقلوبهم مع الحق هذا لا يعرفه إلا من وقع فيه أتعرفون هذا العلم بالحال فلم يجبه أحد.

واعلموا أن الناس في بركة بعضهم بعض قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النحل: 71] وهم الأولياء الذين صحت ولايتهم بعضهم في بركة بعض.

وقلت له مرة: إن أدنى أصحابنا نجد له متعلقًا عزيزًا ولا نجد مع غير أصحابنا إلا ذكر الكرامات فقال ﷺ: ما السيار كالطيار كأنه ﷺ يشير إلى أن الطيار هو العالم المتعلق يطير بجناح تعلقه ويعلو بنفس همته وتحققه إلى عوالي درجات المعارف الذاتية والسيار هو العارف المتخلق يسير بقدم تخلقه على مقامات الأخلاق الأسمائية، والصفاتية، فالكرامات إنما هي لأرباب المقامات بأحكام إشارة الأسماء والصفات والتعلقات لمن استولت عليه أحكام أحدية الذات فاستوى عنده المحو والإثبات والله بكل شيء عليم.

وسمعته - أوصلني الله به إليه — يقول: تنافسوا في الله فإن الله قد أمرنا أن نتنافس فيه، فقال: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: 26] والله ما شرفت الناس إلا بالهمم فمنهم من همه العبادة، ومنهم من همه العلم، وهذه إن كانت همًا مقربة إلى الله فما هي لمن همه الله فإن طب الأعلى أولاً.

وسمعته دلني الله به عليه يقول: يا جماعة من خير الأصحاب؟

---

(1) رواه البخاري (1)، ومسلم (3530).

واعلم أن متعلّق نية الخواص: هو الحق تعالى؛ فهم محسنون متقون مقربون، ولهم النور التام يوم القيامة.

وإن متعلّق نية العوام: هو فضل الله ورحمته. فهم عاملون ابرار مقربون، ولهم الأجر التام يوم القيامة. ومقام الأولين: جنة عرضها السماوات والأرض؛ لاتساعهم وانشراحهم قلبًا وصدرًا، ومقر الآخرين: جنات تجري من تحتها الأنهار؛ لمتابعتهم العلوم أو سالتهم الدموع، فأين الأجير المحجوب من المحسن المحبوب؟ فعليك بإعراب المطلوب.

فقال بعض الفقهاء: من قربك إلى الله، وقال شيخنا أحمد الرداد: قال بعضهم: ارض بالله صاحبًا ودع الناس جانبًا، فقال: نعم، قال العلماء: خير الأصحاب الله، وسمعته يقول: الفخر لمن قبل الكمال لا لمن قبله الكمال، وسمعته في جمع يقول: وبعد وقبل فأوصيكم وأوصي نفسي معكم ألا تخلو قلوبكم من الله وأن تكونوا دائمي النظر إلى الله ترون أنه معكم وحاضركم وناظركم هذه وصيتي لكم وأن يكون أكبر همكم الله فمن عظم المصائب خلو هذا القلب عن الله فحسبنا الله ونعم الوكيل، فحسبنا الله ونعم الوكيل، فحسبنا الله ونعم الوكيل.

وسمعته – نفع الله به – يقول: يا أهل الإسلام، يا أهل العقول، يا فقراء أوصيكم وأوصي نفسي معكم ونتواصى فيما بيننا أن يكون أكبر همنا الله فما تشرف الناس إلا بالهمم وكل يشرف بمتعلقه علماء الحديث شرفوا على علماء الفقه بالنبي ﷺ لأنه متعلقهم وعلماء الأصول شرفوا على علماء الحديث بتعلقهم بالله وأكبر السعادة أن يكون أكبر همك الله، كما قال حجة الإسلام الإمام الغزالي: أكبر السعادة أن تموت وأنت عارف بالله محب له خذوها من إمام بلسان فقير فمن كان أكبر همه الله وإلا فلينظر إلى أحواله فإن وجد فيها ما يوصله إلى هذا وإلا فليطلبه، العارفون وهم العارفون متفاوتون.

قال أبو العباس بن العريف: علق العباد بالأعمال، والمريدون بالأحوال، والعارفون بالهمم، والله من وراء ذلك فالأعمال للجزاء، والأحوال للكرامات، والهمم للوصول.

وقيل أن أبا يزيد وقع في حال فنظر إلى الطالبين منهم من يطلب المشي على الماء، ومنهم من يطلب الطيران في الهواء. ومنهم من يطلب طي الأرض، فقال: يا رب هؤلاء يسألونك المشي على الماء، وأنا أعوذ بك من ذلك، وهؤلاء يسألونك الطيران في الهواء، وأنا أعوذ بك من ذلك، وهؤلاء يسألونك طي الأرض، وأنا أعوذ بك من ذلك.

وسمعته – لا أخلانا الله من بركاته – يقول: سألت الفقيه أبا بكر بن محمد يعني ابن أبي حربة فقلت له: لنا أصحاب لهم اجتهاد وعبادة وغيرهم ما له ذلك وأشار إلى نفسه وإذا تجارى هو وهم في هذا العلم يعني علم التوحيد كان له خلاف ما لهم فأطرق الفقيه ساعة وقال ولعل له متعلقًا أعلى من متعلقهم، قال: فاستفدنا هذه منه ثم بعد مدة وجدناها منصوصة في قول بعضهم في التعلق والتخلق: أن التعلق للذات والتخلق للاتصاف.

قلت: نقل شيخنا ﷺ عن الفقيه أبي بكر هذه المقالة وسمعتها منه بلفظين مرة قال: إنه قال ولعل له تعلقًا أعلى من متعلقهم، ومرة قال: إنه قال ولعل له متعلقا أعلى من

متعلقكم فما أدري أوقع اللفظين من الفقيه في وقتين أو في وقت واحد أو لم يقل إلا أحدهما الله أعلم أي ذلك كان.

وسمعته - زادنا الله منه - يقول: ما منا من تخفى عليه نفسه ولا من يخفى عليه ما أكبر همه لا وما تعلقه هذا أكبر همه الله وهذا علم يحصله وما تفاوت الناس إلا منا وشرف كل أحد بشرف علمه والعلم هنا الموضوع شرفه بشرف معلومه.

وسمعته ﷺ يقول حديث صحيح قول الله تعالى: أنا بريء من الشركة، وسأل الجماعة: هل هذا خصوص أو عموم؟ ثم قال: بل هو خصوص، فإن الأبرار كلهم طلبوا من الله المكافأة على أعمالهم وحسناتهم إلا هذه الطائفة يعني المقربين فإنهم ما طلبوا من الله شيئًا ولا رأوا لهم شيئًا، واعلم أن كل أهل اليمين عملوا على الشركة، والله يقول: أنا بريء من الشركة إلا المقربين أهل اليمين يعملون ليغفر لهم ولطلب الثواب والخوف من العقاب فهم ما عملوا إلا لأنفسهم فغايتهم أن يرفع الله لهم الدرجات ويدخلهم الجنة وينعمهم فيها وأما أنه يبيحهم النظر إلى وجهه وسكت ثم قال: وقد قيل إن العاملين لله بين قبول وردود والعاملين بالله في قبول بلا ردود لأنهم قد صبروا بالله إلا بأنفسهم وأعمالهم لا ينظرون إلى أنفسهم ولا إلى أعمالهم وإنما ينظرون الله وفعله فيهم كما قال الله تعالى في أهل الكهف: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [الكهف: 18] فانون في أنفسهم ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ [الكهف: 18] الأشياء تجري عليهم من غير قصد وهذه مسألة ذكرها أهل الشرع قالوا: التوفيق هو وقوعك على الشيء من غير قصد فنحن لا نحكم عليهم بعقولنا أنهم رقود ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [الكهف: 18].

قال الله تعالى هذا للكامل المكمل محمد ﷺ فقيل للشيخ أهذا من شدة ما يظهرون به من الحق فقال: لا بل هو ﷺ أقوى منهم وأكمل وأشد ظهورًا وإنما هو من باب النكرة وقد رأينا هذا كثيرًا كما كان الفقيه عليّ بن موسى لا يشك أنه مجنون لولا تعرفه إلينا ما عرفناه، وهم يقولون معارف النكرة أكمل من معارف التعريف، وسمعته يقول: المسكين من سكن قلبه إلى الله، قال نبيكم ﷺ: «وأحيني مسكينًا، وأمتني مسكينًا»[1].

وسمعته يقول: السالك هو الذي يحب طهارة نفسه وزكاتها والتخلق بأخلاق الله.

وسمعته يقول: الصوفي عندنا من يكون حسنات الأبرار سيئات المقربين، وسمعته

---

(1) ذكره الذهبي في «ميزان الاعتدال» (7/420).

يقول: ما كل من قام يتبع وحقيقة الشيخوخية التبعية إن التربية والتبعية لا تكون إلا لمن هو من الذين يألفون ويُؤلفون.

وسمعته وروى قول أبي سعيد الخراز: حقيقة التوكل سكون بلا اضطراب، واضطراب بلا سكون، وقال: جمع بهذه الحقيقة والشريعة يسكن إلى الله ولا يضطرب بالأسباب فإذا قيل هذا الحقيقة فما الشريعة؟ قلنا: يضطرب بالأسباب ولا يسكن إليها؛ فإن عمدته على الله.

وسمعته - نفع الله به - يقول: منهم من يتوكل على الله ليفعل له ما شاء وهذه درجة في التوكيل كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: 3]؛ لأن الحسيب هو الكافي ومنهم من يتوكل على الله ليفعل به ما شاء كما قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: 23].

وسمعته يقول: من عادة المتوكل السكون عند القبض.

وسمعته يقول قال الإمام المحاسبي: من جرى مع الله على عادة العوام رزقه من الكسب والعناء ومن جرى معه على عادة أوليائه رزقه من غير كسب ولا عناء.

وسمعته ﷺ وعنا به يقول: أرزاق المتوكلين تجري لهم على أيدي غيرهم والغير فيها متعوب مَعْنِيّ، وسمعته يقول: إن مريم عليها السلام في ابتدائها رزقها الله من غير سبب فكان زكريا إذا دخل عليها وجد عندها رزقًا فلما عرفت الله أمرها بالتسبب فقال لها: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ﴾ [مريم: 25].

قلت: لما عرفت مريم عليها السلام الله تعالى أمرها بالتسبب إثباتًا للأسباب لمقتضى الحكمة الإلهية وهذا تحقيق مقام التوكل وأعلى درجته وهو مقام محققي المتوكلين، ودونه السكون إلى الله من غير اضطراب بالأسباب لمقام مريم الأول، وهو مقام عارفي المتوكلين، ودونهما الاضطراب بالأسباب من غير اعتماد عليها وهو مقام غاية المتوكلين، فالمحققون علو بعلم ما جهله من دونهم علموا أن الله سبحانه ما وضع الأسباب عبثًا ولا ثم ما يرى به في العام فأثبتوا ما أثبته الحكمة الإلهية وعملوا به تحقيقًا للعبودية والله هو الحكيم العليم.

وسمعته ﷺ يقول: لا بدَّ من العلامات لمن يدعي المقامات وكل من كان منتسبًا إلى الله لا بدَّ له من علامة وسمعته يقول العارف يخاف الكفر وغيره لا يخاف إلا المعصية؛ فإن من اعتقد في الله ما لا يجوز عليه كفر.

وسمعته يقول: قد يسمع سامع قول الشيخ أبي الغيث «أن البلاد التي كنا فيها قديمًا ليس فيها مطيع لله ولا عاص بحال» فيقول: إن الفعال لله ويترك الأوامر والنواهي فيضل وهنا حصل الغلط وإنما العارف من يحفظ الأوامر والنواهي.

قلت: فإن الأحكام الشرعية تلزمه بلا شك ولا يمتنع الحكم في حقه بوجود العلم وإنما يمتنع الحكم عن المسلوب عن حسه وتمييزه شهود ذلك من الله كشفًا وعيانًا هذا مذهب المحققين.

وسمعته كثيرًا يكرر في المجالس هذه المقالة: كن طالب الاستقامة لا طالب الكرامة، فالكرامة كل الكرامة مطالبة النفس بالاستقامة، ومن رأيته أكثر منك استقامة فهو أفضل منك شئت أم أبيت، وقد يعمل حتى يتقطع وهو طالب الكرامة: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: 5] فلا تطلب إلا الاستقامة على الكتاب والسنة.

وللكتاب والسنة عزائم فمن أخذ بالعزائم فهو أفضل ممن يتبع الرخص واحد يشكر الله على هذا العمل لما وفقه له، وواحد خائف منه ولهذا كانت حسنات الأبرار سيئات المقربين، فالأبرار نظروا إلى الأعمال فشكروا عليها، والمقربون نظروا إلى القبول وخافوا من الرد.

وسمعته - نفع الله به - يقول: الواردات ثمرة الأوراد من لا ورد له في ظاهره لا وارد له في باطنه وهذا من مقتضى الحكمة لا من مقتضى القدرة لأن في القدرة أن يعطيه الله من غير عمل.

وسمعته يقرأ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: 31].

وقال: بالمتابعة تحصل لك المحبة وعلى قدر المتابعة تكون المحبة فمنهم من يرزق المتابعة في الأقوال، ومنهم من يرزق المتابعة في الأفعال، ومنهم من يرزق المتابعة في الأحوال، وكان حاله ﷺ التوكل وإنما اكتسب مرة في عمره لأجل التشريع.

وسمعته يقول: قال بعضهم: وقفة مع الله على الصفا خير من سبعين حجة مقبولة، وأنا أقول: بكية على الله خير من سبعين بكية على الأوامر والنواهي فإن هذه السبعين ما توصل إلا هذه البكية وإذا رأيت من يبكي إما شوقًا إلى الله، أو محبة لله كان أفضل عندي ممن يبكي سبعين مرة على ترك مأمور به أو ارتكاب منهي عنه، وقطرة من دمع هذا الذي يبكي على الله أفضل من حبر العلماء الذي هو أفضل من دم الشهداء.

وسمعته - قدس الله سره - يقول: الإرادة هي ترك ما عليه العادة حتى تفنى عما

منك ويقيك بما منه فتكون في الأشياء به لا بك.

وسمعته يقول: إن الطرق كلها لا توصل على الله إلا طريقة واحدة وهو كما يروي عن موسى صلوات الله عليه قال: «يا رب كيف أجدك قال: فارق نفسك وتعال».

وسمعته -عرف الله من عوارفه- يقول: العالم يهتدي به والعارف يقتدي به فما يوجد الاقتداء إلا بعد الاهتداء، وسمعته وسئل: هل يحصل شيء بلا تعب؟ فقال: نعم، قال الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114].

وقد جمع الله لنا في آية واحدة ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ﴾ [الشورى: 13]، فهذا لم يتعب ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: 13].

وهذا اكتسب، وقال: قالوا الأئمة أربعة رجل اجتبى ولم يتعب فهذا لا يقتدي به، ورجل لا طلب ولا اجتبي وهذا لا يقتدي به، ورجل سلك واجتبى فهذا يقتدي به، ورجل سلك ولم يجتب وهذا يقتدي به، وقال في معنى قوله تعالى ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا﴾ [الشورى: 49] دنيا بلا آخرة، ﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ [الشورى: 49] آخرة بلا دنيا، ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾ [الشورى: 50] يجمع لهم خير الدنيا والآخرة، ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: 50] لا دنيا ولا آخرة.

وسمعته - أدام الله وجود علومه - يقول: قال الله تعالى ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: 153] ولم يسكت لنا ربنا سبحانه على هذا، بل قال: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: 153] أي طريقه.

وسمعته يقول: المشايخ كالأنبياء، الشيخ في أصحابه كالنبي في قومه، قلت: قال بعض أكابر المحققين: ولا شك أن الورثة إنما هم هياكل لروحانية النبي ﷺ فمن يطع الشيخ فقد أطاع الرسول فإنه روح هيكله، ومن أطاع الرسول فقد أطاع الله؛ فإنه مجلاه وجسد الرسول موضع ظهور الحق، وسمعته في حال مرضه وهو يئن يقول لا تكرهوا أنين المريض فإنه اسم من أسماء الله تعالى، وقال إنه ورد هكذا وقال أخ ألف حاآه ألف ها فذكرهم من حيث العظمة آه، آه، آه وذكرهم من حيث الجلال أنت، أنت وذكرهم من حيث التجلي هو، هو فمن رزق التوفيق كان له هذا مناجاة.

وسمعته ﷺ يقول: ما رأيت تحاجًا، أو تخاصمًا، أو تحادثًا في الخوف والرجاء إلا

كانت الغلبة للرجاء على الخوف وهو سر قوله ﷺ: «سبقت رحمتي غضبي»[1].

قلت: ورأيت في بعض مصنفات الشيخ صدر الدين القونوي ما هذا لفظه وورد في الحديث ما هذا معناه أن يحيى وعيسى -عليهما السلام- فقال يحيى لعيسى -عليهما السلام- كالمعاتب له يسطه: كأنك قد آمنت مكر الله وعذابه فقال له عيسى كأنك قد آيست من فضل الله ورحمته فأوحى الله إليهما: أن أحبكما إليّ أحسنكما ظنًا بي.

وسمعته يقول: الصفا عيش هني، وسمعته يقول ما بعض هذا لفظه والباقي بمعناه: ينبغي للإنسان أن يديم التوجه إلى الله، ولا يطلب أمرًا معينًا ولا يعجل ولا يمل بل يصبر إلى أن يباديه الله بما يقدر له ولا يلزم من ذلك أن يفتح عليه فإن الله لا يجب عليه شيء.

وسمعته ﷺ يقول: يصل المتأخرون باليسير من العمل الى ما يصله المتقدمون بالكثير من العمل، قلت: بدليل قوله ﷺ: «يأتي على الناس زمان العامل فيه يؤتى أجر خمسين ،قالوا: منا أو منهم؟ قال: منكم، قالوا: ولم يا رسول الله؟ قال: لأنكم تجدون على الخير أعوانًا ولا يجدون على الخير أعوانًا»[2] هذا حديث حسن خرّجه ابن السني.

قلت: في حديثه الذي فيه: «فإن من ورائكم أيامًا الصبر فيهن مثل القبض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم قيل: يا رسول الله أجر خمسين رجلاً منا أو منهم؟ قال: بل أجر خمسين منكم»[3] خرجه أبو داود والترمذي.

وسمعته وذكر عنده حديث الجهة فقال: وقد وقعت فيه مرة وعلمت إنما هو إلا من القلب يتنور بعضه دون بعض أشار شيخنا ﷺ إلى أن القلب إذا تنور بعضه دون بعض علم من الله بقدر ما تنور، وجهل من الله بقدر ما انحجب بظلمة الجهل عنه ويقيد المعتقد في عقيدته بما علم وصاحب الذوق والكشف بما ذاق وشهد على قدر ما انطبع في مرآة قلبه من الحق وبقدر ما قبلته مرآته من صفائها وكدرها فقبل كل ما يفيد به وأنكر ما عداه ومن هنا اختلفت العقائد وإذا استنار كله بنور الإيمان والعلم وانجلت عنه ظلمة الشيئية والجهل لا يقول بالجهة، بل يعلم أن الله في كل شيء وهو الله في السماوات وفي الأرض وأما أهل الإحسان وتجلي الإيقان وشهود العيان فإن الله معلوم علمهم من كل شيء مرأى أعينهم قبل كل شيء ومن هذا المقام قال سيد أهله الصديق الأكبر أبو بكر ﷺ: «ما رأيت شيئًا إلا رأيت الله قبله».

(1) سبق تخريجه.

(2) سبق تخريجه.

(3) سبق تخريجه.

وسمعته يقول: قد يسمع بعض المريدين بأحوال الشيوخ وما وقع لهم فلا هو ممن ترتفع به همته ولا هو ممن يبقى على حاله فينقطع ومنهم من يسمع كلام الشيوخ فينفتح له ما لم يكن عنده فإن كلمات الشيوخ مفاتيح القلوب.

وسمعته - جمع الله به - يقول: ورد أن الله يعتذر من عبده يوم القيامة يقول له: يا عبدي وعزتي وجلالي ما زويت عنك الدنيا بغضًا لك وإنما زويتها عنك لأعطيك كذا وكذا وقيل:

ما ضَرُّ مَنْ جَاءَ غَدًا مُكَرَّمًا مَا هِينَ فِي الدُّنْيَا ولاَ اسْتُحْقِرَا

وسمعته وسأله رجل عن طوائف الأولياء الصديقين والشهداء والصالحين وغيرهم: هل يعرف أحد نفسه؟

فقال: نعم، ويقرأ سابقته حرفًا، حرفًا.

وسمعته -أمدنا الله من سره- يقول: لا يزال الإنسان يذكر الله، الله، حتى تسقط عنه الحروف، فإذا برز المعنى الذي تذكر من أجله الحروف وجد المذكور ذاكرًا فحينئذ يستريح من الذكر الذي كان يقاسيه بالحروف، وقال: كنت يومًا اذكر الله ورجل مشغول في حوائجه فسمعته يقول: اسقط الحروف، اسقط الحروف، قلت: يشير إلى الانتقال من الذكر اللفظي المركب من الحروف الرقمية إلى الذكر المعنوي وهو ذكر القلب، قال المحققون وبه تحصل الزيادة من العلوم وبلوغ ما يطلب الذاكر ويروم.

وسمعته يثني على الاجتماع ورآنا مجتمعين فقال هذه نعمة ما هي إلا من نعم الجنة؛ فإن اجتماع الإخوان على الصفاء والمحبة في الله، ولله كرامة معجلة فإن الله يقول: ﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: 47]، وهذا وعد وهؤلاء عجلت لهم هذه الكرامة في الدنيا فما كان لأوليائك وعدًا كان لهؤلاء نقدًا.

وقال: إن صفاء المجتمعين يجمع ويفرق عليهم فيحصل لكل منهم نصيب كما وقع في صلاة الجماعة يجمع حضور من يحضر قلبه في الصلاة ويفرق فيحصل لكل واحد صلاة كاملة.

قلت: وقد روي عن شيخنا أبي مدين ﷺ مثل هذا قال: إنما فضلت صلاة الجماعة صلاة الفذ لأنه يكتب لكل عبد من صلاته ما قام به منها ويكتب من الصلاة عشرها ومن الصلاة ثلثها ونصف إلى غير ذلك ويرتفع للجميع صلاة كاملة من تكملة الأجزاء بعضهم من بعض ويعيد الله تعالى بركة الكمال والإتمام على الجماعة فيكتب لكل واحد

منهم صلاة كاملة ببركة الاجتماع والحضور.

وقال الشيخ محيي الدين ابن العربي ما معناه: أن حضور من يحضر قلبه في الصلاة يجبر غيبة من غاب قلبه ولم يحضر فيها فتكون صلاة الجميع تامة أراهم كالجسد الواحد.

وروينا عن الإمام المحقق الرباني أبي عبد الله محمد بن علي الترمذي الحكيم مما أورده في كتاب «علل العبودية»، قال ﷺ: وعلة صلاة الجماعة والإمامة فتفاوت الخلق في هذا الوفاء، وفاء الإعلام فرُبَّ واحد أكثر من مائة ألف فإذا اجتمعوا لإقامة الصلاة لم تحل تلك الجماعة من قوى يغرق في جنبه مائة ومائتان وألف وأكثر من ذلك وإنما تتنزل الرحمة على تلك الجماعة فتقسم عليهم فالضعيف يشارك القوي وينسد خلله بما يناله من فضل قوة القوي[1].

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مؤمن قوي ومؤمن ضعيف، فالمؤمن القوي أحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف، وكلاهما على خير»[2].

ووصف المؤمن القوي وكمال صلاته ووصف المؤمن الضعيف ونقصان صلاته، وقال: فبان تفاوت صلاتهما فإذا اجتمعا في الصلاة فكانت صلاة واحدة فعلى قدرها تنزل الرحمة فينال الضعيف من ذلك مثل ذلك وروي عن كعب أنه قال: أجد في التوراة أن الرجل من هذه الأمة ليخر ساجدًا لله فيغفر لجميع من خلفه من الصفوف فضلاً عنه فكان كعب يتحرى الصف المؤخر رجاء أن يكون فيما تقدم من الصفوف أحد منهم ألا ترى إلى قوله ﷺ: «إن سركم أن يقبل الله صلاتكم فليؤمكم خياركم؛ فإنهم وفدكم فيما بينكم وبين ربكم»[3].

وجه آخر أليس من يحمل على المأموم بأوجه كما يحمل بوجه واحد ولكنهم يرجون الرحمة وليس رجاء واحد كرجاء الجميع وليس اعتذار واحد كاعتذار الجميع وإنما يعتذر كل واحد من الذنب ويسأل كل المغفرة والرحمة فإذا اجتمعوا على مسألة واحدة أجيبوا، وكذلك قال ابن عمر رضي الله عنهما: «إن الله ليعجب من صلاة الجمع»[4].

وأخبرنا الفقيه الصالح إبراهيم بن محمد بن أحمد بن عمر بن عثمان بن الشيخ الأكبر محمد بن أبي بكر الحكمي أن الشيخ المعمر الشهير أبا بكر بن القاسم الأهدل

(1) انظر: علل العبودية (ص64) بتحقيقنا.

(2) رواه مسلم (2664).

(3) رواه الحاكم في «المستدرك» (3/246).

(4) رواه أحمد بنحوه (5112).

أخبره أنهم اجتمعوا برجل غريب شهر عنه الفضل وكان حينئذ بقرية الدويرة من قرى وادي سردد فحضرت صلاة المغرب فأشاروا إليه أن يصلي بهم فقال: يصلي أحدكم وأفيدكم فائدة؛ قال: فصليت بالجماعة فلما قضيت الصلاة سألناه عن الفائدة فقال قال رسول الله ﷺ: «وإذا قامت الجماعة للصلاة نظر الله إلى قلب الإمام؛ فإن كان فيه خير رضي عنهم وقبل صلاتهم وغفر لهم وإن لم يكن فيه خير نظر إلى قلوب المأمومين فإن كان فيهم من في قلبه خير رضي عنهم وقبل صلاتهم وغفر لهم وإن لم يكن فيهم خير نظر إلى اجتماعهم للصلاة وإلى قيامهم بين يديه ورضي عنهم وقبل صلاتهم وغفر لهم».

وسمعت شيخنا أبا المعروف -قدس الله سره- يقول: من تواجد ووجد فهو صوفي. وسمعته يقول: في كل واد يهيمون الذين ما لهم شغل إلا بالله أينما سنح لهم الفضل والأجر هبوا إليه ما هم كمن لزم يده.

وسمعته ﷺ يقول: سبحان الله من سكن قلوب العارفين بوجود المفقود، إن الله تعالى يغار على قلوبهم أن تنشغل، وسمعته - أعاد الله علينا من بركاته - يقول: كل لله واشرب لله، والبس لله، وأحب لله، لا تأكل لك وكل لله أي للتقوي به على طاعة الله، ولا تلبس الثوب لنفسك البسه لله أي لتؤدي فيه فرض الله، وتتجمل به بين عباد الله.

وسمعته - أعاد الله علينا من بركاته - يقول: أهل السكون من لو سقطت السماء على الأرض ما اهتزوا لذلك فقيل له: قد يحصل هذا لأهل الحجاب، فقال: نعم، يحصل هذا لأهل العلم، وسألته: هل الموت منتهى الخوف والرجاء؟ فقال: لا، فقد قيل لموسى: لا تأمن مكري حتى تستقر قدماك في جنتي.

وسئل: هل يأمن من أمنه الله من مكره؟ فقال: لا، يأمن وإن أمنه فقد اختلفت أنا والشيخ ثلاثي وسمع بعض الشيوخ في الجمع بين قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: 99] وقول الشيخ القائل: أعطاني سبعين موثقًا أنه لا يمكر بي ولم يقدر يجمع بين الآية وهذه المقالة وصح لنا أنه يأمن فيما أومن فيه ويبقى على علم الله ما لم يعلمه فإن علم الله لا نهاية له، فلهذا يخاف.

قلت: أول هذا على أن الأمان من المكر مطلقًا من غير تعيين أمر ما بعينه لا يحصل به الأمان وأن الأمان يتقيد بالأمر المعين خاصة والله أعلم.

وسمعته يقول: العلم يزاحمك فيه غيرك والحال لا يزاحمك فيه الغير، وسمعته أبقى الله علومه يقول ما بعض هذا لفظه والباقي بمعناه أن من عباد الله من لا ينطق لسانه إلا بما سيكون ويكون هذا مع الحجاب مع حفظ الله وتوليه لهم فهؤلاء لهم ما لأهل العين.

وسمعته - نفع الله به - يقول: ثم أسباب إذا حصلت حصل الفتح تأمين المصلين إذا وافق تأمين الملائكة حصل الفتح وهذه النسب والمعاني لو وافقت الملأ الأعلى حصل الفتح تكلم ﷺ بهذا ونحن في سماع وأراد به السماع إذا وافق شيء من أحواله، وأفعاله، وأقواله، وهيئاته، وحضراته، ما يناسبه من أحوال الملأ الأعلى، وأقوالهم، وأفعالهم، وهيئاتهم، وحضرلتهم، يكون به الفتح وكنت في تلك الساعة أنا والأخ الصالح عفيف الدين العلوي -رحمه الله- وقد رأيناه في هيئة السماع ووجدنا من حاله شيئًا توافقنا معًا فيه فتحدثنا فيه والشيخ حينئذ بعيد منا فكاشفنا عليه ونطق بهذا عما نحن فيه.

وسمعته يقول: إذا قصر أحد في طاعة الله سُلِبَ الأنس بالإخوان ومسلات الأحزان وقراءة القرآن، واجتماع الإخوان.

قال بعضهم: لولا اجتماع الإخوان وقراءة القرآن ما وددت حياة الدنيا ولا الوقوف فيها، وكان شيخنا ﷺ يقول دبر مجالسه: الحمد لله على الإيمان، الحمد لله على تلاوة القرآن، الحمد لله على اجتماع الإخوان، وسمعته يقول: ينبغي للفقير ألا يفارق إخوانه فإنما يأكل الذئب القاصية من الغنم ثم قد علمتم ما قال رسول الله ﷺ: «والمرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»[1]، ولهذا نهى العلماء والمشايخ عن صحبة أبناء الدنيا ومثاله أنك لا تصحب من هو فوقك في الدنيا مثل من يكون له ثوبان ولكم ثوب واحد فتشتهي ثوبًا آخر، أو من يأكل مرتين وأنت تأكل مرة واحدة فتشتهي أن تأكل مرتين.

وسمعته - قدس الله روحه - يقول: نرى كثيرًا من الصلحاء إذا ماتوا لا تختلف إليهم الأقدام إلا آحاد قيل لبعضهم: لم تختلف إليك الأقدام؟ فقال: كانت أنفاس صدقي خارقة فاستنشقتها أرواح المريدين، قلت: وقد رأيت في بعض كتب أحد الشيوخ: أن المشايخ إذا ماتوا تركوا همتهم متعلقة بقلوب من استند إليهم كما أنهم يتركون بزواياتهم التي كانوا يعمرون بها روحًا من أذكارهم وعبادتهم يعمرون ذلك الموضع ولهذا يجد كل من يدخل مكان رجل تغير في الدين قد مات خشوعًا ورقة وإنابة إلى الله عز وجل لا يجدها في غير ذلك المكان وقد عاينا مثل هذا في أماكن الصالحين فإنهم ما ماتوا إلا وهمتهم متعلقة عمومًا بمصالح الخلق وخصوصًا بتلاميذهم وإخوانهم.

وسمعت شيخنا أبا المعروف يقول: ورد أن الله تعالى يقول يا عبدي أول عين

---

(1) رواه أحمد (8015).

نظرت إليك عيني. وسمعته - رحمنا الله به - يقول: أجمع العلماء على أن كل كلمة حكمة، أو كلمة علم ساقها الله إليك من غير قصد منك فهي من هدية الله فإن عملت بها كانت لك عند الله وإن لم تعمل بها كانت عليك عند الله، فلهذا قال بعض العلماء: يعمل بها ولو مرة واحدة تعني لقبول الهدية.

وقال شيخنا ﷺ: لا تنسوا هذه فإني قد رددتها عليكم مرارًا. وسمعته -رحمه الله- يقول: حسنات الأبرار سيئات المقربين ليست هي السيئات التي تدخل النار وإنما هي سيئات تحطهم عن الدرجات العلى. وهذا من باب ما حسن إلا وأحسن منه هذا يعمل هذا يراه حسنًا وهذا بيركة للأحسن.

وقال شيخنا أحمد الرداد - قدس الله سره - في هذا: هم لا يشهدون قربهم من الله فيما قامت به نفوسهم من طاعتهم وأعمالهم أولئك يرون ثبوت آثارهم مع الحق في الأفعال آية بعدهم وأغلالهم.

وسمعت شيخنا الأكبر أبا المعروف - عرفنا الله بعوارفه - يقول: وأهل الدرجات ينكر بعضهم بعضًا ويستحل بعضهم دم بعض وأنشد قول الإمام زين العابدين ﷺ:

يَا رُبَّ جَوْهَرُ عِلْمٍ لَوْ أَبُوحُ بِهِ ... لَقِيلَ لِي أَنتَ مِمَّنْ يَعْبُدُ الوَثَنَا
وَلاسْتَحَلَّ رِجَالٌ مُسْلِمونَ دَمِي ... يَرُونَ أَقْبَحَ مَا يَأتُونَهُ حَسَنَا

وسمعته يقول: من سعادة المريد أن يُلْهَم الدعاء لإخوانه المسلمين، وسمعته ﷺ يقول: واعلموا أن مذهب الفقراء حسن الظن على الإطلاق ولا ينتقدون على الناس ومن ينتقد وجب عليه شيء.

وسمعته - نفع الله بعلومه - يقول: لا يدخل عمل العبد على الله إلا حسن ظنه بالله.

وسمعته يقول: كل متوجه يتوجه إلى الله وهم رزقه ثابت في قلبه لا ينفذ في توجهه.

وسمعته يقول في السماع: حق أناس غذاء وفي حق أناس تروح وسئل عن فائدة التحكيم فقال الوصلة وضربوا لنا المثل بالسلسلة إذا تحرك أسفلها تحرك أعلاها وإذا تحرك أعلاها تحرك أسفلها واستدلوا بقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الطور: 21] قلت: وهذه السلسلة المشار إليها ما هي سلسلة النسب المعنوي الديني المحمدي والنسب الرباني السري الأحمدي اللذان لا ينقطعان كالأنساب الطينية والأنساب الدينوية كما قال رسول

الله ﷺ: «وكل سبب ونسب منقطع إلا سببي ونسبي»[1].

قال شيخنا شيخ الشيوخ لسان الحق محيي الدين أحمد الرداد رحمة الله عليه في كتابه "ذي الفقار": المأمور بيدي الفقر المنصور وحكم سر هذا النمط الخفي المنوط في إشارات القوم بلوازم أحكام العقود الفقرية المشتهرة بينهم في أخذ العهد عقد التحكيم وتلقين الذكر، ولبس الخرقة، وإجازة النصب، ثم لا يزالون يرفعون ذلك بلطيف إشاراتهم وشريف إجازاتهم إلى أكابر شيوخهم من شيوخ الفقراء المهاجرين كأبي بكر وعمر وعثمان وعليّ وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين.

ثم كذلك إلى شمس فلك الفقراء الأعظم الذي يقول: الفقر فخري وبه افتخر سيد العالمين محمد ﷺ وهذا الشأن عندهم مستفاد من البيعة الكريمة النبوية بالكتاب والسنة والقياس والإجماع، ثم هم كذلك يرفعونه إلى العليّ الأعلى جل وعلا وتبارك وتعالى، وكما قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: 10].

وهذا الحكم مستمر لوجوب استمرار البيعة على الحق أبدًا إلى اللقاء لحق الجهاد في سبيل حب الله ومعرفة ذاته وهو بأيدي الخلفاء الراشدين من الشيوخ المحققين والأئمة الهادين بحق الوراثة المحمدية الواجبة للعلماء بذات الله حقًا من أئمة هذه الأمة الداعين إلى خير مدعو إليه وهذا الذي بأيدي الخلفاء الذي أريناك هو سر حبل الله الذي أمر أن يُعتصم به ولا يتفرق بقوله ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: 103] فمن اعتصم به فقد اعتصم بالله، ومن اعتصم بالله، فقد هديَ إلى صراط مستقيم.

وإلى هذا الملتقى الأعظم تنتهي أسرار أوصال الأرحام ومن مستقره الرحماني انبسطت أوصال أسرارها قدمًا بحق سبق رحمانية الذات الكريمة فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله بواجب وعده الصادق وحكم قسمه السابق انتهى.

ما رأيت إيراده هنا من كلام شيخنا أحمد ﷺ وبقي منه في كتابه ما بقي ويا له من علم كالجواهر الرطب النقي، وقال لي بعض مرسوماته: وقد أجمع شيوخ هذه الأمة وأكابر سادات الأئمة على أن نسبة الصحبة والخرقة لأهل هذه الطريق طريقة أهل الحقيقة سلسلة واحدة متصلة بالنبي ﷺ، واصلة من رب العالمين إذا حُرك أدناها تحرك أعلاها فمن دخل في دائرة أهلها بصحبة فقد حل من حماية الله في حرم ومن تمسك من أيدي

---

(1) سبق تخريجه.

أوليائها بيد فقد استمسك بحبل الله واعتصم ومن لبس من شيخ من شيوخها خرقة فقد أصبح وأمسى في ظلال جلال كنف عظمة الله تحت لواء وعلم.

قلت: وكان شيخنا أبو المعروف ﷺ يكرر عقد التحكيم لأصحابه تجديدًا لعهد هذا النسب وتأكيدًا لتصحيح هذا النسب وقد فعل لي ذلك والحمد لله.

عقد تحكيمه:

يقعد المتحكم متربعًا بين يديه ويضع يده في يده ويقول لمن حضر: تواصلوا فيلزم القريب بيد الشيخ أو بشيء من بدنه أو ثيابه وكذلك لزم من يكرم بالمتحكم ويلزم هذا بهذا كذلك حتى لا يبقى أحد إلا ولزم بشيء ممن هو أقرب منه بالغًا ما بلغوا ويقول: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: 102، 103].

ويقول: أوصيك بتقوى الله، أوصيك بتقوى الله، اوصيكم واوصي نفسي معكم بتقوى الله فإنها وصية الله للأولين والآخرين من عباده قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللهَ﴾ [النساء: 131] ثم يقرأ: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: 18]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح:10] ويقول له: رضيت بي شيخًا لك؟ فيقول: رضيت ، فيقول له: رضيت؟ ، فيقول له: رضيت، فيقول له ثالثًا: رضيت؟ فيقول: رضيت، فيقول الشيخ وأنا رضيت لك ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: 27]، ﴿وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ﴾ [الإسراء: 74]، وينزع يده من يده ويقول للحاضرين اقرؤوا له فاتحة الكتاب وكان يتحرى للتحكيم أوقات الجمع وقد يحصل في مجالس التحكيم رقة وخشوع، وكان قد يأمر بعض أصحابه بالتحكم على شيخنا أحمد الرداد وقد يأتيه من يسأل التحكيم منه فيقول له تحكم على الشيخ أحمد وقد يكون هذا في حضرته وما علمت هذا لأحد من أصحابه أصلاً وما كان أحد منهم إلا يعظم شيخنا أحمد ويعترف بفضله وخصوصيته دونه ويتأدبون له كما يتأدبون للشيخ إن قال: انصتوا

واستمعوا وإن حضرهم هرولوا إليه واجتمعوا حتى كان فيهم كواسطة العقد زينتهم، وزينتهم جوهرهم وعينه.

وكان شيخنا ﷺ يحضر مجالس تدريسه في عموم الحاضرين منصتًا لما يتكلم به من جملة السامعين لكنه هو صدر المجلس وخاتمة الدعاء وقرة كل عين.

وأثنى ﷺ على تجديد التحكيم وعلى من تحكم وجدد التحكم من أصحابه على ولده الصديق في رؤيا أريتها عقب وفاته في وصولي للعزاء ركبت هجمًا وجئت في اليوم الرابع أو الخامس فسألت شيخنا رضي الدين التحكيم فأبى وقال: أنت أخي لا أفعل وما هو إلا لشيء ألهمته فألححت عليه في ذلك فأخذته بالهمة فحكمني فكان ذلك فتحًا لهذا الباب فتحكم معي عدة من كبار أصحابنا وحصل لهم تجديد حال وأنس وتحكمت نيابة لصاحبي وحبيبي في الله الأخ الصالح الشهيد محبوب أولياء الله عفيف الدين عبد الله بن عبد الرحمن العلوي -رحمه الله- ولأولاده فرأيت شيخنا - قدس الله سره - عقب ذلك فقال لي: بالله هل أحد من أصحابي جدد التحكيم على ولدي الصديق؟ فقلت: نعم، وكنت أول سابق إلى هذا فضحك وسر وأقبل عليّ وانبسط إليّ وقال: أحسنت والله يا جمال الدين تدرى ما في تجديد التحكيم، فقلت: لا، فأخذ يتكلم على ما فيه من إشارات وأسرار وعلوم وفوائد ومن كثرة ما قاله فيه لم أضبطه، فحكيت ما رأيت لشيخنا رضي الدين، فأنس، ولما جاء إلى شيخنا رضي الدين عنه يطلب التحكيم عليه فقال التحكم هو المتابعة وهذا الذي يفعل اليوم إنما أخذته المشايخ المتأخرون.

وسمعــــته يقول: الأدب لا يأتي إلا بخير الحضرات مها أدب فمن حفظ الأداب بلغ مـــبالغ الرجال، ومن لم يحفظ الأداب رد إلى سياسة الدواب، وسمعته - حقق الله أمالنا فيه - يقول: الدنيا محدودة فانية والآخرة باقية بإبقاء الله.

وسمعته يقول: إذا أردت أن تفرق بين الرجلين فلا تنظر إليهما وانظر إلى من هو أكثر اتباعًا ومن ظهرت عليه اتباعه الطاعات والعلوم والمعارف، وسمعته ﷺ يقول: هل قد صح لأحد من أصحابنا وقفة مع الله، أما الله فهو جليس من ذكره.

وسمعته -أفاض الله على الوجود من بركاته- يقول: الإنسان حتى في النوم ما هو عليه قد يتكلمون في حال النوم ويستمعون فيسمع هذا الدرس. وهذا يذكر وهذا الذي يخاف عند الموت أن يغلب على الإنسان ما هو عليه وكنا عنده يومًا والمطر يمطر وفيه بوارق، وصواعق شديدة، فقال: لما كان الناس يعتادون مثل هذا لم يفزعوا لذلك قال الله فيهم: ﴿لاَ يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: 103] لما جرت عادتهم السكون مع الله لم

يفزعوا.

وسمعته - لا أخلانا الله عنه — يقول: قد يعطي الفهم ما يعطي الكشف. قال القائل: وأغنيتني بالفهم عنك عن الكشف ولكن الكشف بزيادة فإن الفهم بمنزلة العلم والكشف بمنزلة العين.

قلت: ولذا قال القائل:

وكُنْ للعَيَانِ لَطِيفَ مَعْنَى ... لِذَا سَأَلَ المُعَايَنَةَ الكَلِيمُ

وسمعته - أمدنا الله من علومه — يقول: علامة أهل السعادة: يعملون الخيرات ويجتنبون السيئات وأهل الشقاء بعكسهم والأعمال بالخواتيم والسعادة سعادتان منهم من يسعد دائمًا أبدًا لا يجرى عليه بلاء ومنهم من يكون أصله السعادة ويعذر بقدر ما جنى ثم يخرج من النار لأن أصله السعادة ولولا أن أصله السعادة ما أُخرج من النار إلى الجنة.

وبلغه أن بعض الفقهاء بل كتابًا من الحقائق فسمعته يقول: منذ كان الناس من أهل الظاهر ما لهم ما لأهل الباطن والشوكة لأهل الظاهر ولولا حماية الله التي هي الحال لهم يعني أهل الباطن ما ظهرت لطيفة فوالله ما يعز عليَّ هذا الاختلاف لأن من كان في أهل الإسلام وعمله من مقام الإسلام لا يشرف على أهل الإيمان ولا على ما ينبضه الله على قلوبهم وغاية أهل الإسلام أن يمدهم الله من أهل الإيمان وكذلك أهل الإيمان من أهل الإحسان.

وسمعته يقول: أفضل المجالس استقبال القبلة قال: ومن كلام بعضهم: النية صلة الأعمال والله قبلة النية.

وسمعته يقول: لا تخف إلا منك فإن الله يقول: يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم ثم أوفيكم إياها. وسمعته -رحمه الله- يقول: أجمع العلماء علماء هذه الطريقة على أن العافية أن يتولاك الله ولا أوكلك إلى نفسك وقال: اللهم ارزقنا عافية في عافية فقيل له: ما العافية في العافية؟ فقال: أن العافية في الأبدان إذا لم تكن فيها حفظ من المعاصي والملاهي فما هي عافية.

وسمعته - كلمنا الله به — يقول: اختلف الناس في العقل والروح أيهما أفضل فمنهم من يقول: العقل أفضل، ومنهم من يقول: الروح أفضل، وأما أنا فما سكنت إلى أحد القولين إلا بما وقعت فيه ورأيته جيء إليّ بطواشي وولد ملك ورأيت ورود الأمر من الطواشي على ولد الملك لتأديب فقيل لي الطواشي بمنزلة العقل وولد الملك بمنزلة الروح فإذا قلنا لهذا السلطان من أفضل عندك ولد أو الطواشي؟ قال: ولدي.

وسمعته ﷺ يقول: عالم المنام من عالم البرزخ. وسمعته يذكر المحو والإثبات وقال: هما لوحان: لوح فيه محو وإثبات، ولوح فيه إثبات فقط والذي فيه المحو والإثبات أخص.

قال شيخنا أحمد الرداد: أي أتم في علم العالم بهما.

وسمعته يقول حكي عن موسى ﷺ أنه أصابه وجع فشكى إلى الله عز وجل فأوحى الله إليه أن ائت الشجرة الفلانية وخذ منها كذا، وكذا ففعل وشفي ثم أصابه مرة أخرى فأتى الشجرة وأخذ منها أضعاف ما أخذ منها المرة الأولى فلم يشف فشكى إلى الله فأوحى إليه أن إئت الحكيم فأخذ له الحكيم من تلك الشجرة عما أخذه فشفي ، قال شيخنا ﷺ أراد موسى العافية من طريق القدرة فأبى الله إلا من طريق الحكمة، وقال: ائت الشجرة الفلانية فشفي بأخذه منها من غير واسطة ولم يشف في المرة الأخرى إلا بواسطة الحكيم فهذه ثلاث مراتب.

وسمعته — زادنا الله منه — يقول: أفضل الكسب كسب اليدين. قال العلماء: هو رفع اليدين إلى الله.

وسمعته - زادنا الله منه - يقول: جئت إلى فلان وسماه وهو محتضر فتعلق بي وطرح كليته عليَّ ووقعت يعني أنه غاب عنه بالحضور مع الله بقصد الشفاعة له ثم رجعت إليه وإذا هو قد ترك التعلق بي وتعلق بالله وظهرت عليه علامات السعادة. وأشار ﷺ إلى أن سبب تعلق هذا الرجل بالله وظهور علامات السعادة عليه هو من بركة صدقاته وصلة رحمه. وأقول: إن ذلك أيضًا من أثر توجه همة الشيخ إلى الله فيه للشفاعة له والحال الواقع من الشيخ يشهد به ويدل عليه.

وسمعته يثني على صلة الرحم، وأنها مما يحصل بها التثبيت للمحتضر وقال: الصدقات تنفع وإن لم يكن فيها ذاك الإخلاص خصوصًا صلة الرحم وإن كانت لغير الله.

قلت: أورد أبو داود عن عائشة -رضي الله عنها- قال: «يا رسول الله! أين عبد الله بن جدعان؟ قال: في النار، قال: فاشتد عليها، فقال: يا عائشة ما الذي اشتد عليك؟ قالت: كان يطعم الطعام ويصل الرحم، قال: أما إنه يهوّن عليه بما تقولين فيه أنه يخفف عنه بمجرد ما تذكريه من مكارم الأخلاق»[1].

وسمعته يقول: صح أن قيام الليل يحسن كم من فحيش وفق لقيام الليل فحسن وجهه كان الفقيه عبد الله القلق معتكفًا في مقصورة الجامع وكان يقوم الليل فما خرج إلا

(1) ذكره ابن رجب الحنبلي في «التخويف من النار» (1/133).

ووجهه حسن وقد استقامت أنفه وقد كان فيها اعوجاج وأبقى الله عليه ذلك الحسن إلى أن مات.

قلت: وقد ورد في هذا حديث نبوي قال رسول الله ﷺ: «من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار»[1]، وهذا الحديث هو الذي أشار إليه شيخنا ﷺ بمنزلته هذه.

وسمعته -نفع الله به- يقول: وذكر عنده رجل يتعشق بالجمال؛ فقال: هذا ما هو إلا بعد طهارة النفس وتزكيتها وبعد إن لم يبق من أوصاف البشرية شيء يستدلون بالجمال المقيد على الجمال المطلق وأما من رأيناه يأكل كثيرًا وكذا وكذا وذكر أشياء من أوصاف البشرية.

ورأينا عنده مردانًا وصبيانًا حسانًا نفرت قلوبنا منه، ومن كان قد تطهر وتزكت نفسه ورأيناه عنده ألف صبي حسن لا نتغير منه والذي خالفوا في هذا إنما هو من عدم طهارة النفس وتزكيتها.

قلت: وكان شيخنا -قدس الله سره- يروي أن الشيخ الكبير أحمد الصياد وكان يصحبه من أبناء الأكابر من أهل زبيد من الشباب المرد الحسان جمع كبير كلهم صلحوا بنظره وأصبحوا أهل فهام في الولاية ممن ينفع الله بهم البلاد والعباد.

وسمعته -رحمه الله- يقول: ما بعض هذا لفظة والباقي بمعناه أن السماع ينبغي أن تحسن هيئته وتفسح حضرته وتراض حاضروه ويستعمل فيه الأدب فإني لما رأيت الجماعة كتف هذا إلى كتف هذا رأيت فيه بالمشاهدة من البركات شيئًا كثيرًا.

قال: وذكر بعض الشيوخ أن رتبة السماع كرتبة الصلاة.

وسمعته ﷺ يقول: لبس الخرقة للتبرك يجوز من ألف شيخنا ومن عرف قدر الخرقة وحرمتها البس أولاده وخدامه.

وسمعته ﷺ يقول: إذا أراد الفقير أن يصحب شيخًا فلينبغي له استقامة الاستخارة حتى يكشف الله له عمن يصحب، وسمعته - أمدنا الله من أسراره -يقول: ما هذا بمعناه ينبغي لمن لازم الأولياء في حاجة أن يعينها ولا يكفي باطلاعهم عليها، قلت: لالتزامهم الأدب مع الظاهر من أمر النبي ﷺ.

وسمعته ﷺ يقول لرجل استشاره في الحج وقد ضاق الوقت عن وصوله مكة في الغالب فقال: مرَّ رجل على رجل وهو واقف على بركة ماء فسأله عن سبب وقوفه فقال:

---

(1) رواه ابن ماجه (1333).

أنا بين العلم والحال إن غلب عليَّ الحال جزت ولا أبالي، وإن غلب عليَّ العلم وقفت.

وسمعته - أعاد الله علينا من بركاته - يقول: إذا علم الله مني الحق وإني أقصد الحق وإن أخطأت فقد علم مني الحق وإني أريد الحق.

وسمعته يقول: يكون الرجل مؤمنًا سعيدًا وهو بين العدل والفضل ويلقى من التبعات ما يلقى ومآله إلى السعادة لأن أصله السعادة، وسمعته يقول: أتاني اثنان أخذني أحدهما فهزني حتى صرت كالخرقة وحطني بين يدي سيدي رسول الله ﷺ ثم أخذني الآخر فهزني حتى صرت كالخرقة وحطني بين يدي رسول الله ﷺ فسمعته ﷺ يقول: «ما تريد؟ فلم أتكلم، فقال لي: الثانية ما تريد؟ فلم أتكلم، فقال لي الثالثة: ما تريد؟ فلم أتكلم، فلما علم أن ما لي إرادة قال: إذن فالأهدل، إذن فالأهدل، إذن فالأهدل».

ولم أعرف معنى هذا الكلام فسألت فقيل لي: ترى من الأهدل؟ فلم يشفني هذا فوقفت مدة فدخل علينا الخضر عليه السلام في صورة شاب حسن الخلق عليه دلق فسألته على معنى هذا فقال: إذن يكفيك، إذن يكفيك، إذن يكفيك ثم خرج.

وسمعته يقول: يعرف قرب الرجل من الملك بإقباله عليه ومواجهته له بالخطاب وإن في المجلس من هو أقرب مجلسًا منه؛ فإن الجميع في حضرة الملك وقد حوتهم الحضرة فمن خصه بالإقبال والمخاطبة عُرِف أنه أقرب من غيره قيل له: اجعل خاطرك معنا فقال: اعلموا أن الخواطر مرتبة على حسن الظن ولهذا انفعل بالحجر ما انفعل من أحسن ظنه ولو بحجر نفعه الله به.

وسمعته يقول: في وصف الشيخ الكبير الممكن يعقوب بن خضر الهندي: وجدناه مقيدًا مطلقًا، مطلقًا مقيدًا، مطلقًا بالحقائق مقيدًا بالشرائع وهذا مفاخر الرجال.

وسمعته - نفعنا الله بفوائده - وذكر عنده فعل الجن في الإنس وإن بعض الحكماء قال: إن الجن لا يفعلون في الإنس شيئًا وإنما ذلك التغيير الذي يحدث إنما هو تغير المزاج فقال رضي الله عنه: منه ما يكون من تغير المزاج ومنه ما يكون من الجن كنت مرة في المهجم في دار ضيقة فسمرنا شيئًا من الليل وأكلنا الحلوى وكانت قعادتي قريبًا من موضع الدواب فاستيقظت في الليل وقد دار إلى خدي فكان يدور وأنا أحس به فقلت تعالى جدك تعالى بجدك تعالى قدسك تعالى قدرك تعالى سرك فرجع فكررته وما زلت أكرر تعالى سرك تعالى سرك وهو يرجع قليلاً، قليلاً حتى رجع إلى موضعه وكل هذا وأنا مستيقظ فلو كان كما يقول الحكماء من الرطوبات ما كان يرجع للفور من غير علاج وإن رجع فلا بدَّ أن يبقى أثر فيه كالوزن وغيره قلت ولهذه الرقية مقدمة وخاتمة.

جاءنا من رواية الفقيه العالم أحمد بن عبد اللطيف الشرجي -رحمه الله- وذلك فيما يعد في قسم ما رويته فليعلم ذلك، وأما فعل الجن بالإنس وتأثيرهم فيهم فأمر محقق ظاهر في الحس يشهد له ما جاء في السنة من ذلك كثير منه ما نرويه عن شيخنا أبي المعروف ﵁ مما يرويه بإسناده المقدم في مقدمات هذا الكتاب إلى أبي داود الترمذي بسندهما إلى أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان حساس لحاس؛ فاحذروه على أنفسكم من بات وفي يده ريح غمر فأصابه فلا يلومن إلا نفسه»[1].

وفي إحدى الروايات: «ولم يغسله»، وما يرويه شيخنا بإسناده إلى الحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي -رحمه الله- بسنده إلى يحيى بن سعيد قال: «لما أسري برسول الله ﷺ رأى عفريتًا من الجن يطلبه بشعلة من نار كلما التفت النبي ﷺ رآه فقال له جبريل: ألا أعلمك كلمات تقولهن إذا قلتهن طفيت شعلته وخر لفيه، فقال رسول الله ﷺ :بلى، فقال جبريل: قل أعوذ بوجه الله الكريم وبكلمات الله التامات اللاتي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر ما ذرأ في الأرض، وشر ما يخرج منها، وفتن الليل والنهار، ومن طوارق الليل والنهار إلا طارق يطرق بخير يا رحمن»[2] رواه مالك والطبراني.

وسمعته ﵁ يقول: لا يجوز ذلك أن تلقي ما معك من العلم إلى من لا يفهمه؛ لأن رسول الله ﷺ قال: «لا تعطوا الحكمة غير أهلها فتظلموها، اللهم إلا أن يرجى به دوام ما تلقيه إليه أن يفتح عليه»[3].

وسمعته - علمنا الله بعلومه - يقول لبعض أصحابه وقد عوفي من مرض: هذا عمر جديد ينبغي أن تتوب توبة مليحة بالله هل أسفت على الطاعة؟ قال: ما أسفت إلا على سنتين على تلاوة القرآن وعلى الصلاة على رسول الله ﷺ.

وسمعته يقول: ما أحد يعرف قدر الطاعة والمعصية إلا عند الموت وبعد الموت، إلا من عقل ونور الله قلبه بالإيمان فإنه يجد ذلك ويعرفه ويقع فيه ويذوقه هنا.

وسمعته يقول: الهم الذي بلا سبب كفارة لبعض الذنوب والانشراح الذي بلا سبب ثمرة عمل، وسمعته يقول: ما هو إلا أن تصرف همك إلى الله فتكون كأنك معه، أعبد الله

(1) رواه الترمذي (1782).

(2) رواه مالك في «الموطأ» (1497)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (1/46).

(3) ذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (2/448).

كأنك تراه أي اصرف قلبك إلى الله، وسمعته يقول لم تنشأ على الخلوة والصيام والقيام وإنما نشأنا على الولع بالله واستقامة القلب معه فكنت أجد قلبي مستقيمًا فإذا حصل عليه شيء من الخواطر أحسه يسقط حتى أني أقبض عليه بيدي وأقيمه.

قلت: الإحساس باستقامة القلب صورة وسقوطه وإقامته إذا سقط باليدين ودوام استقامته مع الله لا يخطر به سواه من خوارق العادات وشوارق الكرمات وقيل له إن فلانًا يكثر الكلام في السماعات بما لا يطابق قول القوال ولا يقتضيه حال السماع ولا حال الحاضرين ولا حكم الوقت فقال: للكلام أوان كما قال بعض العارفين في معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: 19] أنه كلام المريد قبل أوان الكلام، وسمعته ﷺ يقول: أكبر السعادة للمريد قبول قلوب المشايخ حتى لو قبله تسعة وتسعون قلبًا ولم يقبله قلب واحد خيف عليه.

ومما خاطبته به الملائكة في أيام البداية:

سمعته يقول: كنا في سماع فلما فرغنا منه ورجعنا إلى مكاننا ظهر لي صورة ملك وجهه من المشرق إلى المغرب وهو يقول: عباد الله هلموا إلى الله، عباد الله هلموا إلى الله، وسمعته يقول: كنت في أيام البداية أيام اجتماعنا في المسجد تظهر الصور تبدو علي فرأيت يومًا صورة ملك فقال لي: الربع مشتاق إلى الساكن ثم ظهر آخر فقال: إنهم لا يعرفون ما هو الربع، ولا ما هو الساكن قل لهم: الربع القلب والساكن الرب.

وسمعته يقول: ما أكثر هذا لفظه والباقي بمعناه كنت أرى جموعًا من الملائكة تأتينا من الجهات ومتى جاء أحد من أعلى يعني من جهة المشرق حصل من الرحمة شيء كثير وكنت أرى سيدي رسول الله ﷺ فإذا بدا تأخذني هيبة وكان الشيخ طلحة يحصل له برؤيته خلاف ذلك ففهمت أنه ﷺ يتجلى لكل في صفة، وسمعت ﷺ يقول: كان معنا نردد في الهدية للأموات ولم يكن معنا علم وإنما كنا نعمل الأعمال رغبة ونلهم أشياء فنأتيها فأتاني مرة آتٍ وقال لي الملك يأمرك أن تصلي على الأموات.

ومما ألقي على لسانه من العلوم في أيام البداية:

وسمعته – قدس الله سره – يقول: جلست خمسة عشر سنة يلقى على لساني أشياء كثيرة لا أجد لها شاهدًا من النصوص وكنا نتخوف من أهل الشرائع ثم بعد ذلك وجدنا جميع تلك منصوصة في كتب المحققين، وسمعته ﷺ يقول: أول ما فتح به علي من علم ما كان يجري على لساني كنا في سماع عند المدارس في حافة الفقهاء وكنت أتهيب منهم وأحترز عنهم مما يجري على لساني فحصل في ذلك السماع قبض عظيم، وكدورة،

وجلسة بلا روح إلى بعد نصف الليل من احترازنا من الفقهاء وخوفنا لهم فما شعرت وأنا جالس إلا وقد ورد على وارد ووثبت وقمت على رجل وجعلت أركض الأرض بالأخرى وأنا أقول: سيوف أهل الحقائق على رقاب أهل الشرائع، سيوف أهل الحقائق على رقاب أهل الشرائع وكررتها مرارًا وطاب الوقت وطاب الحاضرون وحصلت الرحمة فلما فرغ السماع بقيت مغمومًا مما جرى من الكلام، ولم أعلم معناه، فقيل لي: ما هي سيوف من حديد إنما هي علوم تدفع علومًا، وحجب تدفع حجبًا، ففهمت أن ضرب مثل كما أن السيف يقطع كذلك الحجة تقطع وتدفع.

وسمعته — أبقى الله في العالم آياته — يقول: كان يجري الله على لساني ولا أعرف معناه وبقيت على ذلك مدة طويلة ولو أسأل عن معناه ما عرفته وكان الفقهاء يحفظونه عليَّ ويرصدونه ولولا حماية الله لي وحفظه كما قال الفقيه عفيف الدين عبد الله اليافعي: لولا أن الشيخ أبا الغيث تدرع بدروع الهيبة لاختطفته سيوف الشريعة.

وسمعته يقول: كنا في سماع فقال القوال: تجرد إن وصلت إلى حمانا فقلت للحاضرين: عما يتجرد؟ قالوا: عما سوى الله فقلت: يتجرد عن الأسماء والصفات فقالوا: كفر، وذهبوا إلى الشيخ طلحة وقالوا له: إن فلانًا يتجرد في الأسماء والصفات وأنت ما تقول؟ فقال: ما أقول إلا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله لا أقول كما قال: اذهبوا إلى الشيخ أبي بكر القليصي وإلى ولده يوسف فذهبوا إليهما وأخبروهما بما قلت وبما قال الشيخ طلحة فلم يعلما ما يقولان في هذه المسألة فوقفنا مدة فأرسل الشيخ أبي بكر القليصي إليهم: أنا وجدنا أنهم يتجردون عن الأسماء والصفات إلى الذات منصوصًا في كتاب "مفاتيح الغيوب" للبوني فصلوا حتى تقفوا على ذلك فوقفوا عليه.

وسمعته ﷺ يقول مرة في سماع: اللهم أسألك بالصديقية الصغرى وبالصديقية الكبرى، فقال لي قائل: هما صديقتان، فقلت: ما أدرى هذا شيء ورد على في السماع ولا أعرفه فبعد ساعة قيل لي نعم هما صديقتان صغرى وكبرى فالصديقية الصغرى العلم بالله بالخبر على طريق أهل الأصول. والصديقية الكبرى العلم بالله على المعاينة.

وسمعته ﷺ يقول في التربية وحسن الخلق: إذا صححت باطنك فيما بينك وبين الله وأصبحت وأمسيت وليس في باطنك على أخيك شيء يكفيك.

وسمعته –نفع الله به– يقول: في سياسة الأحوال ومر بنا يومًا ونحن عنده قوة من غلمان أهل الدولة برجل فاستجار بالشيخ الملزوم بباب داره فأخذه الفقراء منهم كرهًا وبطش بعض الفقراء ببعضهم فشفع الشيخ ﷺ إلى الأمير في ذلك الرجل فأطلقه فلام

الشيخ الفقراء على بطشهم بمن بطشوا به وقال لهم: أنهاكم عن مثل هذا إن الأمر لأهل الشوكة، وأمرنا أن نحكم بالظاهر وإذا ثم باطن كان في كفاية السر فقال الفقراء: إنما فعلنا هذا لحرمة المكان فقال: بينما الإنسان يريد أن يأمر بالمعروف تثور نفسه فيخرج عن حد المعروف، ويريد أن يغضب لله فيغضب لنفسه إذا أنت أمرت بمعروف فليكن أمرك بالمعروف وليكن الأمر بالميزان القسطاس المستقيم قال الله تعالى: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [الإسراء: 35] يزن الإنسان بما يترتب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الخير والشر فإنه يختلف باختلاف الزمان وأحوال أهله وهذا الزمان الغالب عليه الشر والعياذ بالله.

وسمعته ﷺ يقول: وجاءه رجل من أولاد المشايخ يشكو من أخيه المعارضة في المنصب وفيما يرد عليهم من الفتوح، وقال: إنما جئتك أشكو عليك لأنك شيخ المشايخ، فقال له: يا ولدي من أظهره الله ظهر، أوصيك بالصبر والحلم والاشتغال بما يقربك من الله فعما قليل يأخذ الله بنواصي الخلق إليك ولا تعمل لأجل الخلق بل اعمل لله، وأحكي لك يا ولدي أني كنت أخدم هذا، وأتلمذ لهذا، وآتي هذا، حتى أتى علي زمان كان يقع بيني وبين المشايخ الاختلاف في مذاكرة العلم يقولون وأقول فيظهر الحق معي ويسقط قولهم فلما غلبوا مني من هذا الوجه تكلموا عليّ فصبرت عليهم فأظهرني الله عليهم فجاؤوا إليّ وانقادوا لي.

وسمعته يقول: الطريق ما تطلب إلا الشجاعة فمن لم يكن شجاعًا فغير هذا أولى منه، وسمعته - نفع الله بعلومه - يقول: لا يجوز للشيخ أن يخرج الفقير من شيء إلا إذا كان قادرًا على إدخاله فيه ولا يجوز أن يدخله إلاّ إذا قدر على إخراجه مثل أن يكون معه ألف دينار أو عشرين نحلة فيقول له: أخرج عن هذا، أو إزهد فيه لا يجوز هذا له إلا إن قدر على رده عليه يعني إذا لم يثبت الفقير على الزهد.

وسمعته - عرفنا الله من عوارفه - ينقل شيئًا من علوم الحقائق وقال: لو درس الناس هذا العلم كما يدرسون العلم الظاهر لانطبع فيهم، وسمعته يقول ما هذا بمعناه: لا يحكي أحدٌ عن أحدٍ ويعيبه إلاّ إذا كان مما يسر.

وسمعته يقول: أصل ما معنا من أسباب الدنيا أدخل علينا من غير طلب منه ما وُهِبَ لنا ومنه ما شربناه موافقة لضرورة أهله وهكذا كانوا ﷺ لا يدخلون في الأشياء باختيارهم وإنما يدخل عليهم فمنهم من تدخل عليهم فيقبلها من الله ومنهم من لا يقبلها فإن كان لك ذوق وقوة إيمان قلت ما قبلوها من الله، وردوها على الله، واعتذروا إليه

في ردها.

وسمعته وشكى عليه بعض الفقراء ضرورة عياله وفاقتهم فقال: ما هذا كان أحدهم إذا أصبح أولاده بلا شيء وبهم فاقة اهتز طربًا وقال: مرحبًا بشعار الصالحين وكان أحدهم إذا غلب نفسه وظهر عليها ولو في خصلة واحدة اهتز طربًا كأنه قتل عدو.

وسمعته يقول: ما أكثر هذا لفظه جمع الخير كله في الليل كان أصحابنا - يعني في البداية - إذا جاءهم النوم خرجوا يتمشون ومن دخل بيته لا يمهلوه فيه ويتعاونون على تلاوة القرآن وكان لنا رغبة ولهم رغبة وإذا توافقت الرغبات حصل التوفيق.

وسمعته يقول: الراحة بالراحة لا تنال، وسمعته يقول: الفقير سأل من فقير شيئًا: لا تكونوا تنظرون إلى فقير مثلكم إن بعض المشايخ قال: لعن الله من اعتمد على مخلوق مثله، قال: والاعتماد هو غير السؤال الاعتماد هو أن يعتمد على من دون الله، وطلب منه رجل التحكيم فقال ما يجب أن تتحكم إلا عند جمعية الإخوان وعند أوقاء القلوب.

وسمعته - زادنا الله منه - يقول: يبلغ الرجل من معرفة الله إلى أنه يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها. وسمعته في معنى التحدث بالنعم يقول: أصابنا اليوم حول عما فيه كثير من الطائفة أكثر أهل الطريق يحبون الكرامات والأحوال وأصحابنا ما هم متعلقون إلا بالله، وهذا من أكثر نعم الله فيهم.

وسمعته يقول: والله ما نحن إلا رحماء نضطرب كالريشة في الريح وقيل له أن فلانًا من بعض المشايخ أنكر ما فعلتموه مع فلان فسأل عن وصف هذا الرجل فقيل له وصفه كذا، وكذا، وكثير الأسفار إلى الحرمين وله شهرة في الحجاز فقال: إن كان هذا من أهل الاطلاع على حقائق الأشياء فنحن متخلصون معه لأن حقيقة فعلنا هذا حق وإن لم يكن من أهل الاطلاع فلا نبالي به وقولا ولا تخافوا إن هنا من سافر وهو على قعادته وهنا من سافر وخرج عن عادته ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: 9] قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون قلت لما ذكر أن الرجل المشار إليه كثير الأسفار إلى الحرمين وهو السفر الحسي يقطع المسافات الأرضية بإتعاب الأعضاء البدنية وهو السفر إلى مأمن الله.

أشار شيخنا ﷺ إلى سفره المعنوي، وهو سفر القلوب إلى الله بالرحلة عن أوطان العادات أو عن الأكوان الخلقيات لمفارقة الأوصاف البشريات بالترقي إلى معالم عوارف الأسماء والصفات الإلهيات ثم إلى عوام معارف الحقائق الأحديات اللدنيات وهو السفر إلى

الله، بالله في الله وهذا كان حال شيخنا ومقامه فهل يستوي الذين يعلمون هذا علمًا، وحالاً، وذوقًا، ومقامًا، والذين لا يعلمون كلا.

قال شيخنا الأستاذ أبو القاسم القشيري ﷺ: السفر على قسمين: سفر بالبدن وهو الانتقال من بقعة إلى بقعة، وسفر بالقلب وهو الارتقاء من صفة إلى صفة فترى ألفًا يسافر بنفسه وقليل من يسافر بقلبه، وسئل بعض مشايخ هذه الطائفة هل سافرت أيها الشيخ؟ فقال: سفر الأرض أم سفر السماء؟ سفر الأرض: لا ، وسفر السماء: بلى، وقال الشيخ محي الدين: السلوك انتقال من إلى منزل، وقسم السلوك إلى أقسام: انتقال بالمعنى، وانتقال بالصورة وانتقال بالعلم من مقام إلى مقام، ومن اسم إلى اسم، ومن تجل إلى تجلي، ومن نفس إلى نفس، وإلى هذا أشار شيخنا أبو المعروف ﷺ.

وسمعته يقول: كنت في أيام البداية إذا لم يكن عندنا شيء أضيق من اطلاع الجيران على ذلك فاسترحنا من هذا ونحن اليوم يستوي عندنا المدح والذم ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ [الشمس: 9].

وقال في فضل زبيد:

سمعته يقول: قال بعض المؤرخين: إن في مقبرة باب سهام تسعة آلاف وخمسمائة وشيفًا من الأولياء المشهورين، قال: ومن هذا المؤرخ إلى اليوم مدة يشير إلى أنهم زادوا، وسمعته يقول وإن الأموات يكونون قبل أن يخرجوا من الباب يعني من باب زبيد باب سهام في حالة وبعد أن يخرجوا يقعوا في حالة أخرى يقابلهم الله بالرحمة وما يخرجون من الباب إلا وقد غفر لهم وإن كانوا مغفورين لهم زيدوا رحمة.

وسمعته يقول: قال بعض المكاشفين: إن صلاة العصر لا يقام في مسجد الأشاعر حتى يحضر أربعون صديقًا، عشرون من البادية، وعشرون من أهل البلد.

وسمعت عنه أنه قال: وصلاة الصبح كذلك، وقال: وبلغنا عن البركاني أنه قال: أكثر صالحي زبيد نساؤها.

ومما سمعته منه من معارف السماعات ورأيته منه وعليه من أحوال التجليات.

اعلم - علمنا الله جميعًا - أن هذا الموضوع هنا مما سمع منه إنما هو خطاب منه بلسان العموم ليبين للناس معاني القول المسموع ويعرفهم توجيه إحالة الألفاظ الغزليات على المعاني القدسيات والأوصاف الخلقيات على الصفات الحقيات وأطراح الأغاني وانتجاع المعاني وإلا فحاله وشأنه في السماع لا تدركه الإشارة ولا تلحقه العبارة وما كان يظهر به في السماع من ألوان المظاهر الظاهرة للحس يدل على الفرق بين

حاله وقاله.

أخبرنا الشيخ الصالح برهان الدين إبراهيم بن عبد الله الأكوع قال: حضرت مع الشيخ سماعًا فسمع قولاً فيه أوصاف مختلفة فكان يتلون بكل لون ووصف ذكر في ذلك القول، وقال: والله ما سع معي فيما أسمع أحد، قلت ورأيت شيخنا أبا المعروف ﷺ في سماع فسمع القوال يقول: شيئًا فحصل عليه حاصل عظيم وظهر بمظهر غريب، وقال: أبى الله، أبى الله أن تُعرف حقيقته أبى الله أن تعرف حقيقته وكررها مرارًا وبكى بكاءً شديدًا.

وسمعته ﷺ في سماع يقول: إن بينكم يقول: «إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن»[1] هل منكم من يشم معي نفس الرحمن؟ قلت هذا يدل على أن شيخنا ﷺ كان محمديًا عيسويًا بوجوده نفس الرحمن أي كان إرثه من محمد ﷺ بواسطة عيسى الطَّيِّلاَ؛ فإن عيسى إنما أحيى الموتى وجعل من الطين كهيئة الطير ونفخ فكان طيرًا بإذن الله بالنفخ الإلهي وهو النفس الرحماني الذي هو سبب الحياة وبه حصل كعيسى الإحياء ونفخ الروح في الأشباح وقد نص على هذا المحققون، ووجد أن شيخنا نفس الرحمن بالشم من كونه معارفه رحمانية فهو منسوب بهذا الاسم إلى الرحمن والأنفاس إنما تدرك بالشم كما قال بعض أكابر المحققين: إن قوة الشم متعلقة بالروائح وهي الأنفاس فصاحب الشم من عالم الأنفاس في نسبة القوة ومن الرحمانيين في مراتب الأسماء فمعرفته رحمانية فكل أمر ينسب إلى الرحمن في كتاب أو سنة فإنه ينسب إلى هذا الشخص فإن هذا الاسم هو الممد له فهذا الشخص لما كانت معرفته رحمانية كنت همته عرشية فإن العرش مستوى الرحمن قال الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 5] فهذا الشخص له الرحمة بالموجودات كلها بالعصاة والكفار وغيرهم، قال الله تعالى: لسيد هذا المقام محمد ﷺ حين دعا على رعل وذكوان وعصية بالعذاب والانتقام فقال: «عليك بفلان وفلان» وذكر ما كان منهم قال الله له إن الله ما بعثك سبابًا، ولا لعانًا ولكن بعثك رحمة فنهى عن الدعاء عليهم، وأنزل الله تعالى عليه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107] أي لترحمهم وتدعوا لهم لا عليهم فإذا كان هذا الشخص حاكمًا وأقام الحد فلا يقيمه إلا من باب الرحمة ومن الاسم الرحمن في حق المحدود لا من باب الانتقام فهو عذاب حاضر فيه رحمة باطنة بها ارتفعت عنه المطالبة في الدار الآخرة انتهى كلامه.

---

(1) رواه أحمد (10555).

ومن نسب إلى الاسم الرحمن نسب إلى الاسم الله فتكون معارفه رحمانية إلهية قال الله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى﴾[الإسراء:110] فعلى هذا شيخنا ﷺ كان رحمانيًا إلهيًا وهذا هو كمال مقام الإرث المحمدي والحمد والعلم لله.

وسمعته في سماع يقول: الأسماء الذاتية هي الفرائض في حق العارفين وما عداها من الأسماء في حق العارفين سنن، قال شيخنا أحمد الرداد: يريد في شأن التعلق بها، والله أعلم.

وسمعته في هذا السماع يقول: يا أهل الإسلام، يا أهل الإيمان، يا أهل الإحسان حدكم الساحل فالله من وراء ذلك.

وسمع في سماع منشدًا يقول في قصيدة:

جِئْتُ يَا مَرْبَعَ الأَحْبَابِ بالدِّمِ وَلاَ عدلك عَوَادِي كُلُّ مُنْسَجِمِ

فقال: هذا من العلامات القلب بيت الرب، إذا عمر قلبك وجدت فيه كل شيء وكل متفرق من المتفرقات تجده فيك، ثم أنشد القوال:

ولا برحت شواذي الورق في سحر يهدرن فيك بمنثور ومنتظم

فتكلم بكلام عزيز غريب عن علي لفظه، وأقول، والله اعلم: أن معناه بهذه الشواذي هي السنة حقائق الأسماء والصفات تثني على الذات المقدسة بأنواع الثناء ثم أنشد القوّال:

وأَسْأَلُ الرَّكْبَ فِي مَسْرَاهُ عَنْ خَبرٍ وَلاَ أَرَى خَبَرًا يَشْفِي بِذِي سَلَمِ

فقال: السلام عليكم يا أهل الله، والله ما عنه مخبر، ولا بأس عليكم، يا طلاب الله وحياتي معكم لا تتركوا طلب الله كنتم في ذلك صادقين، أو كاذبين متأهلين، أو غير متأهلين ثم أنشد القوّال:

فالنيرَانُ وَنت فِي جَرْيِهَا وكَبَت وَلاَ أَرَى غَيْر مَوْقُوفِ عَلى الحُكْمِ

وقال: الله أكبر عجزت الأسماء عن معرفة الله، أسماء الله تطلبه كما نطلبه قال شيخنا محي الدين أحمد الرداد: يعني به أن الأسماء من حيث كونها أسماء تطلب عين المسمى ليظهر تحقيقه التي هي الذات فيما هي قائمة به منه أعني المسمى فلا تحمل منه الأسماء إلا ما هي قائمة به من المعاني وأما الأسماء من حيث كون المسمى إياها وعينها فعين واحدة مستغرقة لكل عين ولكل أثر ولا عين ولا أثر ولا علم ولا خبر والله بكل شيء محيط.

وسمع في سماع قوّالاً يقول:

أَرَاهَا نَكَّرَتْ فِينَا اللِّمَامَا وعَرَّفَتْ الفَاصِيلَ والصرَامَا
وشَطتْ عَنْ معَاهِدِنَا مِرَارا مَلاَلاً ذَاكَ أَمْ خَافَتْ مَلاَمَا

فقال - قدس الله سره - : قالوا لا يعرف قدر القرب إلا من كان قريبًا فبعُد، فهذا مما يتعرف الله به إلى عباده يقربهم، ويبعدهم، ويدنيهم، ويقيمهم ثم أنشد المنشد:

تُمنِّع عَنْ مُطَارَحَتِي دَلاَلا وتأبَى أَنْ تَرُدُّ لِي السَّلاَمَا

فقال: من كان هكذا لا يعرف، وكذا العارف الذي وصفه وصف معروفه لا يعرف، وقال في هذا السماع: السعداء: هذا سماع السعداء لا سماع الأشقياء.

وسمعته في سماع يقول: السماع محك الرجال، ومن لا ورد له لا وارد له، وسمعته في هذا السماع يقول: انظروا إلى هذا الوجود المقيد كيف يدلكم على الوجود المطلق ولا يشغلكم الله بفعله فيكم عنه بل تلطفوا حتى تكونوا بفعله معه اطلبوا الله بأسمائه؛ فإنها تطلبه كما تطلبونه.

قال شيخنا أحمد: أي تطلبه لكم منه كما تطلبونه أنتم له.

وسمعته في هذا السماع يقول: لا حرج عليك يا طلاب الله صادقين كنتم أو كاذبين ثم سأل الجماعة كيف تنزلون الكذب؟ فقال الشيخ أبو بكر العباصري: سمعت الشيخ أبا بكر بن سلامة يقول: اهجموا على الله هجوم الكذابين وذلك كما قيل: إن رجلاً كان يشتهي الدخول على الملك فلم يقدر فكذب كذبة كانت سبب دخوله على الملك فقال له الملك ما حملك على هذا الكذب؟ فقال: تحيلت على الدخول عليك فلم أقدر إلا به، فقال: له لا بأس لقد صرت من أهل حضرتي لا تفارقني.

قال: وقال الشيخ أبو بكر بن سلامة قالوا أن الحضرة من دخلها لا ترده وإن ردته عاد فارتضى شيخنا أبو المعروف هذه الحكاية في تنزيل الكذب في هذا المعنى وقال شيخنا أحمد الرداد: ومعنى قول الشيخ ﷺ صادقين كنتم أو كاذبين ألا صادقين كنتم فيما ترون من صدق الهمم والعزائم أي كاذبين فيها تلهمون أنفسكم به من ضعف الاستعداد وعجز هممكم وعزائمكم الذي يشبه الكذب عند أهل الهمم والعزائم.

وسمعت شيخنا الأكبر – كملنا الله به – في هذا السماع يقول: إن الفقراء مثلهم مثل النساء، من النساء من تكون حظية على زوجها فيعيش في حظاها كثير من الناس والفقراء منهم من تكون روحه حظية عند الله فيسعد بتلك الروح أرواح كثيرة فاستبشرنا منه رحمة الله والحمد لله فإنه قال في تلك الليلة للقوال: والله يا فلان لتذكرن هذه المجالس

في الجنة.

وسمعته في سماع يقول: ثمرة السماع وغاية ما فيه المقابلة والمكالمة، والسماع حال الطالبين، وأما المطلوبين فهم خاصة الله، وكان ﷺ في سماع القوال يقول:

الـيَومَ عَـادُوا أحبَابِـي كَمَـا كَانُوا والـبَانُ لاَ حَـال عَـنْ أحْـوَالِهِ البَان

وعـودت نعـمْ بالأوطَـانِ قَاطِـبةٌ وعَـرْفن الله بـالجيرَانِ جِـيرَان

فقال: هذا تجلي الحق في الحق التجليات ثلاثة: تجلي أهل الجنة، تجلي حق في خلق وهو أن يتجلى لهم فتجلى لهم ما له فيهم، وتجلي الكثيب تجلي خلق في حق يذهبون بما له فيهم فيه، وتجلي حق في حق أعلاها.

وسمعته في سماع يقول: من تخلق بأخلاق الله وجد الله، وسمعته وصل الله قوله في سماع يقول: خاض الرجال، خاض الرجال رجع أكثر العارفين عن هذه الأحوال والمعارف وحاضوا كما تحيض النساء قال ومعنى حيضهم أنهم لم يعرفوها ولم يفتح لهم فيهما بشيء فرجعوا عنها وولوها الأدبار وقالوا آمنا بالله على مراد الله ومراد رسول ﷺ ورأيته في هذا السماع ظهر بمظهر عظيم جلالي وكان عمامته تلك الليلة بعذبتين: إحداهما بين كتفيه، والأخرى بين ثدييه، وكل منهما تكاد تمس الأرض ولم أره أرخى العذبة كذلك لا قبلها ولا بعدها.

وسمعته – فتح الله بكلماته أقفال القلوب – في سماع يقول: فقالوا إن رسول الله ﷺ كان أمامنا في نعمان في جواب الرحمن في سؤاله ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: 172].

وسمعته في هذا السماع يقول: كل ما تسمعه من اللفظ المؤنث ما تحمله إلا على روح نبينا محمد ﷺ ما لنا مع الغزالة والغزل.

وسمعته يقول فيه: يا حاضرون هذا السماع سماع الفقراء هذا السماع يشبه سماعات المتقدمين كالجنيد وإبراهيم، وسمعته – عرفنا الله من عوارفه – في سماع يقول: والله ما يعرف الله إلا الله، والله ما يعرف الله على الحقيقة إلا الله، ولا له في الدارين عارف على الحقيقة.

وقال في سماع: يا مريدي الله، ابكوا على الله، وسمع قوالاً يقول: أحن حنين الحامضات لوردها، فقال: من عرف نفسه عرف ربه، لو عرفتم أنفسكم لحنيتم إلى الله ولعرفتموه، وسمعته أوصلني الله به إليه في سماع يقول: طريق فردة يعني طريق أهل الله لا يزالون يدخلون في شيء ويخرجون منه، ويدخلون في شيء ويخرجون منه، حتى يصيروا

لا شيء وحتى يصلون إلى الله ويصير العبد كما لم يكن والله كما لم يزل فإذا وصلوا إلى الله فما هنالك ذهاب في الله.

وسمعته – دلني الله به عليه – في سماع يقول: قوم ما تنعموا بالله إلا في الدار الآخرة إلا وقد تنعموا به في هذه الدار، وسمعته يقول هو رجل واحد محمد ﷺ، وتفرق الناس كلهم فيه، والله ما من تابعه في أقواله كمن تابعه في أفعاله، والله من تابعه في أفعاله كمن تابعه في أحواله.

وسمعته – أمدنا الله من أسراره – في سماع: يسأل من حضر سماع حق في خلق أو سماع خلق في حق فقال بعض الحاضرين: كذا، وقال بعضهم كذا، وفقال سماع حق في خلق بمعنى النزول وسماع خلق في حق بمعنى العروج ورتبة أخرى سماع حق في حق فقيل له النزول والعروج في حق الحق سواء فقال: نعم، ولله المثل الأعلى لكن قد صح أن أسماء الله تطلبه وطلبها له عروج ونزوله في أسمائه وسمع منشدًا ينشد في سماع وإني على العهد القديم مرابط فقرأ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: 172] ما نسوا هذا العهد وأما ناس فما استتر عنهم ولا انحجب عنه.

وسمعته في سماع يقول: الله واسطة عظيمة بين عباده وذاته، وسمعته فيه يقول: كلنا نحسن نسمع في الله أن الله يثني على نفسه وعلى أسمائه وصفاته منه إليه وإليه يرجع الأمر كله، وقال: الكل محمديون شهد لنا ﷺ إنا محمديون ويا لها بشارة والحمد لله، وسمع القوال في سماع يقول: زاروا حبيب الليل مزور، فقال: ينزل ربنا تبارك وتعالى في كل ليلة، وقال لبعض الحاضرين: إن كنت من أهل المعاني فأنت معنا.

وسمعته ﷺ في سماع ورأى الناس قد قعد منهم من قعد من التعب من طول القيام، فقال: أنا ابن اثنين وثمانين سنة استوعب الليل كله حركة في السماع ولا أتعب ولكن ما هو إلا من أعطي سر القيومية.

وسمع القوال في سماع يقول:

أَلاَ يَــا صَــاحِبِي هَــذَا المـصلّى وتلــكَ ملاَعِــبُ الظَّــبي الـرَّحِيمِ

فقال: وجهوا قلوبكم إلى الله ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ [الأنعام: 79]. وسمعته في سماع يقول: أين جلساء الله الذين قال الله فيهم على لسان

نبيه ﷺ: «وأنا جليس من ذكرت»[1]، ورأيته في سماع ظهر بمظاهر مختلفة متلونة يدرك تلوينها بالحس وقال: أتكلم أو أسكت؟ فقيل له: تكلم فقال: لو كان معي من هو لابس لامه حرب الحقائق يمنع عني سيوف الشرائع لتكلمت ولم يتكلم، وكان إلى جانبي الشيخ بكر الرعيني فأخبرني أنه رأى الأرواح في السماع بين الجماعة كهيئة ما يظهر من الماء في الظل إذا انبسطت عليه الشمس.

وسمعته في سماع يقول: قالوا: إن الأرواح إذا سمعت هذه الألحان أو قال النغمات واشتاقت وذكرت خطاب الله لها يوم ﴿أَلَسْتُ﴾ [الأعراف: 172] ألست ولا تسمه إلا الأرواح.

وسمع القوال في سماع يقول:

بَذَلْتُ لَكُمْ رُوحِي عَلَى كُلِّ حَالَةٍ وَلَسْتُ كَمَنْ فِي الحُبِّ أَمْسَى يُشَارِطُ

فقال: كل أهل اليمين من المشارطين ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: 60] ما تعلمون إلا لتجاوزن إلا المقربين، وسمعته في سماع يقول لا يرى الله لا يبصر الله، قلت قد ورد في الصحيح أن الحق إذا أحب عبده كان سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، فلا يراه إلا به وأنشد بعضهم:

إِذَا تَجَلَّى الحَبِيبُ بِأَيِّ عَيْنٍ أَرَاهُ بِعَيْنِهِ لاَ بِعَيْنِي فَمَا يَرَاهُ سِوَاهُ

وسمعته في جمع متهيئين للسماع يقول: ما ينوي الحاضرون بحضورهم السماع؟ فقال الأمير غياث الدين: التعرض لنفحات الله، فقال: هذا مما ينوى به وبقي غير هذا، فقال: آخر الحضور مع الله، فقال: هكذا تنوون الحضور مع الله والاجتماع عليه، وسمعته عقب سماع يقول: إن لله ملائكة تحت العرش يرقصون.

قلت: أورد الإمام المحقق الخيري الفارسي في كتابة «دلالة المستبهج» هذا الحديث قال: فقد أخبر رسول الله ﷺ أنه قال: «ولما أُهبط آدم إلى الأرض بكى ثلاثمائة سنة فأوحى الله إليه ما يبكيك؟ قال: إلهي لست أبكي شوقًا إلى نعيم الجنة، ولا خوفًا من ألم الجحيم، ولكن أبكي شوقًا إلى الملائكة الطائفين بالعرش سبعين ألف صف جرد مرد مكحلين يرقصون ويتواجدون كل واحد آخذ بيد صاحبه ويقولون بأعلى أصواتهم: من مثلنا وأنت حبيبنا وذلك دأبهم إلى يوم القيامة فأوحى الله إليه أن ارفع رأسك وانظر إليهم

---

(1) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (1/108).

فرفع رأسه إلى السماء فكاشفه الله بفضله عليه فرآهم سامعين من الحق راقصين حول العرش ساعين بين العرش والكرسي غائبين به عما سواه فسكنت روعته».

وقال إبراهيم بن شيبان: سمعت أبا عبد الله المغربي يقول: خلق الله أهل السماع من نور بهائه، وخلق سبعين ألف ملك من الملائكة المقربين فأقامهم بين العرش والكرسي وهناك حضيرة القدس وزينتها الأنس به لباسهم الصوف الأخضر وجوههم كالقمر ليلة البدر على رؤوسهم الشعر كشعر النسوان، قيامًا، واجدين، والهين منذ خلقوا إلى أن ينفخ في الصور بكاؤهم، وأنينهم يسمعه أهل السماوات السبع ألا وهم صوفية السماء يهرولون من ركن العرش إلى الكرسي شبه السكارى لما بهم من شدة المحبة والوله والسماع الدائم من عيان الجمال إسرافيل قائلهم ومنشدهم، وجبريل نديمهم ومكلمهم، والله تعالى بجمال كبريائه أنيسهم، ومسمعهم، وساقيهم، وملكيهم، وهم إخواننا في النسب أي في أحوال السماع انتهى ما أورده.

وفيما ذكرته نكت غريبة عجيبة:

منها كون الملائكة فيهم صوفية، وكان شيخنا ﷺ في سماع فسمع القوال يقول قولاً فيه: إن القلوب كلها بيد الله حتى قلوب اليهود والنصارى وغيرهم فرأيته وقع في حال عظيم وظهر بمظهر غريب حتى بطش بالحاضرين فلما سكن نادى بأعلى صوته يا موحدين احذروا الإلحاد لا تعقلوا في الله ما لا يجوز وكرر هذه المقالة مرارًا وسكت القوال وأمرنا بقراءة يس ثم استعاد القول.

وقال: من أين دخلت عليهم اليهودية والنصرانية وهم في يده ما ذاك إلا لما ارتتق عليهم الأمر رأوا أن الحق عند عيسى فقالوا: ابن الله، فجمعوا ولم يفرقوا، وقد قيل: إن من لا تفرقة له لا جمع له والحق في كل شيء لا كشيء في شيء وهو معكم أينما كنت بالعلم والقدرة فما ثَمّ إلا من تولاه الله، أمر الله إبليس وهو طاووس الملائكة بالسجود لآدم ولم يرد منه السجود فلم يسجد فَضَل.

وسمعته في هذا السماع يقول: ثم مواطن يكون الإنسان في بعضها مؤمنًا وفي بعضها كافرًا، وهذا لا يوافق عليه إلا العارفون أهل الكشف وأما علماء الظاهر فمحجوبون عن ذلك فمن هنا يخاف قال الله تعالى لموسى ﷺ: «يا موسى لا تأمن مكري حتى تستقر قدماك في جنتي، أو قال: في الجنة»[1]؛ فمن هنا إلى الجنة يخاف ومن هنا إلى الجنة يرجى

(1) ذكره ابن رجب الحنبلي في «جامع العلوم والحكم» (1/230).

أيضًا فإن الله ﷻ قد يحفظ الإيمان على الإنسان، وكان من دعاء نبينا محمد ﷺ: «اللهم احفظ علي الإيمان بك حتى ألقاك به».

وقال فيه: تغربوا على أنفسكم وخالفوا هواها تلحقوا بربكم، وقال: فيه ما أحد يجد الله إلا إن مات.

يشير شيخنا ﷺ إلى ما أشار إليه لسان النبوة بقوله: «موتوا قبل أن تموتوا» أي: موتوا عن أنفسكم، وهواها، وإرادتها، وأوصافها، فإنه لا يجد أحد ربه إلا إذا ماتت نفسه فإنها هي حاجبه فمن مات هذا الموت المشار إليه حيي بالله ومن حيي بالله وجد الله بالله، وسمعته في سماع يقول: ادخلوا على الله بالله فإنه لا يدخل على الله إلا بالله.

وسمع في سماع منشدًا يقول:

هُنَاكَ يَنظُرُ علَى عَبس بالوَغَى يعطُونَ حَقَّ السَّيف ضَربًا باليَدِ

أين انتم يا رجال ورفع صوته وقال يا أهل الزمان يا مريدي الله لإسماعيل الجبرتي ثم قال القوّال:

وَالخَيْلُ سُحبٌ والفَوَارسُ رَعدُهَا وَالبِيضُ بَرْقٌ في القَنَا المتقَصِدِ

وشَارِقُ البِيضِ العَريك لوَامِع فِي عَارِضٍ مِثْلَ الغَمَامِ المُرْعِدِ

وأَسِنَّةُ السُمْرِ الطِّوَالِ كَأَنَّها تحتَ القَتَامِ نُجُومُ لَيْلٍ أسْوَدِ

والخَيْلُ تَقْتحِمُ الغُبَارَ عوَابِسًا وَتَخُوضُ فِي بَحرٍ بكُلِّ مسوَدِ

والمُهْرُ مُقتَحِم ظَلاَمَ عجاجَة والجَوُّ أَدْكَنُ كَالظَّلاَمِ الأَسْوَدِ

والنَّاسُ بَيْنَ مَنكسٍ ومدعسٍ ومُشَرَّدٍ ومُهَدَّدٍ ومُوَعد

والخَيْلُ بَيْنَ تَجاولٍ وتَحاولٍ وتَصَادمٍ وتَحَمْحُمٍ وتَفَرُّد

وتَرَى الشُجَاعَ مَعَ الشُجَاعِ محُارِبًا وتَرَى الجَبَانَ مُوَلِّيًا لاَ يهتدي

فظهر عليه عند سماع هذا القول أحوالاً غريبة وحركات عجيبة وهكذا كان أعجب ساعاته وأغربها وأظهرها أحوالاً ما كانت فيه من القول ما هو هكذا كقول عنترة العبسي وأرباب الشجاعة والهمم العالية والفصاحة والبلاغة فيكون في وقته ذلك لا يزاحم وترتفع عنه من قل أو جل إلى حواشي السماع وتبطل حرمات المتحركين ويأخذ حاله قلوب الحاضرين حتى يكون هو شغل الناس عن السماع والمسموع وكان مما قال في ظاهر

الأمر من معنى هذا القول انظر وأوصف القيامة كما ترون الشجعان هنا يخوضون الحرب ويقومون دون من يعثر من أصحابهم ويجوزونه كذلك أولياء الله يوم القيامة يخوضون المحشر أشد من خوضهم ويتقذون أصحابهم ومريديهم وما من مثل هذا إلا وله مثل هناك ثم قال القوال:

وخَوَافِقُ الرَّايَاتِ تخْفِقُ ظِلُّها بَيْنَ الجُيوشِ كَموْجِ بَحْرٍ مُزْبِدِ

فقال: قولوا ما من ولي إلا وله راية.

ومرة قال: ما من أحد إلا وله راية يوم القيامة.

ومرة قال: ما من مؤمن إلا وله راية.

ومرة قال: ما من عبد إلا وله راية.

وسمعته ﷺ في سماع يقول: يا أهل الله، أوصيكم بالأدب مع أهل الله.

وسمعته في سماع يقول خالفوا هواكم تفوزوا بمولاكم من خالف هواه فاز بمولاه.

وسمعته يثني على السماع ويقول: على كل حال فإن السماع يعطي من له فيه نصيب زيادة أقل الأحوال يبكي على الله وإن كان في وقته ذلك فإن قبل منه إجابة وكشف ضره فيا لها من سعادة، فيا لها من سعادة.

وسمعته في سماع يقول: قال رسول الله ﷺ: قال الله: «وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به»(1) الحديث فمن كان الله سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله ماذا يكون لو عرفهم الله لعرفهم هذا.

وسمعته – طيب الله أحوالنا به – يقول: والله إن أوقات السماع طيبة بمثل الإنسان كأنه حاضر بين يدي الله أو بين يدي رسول الله ﷺ، ويكون فيه من الرقة والخشوع ما يتشفع به إلى الله وإلى رسول الله هذا أقله فكيف إذا ورد عليه شيء من سيدي رسول الله ﷺ، فكيف إذا أفاض الله عليه من بركاته فكيف إذا نشر الله سبحانه عليه رحمته فكيف إذا كشف له عن جماله وجلاله، وسمعته في سماع يقول: هذه طريق أهل الله يا فقراء يا مريدي الله لا تكذبوا على الله.

وسمع في سماع القوّال يقول:

لَقَدْ وَجَدْتُ صَوَافِنًا مُحَلاً كَبَتْ مِنْ دُونِه صُفْنُ الجِيَادِ

(1) سبق تخريجه.

وبُـــراقُنا هـــناكَ بُـــرَاقَ سَـــعد ولاَمَعْـــنَا اللوَامِـــعَ مِـــنْ سُـــعادِ

فوقع في حال عظيم وقال: أقول ولا حرج ولم يقل شيئًا وسكت ساعة، وقال: أبشروا واحمدوا الله يا أصحاب إسماعيل وهكذا كنا نسمعه كثيرًا إذا طرقته الحالات، أو وردت عليه الواردات، أو غشيته أنوار التجليات، أو برزت له الحقائق المغيبات يقول: أقول ولا حرج، ولا يقول شيئًا من قوته على الحال وملكته للمقال، وهذا وصف الكمل من الرجال كما قال بعض أكابر المحققين: إن المتكلم بالحال يكون في حكم الوارد، والأنبياء يملكون الأحوال، وأكثر الأولياء تكلمهم أحوالهم.

قيل للجنيد: ما لنا نرى المشايخ يتحركون في السماع وأنت لا تتحرك؟ فقال: ﴿وَتَرَى الجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل: 88] قيل: لبعضهم ما لك لم تتحرك؟ فقال: إنه إذا كان في الجمع كثير احتشمت منه فأمسكت على وجدي، فإذا خلوت وحدي أرسلت على وجدي، فهذا قد ملك حاله، ووجده يمسكه إذا شاء، ويرسله إذا شاء، ولهذا جَهِلتَ أحوال الأكابر أهل المقامات لكتمهم لها وعرفت أحوال من دونهم لظهور الأحوال عليهم وعجزهم عن كتمها، وسمع في سماع قوّالاً يقول:

آهِ طَـــير لَـــهُ شـــجَاني في الدُّجَـــى بحنِيـــنِهِ وأنِيـــنِهِ المُتَـــردِدِ

فقال: لا تظنون أنهم يعنون الطيور هذه إنما يعنون بها أرواح الأنبياء والأولياء.

وسمعته في سماع يقول: أفضل الهموم أن يكون همك الله أن تعلق همك بالله وبطلبك لله وبمعرفتك لله وبمحبتك لله، وأما تعلق الهمة بالجنة والخوف من النار فهذه هم لكن ما هي كمن همه الله.

وكان ﷺ في سماع في مسجده ليلة ختمه ليلة تسع وعشرين من شهر رمضان سنة ثلاث وثمانمائة فرأيته تلك الليلة يتلون: تارة يكون جلاليًا، وتارة يكون جماليًا، وتارة يكون يتعرف، وتارة يكون يتنكر، وتارة يقبض بالهيبة، وتارة يبسط بالأنس، وتارة يخضع ويخشع، وتارة يعلو ويترفع، وسمع القوّال يقول:

لقَـــدْ وَلَجَـــتْ صَـــواهِلُنَا مَحَـــلاً كَـــبَتْ مِـــنْ دونـــه صـــفْنُ الجـــيادِ

فقال: اسجد شكرًا لله، الله أكبر، وسجد فسجد جميع من حضره وأكثرهم عليهم حاله وحكم وقته، وأخذتهم ضرورة الحال عن الانتباه للتوجه إلى جهة القبلة حتى رأيت عام من حضر سجدوا إلى حيث ما هم متولين، ورأيتهم مستديرين حول الشيخ كالمصلين في المسجد الحرام مستديرين حول الكعبة، وإنما أدركت علم هذه الهيئة بالرؤية لتجالي قليلاً

عن السجود وتذكرًا للوضوء ثم تيقنته ولحقتهم في السجود وكذلك الشيخ جمال الدين محمد المزجاجي، وكان إلى جنبي وحبسه ما حبسني فوقف كما وقفت ثم سجد ثم رفع شيخنا رأسه من السجود قائلاً يا أرحم الراحمين.

وسمعته ﷺ يقول – ما هذا بمعناه: إذا تكلم المتكلم في السماع وأبان للناس عن معاني القول المسموع، وبيّن للسامعين وجوه إحالة ألفاظ الغزل والأوصاف المؤنثة، وعلّمهم اتباع الأحسن من القول وكيف معاني الفقراء في ذلك وما يقصدون؟ وإلى ما يشيرون؟ حصل بذلك موافقة قلوب الحاضرين وعدم الإنكار؛ فتجتمع القلوب على السماع فتعم البركة والرحمة، وسمعته ﷺ في سماع يقول: والله ما تفاوت الناس إلا بالنيات ما تفاوتوا بالأعمال وإنما تفاوتوا بالنيات في الأعمال.

وسمع منشدًا ينشد:

لَئِنْ كَانَ هَذَا الدَّمعُ يَجْرِي صَبَابةً عَلَى غَيرِ لَيْلَى فَهُوَ دَمْعٌ مُضيَّعُ

فبكى، واستعاد البيت مرارًا وهو يبكي ثم كرره هو بلسانه لنفسه وهو يبكي وقال: أفضل البكاء ما كان على الله.

وسمعته – أفاض الله علينا من بركاته – في سماع يقول: أين الحبالي؟ أين الحاملون للأسرار؟

وسمعته في سماع يقول: من لم يعرف المعاني فالسماع حرام عليه.

وسمعته في سماع يقول: السماع عندنا قربة[1].

---

(1) فائدة في مسألة السماع للشيخ عبد الغافر القوصي في «الوحيد»: وللسماع أثر كبير في ورود الحقائق، إذ جعل الله تعالى على العبد التكليف بالأسباب والاكتساب، فهذه الحواس الخمس: السمع والبصر واللمس والشم والذوق.

ولهذه الخمسة الظاهرة خمسة باطنة– وليس هذا موضع الكلام فيها– فإذا طهرت نفس السالك وحصل له تصريف من الله تعالى كانت جوارحه كلها فعّالة، وتنوب كل جارحة عن غيرها فيسمع بعينه ويبصر بأذنه وكل الجوارح كذلك، وإياك ثم إياك والإنكار في هذا الموطن فتهلك فيه وتحرم الوصول إليه بحجاب الإنكار.

والسّماع لا يقتصر على نوع من الأنواع، إذ لكل كلمة معنى لطيف من سائر الكلمات، ولها سرٌّ من الأسرار مطلِعُ الله تعالى عليه من جعله لذلك أهلاً وأسمعه أحسن القول في كل موجود، كهبوب الرياح وتمايل الأشجار وطنين الذباب وصرير الإيوان ونغمات الأطيار وحسن الأوتار وصفير المزمار وسماع الأنين وصوت الحزين وصياح الصائح ونوح النوائح، وللسامع بحسب ما وجد، وللعابد ما عبد فهو في كل ذلك طروب.

والسماع يختلف بحسب المواجيد والواجد والأحوال والطباع والمسمعين والمستمعين، وبحسب =

كل شخص، وقد تكلم العلماء في السماع كلامًا كثيرًا، فمنهم من قال بالإباحة ومنهم من قال بالتحريم ولا وجه له في ذلك في نفس السماع، إلا أن يكون لعلة واردة فيه بحسب القصد والنية والهوى.

وقد صنّف الإمام الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي المقدسي في ذلك مصنفًا، ونقض أقوال من قال بالتحريم، وجرح النقلة للحديث بالتحريم، وذكرهم وأسماءهم وذكر من جرحهم، واستدل على إباحة السماع واليراع والدف والأوتار بالأحاديث الصحيحة، وجعل الدف سُنة، واستدل بآيات من كتاب الله تعالى، وسمعنا ذلك بقراءة ابن أبي أسامة الدمشقي على الشيخ الإمام الحافظ شرف الدين الدمياطي عن جماعة بإجازته عن الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي الأصبهاني بسماعه من المصنِّف رحمه الله تعالى، ولا حاجة إلى تكثير الكلام، ولا يشك أحد في صحة حديث الوفد من الحبشة الذين كانوا يرقنون ويرقصون بمسجد رسول الله ﷺ وهو يُري عائشة –رضي الله عنها– قال: أكتفيت أو كانت هي التي تمل.

وأيضًا أحاديث جمّة في ذلك غير مختلفة في صحة ذلك، وإن اختلفت بعض الطرق، وكذلك فإن الناس لا يشكون في نغمات الأطيار كصفير البلابل والهزارات والشحارير والكروانات وكل طير حسن الصوت والصفير والهدير والنواح، فإن ذلك مباح لم يختلف فيه اثنان، وإن رسول الله ﷺ سمع الشعر وربما أجاز عليه، والحديث في الفتاة التي أهدتها عائشة رضي الله تعالى عنها أو أنكحتها في الأنصار، وقوله ﷺ أهديتم الفتاة قالوا: نعم، قال: أرسلتم معها.

قال أبو محمد: كلمة ذهبت عني–، قالت: لا، فقال رسول الله ﷺ:

«إن الأنصار قوم فيهم غزل، فلو أرسلتم معها من يقول: أتيناكم أتيناكم فحيّانا وحيّاكم».

وفي حديث جابر لما سأل عن الفتاة فقال: نكح أحد الأنصار واحدة من أهل عائشة وأهدتها إلى قباء فقال لها رسول الله ﷺ: «وأهديت عروسك»؟ قالت: نعم قال: فأرسلتي معها مغنيًا فإن الأنصار يحبونه؟ قالت: لا قال فأدركيها يا زينب – وزينب هذه امرأة كانت تغني في المدينة– ورواه الزبير بن مسلم المكي عن جابر.

وكذلك حديث فضالة بن عبيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «لله أشد أذنًا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته».

قال أبو عبد الله الحاكم في كتاب «المستدرك»: وهذا حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه، وأخرجه عبد الله بن ماجه في سننه عن راشد بن سعد الزيني عن الوليد بن مسلم والله أعلم.

ووجه الاحتجاج من هذا الحديث أن النبي ﷺ أثبت أن الله ﷻ يستمع إلى حسن الصوت بالقرآن كما يستمع صاحب القينة إلى قينته، فأثبت دليل السّماع، فلا يجوز أن يقاس على محرم، ولهذا الحديث أصل في الصحيحين أخرجاه.

وفي حديث جابر ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يخطب قائمًا ثم يجلس ثم يقوم فيخطب قائمًا خطبتين، فكانت الجواري إذا كان نكاح يمررن فيضربن بالدّف والمزامير، فيتسلل الناس ويدعون رسول الله ﷺ قائمًا، فعاتبهم الله –عز وجل– بقوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً﴾[الجمعة:11].

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم في كتابه عن عبد بن حميد عن خالد بن مخلد عن سلمان بن

بلال والله ﷺ عطف اللهو على التجارة، وحكم المعطوف حكم ما عطف عليه، وبالإجماع تحليل التجارة فثبت بهذا الحكم مما أقره الشرع على ما كان عليه في الجاهلية، لأنه غير محتمل أن يكون رسول الله ﷺ حرّمه ثم يمر به على باب المسجد يوم الجمعة، ثم يعاتب الله ﷺ من ترك رسول الله ﷺ قائمًا وخرج ينظر إليه ويسمع، ولم يُنـــزل في تحريمه آية ولا سنّ رسول الله ﷺ سُنة فعلمنا من ذلك بقياه على حاله.

ويزيد ذلك وضوحًا حديث عروة عن عائشة -رضي الله تعالى عنها- أنها زفّت امرأة من الأنصار إلى رجل من الأنصار فقال رسول الله ﷺ: «ما كان معك من لهو لأن الأنصار يعجبهم اللهو» وهذا حديث صحيح أورده البخاري في كتابه في كتاب «النكاح» في باب النسوة اللاتي يهدين المرأة إلى زوجها.

ومما حدُث به ابراهيم بن عبد الله وكان الناس يتبركون به قال: حدثني المزني قال: مررنا مع الشافعي ﷺ وابراهيم بن إسماعيل رضي الله تعالى عنهما على دار قوم وجارية تغنيهم..

قال الشافعي: ميلوا بنا نسمع، فلما فرغت قال الشافعي ﷺ لإبراهيم: أيطربك هذا؟ قال: لا قال: فما لك حس.

وفي حديث الفرغاني عن صالح بن أحمد بن حنبل -رضي الله عنهم- قال: كنت أحب السماع، وكان أبي يكره ذلك، فواعدت ليلة ابن الخنازة فمكث عندي إلى أن علمت أن أبي قد نام فأخذ يغني، فسمعت خشفة فصعدت فرأيت أبي فوق السطح يسمع ما يغني وذيله تحت إبطه وهو يتبختر على السطح كأنه يرقص.

وقد رويت هذه الحكاية أيضًا عن عبد الله بن أحمد بن حنبل -رضي الله تعالى عنهم- قال: كنت أدعو ابن الخنازة، وكان أبي ينهانا عن الغناء، ولما ناب إليه الأمر قال كالمعتذر منه: إن الكريم طروبٌ ولا خير فيمن لا يطرب.

وكان يحيى بن خالد يقول: خير الغناء ما أشجاك وأبكاك وأطربك.

وقال غيره- سامحه الله تعالى-: وكنت إذا كان عندي كتمته عن أبي لئلا يسمع قال: فكان عندي ذات ليلة، وكان يقول، فعرضت لأبي حاجة عندنا، وكانوا في زقاق، فجاء وسمعه يقول فاستمع، فوقع في سمعه شيء من قوله، فخرجت لأنظر فإذا بأبي يترجع ذاهبًا وجائيًا، فرددت الباب ودخلت، فلما كان الغد قال: يا بني إذا كان مثل هذا نعم الكلام .

ومما أخبر به أبو محمد التميمي رحمه الله قال: سألت الشريف أبا علي محمد ابن أحمد بن أبي موسى الهاشمي عن السماع فقال: ما أدري ما أقول فيه، غير أني حضرت دار شيخنا أبي الحسن بن عبد العزيز بن الحارث التميمي سنة سبعين وثلاثمائة في دعوة عملها لأصحابه وحضرها أبو بكر الأبهري شيخ المالكيين، وأبو القسم الداركي شيخ الشافعيين، وأبو الحسن طاهر بن الحسين شيخ أصحاب الحديث، وأبو الحسن بن سمعون شيخ الوعاظ والزهاد، وأبو عبد الله بن مجاهد شيخ المتكلمين، وصاحبه أبو بكر الباقلاني في دار شيخنا أبي الحسن التميمي شيخ الحنابلة.

فقال أبو علي: لو سقط السقف عليهم لم يبق في العراق من يشبه واحدًا منهم يفتي في حادثة، ومعهم أبو عبد الله غلام تام، وكان هذا يقرأ القرآن بصوت حسن-وربما قال شيئًا- فقيل له: قل لنا شيئًا، فقال وهم يسمعون بأجمعهم.

=

قال أبو علي: فبعد أن رأيت هذا لا يمكنني لأن أفتي بحظر ولا إباحة.

وهذا القدر كاف إن شاء الله تعالى في هذا الباب من وجوه الاستدلال بالأحاديث الصحيحة وتأويل الآيات، ولم نعلم في زماننا هذا من أهل العلم وأهل الصلاح من أنكره، وكانوا أجلاء كالشيخ مجد الدين القشيري بن دقيق العيد، وولده الشيخ الإمام تقي الدين قاضي القضاة -قدس الله تعالى روحيهما-، وكان يسمع السماع، والشيخ جلال الدين الدشناني ولم يُسمع من أحد منهم إنكار، والشيخ محب الدين الطبري والفقهاء الذين عندنا كلهم يحضرون السماع، ومشايخ الصوفية من الزمان المتقدم وإلى الآن لم ينكره واحدٌ منهم الا إن وقع ما يوجب الإنكار فيه، فلم يكن ذلك في نفس السماع، وإنما هو لعلة دخلت فيه.

والذي أراه في ذلك أن السماع على ثلاثة أقسام:

- منه ما هو محرم كالاستماع لأرباب اللاهوية المحرمة من عشاق النسوان والفتيان وحضورهم في المكان والآلات المحرمات، فإن ذلك يحرك دواعيهم ويهيج نفوسهم وأشواقهم حتى يرتكبوا المحارم ولا يقفون عند مانع ولا يحجبون برادع؛ لأن الشهوات النفسانية إذا احتدت وقوي شغفها في محبوبها ومطلوبها لا تندفع عنه إلا بالموت، فالسماع على هذه الصورة حرام على السامع والمستمع له إذا علم بذلك؛ لأن الداعية إلى الحرام حرام؛ وما لا يتوصل إلى الحرام إلا به فهو حرام، كما أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وما كان يتوصل للحرام به فهو حرام وإن كان له دواعي غيره، فكيف إذا كان هذا الداعي هو أقواها وأشدها وأسرعها إلى ارتكاب المحارم.

- ومنه ما هو عندي واجب، بل واجب الواجب، وذلك أن السماع إذا كان لأقوام قد أسطلهم الحب في الله تعالى، وأقلقهم الشوق إليه، وزهقت أرواحهم من العطش منه، وتهالكت نفوسهم في ذاته، وتقطعت قلوبهم على قربه ووصاله، وطاشت عقولهم في معرفته، واستغرقت أسرارهم في سريان سرّه في بحر ديموميته إذا أطرق أسماعهم ذكر محبوبهم على أنواع من صفات جماله وكماله، ولاح لهم بارق دلالاته وأنوار حقائقه طارت أرواحهم إليه طيران العقبان، بل أسرع مما يوصف به الطيران، وانخرق سماع قلوبهم بذكر محبوبهم فأجنحهم إليه دواعي الوجدان ساروا إليه في فلك المدارج والأطوار بالمذاقات والوجدان، وساقهم سائق الشوق بأسرع السرعة لا كسابق الإطعان، ويشتاق القوم إلى لقائه، كما أن الأقرب إليه هو السابق بالعرفان ممن واصل ومَن ذاهل ومن مأخوذ ومن واجد ومن عارف ومن سابق ومن سائل ومن ولهان، والكل إليه وامون وعلى طبقاتهم في وصولهم متعاونون وإليه ذلك الوقت راجعون.

وكل العلوم والمعارف والحقائق واللطائف والأمن والخائف، فإنما وضعت للعلوم والمعارف وكل ما تقدم ذكره إلا ليعرف به الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:56] قيل: ليعرفوا، والله تعالى هو غاية الغايات ونهاية النهايات والمعرفة به هي واجب الواجبات، فالسماع على هذه الصورة واجب، وإن كان ذلك في حكم النادر إلا أن له أهل، وهم بحمد الله تعالى موجودون، وإنما يعرفهم من معرفة الله تعالى بهم؛ لأن القلوب مستورة بالجثمان، ومحجوبة عن العيان، وفيها أسرار الملك الرحمن، فلا يطلع عليها سواه، ولا يعلم بحقيقة ما أودعه فيها إلا إيّاه.

- ومنه ما هو مباح على أصله إذ لم ترد فيه آيات في القرآن ولا أحاديث صحيحة في التأخير

=

=

ولا في التقديم، كصفير الأطيار وتمايل الأشجار ورؤية الأزهار وهدير الأنهار وغير ذلك من هذا الشأن، فإذا خلت قلوب المستمعين من الحالة الأولى المحرمة للسماع، ومن الحالة الثانية الموجبة للسماع وكان خاليًا من ذلك كله، فسماعه للألحان كسماعه لنغمات الأطيار ورؤيته لجريان الأنهار وألوان الأزهار.

وقد كان عبد الله بن جعفر مع جلالته وعظم شأنه ليسمع ويعلم جواريه، ويسمعهن في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ. وكانت له جارية تسمى عمارة وكان معجبًا بها فسمعها يزيد بن معاوية، فوقعت في قلبه فأحبها وعشقها فاطّلع على ذلك أهل سرّه وبطانته، فأشاروا عليه بالكتمان وألاّ يطلع والده على ذلك، فإن عبد الله بن جعفر ما يبيعها ولا يُكره عليها.

فكتم ذلك حتى مات معاوية وأفضيت إليه الخلافة، فتحدث مع أهل سرّه وبطانته في ذلك فقالوا له إن ابن جعفر ما يكره ولا يبيع، فقال: فما الحيلة؟ فقالوا:ما بقي إلا التحايل فقال: وكيف ذلك؟ فقالوا: هنا رجل عراقي.

فطلبه وعرض عليه ذلك، فقال له: إن عبد الله بن جعفر ما يبيع ولا يكره على ما في يده، وليس منها إلا الحيلة، وإن كان واحد يحتال فأنا.

فأعطاه ما يريد من المال، وتجهّز إلى المدينة، وشرّع ما يحتاج إليه من الراحلة وغيرها، وتوجّه في صورة تاجر إلى منـــزل في رحبة لما وصل إلى المدينة بالقرب من دار عبد الله بن جعفر، والرحبة له، فقيل لعبد الله بن جعفر: رجل تاجر نزيل عندك، فقال: أكرموه. -وكان عبد الله بن جعفر مشهورًا بالكرم، وهو من المعدودين من الكرماء في العرب- ثم استأذن علي عبد الله فأذن له، فسلم عليه وقال: فيكم والمحبة لكم وجئت قاصداً، وبقي يلازم مجلسه حينًا.

ورأى منه عبد الله بن جعفر من المنادمة والملازمة والفضيلة ما عظم به عنده، ثم إنه أرسل إلى عبد الله لطائف وطرائف من لطائف الشام وظرفها وبغلة، وكتب معها ورقة وذكر فيها أنه لم يكن له حاجة بالمدينة إلا الولاء فيهم والمحبة، وقد أرسل لطائف وظرف من لطائف الشام وبغلة خفيفة الركاب.

فبالله عليك يا ابن رسول الله لا تخجلني أو لا توحشني بالرد، فأمر عبد الله بن جعفر قَيّمَه أن يقبض ذلك منه، ثم إنه استمر على الملازمة حتى عاد عبد الله بن جعفر إذا جلس وعنده عمارة تغني يكون العراقي حاضرًا عنده، وكان عبد الله بن جعفر معجبًا بعمارة كثيرًا، فغنت ذات ليلة فأعجب بها عبد الله بن جعفر فقال للعراقي: هل رأيت مثل عمارة؟ فقال: لا والله يا ابن رسول الله ﷺ، حسن صورة وحسن صنعة -أو قال جودة صنعة- فقال: كم تساوي عندكم؟ فقال: يا ابن رسول الله، أنا رجل تاجر، أضم الفلس إلى الفلس أو الحبّة إلى الحبّة، والله لو أعطيت لي بعشرة آلاف أخذتها -أو قال دينارًا- فقال له: هي لك بعشرة آلاف-على سبيل الدُّعابة.

فقام العراقي، وأتى بعشرة آلاف دينار وضعها بين يدي عبد الله بن جعفر، فقال له: ما هذا؟ فقال: ثمن عمارة.. فقال له: ويلك، ومثلي يبيع مثلها؟ قال: يا ابن رسول الله، أنا رجل غريب، وما لي عليك يد غير أني أستحلفك عند قبر رسول الله ﷺ لقال: ويلك، أتحلفني عند قبر رسول الله ﷺ فيقول الناس أظهر ضيفه؟ والله لأحســن صبري في الله تعالى، جهّزوا عمارة. فجهزوها بثلاثة آلاف دينار.

وقال: بئس والله الضيف أنت، وجعل أهل المدينة يقولون هذا الضيف المشؤوم. قال: فأخذتها

=

=
وخرجت، فلما خرجنا من المدينة كشفت وجهها فقلت لها استري، فما أنت والله لي، وما كنت بالذي آخذ حبة قلب ابن رسول الله ﷺ لنفسي، لكني دسيس من يزيد بن معاوية.
وسافر حتى إذا وصل إلى دمشق وهو داخل من بابها، وإذا بجنازة يزيد خارجة من الباب، قال: فدخلت وأقمت ثلاثة أيام، وتحايلت في دخولي على معاوية الصغير- وكان رجلاً صالحًا- فلما دخلت عليه وحكيتُ له الحكاية فقال: المال والجارية رد عليك ولا تبيتن في البلد الليلة.
قال: فخرجت، فكشفت وجهها فقلت لها: تستري، فأنت والله ردٌّ على عبد الله بن جعفر.
فلما وصلنا إلى المدينة نـزلت الرحبة، فقال أهل المدينة: جاء الضيف المشؤوم، وبلغ عبد الله بن جعفر نـزولنا فقال: أكرموه، ثم طلبت الإذن فأذن لي، فجئت إليه وحكيت له الحكاية وأحضرت عمارة وقلت له: والله يا ابن رسول الله، لم يصل لها يد ولا عين، فكانت في الدار ضجة عظيمة يقولون: عمارة عمارة، وأمر عبد الله بن جعفر قيّمه فباع له غنمًا بسبعة عشر ألف درهم فأعطاها للعراقي.
فهؤلاء السادة كانوا يسمعون وهم في مثل هذا المنصب مع جلالتهم وعلو مناصبهم وعلومهم وكرمهم وقربهم من رسول الله ﷺ، وفي حكايات مشايخ الرسالة في ذلك كفاية، لم يذكر أحد منهم تحريم السماع إلا لعلة.
كما ذكر أن الجنيد ﷺ سمع أن أبا الحسن الثوري يدور على قدم واحدة ويقول الله الله ثلاثة أيام فقال: قوموا بنا إلى أخي أبي الحسن، إما نفيده أو نستفيد منه، فقاموا فوجدوا الشيخ أبا الحسن على تلك الحال فقال له الجنيد: يا أخي أبي الحسن، إن كنت قائلاً الله الله بالله فلست أنت القائل، وإن كنت أنت القائل فأنت باقٍ مع نفسك، فما معنى الوله؟ فرجع عن حاله وقال: نعم المؤدب أنت.
وفي حكاية غير هذه أن المشايخ كانوا مجتمعين، وقوّال يقول شيئًا، فقام واحد وتواجد فقال له أحدهم: والذي يراك حين تقوم.
وقد ذكرنا ما حكي عن القرشي ﷺ أنه كان عنده قوّال فقال شيئًا.
وكان في طبقته التي بدرب ابن القسطلاني بمصر، قال: فارتفع أبو يوسف الدهماني إلى أبندارية المكان، وبقي يدور حتى أتى مقابل سجادته فنـزل وجلس عليها، فقال له القرشي: الذي يغلب حاله عليه لا يحضرنا.. والمشايخ المتقدمين والمتأخرين لم يسمع بإنكارهم السماع.
وحكي عن الشيخ شهاب الدين السهروردي ﷺ أنه سمع شيئًا فقال: وفينا وإن طال الزمان بقية.
وسيدي أحمد ابن الرفاعي ﷺ كان له في السّماع ما يذكر فيه عنده، وذكر الرقص في كتاب ابن كرار وقال فيه ما قال ﷺ وإلى زماننا هذا أصحاب الشيخ أبي الحسن بن الصباغ، كالشيخ علم الدين والشيخ أبي يحيى.
وحكي أن فقيرين من أصحاب الشيخ أبي الحسن حضرا سماعًا، فقام أحدهما وصاح، فقال له صاحبه: تكذب إن كنت صادقًا فاثبت.. قال فجلس فمات. فقيل أن الشيخ سأل صاحبه عن ذلك فقال صاحبه: هو كشف له عن أمر، فضاق عنه فقلت له: إن كنت صادقًا فاثبت ولم يطق فمات.
وأخبرني الشيخ أبو الطاهر أن الشيخ أبو الحجاج الأقصري كان عند الشيخ أبي يحيى في السماع، وكان يصيح: يا حبيب يا حبيب، وخرج وبقي يمشي في الطريق ويصيح: يا حبيب يا حبيب،
=

=

والشيخ مفرح ﷺ أيضًا كان يحضر السماع ويعمل عنده، وحكى لي الفقيه عميد الدين أن الشيخ مفرح كان في طبقة له وكان في بيته السماع والقوّال يقول ... فـنزل الشيخ من طبقته ودار دَوراتٍ وعاد إلى مكانه ﷺ.

وقد ذكرنا من مات في السّماع من الوجد، كالشيخ عمر بن عبد الحميد السخاوي مات من السماع في بلبيس حكاه الشيخ عبد العزيز وحكاه لي نجم الدين ابن ناشيء قال: حضرته وكان إلى جانبي.

وحكاه لي الصاحب فخر الدين بن الخليلي- حرسه الله تعالى- قال: حضرته وكنت في السّماع، ورأيته كما حكاه اللذان قبله، وموت السّراج الإسكندراني وغيره والذي جعل رأسه على الأرض مكان قدميه، كل ذلك في زمننا ووقتنا.

وذكر لي الشيخ يعيش -رحمه الله تعالى- قال: كنت أنا -وربما قال القليب السخاوي يمشي، وربما قال: كنا نقول شيئًا- وإذا بامرأة راكبة على بغلة ومعها الخدّام، فطلبتنا إلى بيتها فسرنا ودخلنا دارًا محتشمة، وإذا هي تغني للسلطان، ولها في الطرب والموسيقى صناعة جيدة، وكان السلطان قد أخذ ابنها وبقي عندها شوق إليه فغنت على عود وهي تبكي، وإذا طائر وهو البلبل جعل يترنم ويتدلى من دور القاعة، وجعل يتقرّب بالنـزول من جهة إلى جهة حتى نـزل وقعد على رأس العود الذي تغني به ونحن جلوس، وأقمنا في ضيافتها ثلاثة أيام.

وحكى لي الأمير علاء الدين إدريس بن الصواني قال: كنا في سماع لنا وعندنا قوّال، ونحن وأصحابنا خلوة، قال: فجاء قمري وقعد في طاقة في القاعة يستمع، ثم نـزل وجلس على رأسي والجماعة جلوس وسكنت له، فمكث ساعة والمغني يغني، فحين فرغ المغني من الغنا طار وراح. فانظر رحمك الله إلى هذا السر الذي جذب هذا الطائر! فكيف بأرباب الضمائر والسرائر والحقائق والخواطر، والمحبين للأول والآخر والظاهر والباطن؟

ولما طلب ذو النون المصري، وأرسل الخليفة إلى الفاضل بطلبه، وقال: إنّا سمعنا أن ببلادكم من يقول بما يقول به الحسين الحلاج فأرسله إلينا، فأرسل الى أخميم فأحضره وأرسله إلى بغداد، فقال له الخليفة: ما الكلام الذي تقوله: فقال ما أعرف ذلك إلا عند السماع، فأحضروا قوّالاً.. قال: فانتفخ ذو النون حتى بقي كالفيل، وقطرت كل شعرة منه الدم، فقال الخليفة: والله ما هذا عن باطل، ثم أكرمه وردّه إلى مكانه.

وفي حديث أبي مصعب لما سأل مالكًا ﷺ عن السّماع فقال: ما أدري إلا أن أهل العلم ببلدنا لا ينكرون ذلك ولا يقعدون عنه، ولا ينكره إلا عامي غبي جاهل، أوناسك عراقي غليظ الطبع.

وفي حديث الأصمعي عن عمرو بن أبي زائدة قال: مرّ الشعبي بجارية وهي تقول: فتن الشعبي لما..فلمّا رأت الشعبي سكتت، فقال لها الشعبي مكملاً: رفع الطرف إليها.

وأخبرني فقير قال: كنا بالروم نقيم سبعة أيام نسمع ليلاً ونهارًا ونحن قيام لا نأكل ولا نشرب، ورأيت الشيخ أبا الطاهر اسماعيل بن عبد المحسن ﷺ إذا حضر السماع أو أسمع الشبابة لا يملك نفسه ويتمرّغ في المجلس كلّه، وكان الشيخ ناصر الدين لا يحمّله.

فهذا رحمك الله تعالى أقوال السلف وأحوالهم فيه من الصحابة وعزّهم من التابعين وغيرهم من تابع التابعين وأقوال الصوفية المتقدمين والمتأخرين، مع ما عضد ذلك من الأحاديث الصحيحة والاعتضاد بالآيات الواردة في القرآن العظيم، فليس لأحد أن يحرم ما حلل الله تعالى ولا يحلل ما

=

وسمعته -قدس الله سره- في سماع يقول: إذا لم يكن المريدون أكبر همهم الله فليسوا بمريدين إلا أن يرضوا بمقام العبادة وكان إذا سمع هذه الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى﴾ [الأنبياء: 101] إلى قوله: ﴿هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: 103] يقول: قامت دولة الفقراء يا لها من دولة وينشد:

مَا ضَرَّ مَنْ جَاءَ غَدًا مُكَرَّمًا مَا هِينَ فِي الدُّنْيَا وَمَا اسْتُحْقِرَا

وسمع قوّالاً يقول شيئا فيه ذكر الخلع والملابس؛ فكان كلما سمع شيئا منه صلى على النبي ﷺ.

وقال: إذا استولت عليكم محبته ﷺ لسمعتم كل شيء فيه ولو تدبرتم ما وصفه الله به في القرآن العظيم لعرفهم ما هي الخلع والملابس واستنشد ليلة هذين البيتين:

إِذَا الحُجَّاجُ لَمْ يَقِفُوا بِلَيْلَى فَلَسْتُ أَرَى لِحَجِّهِمْ تَمَامَا

تَمَامُ الحَجِّ أَنْ تَقِفَ المطَايَا عَلَى لَيْلَى وَتُقْرِيهَا السَّلاما

فحصل له وقت عجيب، وظهر عليه حال غريب، وكان يكرر البيت الثاني وقال: وقيل في بعض مناجاة أبي يزيد: «كل الناس يريدون مني، وأنت تريدني فأنت عبدي حقًا».

وقال: قيل إن بعضهم حَجَّ فأول ما وقع نظره على البيت رأى الله وكان الشيخ الولي حسن بن الهبل القرشي حاضرًا حينئذ فقال: والله متى ما أردنا تجديد العهد بالله حضرنا السماع فصرخ الشيخ لمقالته هذه وضرب بيديه السرير واكب عليها ساعة ورفع رأسه إليه وقال له: ألف بس عليك يا صوفي.

وقيل له: إن الجنيد سُئِلَ عن أقرب الطرق إلى الله فقال: السماع فقال ﷺ: ومن المتأخرين الشيخ محمد المؤذن صاحب الغصن سئل عن الطريق إلى الله فقال تسوية

=

حرم الله تعالى، وأعرف فقيرًا كان يتغذى السماع، وربما أقام اليوم والثاني والثالث.

المأخـوذون

وأمّا المأخوذون فهم في ذلك على طبقاتهم وقوة خرق سماع قلوبهم يغنيهم ذلك عن الشراب والطعام والحلال والحرام والنور والظلام والليالي والأيام حتى يردهم إليه ويجمعهم في قربات العارف عليه ويؤنسهم بشواهد تجليه، فلا يرون شيئا إلا ويرون الله فيه.

فإياك والإنكار على أهل القلوب في السماع ولا سوء الظن عند الأقوال في الاستماع، فإنما أنت بما ملت إليه واعتقدته، فأنت المطلوب عنك بك والمسئول عمّا فيك لك، والله تعالى عند ظن عبده به، فإن يك خيرًا عاد اليك، وإن يك شرًا فلا تلومنّ إلا نفسك.

الطابق، وسمعته وأثنى على السماع في مجلسه فقال: نعم، هو لمن فتح عليه فيه وإلا فهو حرام على ذي نفس.

وسمع قارئًا يقرأ: وقال رسول الله: «يا ربِّ إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورًا» فقال: هكذا كل من لم يأتمر بأوامر الله وينتهي نواهيه فقد هجر القرآن.

وسمع في سماع هذه الأبيات:

أنا في الحُبِّ صَاحِبُ المعجِزَاتِ جِئْتُ للعَاشِقِينَ بالآيَاتِ

كَانَ أهلُ الغَرامِ قَبلي نِيَامًا قُمْتُ حَتى تعلَمُوا كَلِماتي

فأنا اليومَ صَاحِبُ الوَقْفَاتِ والمُحِبونَ شِيعَتِي ودُعَاتِي

ضَرَبْتُ فِيهِمْ طُبولِي وصَارَتْ خَافِقَات عَليْهِم رَاياتِي

شَنَّفَ العاشِقِينَ سِحرَ كلاَمِي وسَرَتْ في عقُولِهم نفَثاتِي

مَذْهَبِي في الغَرَامِ مَذهَبُ حَقٍ ولقَدْ قُمتُ فِيهِ بالبيِّنَاتِ

فحصل عليه حاصل عظيم وتكلم بما صرح به أن ما في هذه الأبيات من الأوصاف له حالاً ومقامًا وأنه صاحب الوقت وأنه له ما لم يكن لمن قبله وما لم يشاركه فيه أحد من أهل زمانه.

وسمع في سماع قوَّالاً يقول:

سَلُوا بَانَةَ الرُّوحِ هَلْ ذُقْتُ سَلوَةً وَهِي مُهجَتِي مِنْ بعدِهِم تعْرِفُ السلْوَىَ

فالتفت في الحاضرين يمينًا وشمالاً وقال: أين أولاد يعقوب؟ سأسألهم أنا أعني مريدي الله، وكان ﷺ كثيرًا ما نسمع منه كلمات في المجالس والسماعات إذا قويت عليه أحوال واردات التنزيلات منها يكون يسأل أين زليخا؟ وأين يوسف؟ ومنها: يا أولاد يعقوب، يا أخوة يوسف، ومنها: على هوانك يا جارة، ومنها: ترفعي يا جارة، ومنها: لي ولك هيت لك، ومنها: لي ولك يا ذات العظمة، وهيت لك يا ذات العظمة، ومنها: كملت حضرة جمالك، ومنها: يا ذاك، يا ذاك ومنها: يا هادي، يا هادي، ومنها: هادي المضلين اهدنا الصراط المستقيم، ومنها: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ومنها: السلام عليكم يا عباد الله، ومنها: السلام عليكم يا رجال الله، ومنها: السلام عليكم يا عباد الله يا رجال الغيب، ومنها: يا أهل الله يا رجال الغيب يا حاضرين السلام عليك ورحمة الله، ومنها: هل من مبارز، ومنها: إذا ازدحم يقول روحك، روحك، ومنها: حاذور، حاذور،

وإذا قال: حازور، لا يبقى معه في وسط السماع أحد وذلك أن أصحابه المتقدمين يذكرون أنه قال مرة: حاذور في سماع فنزل بعض الفقراء تواجد فسلب حاله، ومنها: ليس المصائب سواء ولا يقولها إلا وهو يبكي بكاءً شديدًا.

وسمعته يقول: أهل المصائب قليلون وهم المنكسرة قلوبهم الذين كشف الله لهم عن جماله ثم استتر عنهم فانكسرت قلوبهم من أجله، ومن هنا أقول كثيرًا في السماعات ليس المصائب سواء، ومنها: يا خيل الله اركبي وهذه كلمة كان ينادي بها منادى رسول الله ﷺ لجمع الناس للقتال جاءت في حديث أنس بن مالك ﷺ قال: «أتى رجل إلى رسول الله ﷺ، وقال: يا رسول الله، أيمنع سوادي ودمامة وجهي من دخول الجنة؟ قال: لا والذي نفسي بيده ما اتقيت ربك وآمنت بما جاء به رسوله»[1].

وفي الحديث طول وفيه أن الرجل سعد السلمي وفيه إذا سمع يعني سعدًا صوت النفير ينادي يا خيل الله اركبي يعني منادى رسول الله ﷺ فكان شيخنا ﷺ عنه يشير بها في السماع إلى أرباب التعلقات أهل الترقي بالهمم العياليات والأسماء والصفات إلى معارف الذات فإن الشيوخ ﷺ قالوا الهمم مراكب العارفين والأسماء مراكب المحققين.

وسمعته في سماع يدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك بنور وجهك، أسألك بجمال وجهك، أسألك ببهاء وجهك، أسألك بسبحات وجهك أن ترزقنا حسن الاعتقاد في أنبيائك وأوليائك.

وسمعته يقول: كنت في ليلة السماع، فأحسست بيدٍ وقعت بين كتفي فسرت البرودة إلى قلبي فعرفت معنى الحديث وعلمت أن اليد الفضل.

قلت: الحديث الذي أشار إليه شيخنا قوله ﷺ: «إن الله ضرب بيده بين كتفي فوجدت برد أنامله بين ثديي؛ فعلمت علم الأولين والآخرين»[2]؛ فهذه الكرامات من أعظم الكرامات؛ فإنها من إرث جوامع المعجزات.

وسمعته في سماع يقول: كثيرًا ما أقول في السماع على هوانك يا جارة وما هو إلا أن رسول الله ﷺ يقول: «من عرف نفسه عرف ربه»[3]، فلما أن عرفت نفسي وعرفت ربي ووقع لي زيادة في معرفة الله تعالى على معرفتي له بي فوق ما تفتخر به النفس.

---

(1) ذكره الذهبي في «ميزان الاعتدال» (6/277).

(2) سبق تخريجه.

(3) ذكره المناوي في «فيض القدير» (1/225)، والعجلوني في «كشف الخفاء» (2/343).

قلت: على هوانك يا جارة، وأعني نفسي التي هي بين جنبي.

وسمعته -رحمه الله- يقول: كان الشيخ محمد بن المؤذن ينكر السماع فرأى النبي ﷺ في النوم داخلاً قريته في جمع ومعهم قوال يقول: قدمتم فسال البان والضال والأثل، حللتم رُبا نعمان واجتمع الشمل ثم استيقظ وإذا هو يسمع قوالاً داخل القرية وهو يقول هذا القول ولم تكن قريته يدخلها مغن فلمَّا رآه الشيخ قال: هذا القوال الذي رأيته الليلة، وهذا القول الذي سمعته منه فبعدها ما فارق السماع حتى أنه سُئل عن الطريق إلى الله فقال: تسوية الطابق.

قلت: وسمعت شيخنا أحمد الرداد يقول: قعد الشيخ محمد بن المؤذن نيفًا وعشرين سنة ما طوى فرش السماع قال وكان القوال الذي رآه في النوم يقول مع رسول الله ﷺ هو: موسى بن قوير.

قال: وسمعنا منه أن الشيخ محمد بن المؤذن خرج إليهم يحبو على ركبتيه مقمصًا بجلد مسرولاً بجلد معممًا بجلد.

قلت: وكان موسى بن قوير هو حادي شيخنا أبي المعروف إلى أن مات هو بعد وفاة الشيخ محمد بن المؤذن -رحمه الله.

وسمعت شيخنا الأكبر أبا المعروف - نفع الله به - يقول: أما نحن ما حضور السماع معنا إلا مثل من يتعرض للمطر ينتظر رشاشة «**إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها**»(1).

فمذهب أكثر هذه الطائفة أن اكثر ما يتعرضون به السماع، فقال له شيخنا أحمد الرداد: وكل يتعرض على قدر متعلقه؛ فقال: نعم.

قلت: وفي التعرض للنفحات الربانية.

قال شيخ المحققين محيي الدين ابن العربي ؓ: «الأسرار تخرج من عند الحق على باب الرحمة فأي قلب وجد متعرضًا سائلاً عند الباب دفع إليه حظه من الأسرار والحكم وحظه مها على قدر ما يرى فيه من التعطش والجوع والذلة والافتقار وهم خاصة الله وإلى هذا الإمام وعليه حرضت الشريعة بقولها فتعرضوا لنفحات الله ومن تأخر أخر ومن نسي نُسي».

وسمعت شيخنا أبا المعروف ؓ يقول: أكثر توجه أصحابنا في هذا الزمان في السماع لسيدي رسول الله ﷺ.

---

(1) ذكره المناوي في «فيض القدير» (2/463)، والعجلوني في «كشف الخفاء» (1/269).

فقيل له: هو إمام الكل. فقال: أي والله هو إمام الكل.

وسمعته يقول: دخلت السماع فوجدت أصحابي كلا منهم يطلب لنفسه ولم أجد من يؤثر صاحبه ويبقى على طلبه فإن من آثر صاحبه فهو باق على طلبه.

وسمعته - علمنا الله علومه - يذكر أشياء من خوارق كرامات الشيخ إبراهيم الجبلي أحد أصحابه وتصرفاته ومكاشفاته وقال: ما بجلته ولا جللته إلا بعد أن رأيته يومًا سمع قصيدة فتكلم على معانيها وأحالها.

قلت: إشارة الشيخ ﷺ هذه إلى أن موهبة العلم أفضل المواهب ولا مراء في ذلك فإن رسول الله ﷺ أوتي من المواهب على قدر اختلاف أنواعها ما لم يؤت أحد من خلق الله، وما أمره الله سبحانه أن يطلب الزيادة إلا من العلم فلو كان عند الله ما هو أفضل وأكمل من العلم لأمره بطلب الزيادة منه ﴿زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114].

وسمعته يقول: قال شيخنا الكبير أبو بكر بن سلامة منذ توفي الشيخ علي أفلح طوى بساط السماع فما ينشره إلا هذا الولد إسماعيل الجبرتي، قال: يعني أنه ما بقيت أحوال الفقراء وعلومهم في السماع تعرف إلا مني، وسمعته يثني على ساعة في سماع ظهر فيها عليه أحوال.

وقال: كان الفضل فيه عام ببركة سيد الأولين والآخرين وأشار إلى أن رسول الله ﷺ حضرها وسمع في سماعٍ قوّالاً يقول:

هَبَّ نَسِيمٌ حَاجِرٍ وَفَاحَ بِالعَنَابِرِ
فَفَاضَ فِي مَحَاجِرِي دَمْعٌ كَشِبْهِ المَاطِرِ

فقال: هو نسيم يهب من تحت العرش يحمل أنفاس المستغفرين.

النوع الثاني من قسم العلوم

ما رويته عن شيخنا ﷺ بصحيح الروايات:

قد سبق في أول قواعد الكتاب إنما رويته من العلوم الإلهيات والمواهب والكرامات إنما جاء بالفتح من غير سؤال أحدهما عنده إن هو إلا أن اسمع اتفاقًا أو ممن أقعد إليه فيأتي سياق الحادثة بما يأتي به وما أحببت قط أن أسمع من أحد شيئًا مما عنده إلا فسمعت منه من غير سؤال إلا ما يحترز به من حكم النذور والحمد لله.

فمما رويته عنه مما يتعلق بالسماع:

أخبرنا شيخنا جمال المقربين أبو بكر الصديق ابن شيخنا أن الشيخ ﷺ كان في

سماع فسمع قوالاً يقول:

وسعيتُ نحوَ السُوقِ أبغِي أخذَهَا فكَبا الجوَادُ فقلتُ قُمْ واستَنجدِ

فقال على رؤوس الأشهاد: قولوا، وأنا إسماعيل أن كل مريد لله لا بدَّ أن يسوقه الله إلى هذه الحضرة.

قلت: يساق المريدون إلى غوثهم ضرورة وحكمًا فإن القطب الغوث الفرد الجامع يصير واسطة بين الله وبين خلقه فهو غوثهم وغياثهم فيتلقى بشمول قابليته من الله ما لعباده منه ويمدهم بحكم ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الزخرف: 32] فكل الطالبين لله ترجع أصولهم إليه وتستمد أسرارهم مما لديه.

وأخبرنا أيضًا كمله الله فيما كتب به إلى أن شيخنا -قدس الله سره- كان في سماع فسمع قصيدة أولها:

أعْطَتْ مِنَ الكَأسِ مَا أعْطَتْ مِنَ الشَّيْبِ ومازَجَتْ بَيْنَ حب الدُرِ والحَببِ

وحرَّكَتْ خلقَ الخلْخالِ فانعَطَفتْ فِي طرَايقِ العشْقِ بالتَبْرِيحِ والوصبِ

فحصل عليه حاصل عظيم حتى تقطع قميصه من طوقه إلى ساقه وبقي عاري الجسد في السراويل، وقال: سلوا حوائجكم بغير واسطة ولا النبيين ولا غيرهم.

وأخبرنا الشيخ الصالح الولي إبراهيم بن عبد الله الأكوع أحد كبار أصحاب شيخنا وممن قال في أنه من الأربعين، أنه سمع شيخنا يقول: كان توجهي يعني في ذلك الوقت في ذلك السماع باسمه تعالى الله.

وأخبرنا الشيخ الكبير رضي الدين أبو بكر بن محمد العباصري أنه سمع الشيخ يقول: «أسماء الله الحسنى تطلبه كما نطلبه».

وأخبرنا أيضًا أنه سمع الشيخ في سماع يقول: «سماعاتنا في هذا الزمان ما هي سماعات وإنما هي محاضر، ومحاضرات».

وأخبرنا شيخنا الإمام محيي الدين أحمد الرداد غير مرة زادنا الله منه قال كان شيخنا يقول: «الذي يقع لنا في السماع لا يقع لنا في غيره».

وأخبرنا الشيخ برهان الدين إبراهيم الأكوع أن شيخنا سمع في سماع قوالاً يقول:

لقَدْ وَلَجتْ صَوالُنَا محلاً كبَتْ مِنْ دُونِه صفْنُ الجِيَادِ

وسَاوَقْنَا هناكَ بُرَاقَ سَعد ولاَمَعْنَا اللوَامِعَ مِنْ سُعادِ

فحصل عليه حاصل عظيم، وقال: أين السائرون الذين سايروا رسول الله ﷺ ليلة أسري به بأسرارهم؟ أين الذين سايروه بأرواحهم؟

وأخبرنا الأخ الصالح الشيخ العارف محمد بن الحسام أنه سمع شيخنا ﵁ في سماع يقول: «لما أسري برسول الله ﷺ أسرى معه بجميع أرواح الأنبياء، والأولياء من الله».

فأخذ ﷺ عن الله ﷻ ما أخذ، فمنه ما أخذ عليه فيه يعني في كتمه، ومنه ما أمر بإظهاره وأخذ الأنبياء والأولياء من الله ما أخذه النبي ﷺ واختص عنهم بالإسراء بجسده.

وأخبرنا إبراهيم الأكوع أن شيخنا ﵁ حضر ليلة سماعًا فلما أصبح قال: الليلة سمعت مع الخمسة أولي العزم.

وأخبرنا الشيخ الكبير بكر الرعيني أحد أكابر الطبقة الأولى من أصحاب الشيخ قال سمعت الشيخ في سماع يقول: «أنا تاج العارفين، أنا كليمي أنا موسوي، أنا يحيوى، أنا عيسوي من يرثني، من يرثني».

وأخبرنا القاضي الشهيد الأخ الصالح عفيف الدين عبد الله بن عبد الرحمن العلوي أحد من كان من الشيخ بمنزلة الولد -رحمه الله- قال: كان الشيخ في سماع فسمع شيئًا من القول فتغير فرأيت الكون تغير فقلت في نفسي مم هذا التغير؟ فقال الشيخ مجيبًا لخاطري: قد يحصل في بعض الحضرات في هذا العالم ما يناسب أو قال: ما يوافق الملأ الأعلى فيكون ما رأيت كالمأموم إذا أمن لتأمين إمامه ووافق تأمين الملائكة غفر له.

قلت: حضرت هذا السماع وكان العفيف إلى جنبي -رحمه الله- يده في يدي وأخبرني بما خطر له وبما رأى وسمعت هذا القول من شيخنا جوابًا له وكشفًا لما خطر به.

وأخبرنا الفقيه العالم الشيخ الصالح جمال الدين بن محمد بن إبراهيم المرشدي الحنفي المكي أحد كبار أصحاب الشيخ وعلمائهم بالمسجد الحرام. عام أربع وثمانمائة قال: حصل على الشيخ في سماع حال كبير فلما فرغ السماع قال: ما هذه الساعة؟ فقلت: أفدنا، فقال: ثَمَّ ساعاتٌ كما قال النبي ﷺ: «ولي ساعة لا يسعني فيها غير ربي»[1]. وهذه منها الساعة، قال: فسألته بعد ذلك عنها فقال: كانت ساعة لا يحتمل الوقت التعبير عنها، قال: يعني لسعة علماء الله جل جلاله فيها، قال: ثم قال: أدن مني فدنوت منه وفرق الجماعة حتى لم يبق عنده أحد ثم قال: اجمع نفسك واسمع ما أقول ظهر

(١) ذكره المناوي في «فيض القدير» (3/17).

لي أن جميع الشرائع لها حقائق، فإذا كان يوم القيامة ظهرت جميع حقائقها وحكم تعالى باسمه العدل وأثاب وأقام الحدود ثم إنه تعالى لا يظهر إلا بفضله وامتنانه ولا يبقى إلا مجرد الفضل فقلت هل يظهر هنا شيء لأحد من حقائقها؟ فقال: نعم، فقلت: فهل ثم حقائق بلا شرائع؟ فقال: نعم.

وأخبرنا الأخ الحبيب الصالح الشهيد عفيف الدين العلوي -رحمه الله قال: سمعت الشيخ ﷺ في سماع يقول: «أصحابي نجوم الأرض».

وأخبرنا شيخنا رضي الدين كان الله له، قال: سمع الشيخ في سماع قوّالاً يقول:

ألا يـــــا عـــبلُ مــــن للحـــرب بعـــدي

فقال: والله لئن مت ليفقدني المريدون، قلت: نعم، قد كان والله ذلك، والله المستعان.

وأخبرنا أيضًا أن أباه في السماعات يربي الحاضرين وكان إذا حصل في آخر السماع رقة وخشوع وراق الوقت ختم السماع ليخرج السامعون ولوعة السماع وبواقي آثار الواردات في قلوبهم فيعيشون بذلك أيامًا ولا يترك السماع إلا أن يفتر الوقت ويحصل الملل والقبض، قلت نعم كان الأمر كذلك فيما نعلم ونشهد ونرى ونجد ﷺ.

وأخبرنا أيضًا أنه سمع والده يقول: السماع هو الصف الزلاق الذي لا يثبت عليه إلا أقدام الرجال والسماع بلا حركة أهنأ وأمرأ.

وأخبرنا الفقيه الصالح أبو القاسم الحليف أنه سمع شيخنا ﷺ في سماع يقول: «أنا موسوي» ثم قال: من هو أنا لولا أن الله قال: «فأنا اخترتك».

وأخبرنا شيخنا رضي الدين ولد شيخنا وخليفته أن شيخنا الأكبر سمع منشدًا يقول:

لمَــنْ القِـبَابُ علَــى النقى بمَحجرٍ   منَــصوصَة نَــصَّ العَــرُوسِ بمَحْـــضرِ
ولمَـــنْ خِــيَامٌ حَـــوْلَها مَحفُـــوفَة   بالــــسَّمْهرية والقَــــنَا المتَــــشجِّرِ

فجعل القباب منازل مقام النبي ﷺ المخصوص به من الله الذي لا سبيل إليه لأحد من خلق الله وجعل الخيام مقامات الرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وجعل السمهرية والقنا حجب الحجر والمنع من غير الأنبياء.

وقال: إذا اشتاقت الرسل والأنبياء إلى رسول الله ﷺ تنزل إليهم من المقام الأعلى إلى مقاماتهم لينظروا إليه ويقتبسوا منه.

وأخبرنا شيخنا رضي الدين ولد شيخنا -رحمة الله عليه- قال: سمع الشيخ قصيدة فوقع عليه منها حال عظيم وركبته الحمى من تلك الساعة وكان يتقلقل في بكاء وصرخات ورعشات ولا يكلم أحدًا ولا يقدر يكلمه أحد فطلبني.

وقال: يا ولدي سمعت اليوم قصيدة أثرت فيَّ هذا التأثير فإن الواردات إذا صادفت الجسم ضعيف القوى أثرت فيه وإذا كان قويًا كان أحمل لأن له قوة على تلقي الواردات يا ولدي إذا قدرت إما أن تأتيني بهم يعني القوالين أو تتحفظ منهم القصيدة وترويها عليَّ فافعل فطلبهم فاستعادتها منهم فسرى عنه النور، وقال: إنه اغتسل وتوضأ وصلى وارتفعت عنه الحمى وتحدث مع أهله قلت هذه المقالة من حكم العلوم والمعارف يعلم بها أن الواردات والأحوال قد تمرض وتتلف وإنما يكون منه هذا التأثير من القول قد يكون الدواء منه بإعادة سماعه مرة أخرى وإن صحة البدن واعتدال المزاج يكون بهما القوة على تلقي تأثير الواردات فلا يؤثر فيه وبحسب صحة بدن الإنسان واعتدال مزاجه وضعفه وسقمه يكون الأثر غالبًا وكذلك كان الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- أعدل الناس مزاجًا وأصحهم أبدانًا بما رباهم الله به من الحكمة الإلهية فحملوا من أثقال الوحي الإلهي وأثر التجلي الذاتي ما لا يطيقه غيرهم ولهذا راعى شيوخ التربية فأول ما يبتدئون به في تربية المريدين ما يصلح أمزجتهم ويصحح أبدانهم ولا يميز هذا ويعرف الأثر والمؤثر وما يداوي به الأثر إلا حكماء الشيوخ العارفين العلماء المحققين ﷺ أجمعين.

وأخبرنا بعض أصحابنا أنه حضر مع شيخنا سماعًا فسمع القوال يقول:

لَيَالِينَا بِوَادِي الرَّمْلِ رُدِّي ... وجَارَتَنَا صِلِينَا لاَ تُصُدِّي

دَعِي عَدَّ الذُّنُوبِ إِذَا التَقَيْنَا ... تَعَالِي لاَ نَعُدُّ وَلاَ تَعُدِّي

قال: فحصل على الشيخ حاصل عظيم حتى ظننا أنه يموت.

وأخبرنا شيخنا أحمد الرداد غير مرة قال حضر الشيخ سماعًا وهو في أشد ما يكون من الرمد لا يقدر يفتح عينه من الحمرة والورم والزفير فبكى في ذلك السماع بكاء عظيمًا لم يبك في غيره مثله حتى كانت أرجلنا تزلق على الفرش من كثرة الدموع والمخاط وصاح صياحًا عظيمًا وتحرك حركة عظيمة، وتحكم كثيرًا حتى خفنا على عينيه مما كان منه من الأفعال التي تضر العين فلما فرغ السماع وإذا هو كأن لم يكن بعينيه رمد ودخل السماع بأشد ما يكون من الرمد وخرج منه أصح ما يكون، فقلنا له: لما عجبنا منه، فقال: من السماع ما يتداوى به.

وأخبرنا الشيخ الكبير بكر الرعيني – رحمه الله – قال: حضر الشيخ سماعنا وحضره جمع عظيم من المشايخ وغيرهم يزيدون على الألف، فتحرك الشيخ وجاء إلى صف المشايخ، وقال: يا مشايخ يا سادة معي سر أريد أن أتكلم به من هجر في القدم وقرأ في القدم سوالف باجيم دال حط في الها، ثم ذكر يوسف وإخوته وتكلم بكلام كثير عجيب منه أن يوسف أنفرد بالاسم الأعظم واخوته بالأسماء والصفات.

وأخبرنا الشيخ برهان الدين الأكوع قال: كان الشيخ في سماع فقال: موسى النور، موسى الجبل، موسى الشجرة ما قدر يفتح بصره إلا المحمديون فإنهم يباض بالأصل وهم، وهم وذكر كلمات قال: لم أذكرها، وأخبرنا الأخ الصالح عفيف الدين العلوي –رحمه الله– قال: سمعت الشيخ في سماع يقول: «ما هذا بمعناه قد يبلغ الولي إلى حال من أحوال تداني القرب يشم فيه رائحة زوجته، أو يستمع فيه صوت زوجته»، وهذا دليل على غاية القرب فإن الإنسان لا يمتزج بشيء كامتزاجه بزوجته.

قلت: هذا مثل ضربه شيخنا ﷺ لغاية القرب ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَا﴾ [البقرة: 26] لكون المرأة أقرب شيء إلى الرجل من حيث إنها خلقت منه فهي جزئه فإذا شم رائحتها إنما شم نفسه وهذا غاية القرب ومن هنا حب رسول الله ﷺ النساء فما حبب إليه إلا ما يقربه إلى الله وحاشاه من غير ذلك فإذا شهد العبد كون وجوده الجائز من وجود الله الواجب واستولى عليه شهود هذا الوجود حتى فنى كما لم يكن ببقاء من لم يزل، كان الشام هو المشموم والشاهد هو المشهود وانتفت الثنوية وظهرت الأحدية وهذا غاية القرب وسبحان الله ﴿وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنعام: 100]، وهذا الحال التي أشار إليها شيخنا – قدس الله سره – والمعرفة القريبة من الأحوال والمعارف المحمدية الموروثة منه ﷺ فإن رسول الله ﷺ كما قال بعض شيوخنا الأكابر المحققين لما فارقه جبريل ﷺ وتدلى له الرفرف حين انتهى جبريل والبراق إلى مقامهما المعلوم وصل به المعراج الرفرفي إلى مقامه الذي لا يتعداه الرفرف إلى أن ظهر لمستوى سمع منه صريف الأقلام في الألواح بما يكتب الله بها مما يجريه في خلقه وما تنسخه الملائكة من أعمال عباده وكل قلم ملك وزج به في النور زجة غمره النور من جميع نواحيه وأخذه الوجد واستفرغه الحال فصار يتمايل فيه بتمايل السراج إذا هب عليه نسيم رقيق يميله ولا يطفئه وكان سببه سماع إيقاع تلك الأقلام وصريفها في الألواح فأعطت من النغمات المستلذة ما أداه إلى ما ذكرناه من سريان الحال فيه وحكمه عليه ولم ير معه أحدًا يأنس به ولا يركن إليه وقد أعطته المعرفة أنه لا يحصل الأنس لا بالمناسب ولا

مناسبة بين الله وعبده وإذا أضيفت المناسبة فإنما ذلك على وجه خاص ترجع إلى الكون فأعطته ﷺ هذه المعرفة الوحشة لانفراده بنفسه وهذا يدلك على أن الإسراء كان بجسمه ﷺ لأن الأرواح لا تتصف بالوحشة والاستيحاش فلما علم الله ذلك منه وكيف لا يعلمه وهو الذي خلقه في نفسه وطلب ﷺ الدنو منه لقوة المقام الذي هو فيه فنودي بصوت يشبه صوت أبي بكر تأنيسًا له به إذ كان أنيسه في المعهود فحن لذلك وأنس به فسكن روعه واخبرنا الشيخ جمال الدين المرشدي بمكة المشرفة -حرسها الله تعالى.

قال: قلت للشيخ: الفقراء يحفظون في حال السماع من صدمة الجدران والخشبان.

فقال: ليس هذا شرط أما سمعت أن بعضهم سمع هذا البيت:

مَازِلْتُ أَنْزِلُ مِنْ وِدَادِكِ مَنْزِلاً ... تَتَقطَّعُ الأَلْبَابُ دُونَ نُزُولِهِ

فأخذه الوجد فكان يدور على مضارب قصب حتى تقطعت قدماه.

وأخبرنا أيضًا قال: قال الشيخ: إن مما يفتح به عليَّ ربما أشكل على الناس بل على أصحابي.

قلت: ذات مرة في السماع: يا فقراء المريد من هو؟ فقالوا: من ترك ما سوى الله؟ فقلت: والمراد. فقالوا: من ترك ما سوى الله؟ فقلت: بل المراد من ترك الأسماء والصفات فبطلوا السماع وذهبوا إلى الشيخ طلحة وإلى الشريف أبي بكر القليصي وسألوهما فقالا: ما نعرف، ثم بعد عام وجدنا هذا ذكره البوني، قال: المرشدي، فقلت: يا سيدي هذا إشارة إلى الانتقال من حضرة الواحدية إلى حضرة الأحدية قال: نعم.

وأخبرنا أيضًا قال: سمعت الشيخ في سماع يقول: كان السلف من العارفين وأهل هذه الطريقة يغارون على هذا العلم ولا يظهرون فلما قربت الساعة ودنا الأمر ظهرت المعارف والحقائق ولا ينزل عيسى بن مريم إلا وقد ظهرت الحقائق وقال: قال الشيخ: هل من شرط السماع جمع وعدد مخصوص؟ فقال: أقل الجمع في الشرع ثلاثة وكلما كثر إخوان الصف كان أحسن فقلت: إذا قلوا خشي على الواجدين فقال: ومن هنا جعل المشايخ النقباء وألزموا مراعاة الواجدين، قال: وقال الشيخ: كان في أيام الشبيبة عمل سماع فحصل عليَّ حال فوثبت وثبة فوقع رأسي في الجدار.

وأخبرنا بهذه الحكاية شيخنا أحمد الرداد نفع الله به، قال: سمعت من الشيخ ﷺ ومن غيره أن رأسه دخل في الجدار وهو من الآجر والنورة وفر جميع من كان في السماع من الفقراء وغيرهم ظنًا منهم أنه حصل بذلك الهلاك فلما تحققوا أن الشيخ لم يتغير عليه حال وأنه في حال سماعه كما كان تراجعوا إليه وعادوا وأخبرنا الشيخ الإمام محدث اليمن

نفيس الدين سليمان بن الإمام برهان الدين العلوي أنهم كانوا يقرؤون على المقرئ الكبير الصالح أبي الحسن عليّ بن شداد إحياء علوم الدين والشيخ ﷺ يسمع معهم فكان قد يصرخ عند سماع مواضع الكتاب ويثب حتى يقع رأسه في سقف البيت قال: وكان أحسن أيامنا يوم ما يحصل على الشيخ ما يحصل.

وأخبرنا جمال الدين المرشدي أن الشيخ قال له كان بعض المشايخ ما له طريقة إلا أنه يصلي هو وأصحابه الفرائض والسنن ويقومون إلى السماع هكذا دائمًا فكان بعض الناس يتكلم فيهم فلما حضرته الوفاة غسل وكفن ووضع على سريره وحضر الناس فأرادوا حمل جنازته فلم يستطيعوا بكل وجه أرادوا ثم أنه حضر من الأولياء فقال: انظروا أصحاب هذا الشيخ هل له من وصية أوصاهم بها؟ فقال بعض أصحابه بعد أن سألوا عن ذلك: نعم، كان، قال لي: إنه إذا مات وغسل وكفن لا تحمل جنازته إلا بالسماع فاحضروا القوال والقصب فجاء أربعة فحملوا نعشه قلت إنما كان هذا من الشيخ أنه يدل على صدق حاله فيما كان عليه من إدمان السماع وشاهدًا له عند من كان ينكر عليه وأشار عليه إلى خصوصية كانت له في السماع وللأحوال غرائب ولأهلها فيها مراتب.

وأخبرنا أيضًا أنه سمع الشيخ في سماع يقول اجتمع شيخان فقال أحدهما للآخر: بماذا تربي أصحابك؟ فقال: أربيهم بالجوع وقلة الهجوع، فقال له صاحبه: هذه المجوسية المحضة، فقال: وأنت بماذا تربي أصحابك وكانوا أهل إنصاف؟ قال: بخفض الحواس وعد الأنفاس.

وأخبرنا أيضًا قال: قرأ عند الشيخ رسالة القشيري أن المريد لا ينبغي له أن يسأل القوال ترديد القول في السماع فقال هذا اختيارك وقائله وغيره اخترناه لا بأس به، وقرأ أنه لا ينبغي للمريد أن يترك حتى يجد، قال: هذا اختياره واختار غيره من المشايخ أنه يترك ويتحرك ويتواجد حتى يجد ولما قرأ أنه لا يتحرك، ولا يتحرك إلا أن يقتضيه الحال أو يشير إليه شيخ بذلك أو أخ فيوافقه فقال: اقتضاء الحال هو مثل أن يكون في الوقت فيض فيقوم الشيخ ويتحرك لاستجلاب قلوب الفقراء وحضورهم.

وأخبرنا أيضًا قال: التفت إليّ الشيخ في خروجه من الجامع يوم الجمعة وقال: إذا كان أول الشهر ألزمنا جميع من تحكم من أهل مكة أن يعمل كل واحد سماعًا ويفتح عليهم السماع لعل الله يفتح في العام العلوي بشيء، وأخبرنا الشيخ جمال الدين محمد بن الحسام قال: كان قد يقع على الفقراء في بعض السماعات منهم من يكون فتوره من رؤية التعظيم يقول أي نسبة بيني وبين الله ومنهم من يكون فتوره من رؤية تقصيره وقصور ما

منه فيفترون ويحملون ويحجبون فيدرك الشيخ ذلك بالكشف ويشرف على ما هم فيه فيقول لهم: لا تنظروا إلى ما منكم وانظروا إلى ما منه واتركوا ما منكم وادخلوا على الله بما منه فيبسطهم بذلك ويرقيهم.

وأخبرنا أيضًا أنه سمع الشيخ في سماع يقول: خمرتنا الذات وكاستنا الأسماء والصفات.

وأخبرنا أنه أنشد الشيخ بيت الجنيد الذي أنشده حين سئل عن التوحيد:

وَغَنَّى لِي مِنِّي قَلْبِي وَغَنَّيتُ كَمَا غَنَّى

قال: فلما قلت وغنى لي مني قلبي قال الشيخ: هذا شهود حق في خلق ولما قلت وغنيت كما غنى قال: وهذا شهود خلق في حق.

وأخبرنا أيضًا أن الشيخ كان يقول في السماع: يا دهر يا ديهور.

وأخبرنا القاضي الشهيد عفيف الدين العلوي -رحمه الله- قال: سمعت الشيخ ليلة في سماع ينشد هذه الأبيات:

رُبَّ وَرْقَا هَتُوفٍ فِي الضُّحَى ذَاتَ شَجْوٍ صَدَحَتْ فِي فَنَنِ

ذَكَرَتْ إِلْفًا وعَيْشًا مَاضِيًا فَبَكَتْ حُزْنًا فَهَاجَتْ حُزْنِي

فَبُكَائِي رُبَّمَا أَرَّقَهَا وبُكَاؤهَا رُبَّمَا أَرَّقَنِي

ولقَدْ تَشْكُو فمَا أُفْهِمُهَا ولقَدْ أشْكُو فمَا تُفْهِمُنِي

غَيْرَ أنِّي بالجَوَى أعرِفُهَا وهِيَ أيْضًا بالجَوَى تَعْرِفُنِي

وأخبرنا الشيخ الصالح جمال الدين محمد بن إسحاق القرشي أن شيخنا ﷺ رآه يتحرك في السماع فقال: يعجبني هذا يلقي نفسه على وزن السماع وهو مع متعلقه.

وأخبرنا شيخنا رضي الدين والفقيه الصالح العالم أحمد بن عبد اللطيف السرجي أن شيخنا ﷺ حضر سماعًا وحضره جمع من المشايخ فحصل فيه ذكر الحضرة ما هي فسأل شيخنا المشايخ عن معنى الحضرة ما هي فلم يتكلم فيه منهم أحد فقال: كل اسم من أسماء الله يستحضرك الله به معه فهو لك أو فهو في حقك حضرة.

وأخبرنا شيخنا رضي الدين ولد شيخنا وخليفته قال: كان الشيخ في سماع فسمع قوالاً يقول له: استودع الله من قلبي لهم وطنًا فإنهم حسناتي يوم ألقاه فبكى وحصل عليه حاصل عظيم وقال: اللهم احفظ عليَّ أنت، اللهم احفظ عليَّ أنت، اللهم احفظ عليَّ

أنت، وقرأ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9]، ومشى إلى صف المشايخ وهو يبكي، وقال: يا رب وحدي، يا رب وحدي، ثم قال: وما عليَّ من بأس ولي فيه معارف لا يعرفها إلا أنا، اللهم اجعلني وارثًا موروثًا.

وأخبرنا أيضًا قال: كان الشيخ إذا بكى في السماعات يقول: كل عين تبكي ما شجاها الله أحق أن يبكى عليه.

وأخبرنا ابن عمي الفقيه العالم جمال الدين محمد بن علي بن الأشكل أنه سمع شيخنا في سماع يقول يا فقراء على قدر التمني يكون التعني.

وأخبرنا الشيخ برهان الدين إبراهيم بن عبد الله الأكوع أنه سمع الشيخ يقول كنت في سماع فاشهدت أن الله يتجلى لقوم رحمة لهم فلو احتجب عنهم لحظة لهلكوا ويحتجب عن قوم رحمة لهم بهم فلو تجلى لهم لحظة هلكوا.

وأخبرنا شيخنا أحمد الرداد يحملني الله به أن شيخنا ﷺ حضر هو وبعض الشيوخ سماعًا فتحرك ذلك الشيخ وفي السماع رجل من أقاربه فحصل منه إساءة على شيخنا فقال شيخنا لذلك الشيخ بعد فراغ السماع: ما منعك أن تمنع قريبك مما فعل؟ فقال: كنت غائبًا عنكم يعني بالحركة في السماع. فقال له شيخنا: فإذًا لا يجوز ذلك أن يعقد السماع إذا كنت تغيب عنه ولم تحفظه.

وما كان يلقى عليه من علوم المنازلات في السماعات:

أخبرنا شيخنا رضي الدين ابن شيخنا وخليفته أنه سمع الشيخ يقول: كنا في سماع فقال القوَّال:

نَظَرِي إليكَ يشهدُ لِي عليكَ بأنَّكَ لِي حَبِيب

فقلت: نظرك إليّ يشهد لي عليك فخالفني بعض أصحابي، فقلت: نظر الجمع أتم فوجد النص يعني بعد ذلك بأن نظر الجمع أتم.

وأخبرنا جماعة من إخواننا أن شيخنا ﷺ سمع في سماع قوّالاً يقول:

وأولُ حَائِرٍ فينا الدليل

فقال: هو رسول الله ﷺ فأنكر عليه بعض الشيوخ هذا القول وغلطه في نسبه الحيرة إلى رسول الله ﷺ.

قلت: إنما الغلط هذا المغلط ألم يعلم أن علوم المنازلات الربانية حق كلها؟ ألم

يسمع قول رسول الله ﷺ: «اللهم زدني فيك تحيرًا»[1].

وقد بسط ذلك لسان شيخ المحققين محيي الدين ابن العربي فقال: كلما زاده الحق علمًا به زاده ذلك العلم حيرة ولا سيما أهل الكشف لاختلاف الصور عليهم عند الشهود فهم أعظم حيرة من أصحاب النظر في الأدلة بما لا يتقارب قال النبي ﷺ بعدما بذل من جهده في الثناء على خالقه مما أوحى إليه: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[2].

وقال أبو بكر الصديق ﷺ في هذا المقام وكان من رجاله: العجز عن درك الإدراك إدراك أي: إذا علمت أن ثَم ما لا يعلم فذلك هو العلم بالله تعالى فكان الدليل على العلم به تعالى عدم العلم به، فالحيرة لاختلاف التجليات.

وقوله ﷺ أو قول من يقول من هذا المقام: «زدني فيك تحيرًا» طلب لتوالي التجليات عليه وأكبرهم جهلاً به وحيرة فيه أعظمهم علمًا به فإن العلم بالله أوجب له الحيرة في الله.

انتهى ما جمعته في السماع من العلوم والمعارف والإشارات واللطائف مما سمعته من شيخنا ﷺ وما رويته عنه.

وهذا ما رويته عنه في غير السماع:

أخبرنا شيخنا الإمام محيي الدين أحمد الرداد زادنا الله من علومه أن شيخنا الأكبر أبا المعروف -عرفنا الله من عوارفه- قال له في بعض الأيام: وقعت هذه الليلة في علم ﴿مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [سبأ: 2].

وأخبرنا شيخنا رضي الدين ولد شيخنا وخليفته -نفع الله به- أن الشيخ استيقظ مرة من نومه، وقال: نعم العارف ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [سبأ: 2].

وأخبرنا أيضًا قال: سمعت الشيخ يقول: أين أنا؟ والله ما أعرف نفسي ولا أعرف أنا، أطلب نفسي ما وجدتها ما ثم إلا الله.

وأخبرنا أيضًا أنه سمع الشيخ ﷺ في وقت آخر يقول: أنا ما أطيق لا والله ما أطيق هذا من وراء الأسماء والصفات ما يحمل الله إلا الله.

(1) ذكره الشيخ الأكبر في الفتوحات (305/1).

(2) رواه مسلم (751).

وأخبرنا حبينا الأمير الأكبر غياث الدين عيسى بن محمد بن حسان -رحمه الله- قال: قلت للشيخ أحب أن يستوي عندي الأضداد فقال: هذا ما هو لكل أحد هذا ما هو إلا لأهل العين.

وأخبرنا بعض أصحابنا أن بعض الأمراء طلب من الشيخ ولاية بلد فقال له الشيخ: عليك بهؤلاء الشباب وأشار إلى جماعة من أصحابه أربابه البدايات فإنهم يقدمون على الأشياء ويسطون ويعطون ما يسألون، وأما نحن فقد كبرنا وما بقي فينا شيء فإن العارف إذا صار وصفه وصف معروفه يكون يشهد الأشياء وجريان القدرة فلا يمكنه أن يتحرك.

وأخبرنا الشيخ الصالح أحمد الحجازي أنه سمع الشيخ يقول: أتى علينا زمان كان من قال لنا قلنا له واليوم لو وطئوا على رؤوسنا بنعالهم ما قلنا لهم.

وأخبرنا الشيخ الولي الكبير حسن بن أبي بكر الهبل القرشي -نفع الله ببركاته- أنه كان يومًا عند الفقيه الكبير القطب الكامل الشهير أبي بكر بن محمد بن حربه والفقيه الكبير الولي الموهوب محمد بن عيسى الزيلعي، والفقيه الكبير الولي المنور عبد الله بن مهنا نفع الله بهم، ومعهم جمع كثير في دويدرة حارة القائد فقال الفقيه أبو بكر: يا جماعة ما معنى قول من قال: لو أقبل مقبل على الله ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة كان ما فاته أكثر مما ناله؟ وأدار الفقيه السؤال على جميع الحاضرين حتى على العوام والحمالة وسأل كل أحد أن يتكلم بما عنده فتكلم كل بما عنده فقال الفقيه محمد بن عيسى: أما الذي وقع لي فإن معناه أن كل مقام وموهبة يناله يتضمن ما قبلها فالمقام الذي فاته حين أعرض أكثر مما ناله.

قال: وكنت قد سمعت الشيخ يتكلم في هذا هو والشيخ أبو بكر، فذكرت قول الشيخ فبنفس أن ذكرته التفت إليّ الفقيه أبو بكر وقال لي: هات ما عندك يا فقير.

قلت: سمعت شيخي يقول: إن هذا المقبل ما أقبل حين أقبل إلا على الله ولا أعرض حين أعرض إلا عن الله ففاته الله، فصاح الفقيه صيحة عظيمة حتى كادت روحه تخرج وكان يزبد حتى انتفخ وغشي عليه فلما أفاق بكى، وبكى الحاضرون، وقال: أحسن بارك الله فيه، أحسن بارك الله فيه، نفع الله به، نفع الله به، والله ما يتكلم على هذا بأفضل من هذا الكلام ولا أقدم منه ولا يمكن أن يقال فيه غير هذا ولا أحسن وقال للفقيه محمد بن عيسى: ما تقول؟ فقال: نعم المقام الذي تكلم منه هذا غير الذي تكلمنا منه.

وأخبرنا شيخنا أحمد أنه سمع شيخنا الأكبر رضي الله عنهما يردد هذه المقالة كثيرًا ويقول: المقبل ما كان معه إلا ما من الله من الفضل والمواهب فلما أعرض فاته الله فكان ما فاته أكثر مما ناله فقلت لشيخنا أحمد: فهل يبطل إقباله الأول بإعراضه فيكون مستأنفًا إذا أقبل أو لا يبطل ويكون بناء؟ فقال: إقباله صحيح باق وهذا الإعراض يعد من الفترات ولا بدَّ من الفترات، قلت ومما يبين قول شيخنا قول الشيخ العارف صفي الدين ابن أبي منصور في كتابه «فك الأزرار» قال: وبيان هذه الإشارة أن المقبل ألف سنة لو حصل من القرب والعطاء مهما حصل له كان ذلك على قدر وسعه وحظه وقسمه ونسبة ذلك من علم الله وفضله نسبة ما أخذ العصفور بمنقاره في البحر بين يدي موسى والخضر -عليهما السلام، فإذا أعرض لحظة واحدة فاتته الجملة الإلهية بكليتها وهو فائت لا يعادله محصول والله أعلم.

وقال الشيخ محيي الدين: وذلك أن الشيء في المزيد، وأن المتأخر يتضمن ما تقدمه وزيادة مما يعطيه عينه من حيث ما هو جامع فيرى ما تقدم في حكم الجمع... وفي هذا يتبين شرف العلم، فإن العلم هو الذي يفوتك والعلم هو الذي تستفيده.

وأخبرنا الفقيه النجيب أحمد بن عبد اللطيف السرجي كتابة قال: سمعت من إنشاد شيخنا إلى المعروف إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي هذا البيت:

هـــذَا الوجُـــودُ وإِنْ تعَـــدَّدَ ظَاهـــرًا وحـــيَاتكَ مَـــا فِـــيه إلاَّ أنْـــتُم

قال: وتكلم عليه بكلام يقارب حد الإعجاز ولم أضبط عبارته والذي حصلته أنه قال فيه: رتبتان علمية وعينية فإذا كنا في العين فهو صورتنا وإن كنا في العلم فنحن صورته فإذا بطن في العلم فنحن صورته الظاهرة وإذا ظهر بالتجلي والعين فهو صورتنا الظاهرة، قال: وهذا قريب من معناه وأما عبارته فعزت.

وأخبرنا جماعة من أصحابنا أن شيخنا ﷺ كان يردد مقالات المشايخ الثلاثة في مشاهدة الحق الشيخ أبو العباس بن العريف يقول وإنما يتبين الحق عند اضمحلال الرسم والشيخ أبو القاسم السياري يقول مشاهدة الحق فناء ليس فيها لذة.

والشيخ أبو مدين يقول: لا بدَّ من بقاء رسم العبودية ليقع التلذذ بمشاهدة الربوبية، قالوا: وكان شيخنا أبو المعروف يقول: بقول أبي مدين ﷺ، ورأيت في الفتوحات المكية للشيخ الكامل محيي الدين بن العربي أن من تجلى له الله في الصور المعنوية، قال بفناء الرسم ومن تجلى له في الصور الطبيعية أو العنصرية، قال باللذة في المشاهدة ومن قال بعدم اللذة في المشاهدة كان التجلي له في الصور الروحانية وكل صدق وبما شاهد نطق

وأي الشهود أغلى وكلناك في ذلك إلى ذوقك.

وأخبرنا الشيخ الكبير العارف بالله جمال الدين محمد بن محمد المزجاجي والشيخ الصالح العارف رضي الدين أبو بكر بن محمد قنيقن واللفظ له قال: حكى لنا الشيخ أن والده توفي وهو صغير، قال: وقالت والدته كان أبوه يأتيني كل حين ينكسر على الحول يقبلك.

وقال: الأولياء على ثلاث مراتب منهم من يفسح له في العالمين الدنيوي والأخروي، ومنهم من يفسح له في البرزخ خاصة، ومنهم من يفسح له في الدنيوي والبرزخ والحياوي.

وأخبرنا شيخنا رضي الدين بن شيخنا وخليفته والشيخ العالم النجيب العارف بالله جمال الدين زين العابدين ابن شيخنا أحمد وغيرهما واللفظ لزين العابدين قال: قال: الشيخ إذا كان الإنسان في النزع تعرض عليه الأعمال فإذا وضع ملك الموت الحربة في القلب تجلى له معتقده وقد يعطى الإنسان عند الموت ما لم يكن قد بلغه في حياته مما لم يكن له فيه إلا التعلق، وأخبرنا الفقيه الصالح جمال الدين المرشدي الحنفي بمكة في عام أربع وثمانمائة قال: سألت شيخ الشيوخ أبا الفداء إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي عن الخواطر القاطعة ما دواؤها؟ فقال: سة الفعال هكذا قاله المشايخ قال: وسألته عن قوله تعالى: «سبقت رحمتي غضبي»[1]، قال: هو سبق الأسماء بعضها بعض هكذا قال ﷺ: «أعوذ برضاك من سخطك»[2] صفة تسبق صفة.

وأخبرنا أيضًا أنه سمع شيخنا يقول: النية قبلة العبادة والله قبلة النية، ونقلت من كتاب الناموس الأعظم والقاموس الأقدم في معرفة قدر النبي ﷺ للشيخ العارف المحقق كريم الدين عبد الكريم بن إبراهيم الكيلاني أحد أعيان أصحاب شيخنا وأكابرهم قال: قال مشايخنا -رضوان الله عليهم: «النية روح العمل».

ولهذا قال ﷺ «إنما الأعمال بالنيات»[3]، ولقد سمعت سيدي وشيخي الشيخ إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي -قدس الله سره- في الجنة يقول: «إن العمل إذا صدر من العبد من غير مقارنة النية في أوله»؛ فأراد أن يقصد به وجه الله فلينو بعد الشروع فيه فإنه يكون ذلك كنفخ الروح؛ ولو كان العبد قد نوى بالعمل نية قبيحة ثم تاب منها في أثناء

---

(1) سبق تخريجه.

(2) سبق تخريجه.

(3) سبق تخريجه.

العمل ونوى نية صالحة غير تلك النية فإن ذلك أيضًا نافع في حسن صورة العمل ويكون العمل حيًا كاملاً.

قلت: ما أحسن هذه النية العجيبة والنكتة الغريبة فينبغي لكل أحد استحضارها في عمله واستشعارها في سائر أعماله فإن الإنسان قد يستفزه الشيطان حال الشروع في الأعمال فمن الأعمال ما يعسر نقضه والرجوع عنه بعد المضي فيه إذا فسدت نيته وإنشاؤه بنية صالحة من ميقاته المكاني كالهجرة والحج أو الزماني كالصوم من أول الشهر أو السنة وقد صدر في آخرها ومن الأعمال ما ينتج نقضه كالصلاة فإذا استشعر العامل ما أشار إليه شيخنا ﷺ لم يبطل له عمل، بل يكون أعماله كلها لله، بل ربما يندفع عنه وسواس الشيطان من أول الأمر فلا يشرع في عمل إلا لله إن شاء الله.

وأخبرنا جمال الدين المرشدي أنه سمع شيخنا يقول: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ [الأنبياء: 104] ما شرف أحد إلا بمحتده والمحتد الأصل.

وأخبرنا أيضًا أنه سأل شيخنا -قدس الله سره- عن معنى ما روى عن الشيخ الكبير أبي الحسن الشاذلي أنه قال: رأيت النبي ﷺ في النوم فقلت: يا رسول الله أمرتنا بالصلاة عليك فما الصلاة عليك؟ فقال: المتابعة، فقلت: يا رسول الله ما المتابعة؟ فقال: رؤية المتبوع في كل شيء، قال: فقال شيخنا ﷺ: المتبوع هنا هو الله تعالى لأن العبد إنما يصلي بصلاته فينبغي للعبد اعتقاد ذلك قال: فقلت له فيل إن المتبوع في ذلك هو النبي ﷺ ورؤيته في مشاهدته في ذلك كله فقال يجوز هذا، أو هذا وهذا الأولى الجمع بينهما وإن لم يكن إلا أحدهما فالأخص ما قلته.

وأخبرنا أيضًا أنه سمع الشيخ يقول: أبي الله أن يتجلى لأهل العوائق والعلائق، قال: وسمعته يقول لطريق أهل الله أصلان: مخالفة النفس ودوام الذكر قال سمعته يقول الإرادة لوعة في القلب تمنع المريد من الانقياد لغير الله تعالى كذا قيل.

قال: وسمعته يقول قال أبو طالب المكي: من غلب خوفه أيام بدايته محبته فهو شاهد له أنه من المقربين ومن غلبت محبته خوفه أيام بدايته فهو شاهد له أنه من الأبرار، قال: وسمعته يقول: نهاية الخائف أيام بدايته المحبة ونهاية المحب أيام بدايته الخوف وقد اعتبرت ذلك ورأيته كثيرًا.

قال: وسمعته يقول: إن الدريك إن من ترك نفسه وجد الله تعالى، وقال: قلت للشيخ هل للقطب من علامة؟ فقال: من علاماته أنه لا يعرف أكثر الأولياء ومنها أنه لا يرى عالمًا ويرى جاهلاً.

قال: وقال لي الشيخ: ما كان من الأسماء كالجبار والقهار فهو من الجلال وما كان كالرحمن والوهاب والمغني فهو من الجمال فقلت له جميع الأسماء ترجع إلى الجلال والجمال قال وسألته عن المنازلة فقال هي نوع من التعرف فيه حتى يفتح على جليسك قال وسألته عن المنازلة: فقال هي نوع منال تعرف فيه قرب وإيناس وتدان وذكر أمثالاً.

قال: كان رجل من شيوخنا يقال له أبو السرور قيل له في بعض أوقاته: يا حسن يا حسونة، فقال: يا رب يا ربوة قيل له: يا حسن لو أخبرت الناس بمسلوبك لما سلم عليك أحد فقال: يا رب لو أخبرت الناس بكرمك لما عبدك أحد فقال الله تعالى له: لا تقل ولا نقول.

قال: وسمعته ينشد هذا البيت:

الاَ ليْتَنِــــي اعْمَـــى أصَــــم يقُودُنِـــي بثنـــية لاَ يخْفَـــى علـــيَّ كلامُهـــا

قال: وسمعته يقول: قالوا الفرق بين العلم والمعرفة ما لا يعبر عنها إلا بالمثال.

قال: وسمعته يقول مرة اللهم اجعلني لك وارثًا فأنكر عليَّ بعض المشايخ ثم بعد حين وجدنا شاهد صحة ذلك القول.

قال شيخنا أحمد الرداد: والمعنى اجعلني لعلمك وارثًا، قال: سمعت هذه المقالة من الشيخ ﷺ غير مرة.

وأخبرنا المرشدي قال: سمعت الشيخ يقول كونوا بين يدي كالأطفال وابكوا عليه يفعل لكم ما تفعل الأم مع طفلها إذا بكى أخذته وضمته إليها.

وسمعته يقول: أكثر الناس غافل عن الله، قال: وسمعته يقول: الفقير معلومه الله تعالى.

قال: وقلت للشيخ: وقع لي باب من التعظيم والإجلال من يومين فقال: إن صح منك هذا فإنه من علامات الجذب والجمع بين السلوك والجذب.

قال: وسمعته يقول: إن بعض الناس قطع الطريق إلى الله في ستين سنة وقد ينقطع الطريق في ساعة واحدة كسحرة فرعون، قال: وقلت له: يا سيدي أرى في هذه الأيام زيادة في الناس في ميل قلوبهم إليكم وزيادة في الإسلام وقد صرحوا بأن الزمان كلما قرب ظهرت المعارف حتى أن عيسى بن مريم صلوات الله عليه إنما ينزل على قوم يكلمهم فقلت ما السر في ظهور الحقائق؟ فقال: قربها يعني من الدار الآخرة.

قال: وسمعته يقول: في التوكل قد ترك قوم الأسباب فلم يرجعوا إليها وقوم رجعوا

إليها ليجمعوا بين الظاهر والباطن إلا أن المشايخ منعوا المريدين من الركون إلى الأسباب قبل التمكن، قلت: يعني التمكن من تحقيق التوكل.

وأخبرنا المرشدي أيضًا قال: سألت الشيخ هل يمكن قطع الطريق لأحد وهو لا يعلم؟ فقال: نعم، قال: وسألته من تحكم المريد على شيخ بعد تحكمه على شيخ آخر: هل يجوز الثاني للمريد وللشيخ؟ فقال: لا شيء فيه فقلت رأيك سألت بعض من أراد أن يتحكم عليك هل له شيخ قبلك؟ فقال: إنما فعلت ذلك أدبًا وإلا فلا شيء يلزم المريد ولا الشيخ في ذلك، كان النهاري رجلاً كبيرًا وجاء إليه مريد قال له النهاري أريد أن أحكمك فقال المريد قد تحكمت على شيخ آخر فقال النهاري الأديم إذا دبغ مرتين يكون أحسن من دباغة مرة واحدة وكان من ورد عليه يقول له: أريد أن أحكمك وإن قال له: قد تحكمت قال: وقال كنت زمانًا متوقفًا فيما يفعل النهاري من جهة العلم فظهر لي تكثير الاتباع يوم القيامة وهذا على الإطلاق إلا في حالة واحدة وهي إذا صحت إرادة المريد وكان في أيام رضاعة فإنه لا يجوز له أن يتحكم على شيخ ثان قبل الفطام كأن شيخه هذا وقد يكون طريقه الخوف وطريق ذلك الرجاء وطرائق المشايخ مختلفة فلا يجوز له أن يذهب عن شيخه إلى غيره قبل فطامه من رضاعه.

قال: وجاء إلى الشيخ ﷺ الفقيه سراج الدين السراج الجبرتي الحنفي وطلب منه اليد وأخبره أن له شيخًا في بلده فقال له: من جاءنا قبلناه وحكمه.

قال: وسمعت الشيخ يقول إذا حصل للعبد وقت وحصل له ذكر الأخوان بالدعاء فهو دليل قبول الدعاء وكلما كثر الجماعة كان أدى إلى القبول وربما قدم علينا بها في الفقراء فيعش الجماعة معه سنة ويتجدد لهم به شيء لصدقه شاهدت ذلك وعرفته ورأيته وتحققته غير مرة.

قال: وسألت الشيخ التحكم لبعض أهلي فقال: إذا وجدت قلبك فتحكم لهم فقلت: هذا الوقت فقال: يا فقراء الفقيه يريد أن يتحكم لأهله استحضروا له أرواح الأولياء ثم وضع يده في يدي وقال: رضيت بي شيخًا لأهلك؟ قلت: نعم، قال: وأنا رضيت، قال: وسألته ﷺ عن قول بعضهم حاكيًا عن الله تعالى إن ظهرت فأنا صورتك وإن بطنت فأنت صورتي فقال: معناه إذا وقع العبد في الفناء فلا يرى غير الحق فيكشف الحجاب عن العبد وظهور الحق له صار لا يرى غير الحق ولا يرى العبد نفسه.

وقوله: وإن بطنت فأنت صورتي وإن حجبتك فأنت صورتي أي أثري الدال على وجودي قال: وسألته عن قول من قال أن الحق عين الوجود فقال: معناه أن العبد إذا وقع

في الفناء لا يرى ذاته ولا وجودًا غير وجوده تعالى.

قال: وسألته عن قول من قال: «الوجود ظل الله» فأشار ﷺ إلى ظل شخص، وقال: هذا أثر هنا لو لم يكن هذا لم يكن هذا الأثر والشيوخ لا يقولون بتعليم هذا مثل للمريد يكلوه إلى الفتح.

قال: وسمعته يقول عن الشيخ: ما هذا بمعناه إن لم يكن لفظه كنت في أيام الصغر تابعت النبي ﷺ في أقواله وأفعاله فرأيت كل واحد فيأخذ منه ويسايره حتى ينقطع ثم يبقى له ﷺ شيء لا يسايره فيه أحد فوقع لي أنه إذا رجع النبي ﷺ إلى الخلق لا بدَّ أن يثني على الله تعالى فيما منحه ولا بدَّ أن يكون له من يسايره في ذلك الأمر ويسامره ثم قال: فأين يجتمع هؤلاء الذين يتلقون من النبي ﷺ حتى ينقطعوا ومن يتلقى منه ما بعد ذلك فقلنا: أفدنا فقال: يجتمعهم علم الله تعالى، والله تعالى يتجلى على رسوله محمد ﷺ فقلت: فمن يتلقى عن رسول الله ﷺ فقال: الأنبياء كموسى، وإبراهيم، وما كان له مما لم يسايره فيه أحد يخلق خلقًا ينقلونه عنه ويكون النبي ﷺ وسائر الأنبياء في الجنة بأجسادهم وهم عند الله في حضرة علمه يتجلى لهم على ما ذكرناه.

وقال: وسمعته يقول: «لا تنال الرَّاحة بالراحة» هكذا قال العقلاء والعلماء والحكماء.

قال: وسمعته يوصي بحفظ الأدب مع الشيوخ وقال: كلما حصل لك من غير شيخك فإنه ببركة شيخك وما أحد يعطيك إلا ما هو لك، قال: وسمعته يقول ما يكون كلامهم في الحضرة إلا بإشارة مثل: آآآ وقال: الحضرة لا تحتمل الكلام، قال: ورأيته مرة في السماع لا يتكلم إلا بمثل هذه الإشارات، وقال: إنه استمد من خاطر الشيخ لصاحبه بن الزين فقال له الشيخ: يسعد الله إنسانًا بالشفعاء.

وسأل من الشيخ ﷺ عن التحكم لأهله وآخرين من أصحابه فقال: أحضرهم في قلبك ويكفي، قال: وسمعت الشيخ يقول: جاءنا الشيخ يعقوب مملوءًا أسرارًا وذهب مملوءًا أسرارًا وما استفدنا منه غير فائدتين إحداهما: كان يوصيني بالمداومة على الوضوء قبل الأكل أي غسل اليدين وكان يؤكد في ذلك كثيرًا والذي رأيناه نحن وجربناه يعني من فوائد ذلك تكثير الرزق الدنيوي وإن شئت قلت الديني، والفائدة الأخرى إلى هذا وأشار إلى الشيخ احمد الرداد.

قلت: سمعت شيخنا أحمد الرداد - كثر الله به الفوائد — يقول: «من قرأ فاتحة الكتاب إحدى وأربعين مرة بين صلاة سنة الصبح والفريضة لوجع العين أو قرأت له

وواظب على ذلك شفي فهي لوجع العين خاصة ولسائر الأوجاع عامة».

وقال لنا غير مرة: إنه جربه غير مرة في نفسه وبعض أهله وأمر به كثيرًا من الناس وفعلوه فشفوا ونظم في ذلك أبياتًا وحكى فيه حكايات وأوردها في فضل الفاتحة في كتابه الكتاب المعظم، كتاب موجبات الرحمة وعزائم المغفرة، قلت: وبكثرة تجيبه وظهور صحته صار أمرًا يقينًا لا شك فيه وفوائد القرآن يقينية لا ظنية وإنما قد يحجب بحجاب ضعف اليقين.

وأخبرنا الشيخ الكبير أبو بكر العباصري قال: قيل للشيخ إن أهل الشام جلاليون وأهل اليمن جماليون، فقال: هذا لا يطرد فإن الفقيه أبا بكر بن محمد بن يعقوب كان جلاليًا، وأخبرنا شيخنا الإمام أحمد الرداد والشيخ الولي العارف بالله المحدث أبو الفتح محمد بن الشيخ زين الدين المراغي المدني والشيخ الولي جمال الدين المرشدي أنهم سمعوا شيخنا الأكبر ﷺ يقول: «الصديقية صديقتان: صغرى وكبرى، فالصغرى معرفة الله بالعلم، والكبرى معرفة الله بالعيان».

وأخبرنا المرشدي أنه سمع الشيخ يقول: يا جماعة الذي اعتقده أن من عرف الله في هذه الدار إن لم يتجل له بالوصف الذي عرفه فيها وإلا يتجلى له يوم القيامة بما عرفه.

وأخبرنا هو والشيخ النجيب إسحاق بن حسين العراقي وشيخنا أحمد وغيرهم أنهم سمعوا الشيخ غير مرة يقول دخلت على الضجاعي فوجدته يفلي ثوبه من القمل، فوقع عندي أنه يتشاغل بفلي ثوبه عن الأحوال، فوقع لي زيادة عظيمة أو قال خيرًا كثيرًا في تلك الساعة فقلت: له سألتك بالله هل اشتغالك بفلي ثوبك تشاغل عن الأحوال؟ فقال: لا ، إنما أفلي ثوبي من القمل فعلمت أن تلك الزيادة التي حصلت لي إنما هي من حسن الظن.

وأخبرنا الشيخ النجيب إسحاق بن حسين العراقي قال: ودعنا الشيخ وقد أردنا السفر فقال: إذا أنابتكم نائبة فاطلبوني وما ثَم إلا حسن الظن.

وأخبرنا المرشدي قال: شهدت جنازة امرأة فصلى عليها رجل فوقع في نفسي منه شيء حيث لم يتأدب مع الشيخ فقال لي الشيخ مكاشفًا لي: هو جدها فقلت: إن النبي ﷺ أولى بالمؤمنين من أقاربهم حتى لو حضر جنازة أحدهم وثَم أقرب الناس إليه لوجب عليهم أن يقدموه فهل هذا الوارث للنبي ﷺ وهو القطب الغوث؟ فقال: نعم، ويجب عليه التقدم إلا أن يمنع فلا يجوز له أن يكلفهم ذلك إذا منعوه لأن تقديمهم إياه مستحب في حقهم لأنهم مخاطبون بالشريعة وهذا حقيقة.

وأخبرنا الشيخ أبو بكر العباصري أنه قال للشيخ: هل يكون أحد من الأولياء نور الله الذي لا يستضيء أحد إلا به؟ فقال: نعم، قلت: فلا يكون الانتفاع به إلا لمن رآه أو سمع به أو علمه فقال: وينتفع به من لم يره ولا يسمع به ولا علمه قال: وأفهمت الشيخ إنما أمرت إلا هو فلم يخالفني.

قال: وذكرنا عند الشيخ مرة من يحضر مجالس الفقراء مجالس قراءة القرآن والذكر

فقال: ما كل من أراد حضورها حضر ولا كل من أراد تركها ترك، بل الفقراء إذا أرادوا أحدًا جذبوه بأنفاسهم وقربوه ومن لم يريدوه أبعدوه وطردوه وزادوه.

وأخبرنا الشيخ أبو القاسم الأمين أحد أصحاب الشيخ وخدامه أنه سمع شيخنا ﷺ يقول: وقفت سبع سنين لا يحجب عني شيء أرى جميع أحوال الناس وما يدخرون في بيوتهم فتعبت من ذلك، فنقلت إلى مقام التوسم.

قال: فقلت له ما التوسم؟ فقال: إذا رأى أحدًا رأى ما في قلبه، وهذا أتم؛ لأن الكشف يتعلق بالظواهر والتوسم بالبواطن والقلوب.

قلت: أشار شيخنا ﷺ إلى كمال مقام الكشف إذ كل مقام له مراتب ينال منه كل أحد بقدر قابليته وبحسب استعداده وكماليته، والفراسة كما قال المحققون من أهل الله: نور إلهي في عين بصيرة المؤمن يرى به ما كان وما سيكون، ويعطى معرفة السعيد من الشقي ومعرفة أثرهما في الأرض، ويكشف للكاشف به عن علامات أي عمل عمله عامل، وعن أثره في العضو الذي كان منه به العمل والمكان والزمان أي عمل كان هو محمودًا أو مذمومًا، وكان هذا من مقامات عثمان بن عفان ﷺ، دخل عليه رجل وكان ذلك الرجل قد أرسل نظره فيما لا يحل له، فلما وقعت عين عثمان ﷺ عليه، قال: سبحان الله ما بال رجال لا يغضون أبصارهم عن محارم الله، فقال له الرجل: أوحي بعد رسول الله ﷺ ؟ فقال: لا ولكنها فراسة، ألم تسمع إلى قول رسول الله ﷺ «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»[1].

وعندما دخلت عليَّ رأيت ذلك في عينيك، وهذا النور للبصيرة كنور الشمس لنور البصر ترى به المحسوسات، وأضيف نور الفراسة إلى الله تعالى الذي هو الاسم الجامع الأسماء لأنه يكشف المحمود والمذموم، وحركات السعادة في الآخرة والشقاء والخيرات والشرور الواقعة في الدنيا والآخرة، والمذام والمحامد ومواد كل شيء وممده من الأسماء

---

(1) سبق تخريجه.

والأرواح العلوية، ويفرق به بين الأحكام الشرعية، ولو أضيف هذا النور إلى أي اسم إلهي لكان منه ما يعطيه حقيقة ذلك الاسم، كما لو أضيف إلى اسمه الحميد لم ير صاحبه إلا المحمود السعيد خاصة، أو أضيف إلى المضل لم ير إلا المذموم الشقي، وحجاب نور البصر في عالم الشهادة الظلم والحوائل، فلا يرى المحسوسات إلا بارتفاع الموانع من الظلم والبناء والجبال والأشجار والبعد والرمال، وحجاب نور البصيرة الذي هو الفراسة الشرور والشهوات وملاحظات الأغيار فهذه حجب تحول بينه وبين إدراك الملكوت، أعني عالم الغيب والمعاني.

والفراسة أعلى درجات المكاشفة وموضعها من كتاب الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: 75] من السمة وهي العلامة ولا تخطئ أبدًا ولا يرى المكاشف بهذا النور إلا ما يريد الله سبحانه أن يطلعه عليه في وقت ما، وأما مداومه فحجاب وشغل عن طلب الله وهكذا كل مقام حجاب عما هو أعلى منه وإلى هذا أشار شيخنا أبو المعروف ﷺ بقوله: [فتعبت من ذلك الكشف الذي حبسه وحجبه]، وهو من مقامات الوحي، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ﴾ [الأحقاف: 9].

وأخبرنا أيضًا قال: كنت إذا رأيت رؤيا مبشرة وقصصتها على الشيخ، قال لي هذا من ثمرات الخدمة.

قال: وسمعته يقول: كنا إذا احتجنا إلى شيء قلت: شيء لله فيأتي هذا بشيء وهذا بشيء، ثم تركنا ذلك ونظرنا إلى الله فحصل لنا فتح كثير أكثر من ذلك.

وأخبرنا الشيخ رضي الدين أبو بكر العباصري والشيخ إسحاق بن حسين أنهما سمعا شيخنا -قدس الله سره- يقول: الأعمال والمجاهدة لا تحصل بها الطهارة والتزكية وإنما تحصل الطهارة والتزكية من الواردات والتجليات.

قال العباصري وسمعته يقول: كل عمل ينتج الثواب فليس هو لله وكل الأعمال للدرجات العلى والتوحيد للنظر إلى وجه الله والعاملون لله بين ردود وقبول والعاملون بالله في قبول بلا ردود.

قال: وسمعته يقول: قد يستوي قوم في الأحوال والمقامات والمواهب والمراتب والقرب ويتفاوتون في القدر عند الله تعالى.

وأخبرنا الشيخ جمال الدين محمد بن الحسام أنه سمع الشيخ يقول: إذا وردت عليَّ الواردات والأحوال ما أتلقاها إلا بالله تعالى.

قال: ووقعت ليلة في حال فكدت أن أموت، فأصبحت على أثر من ذلك فدخلت على الشيخ فقال لي: ما لك وما هذا الأثر عليك؟ فأخبرته، قال: يعجبني أنا إذا ورد عليَّ حال تلقيت بالله تعالى فلا يؤثر بي.

قال: وسمعته يقول: فائدة المجلس أنه يبلغك متعلقه علمت ذلك أم لم تعلمه.

قال: وسمعته يقول: قد يكون القلب في بعض الأوقات مستقيمًا على التوحيد الصرف، وفي بعض الأوقات ينزل إلى شعب فنزوله إلى تلك الشعب يظهر لك فضل ذلك التوحيد، فإذا من الله عليك وعلمت أن تلك الشعب هي عين ذلك التوحيد.

قال: وقلت للشيخ: هل يكون قلب المريد في بعض الأوقات متحدًا بالله مجموعًا عليه، وفي بعض الأوقات يتفرق في شعب؟ فأجابني بثلاثة أجوبة بثلاث مراتب، قال: الاتحاد والجمع إلا بالفرق، وإذا مَنَّ الله علينا رأينا هذا عين هذا، وانظر من أمامك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك، ومن فوقك ومن تحتك ومن أين هم هل ترى غير الله؟

قال: بنفس أن قال لي هذا وقعت فيه وعلمت أن الفرق عين الجمع وأن الله عين ما ظهر وعين ما بطن، وذقت ذلك وكدت أرى الأمر عيانًا بمجرد قول الشيخ وقال لي: قل لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك.

وقال: وسمعته يقول: يكون مع المريد من العلم ما لا يحسن العبارة عنه فبحضوره عند الشيخ وسماعه كلامه يفتح له بالعبارة عليه.

وأخبرنا الشيخ العارف شهاب الدين أحمد بن عليّ الحجازي أنه سمع الشيخ يقول: ما هذا بمعناه إن لم يكن بلفظه أخوف ما يخاف على الموحدين أن يحكم صاحب التوحيد بالعلم بما يحكم به صاحب التوحيد بالذوق، والحال، والحال والمشاهدة وهذا غالبًا يكون في بعض العجم يحكمون على أنفسهم بعلم التوحيد؛ ويعملون به قبل طهارة أنفسهم وتزكيتها، وقبل شهود عين التوحيد وذوق حق التوحيد، فيتركون الأعمال ويطلبون الحكم والطهارة، والتزكية إنما تحصل بوجود الحق وشهوده.

وأخبرنا بعض المريدين من إخواننا أنه سمع شيخنا ﷺ في بعض مجالسه يقول: ما تقولون في الطاعات والمعاصي هل هي موجودة في جبلة العبد أومفطور عليها؟ فقال الشيخ: نعم فاسألوني ما يبعثها منه فقالوا: نظرات الحق إليه إن نظر الحق إلى العبد نظرة رحمة كان منه الطاعات، وإن نظر إليه نظرة غضب كان منه المعاصي، وينبغي للإنسان ألا يغفل عن وزن أحواله إن كان في طاعة شكر الله واستزاده وإن كان في معصية لجأ إلى الله وتضرع إليه فإنه قريب مجيب.

وأخبرنا الشيخ جمال الدين محمد بن الحسام أنه سمع الشيخ يقول: أثبت الحق أنه عيننا فأثبتنا فطلبنا عيننا التي هي الحق فلما وجدناها به سرنا بها فوجدنا الخلق الذي هو أصلنا فكان هذا الخلق أفضل من ذلك الحق، قلت في حقنا، وهذا إشارة إلى السير بأحكام الذات في الأسماء والصفات وهو الفرق بعد الجمع الذي تسميه المحققون الفرق الثاني، وهو سير لله بالله في الله، والعبد محق كما لم يكن والحق كما لم يزل.

وأخبرنا أخونا الشيخ الولي المقرب جمال الدين محمد بن عبد الله الحرازي ساكن المنيرة قرية في جنب سردد رحمه الله آمين، أنه سمع شيخنا رحمنا الله به يقول الفقير: يكون كائنًا بائنًا مع الخلق بائنًا عنهم بالسر يكون، ما أحد يعلم ما هو فيه وهو في شغل الجزار يجزر، والقطاع يقطع يشير إلى مجاهدة النفس.

قلت: هذا محمد بن عبد الله، هذا من أصحابي شيخنا وكان له خلوات في مهرمل بضم الميم وفتح الهاء وسكون الراء وكسر الميم مكان فيه مسجد بساحل البحر بين جنوبي جزيرة كمران مشهور الفضل لأولياء الله مقصود لذلك غالب على من وقف فيه أو تردد إليه لا بدَّ أن يفتح الله عليه وكان له الاستقامة التامة على تلاوة كتاب الله ويسر الله عليه التلاوة.

أخبرني أنه قرأ القرآن في أقل من قراءة «قل هو الله أحد» ثلاثًا، بل في أقل من قراءتها مرة، بل في دون ذلك حتى قال: جُمع لي ككلمة واحدة فنطقت به بلفظة واحدة؛ هذا من طي مسافة الحروف له واندراج لفظها في معناها، بل من طي تفرقها في جمعها، وهذا من خوارق العادات وأغرب الكرامات.

وقد أشار إلى ذلك الشيخ المحقق عمر بن الفارض بقوله:

وأتلُـو علـومَ العَـالمِينَ بلفْظَـةٍ ... وأجلـو علَـى العَـالمينَ بلحْظَـةِ

وفي سَـاعةٍ أوْ دُونَ ذلِـكَ مَـن تلاَ ... بمجمُـوعهِ جَمعِـي خـلاَ ألف ختمة

عاشرت محمد بن عبد الله هذا كثيرًا واصطحبنا زمانًا طويلاً وسافرنا معًا على جمله من مكة إلى المدينة ذهابًا ومن المدينة إلى جدة، وفي البحر في جلبة إلى البلد إيابًا مجتمعين في حال الركوب والنزول، والأكل والشرب والصلاة والنوم واليقظة والحديث فنعم الصديق، ونعم الرفيق، ونعم المخالل والصاحب.

وسافرنا إلى مكة مرة أخرى على انفراد، ثم سافرت إلى المدينة وهو مريض فمات بعدي سريعًا ودفن بمكة في الأبطح في شهر ذي الحجة من سنة ست وثمانمائة رحمه الله

ورحمنا به آمين.

وأخبرنا الشيخ النجيب الولي القريب برهان الدين إبراهيم ابن شيخنا وشيخنا أحمد الرداد واللفظ له أنهما سمعا الشيخ ﷺ يقول: «وقفة مع الله على الصفاء خير من سبعين حجة مقبولة».

وأخبرنا شيخنا أحمد أنه سمع شيخنا الأكبر يقول: «إذا سمعتم عن أحد من أولياء الله بشيء أنه سيكون بكم فلم يكن فليس ذلك من عدم صحة كشفه ولكن الله ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: 39]».

وأخبرنا شيخنا رضي الدين جمال المقربين أبو بكر الصديق ابن شيخنا قال: قال شيخنا: كان الفقيه علي بن موسى يخبر بأشياء وإذا سئل عنها في وقت آخر ينكرها: قال: فقلت للشيخ لماذا؟ فقال: لعلمه بأن الله ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾.

قال: وقال شيخنا سألت الفقيه: أين أفضل المحو أو الإثبات؟ فقال: المحو فعرفت أنه قد من يطلع على أمر فيخبر به ولا يعلم أن ذلك مما يريد الحق أن يثبته أو يمحوه فعلمت أن المحو أخص.

وأخبرنا أيضًا أن الشيخ العارف بالله أبا الفتح محمد بن الشيخ زين الدين المراغي لما ودع الشيخ للسفر إلى المدينة سأل الشيخ كفاية معارضة والده وفقهاء بلده فيما هو فيه من سلوك طريق الصوفية والتزيي بزيهم فقال له الشيخ: يا ولدي تولاك الله فإنه من تولاه الله لا يخاف أحدًا ولا عليك أن تعطي كل ذي حق حقه وأن تمشي مع كل أحد بما هو عليه وبعد هذا قد عرفت فالزم.

وأخبرنا الشيخ شهاب الدين أحمد بن علي الحجازي أنه سمع الشيخ يقول: «من قرأ لصاحبه بعد وفاته «يس، وتبارك» فقد أدى جميع حقوقه».

وأخبرنا بدر الدين حسن بن الهبل القرشي أنه سمع شيخنا ﷺ يقول: «صديقك من عدلك لا من عذرك».

وأخبرنا الشيخ جمال الدين محمد بن الحسام أنه سمع شيخنا يقول: من تلقى الواردات بنفسه مات؛ والله ما يعجبني إلا أنا ما أتلقى الواردات إلا بالله.

قال: وسمعته يقول: يبلغ المريد بنظر الشيخ إليه ما لا يبلغه باجتهاده وعبادته ألف سنة.

قال: ودخلت على الشيخ فوجدته يبكي وأهل البيت يبكون فقال لي: يا محمد من عرف الله لا كمن ذاقه ولا من ذاقه كمن أحس به، ولا من أحس به كمن أثلجته محبته،

وبكى بكاء عظيمًا.

وأخبرنا شيخنا رضي الدين -كان الله له- أنه سمع شيخنا -قدس الله سره- يقول: «المتردد لا يصل إلى الله»، قال: وسمعته يقول لبعض أصحابه وذكر علم التوحيد: ليس المراد من هذا العلم نقله ولا حفظه ولا فهمه إنما المراد أن تذوقه وتلتذ به كالماء البارد يسري في جميعك.

قلت: وهكذا جميع المقامات لا فائدة فيها إلا أن تكون حاصلة للإنسان حالاً وذوقًا وأثرًا فكم من عالم بها وليس عنده منها رائحة.

وأخبرنا بعض أصحابنا أنه سمع الشيخ يوصي بإعلاء الهمة ويقول: اطلبوا الله وإن أعطاكم وإن وإن وإن، فاطلبوا ما وراء ذلك؛ فإن الله تعالى لا نهاية له. وأخبرنا الشيخ الكبير رضي الدين أبو بكر العباصري نفع الله به أن شيخنا -أفادنا الله بفوائده- ضرب مثلاً لعلم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين بالجوزة فعلم اليقين كعلمنا أن تحت القشر لبًا، وعين اليقين كرؤيتنا اللب بعد إزالة القشر، وحق اليقين كذوق الدهن من اللب.

وأخبرنا شيخنا رضي الدين ولد شيخنا وخليفته غير مرة أنه رأى السلطان في جموع من أهل السنة والإمام في جموع من المعتزلة على مغاص اللؤلؤ، ورأى أهل السنة يأخذون اللؤلؤ من ذلك المغاص بطمأنينة وتؤدة وأمان، وإذا غاص غائصهم أخرج لؤلؤًا حسنًا كبارًا نقيًا لا غبار عليه، ولا قذار ولا سواد ولا شوب كأنه النجوم المنتثرة، ورأى المعتزلة لا يأخذون ما يأخذون إلا على فزع وعدم طمأنينة كالمنتهب الخائف، وإذا غاص غائصهم لا يخرج إلا ترابًا كثيرًا فيه حبات قليلة مشابهة بالتراب، فلما أصبح قص رؤياه على الشيخ فقال: هذه الرؤيا كشف لما هم عليه المعتزلة وما هم عليه أهل السنة، واللؤلؤ هو العلم، فأهل السنة يأخذون العلم بطمأنينة اليقين علمًا صريحًا صحيحًا من شوائب الشبه، والمعتزلة يأخذون العلم كدرًا بالشبه.

قال: وقال الشيخ: وأعرفك يا ولدي أن الإمام مع ما بلغنا عنه من سباحة الأموال والأرواح ما أعلم أني قد دعوت عليه ولا انحرقت له للقدر الذي هم مستمسكون به من الحق وإنما أدعو بكفاية الشرور، وسمعته يقول: ما قد دعوت على أحد فكان يوصي أصحابه بذلك.

وأخبرنا الشيخ جمال الدين محمد بن محمد المزجاجي، والشيخ رضي الدين أبو بكر العباصري، والقاضي الشهيد عفيف الدين عبد الله بن عبد الرحمن العلوي واللفظ له أنهم سمعوا شيخنا ﷺ غير مرة إذ قرأ «يس» لأمر من الأمور يقول إذا قرأ ﴿أَوَ لَيْسَ الَّذِي

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى﴾ [يس: 81] كذا، وكذا، ويذكر حاجته، ويكرر ذلك ثم يرجع من قوله تعالى: ﴿أَوَ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى...﴾ ويتم السورة.

وأخبرنا القاضي عفيف الدين العلوي رحمه الله قال: سمعت الشيخ يقول لكل أحد خضر وخضر موسى لا يراه إلا الكمل من عباد الله، رأيته مرتين إحداهما في البادية وهو يظهر لكل أحد على قدر حاله وأخبرنا النقيب الصالح نقيب الفقراء عمر المستريح أنه سمع شيخنا ﷺ يقول: «لكل ولي راية يوم القيامة يساق إليها أصحابه وإخوانه».

وأخبرنا الشيخ الكبير أبو بكر الصديق الزيلعي أحد نواب شيخنا برباطة بثغر عدن ونحن نمشي على ساحل البحر حفاة بعدن قال: والله لقد سمعت الشيخ مرارًا يقول: «المشغول بالله لا يطعم للملذوذات لذة ولا لغيرها مرارة».

وأخبرنا الخطيب الكبير الصالح ماوه اللحجي بلحج أنه مشى معه الشيخ في سوق عدن، قال: فأخذ الشيخ بطرف فوطة كانت عليه، وقال: «أنا أحب هذه أتدرى لم أحبها؟ قلت: لا قال: لأنها حصلت لي من غير سؤال».

وأخبرنا الشيخ الصالح سالم بن حسين اللحجي بلحج أنه سمع شيخنا -رحمه الله- يقول: حرام على المريد أن يتشوف إلى غير شيخه.

قال: ومشيت يومًا أنا والقاضي عبد الله بن محمد الدؤالي في طريق نخل وادي زبيد، فقال لي: أنا متعطش إلى من يحكي لي ما جرى له مع الشيخ وما رأى منه، فحكيت له أشياء من كرامات الشيخ، فلما بلغنا النخل ذهب حيث يريد، وذهبت إلى نخل الشيخ فوجدته كالمنتظر لي فسلمت عليه فقال لي: احك لي ما جرى لك ومن مشى معك، فحكيت له أني حكيت للقاضي ما رأيت من الكرامات وخرق العادات، فقال: ليتك قلت له أخرجني من نفسي كان أحسن.

قلت: أشار شيخنا ﷺ إلى أن الخروج من النفس بالطهارة والتزكية من أوصافها وعللها أحسن الكرامات.

قال: وسمعت الشيخ الصالح عفيف الدين عبد الله العايدي يقول للشيخ في قدومه من الحج إلى زبيد: يا سيدي معنا خطوط قديمة من الملوك المتقدمين بالجلالة والاحترام، عسى تشير إلى الشيخ أحمد الرداد يأخذ لنا عليها علامة من هذا السلطان، فقال له الشيخ ﷺ: «الكرامة كل الكرامة مطالبة النفس بالاستقامة، عليك يا ولدي بالاستقامة ومجالس الذكر والقرآن وهي الجلالة والاحترام» فقبلها العايدي من الشيخ فلم ير بعد ذلك من جلل

واحترام مثله من المناصب في بلده.

وأخبرنا الشيخ الصالح عفيف الدين عبد الله العايدي بعين مهملة وياء مثناة من تحت ودال مهملة. قال: قلت للشيخ أوصني وصية ينفعني الله بها فقال: «عليك بمخالفة النفس، ولزوم هذه المجالس -يعني مجالس القرآن- فهي طريقي».

وأخبرنا شيخنا رضي الدين ولد شيخنا وخليفته، والفقيه العالم الشيخ الصالح يوسف بن عبد الرحمن الحنفي أنهما سمعا شيخنا ﷺ يقول: «أعظم النعم بعد الإيمان اجتماع الإخوان على تلاوة القرآن».

قال شيخنا رضي الدين: وسمعته يقول: «الإخوان مسلاة الهموم».

وأخبرنا الشيخ الكبير حسن بن أبي بكر الهبل أنه كان يومًا جالسًا في المسجد الحرام عند مقام إبراهيم ﷺ، ومعه رجل من أبناء مصر.

قال: فسألني: لِم كره من كره قراءة القرآن في الطواف واستحب الأذكار المأثورة؟ فتوقفت في الجواب لأني لم يكن عندي علم، فرأيت الشيخ مقبلاً داخلاً من باب إبراهيم، فجعل ما بين باب إبراهيم والمقام ثلاث خطوات، حتى قام عندنا ولم يره الرجل، فقال لي: قل له إنما كره من كره قراءة القرآن في الطواف واستحب الأذكار المأثورة؛ تعظيمًا لجلال الله وتنـــزيهًا له؛ لأن القرآن صفة الله والقارئ متصف بصفة الله، فنـــزهت صفة الله الخالق أن يتلبس بها أحد ويطوف بها حول البيت وهو مخلوق، والأذكار المأثورة صفة المخلوق فجاز الطواف بها حول مخلوق للمناسبة.

وأخبرنا شيخنا محيي الدين أحمد الرداد نفع الله به أن شيخنا الأكبر ﷺ ذكر له رجل يُظهر الوله ويتلطخ بالنجاسات ولا يصلي المفروضات ويقال أنه من الأولياء، فقال الشيخ: نحن ما نعتبر الناس إلا ببدايتهم إذا وصف لنا أحد نظرنا في بدايته إن وجدناها ظاهرة ولها أصل اعتبرناه وهذا رجل ما كانت بدايته إلا في النجاسات والمزابل.

وقال بعض أصحابنا: سئل الشيخ عن هذا الرجل فقال نحن ما نعتبر الرجل إلا ببدايته، من كانت بدايته مستقيمة على السنة والطهارة أثبتناه ، ومن كانت بدايته على غير ذلك نفيناه.

وأخبرنا شيخنا رضي الدين أبو بكر الصديق وشيخنا أحمد أنهما سمعا شيخنا الأكبر أبا المعروف -قدس الله سره- يقول: «أنا تربية الحق».

قلت: ولهذا قال فيما سمعت منه: كنت ليس لي في الأعمال اختيار إنما كانت أعمالي بحكم الواردات، وفي كونه تربية الحق خصوصيات لطيفة وكمالات شريفة منها

أن الله تولاه بعنايته وأولاه برعايته فلم يجعل لغيره عليه منة، ومنها الإرث المحمدي فإن رسول ﷺ قال: «أدبني ربي فأحسن تأديبي»[1].

قال بعض الأكابر المحققين: كان الروح الأمين جبريل ﷺ معلم الرسل وأستاذهم فلما أوحى إلى محمد ﷺ كان يعجل بالقرآن قبل أن يقضى إليه وحيه ليعلم الله بالحال أن الله تعالى تولى تعليمه من الوجه الخاص الذي لا يشعر به الملك وجعل الله الملك النازل بالوحي صورة حجابية ثم أمره تعالى فيما أوحى إليه: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [القيامة :16] أدبًا مع أستاذه فإنه ﷺ يقول: «إن الله أدبني فأحسن أدبي»، ولم يذكر إلا الله ولم يعرض لواسطة ولا الملك، ثم وجدنا ذلك ساريًا في ورثته من العلماء.

وأخبرنا بعض خدام الشيخ والشيخ صالح إبراهيم الجحوي بجيم مفتوحة وحاء مهملة واللفظ له أن شيخنا ذكر يومًا أشياء من بدايته وجماعة من طبقته وأصحابه، ووصفهم بقوة العبادة وشدة الاجتهاد.

قال: وكنت ليس لي في الأعمال اختيار إنما كانت أعمالي بحكم الواردات وكانت محافظتي على دوام استقامة قلبي مع الله، وكنت إذا تجاريت أنا وهم في علم التوحيد يفتح لي بما لا يفتح به لهم.

وأخبرنا الشيخ جمال الدين محمد بن محمد المزجاجي؛ قال: كان الشيخ إذا رأى شيئًا من هذه الآثار على قبر أحد يعني من البناء والزينة يقول: ما تقولون هل هذا من حظوظه الأخروية أو من باقي حظوظه الدنيوية.

وأخبرنا شيخنا أحمد أنه رأى في ابتداء سلوكه أنه جعل له رجلان من حديد فجرى بهما ساعة فانكسرتا، ثم جعل له رجلان من قص فجرى عليهما جريًا كثيرًا ولم ينكسرا فقصها على الشيخ فقال له: «أبشر فمن سلك هذه الطريق بجده وجهده وحوله وقوته لم يبلغ المراد، ومن سلك بالعجز ووصف العبودية بلغ المراد».

وأخبرنا الشيخ محمد بن الحسام أنه سمع شيخنا ﷺ يقول: «السير بعد إثبات القاعدة».

وقال: وسمعته يقول لا ترتب بأن تسمي الذات بكل اسم فإنها كل شيء ولا ترتب إن تسميتها بكل شيء.

قال: وسمعته يقول الذات من حيث الأسماء تطلب الظهور والأسماء من حيث الذات

---

(1) سبق تخريجه.

تطلب البطون فإذا بطنت الأسماء في الذات استترت الكثرة. قال: وكنت أغمز الشيخ فقال لي: ما اعتبار الغمازة في الحقائق وتكلم في ذلك بكلام عظيم لم أحفظه.

قال: وقلت له: حصل لي شيء في قوله تعالى ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس: 39]؛ فقال: قبل أن أعلمه بما فهمت رأيت الآخر عين الأول.

وأخبرنا شيخنا رضي الدين أن الشيخ قال له يوم الثلاثاء: هكذا يا صديق الأمر إذا قرب كثر النفس، وقال له: «يا صديق هذا أول النــــزع».

وأخبرنا هو والشيخ محمد المزجاجي أنهما سمعا شيخنا يقول: «أحسن أحوال العبد أن يموت محبًا لله عارفًا به».

وأخبرنا هو قال: كنا نسمع الشيخ يقول: «عباد الله هلموا إلى الله».

قال: وسمعته يقول في معنى قول من قال: «ليس لعارف دعوى ولا لمحب شكوى إلى غير الله»، قال: ليس لعارف دعوى مع الله ولا لمحب شكوى إلى غير الله؛ فقد قال محمد ﷺ: «أنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر»[1].

وقال أيوب عليه السلام: ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾[الأنبياء: 83].

قال شيخنا أحمد الرداد: قول محمد ﷺ: «أنا سيد العالمين»[2] ليس بدعوى وقول أيوب ﷺ ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾[الأنبياء: 83] ليس بشكوى.

وأخبرنا بعض الفقراء أنه سمع الشيخ يقول: من صحبكم أو صحبتموه، أو عرفكم أو عرفتموه، وأحسن إليكم وقصرت هممكم فخذوا بيده وأوصلوه إلى الله.

وأخبرنا بعض أصحابنا أن الشيخ كان يومًا عند قبر ولده المعروف فقال لهم: عندنا أحد يعني من غير الفقراء فقيل: لا فقال: والله لقد عشتم طيبًا والله لولا خشية تقطيع السلاسل لتكلم.

قلت: أشار رضي الله عنه بالسلاسل والله أعلم القيود الظواهر والعقول كأنه يقول: لو تكلمت بكل ما علمت ورأيت من حقائق العلوم ما وسعته العقول والفهوم ولا ظواهر العلوم والرسوم، وإلى ذلك أشار أكابر الصحابة والتابعين.

قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «إن ها هنا ويشير إلى صدره ويتنهد لعلومًا جمة لو وجدت لها حملة».

---

(1) رواه البخاري (4343)؛ ومسلم (287).

(2) رواه الترمذي (3553).

وقال أبو هريرة ﷺ: «حملت عن النبي ﷺ جرابين أما الواحد فبثثته فيكم، وأما الآخر فلو بثثته فيكم لقطع مني هذا البلعوم مجرى النفس»[1].

وقال عليّ بن الحسن بن علي بن أبي طالب زين العابدين -عليهم السلام:

يَا رَب جَوْهَرُ عِلْمٍ لَوْ أَبُوحُ بِهِ لَقِيلَ لِي أَنتَ ممَّنْ يَعْبدُ الوَثَنَا
وَلاسْتَحَلَّ رِجَالٌ مُسْلِمونَ دَمِي يَرَوْنَ أَقْبَحَ مَا يَأتُونَهُ حَسَنَا

وأخبرنا شيخنا رضي الدين أبو بكر الصديق، والفقيه الصالح شهاب الدين أحمد بن عبد اللطيف السرجي وغيرهما، قال شيخنا رضي الدين سمعت الشيخ يقول: «معنى الصلاة على النبي ﷺ من الله الإقبال إليه والتجلي عليه، فليستحضر المصلي على النبي ﷺ في حال صلاته عليه كون الله مقبلا إلى نبيه متجليًا عليه».

وقال الفقيه شهاب الدين سمعت الشيخ يقول: معنى الصلاة على النبي ﷺ الإقبال والتجلي، وقد علمتم أنه ﷺ «يس»، ويس قلب القرآن، فتكون صلاة الله على نبيه ﷺ من وجه الخصوصية صلاة على نفسه، فمن استحضر في حال صلاته على النبي ﷺ هذا كانت صلاته أفضل الأذكار وأجلها وأكملها.

وقال غيرهما: سمعت الشيخ يقول: معنى الصلاة على النبي ﷺ هو توجه باطنه ﷺ على ظاهره.

وأخبرنا الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد المعيبدي أنه رأى الشيخ ﷺ في المنام يقول له: كان النبي ﷺ مظهر نور الحق، وأنا مظهر سر الحق فبعد أن استيقظ قال: فأتى الشيخ قبل أن أحكي له الرؤيا ولا لأحد أبدًا احك لنا ما رأيت الليلة، فحكيت له الرؤيا وأنسيت منها شيئًا، فقال: بقي منها من الرؤيا شيء احكه لنا فأتمها.

قلت: وسمعت شيخنا أحمد يقول: هكذا كان الشيخ إذا قص عليه أحد رؤيا ونسي منها شيئًا فقال له: بقي من رؤياك شيء ولا يزال يردده فيها حتى يكملها.

وأخبرنا الشيخ النجيب برهان الدين إبراهيم ابن شيخنا، والشيخ جمال الدين زين العابدين بن أحمد الرداد، وشيخنا رضي الدين أبو بكر الصديق ابن شيخنا وخليفته واللفظ له.

قال: سمعت الشيخ يقول: البرزخ عالم مستقل بنفسه وله أهل يسكنونه دائمًا أبدًا لا يقبلون الفناء، ومثل من يرد عليهم من الدنيا كمن يرد إلى مكة، فإن وجد بها أحبابًا

(1) سبق تخريجه.

وأصحابًا وأهلاً أكرموه وآنسوه وأنس بهم وانبسط معهم، فلا يجد للغربة ألمًا، ومن يرد إليهم ولم يجد بها لا أحبابًا ولا أصحابًا ولا أهلاً لا يجد من يؤنسه ولا من ينبسط معه؛ فيستوحش منهم ويستوحشون منه ويبقى منزويًا.

قال شيخنا رضي الدين: وقال الشيخ الأرواح في البرزخ تتعاقب عليهم الأحوال كما تتعاقب على الأشباح في الدنيا إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

قلت: قول شيخنا ﷺ: الأرواح في البرزخ تتعاقب عليهم الأحوال؛ يعني تبدل عليهم سنون أحوالهم التي كانوا عليها في الدنيا، ولكن بحسب الصفة الغالبة الراسخة خيرًا كان المقتضى، أو شرًّا إلى يوم القيامة، وقد نص بذلك المحققون.

وأخبرنا بعض إخواننا المريدين أنه زار يومًا مع شيخنا ﷺ المقابر فسمعه يقول: «إذا مات لإنسان أخ أو صاحب فقرأ له «يس وتبارك» فقد أدى جميع حقوقه».

قال: قال لي: وأعرفك أن أصحابي لا يذوقون وحشة القبر بل يكونون مأنوسين في البرزخ، وذلك للصلة التي بينهم وبين الأموات بقراءة القرآن إذا مات منهم أحد ورد على من يعرفه ويؤنسه ويكرمه كما إذا كنت تكاتب آخر في بلد في آخر تهاديه وتكرم من وصل منه، فما يكون إذا قدمت عليه في بلده إلا تجده معروفًا مؤنسًا مكرمًا فلا تجد للغربة وحشة.

قلت: هذه بشارة لنا منه وكرامة لنا به ﷺ والحمد لله رب العالمين.

وأخبرنا أبو بكر بن الفقيه أنه سمع شيخنا ﷺ يقول: البرزخ ثلث المسافة إلى الدار الآخرة، والقيامة الثلثان.

وأخبرنا الشيخ أبو بكر العباصري أنه سمع شيخنا ﷺ يخبر عن البرزخ أنه عالم واسع جدًّا، وأنه ليس لأحد الاطلاع على أحواله كلها، وإنما يعلم منه كل أحد ما أطلعه الله عليه على قدر مرتبته ومقامه.

وأخبرنا الشيخ الكبير بدر الدين حسن بن الهبل نفع الله به أنه كان يكشف له عن الأموات، وأنهم يفرحون بقراءة القرآن لهم، ويشهدون وصول ثواب القراءة لهم ويغار من لم يُقرأ له ممن يُقرأ له.

قال: وكنت كثيرًا ما أعلم الشيخ بهذا، فقال يومًا اعلم أن القرآن صفة الله فإذا قُرئ في أي مكان كان أو في أي زمان اشتمل على الوجود كله فيستوي فيه البعيد والقريب، وله الإحاطة بكل مكان وكون.

وأخبرنا بعض إخواننا المريدين أنه سمع شيخنا يقول: «ما يتعلل بالقدر إلا عليل».

وأخبرنا بعض إخواننا المريدين أنه سمع شيخنا يقول: قال الإمام المحاسبي في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ [الروم: 40] علمت النفس أن الله خلقها ويميتها ويحييها واطمأنت لذلك إلا الرزق فما اطمأن له إلا نفوس الأولياء.

وأخبرنا الشيخ الصالح إبراهيم الأكوع أنه سمع بعض الشيوخ أنه يكون يوم عرفة في بيته مع أولاده لا يفارق بلده، وفي الموقف مع الواقفين بعرفة فاستعظم هذا.

قال: وكنت في أول صحبتي للشيخ فحكيت ذلك للشيخ، فقال: ليس هذا بكثير؟ إن الذي يأكلها عند الولي هكذا، وأخذ حبة ذرة ووضعها في كفه إنما الفخر أن يكون وصفه وصف معروفه، فقد قيل: «لو أن العرش وما حوى والسماوات العُلا والأرضين السفلى في زاوية من زوايا قلب العارف ما أحس بها».

وأخبرنا بعض الفقراء، قال: قلت للشيخ: قد يصلي الولي الظهر هنا وفي مكة وفي بيت المقدس والعراق ومصر، فقال: نعم فإن الدنيا كلها تحت قدم الولي، ويكون في هذه الأماكن كلها بصورته.

وأخبرنا الشيخ برهان الدين إبراهيم ابن شيخنا وغيره أنه سمع شيخنا ﷺ يقول: من أتم عندكم من يرى الشيخ عيانًا أو من تضرب له الأمثال؟ قال: فأحالوا على الشيخ بالجواب، فقال: قالوا من تضرب له الأمثال أتم.

وأخبرنا أخونا القاضي الشهاب عفيف الدين العلوي -رحمه الله- أنه سمع شيخنا يقول: صحبة النبي ﷺ غير مقيدة بهذه الصحبة الظاهرة، كم من صحب له ﷺ.

وأخبرنا شيخنا رضي الدين أبو بكر الصديق ولد شيخنا وخليفته -كان الله له- أن الشيخ كان يأمر من حال عليه أحوال، وهو ثابت مع الله تعالى على حال من أحوال الطاعة، بأن يحمد الله ويأمره بالمصابرة على أحوال الطاعات حولاً.

وقال: فبعد الحول يؤمن عليه إلا في حكم الندور وما أعلم أني ثبت مع الله تعالى على حال حولاً نفقد وما فقدت شيئًا من أحوالي إلا مما لم يحل عليه الحول.

قلت: لأن الحول فيه كمال الزمان لأنه يعمر الفصول الأربعة الخريف، والشتاء، والربيع، والصيف على اختلاف آثارها ولهذا ينتظر بالعيني الحول، واعتبر في وجوب الزكاة وقد أشار إلى هذا الشيوخ ﷺ.

وأخبرنا الشيخ الولي حسن بن الهبل القرشي أنه سمع شيخنا رحمة الله عليه يقول: إذا بقيت توبة العبد ستة أشهر علم أنها من الله، فإن بلغ السنة الثانية تائبًا وجاوزها لم يخف عليه.

وأخبرنا بعض المشايخ أنه سمع شيخنا ﷺ يقول: لا تشغلوا أنفسكم بهؤلاء، يعني الذين يظهرون التوسم بالطريق وهو على غير صحة؛ فالطريق تنبذهم فإن الطريق كالبحر لا يقف فيه إلا الحي، وأما الميت ينبذه.

وأخبرنا شيخنا رضي الدين أبو بكر الصديق أن شيخنا كان إذا سمع عن أحد من هؤلاء بشيء يقول: «لا تعجلوا عليهم فالطريق تأتي بهم».

وأخبرنا بعض الإخوان، قال: قيل للشيخ عن بعض التجار أنه يريد أن يفرق ماله كله ويدخل في طريق أهل التصوف، فقال: حرام على الشيخ أن يأمر الفقير بهذا.

قلت: وقد سبق فيما سمعته منه أنه قال: لا يجوز للشيخ أن يأمر المريد بالخروج عن شيء إلا إذا كان قادرًا على إدخاله فيه، ولا يجوز أن يأمره بالدخول في شيء إلا إذا كان قادرًا على إخراجه منه.

وأخبرنا الأخ الصالح محمد بن الشمس أحد فقراء شيخنا أنه أصبح يومًا مترددًا هل يقدم زيارة القبور مع الشيخ وأصحابه، وحضور مجلس الشيخ وقراءة القرآن معه لأموات المسلمين، أو يقدم قضاء حاجة عرضت له؟ فغلب عليه تقديم الزيارة وحضور مجلس الشيخ. قال: فلما انقضى المجلس قال الشيخ: يعني مكاشفة له، هكذا يا جماعة كونوا قدموا حوائج الآخرة على حوائج الدنيا، فإنكم إن قدمتم حوائج الآخرة على حوائج الدنيا حفظت عليكم حوائج الدنيا والآخرة، وإن قدمتم حوائج الدنيا فاتتكم حوائج الدنيا والآخرة.

وأخبرنا القاضي عفيف الدين العلوي رحمه الله، والشيخ محمد بن الحسام قال العفيف: كنا نسمع الشيخ كثيرًا يقول إذا طرقته الأحوال: ﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ﴾ ويسكن قليلاً، ثم يقول: ﴿إِنَّهُ أَنَا اللهُ﴾.

وقال محمد بن الحسام: أنه سمع الشيخ في سماع يقول بأعلى صوته ﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النمل : 9].

قلت: وقد سمع مثل هذا وصرح به من كثير من أهل الله في حال غلبة ظهور الحق عليه فيكون المتكلم هو الله لا إله إلا هو سبحانه.

وأخبرنا الفقيه الكبير أبو بكر بن محمد أبي حربة يقول في أوقات: أنا الملك، أنا الملك.

وقال الحلاج: أنا الله.

وقال أبو يزيد: ما في الجبة إلا الله.

وأخبرنا شيخنا رضي الدين أبو بكر الصديق ابن شيخنا وخليفته قال: ذكر عند الشيخ الاسم الأعظم فقال: علمني فلان، وذكر بعض العلماء أن أقول بين سنة الفجر وصلاة الفجر: «أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم غفار الذنوب وأتوب إليه»، «ثلاث مرات» فقيل للشيخ: هذا الاسم الأعظم؟ فقال: ما أدري لكني أقول لكم إن جميع ما نحن فيه من الخير والبركة منه.

وأخبرنا الشيخ أبو بكر العباصري أنه سمع الشيخ يقول: قال بعض المشايخ: الأعظم هو الدعاء عند البكاء.

وأخبرنا الشيخ النجيب إبراهيم ابن شيخنا وغيره أنهم سمعوا الشيخ ﷺ يثني على البكاء، ويخبر عن واقعة قيل له فيها: تمن قال: فما تمنيت إلا أن أكون أبكي على شيء، وما بكيت عليه حصل لي، فما بكيت على شيء إلا حصل لي.

قلت: لما كان العبد فقيرًا بالذات إلى كل شيء من الخيرات المحبوبات، وإلى دفع كل شيء من المحذورات والمكروهات، وكان متعبدًا بالدعاء والسؤال في ذلك وأحواله لا غنى بها ضرورة عن ذلك، وكان من حقيقة السؤال ولوازم العبودية إظهار الفقر والعجز والذلة، وكان البكاء من أكبر أحوالها وأشهر آثارها كان إذا أكثر الوسائل وأوجب حصول المسائل، ولا يكون البكاء إلا عند انكسار القلب، «والله عند المنكسرة قلوبهم»[1]، وناهيك بها فكيف لا يكون الدعاء عنده مستجاب، أم كيف يبقى مع هذه العندية حجاب.

وفي فضل البكاء روي عن سفيان الثوري -رحمه الله- أنه قال: «ولو أن محزونًا بكى في أمة لرحم الله تلك الأمة»[2].

وأخبرنا العباصري أن شيخنا ﷺ سمعه يدعو فقال: إذا دعوت فلا تدع هكذا يعني لا تجر في الدعاء جريًا، ولكن إذا دعوت فقف ساعة لتسمع الإجابة.

قال: فقلت له ليس لي هذا، وإنما هذا لك، فقال: ادع كما قلت لك.

قلت: قال الشيخ محيي الدين بن العربي: اطلب الإجابة إذا دعوت الله فإنه لا يجيب من لا يطلب منه الإجابة، وإن دعاءه كلا دعاء.

قلت: فعلى هذا يكون طلب الإجابة شرطًا في حصولها، والإجابة التي هي لبيك إذا

---

(1) رواه البيهقي في «الزهدالكبير» (162/2) بنحوه.

(2) ذكره عبد الله بن عدي في «الكامل» (85/2).

قال العبد: يا رب، وقد فعلت إذا قال العبد أسألك كذا يكون مسموعه كما قال شيخنا أبو المعروف لأهل الخصوص وغير مسموعة لأهل العموم.

وأخبرنا أيضًا العباصري أن شيخنا -قدس الله سره- سمع أن بعض المحققين قال: العطاء بالسؤال يحاسب الله عليه، والعطاء بلا سؤال لا حساب عليه، فقال ﷺ: «العطاء بالسؤال عن الأمر لا حساب عليه»، فقيل له: كل سائل قد أمر بالسؤال قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60]؛ فقال: هذا أمر عام والذي أردته هو الأمر الخاص.

وأخبرنا أبو القاسم الأمين أنه سمع شيخنا وسئل ما أفضل الذكر؟ قال: ما حضر فيه القلب.

وأخبرنا الشيخ برهان الدين ابن شيخنا شهاب الدين أحمد الحجازي أنه سمع شيخنا يقول: حقيقة العافية ألا يتستر الله عنك طرفة عين.

وأخبرنا الشيخ رضي الدين العباصري أنه سمع شيخنا ﷺ يروى قوله ﷺ: «شيبتني هود وأخواتها»[1]، وأن الذي شيبه منها قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [هود: 112].

قال: وقال الشيخ: كان النبي ﷺ مستقيمًا كما أمر، وإنما كان خائفًا هل استقامته على خدام الله أم لا.

قلت: ذكر الإمام عبد الله الترمذي الحكيم أن أخوات سورة هود ما أشبهها من السور مثل (الحاقة، وسأل سائل، وإذا الشمس كورت، والقارعة)؛ ففي تلاوة هذه السور ما ينكشف لقلوب العارفين سلطانه وبطشه، فتذهل منه النفوس وتنشق منه الرؤوس.

وأخبرنا الفقيه شهاب الدين أحمد السرجي، والشيخ جمال الدين محمد المزجاجي أنهما سمعا شيخنا أبا المعروف يدعو بهذا الدعاء: «اللهم أنت الأحد بذاتك، أنت الواحد بصفاتك ذات العظمة ذاتك، صفات الكرم صفاتك، آيات الحكم آياتك، علامات القدرة علاماتك، ما أعظم شأنك، ما أقوى سلطانك، ما أتم برهانك، ما أوسع جودك وامتنانك تعالى جدك، تعالى مجدك، تعالى قدسك، تعالى قدرك، تعالى سرك، أنت الله لا إله إلا أنت».

وأخبرنا أحمد السرجي -رحمه الله- من كتابه أنه ذكر قول الفقيه الكبير الولي

(1) رواه الترمذي (3296).

الشهير محمد بن عمر بن حشيبر: «وأنا من الغرباء» في بعض مجالس الشيخ قال: فقال الشيخ: انقلوا عني أن الغريب عند أهل الله المحققين هو الذي يأتي من الله بما لم يأت به غيره في زمانه، وهذا من بعد الوصول، قال: وتكلم بكلام كثير عجيب غريب بعد هذا لم أستحضره، قال: وسمعت الشيخ أيضًا يقول: يا فقراء أخبروني من الغريب الذي تعنيه الطائفة في اصطلاحهم الذي ذكره ابن حشيبر والشيخ أبو الغوث؟ فلم يجبه أحد، فقال: الغريب في اصطلاح الطائفة: من يأخذ العلم بذات الله من الله، فعلى هذا لا يسمى من يأخذ العلم بصفات الله غريبًا.

وأخبرنا الشيخ بدر الدين حسن بن الهبل القرشي قال: قال لي الشيخ: يا حسن من أوسع، معارف النكرة، أو معارف التعريف؟ فقلت معارف النكرة أوسع، ومعارف التعريف أبين، فقال: نعم.

وأخبرنا أبو بكر العباصري أنه سمع شيخنا ﷺ يقول: «ما تفاوت الناس إلا بالمحاتد منهم من تخلق من اسم، ومنهم من تخلق من اسمين وثلاثة وعشرة ومائة».

وأخبرنا شيخنا رضي الدين أبو بكر الصديق وأخونا الشيخ الولي العارف بالله أبو الفتح ابن الإمام زين الدين المراغي وغيرهما أن شيخنا ﷺ كان يقول: «يبلغ الرجل إلى أنه يملأ ذكره ما بين الخافقين، ويعطى من الكرامات وهو لا يساوي عند الله جناح بعوضة».

قلت: ويروى عن قضيب البان أنه كان يقول في رجل: إنه ربع رجل، وفي آخر أنه ثلث رجل، وفي آخر أنه نصف رجل، وفي آخر أنه رجل كامل، وفي رجل أنه يملأ صيته ما بين المشرق والمغرب، وهو لا يساوي عند الله جناح بعوضة.

وأخبرنا شيخنا أحمد الرداد أفادنا الله بفوائده قال: ذكر لنا الشيخ -قدس الله سره- الفقيه عبد الله بن أبي القلقل بقافين مكسورتين -رحمه الله- كان قبل أن يصحبه، ويقبل على طاعة الله تعالى فحيش الخلق، وفي وجهه من ذلك شيء وفيه شيء من سواد، فلما صحب الشيخ وأقبل على طاعة الله حسن، فحسن وجهه واستنار وبقى على ذلك إلى أن درج إلى رحمة الله تعالى.

وأخبرنا الفقيه القاضي عفيف الدين العلوي- رحمه الله- قال: كنا جماعة عند شيخ فذكروا من أقوال المشايخ في النصب على النصب، واللبس على اللبس، والتحكيم على التحكيم ما أضبطه، فقال الشيخ: لا يجوز النصب على نصب شيخ آخر، قال: فسألته فسرى عن جواز انتقال فلان من شيخه فلان إليه وذكرهما.

قال: فالتفت إليَّ يعني مكاشفًا لي ما خطر ببالي من السؤال، وقال: قد يفتح الله

على المريد بما لا يبلغه شيخه ولا يعلمه، فإن كان في ذلك الزمان على شيخه أكمل من ذلك الشيخ، تعين على الشيخ الكامل طلب ذلك المريد، ووجب على شيخه تسليمه إليه، وإن لم يكن في ذلك الزمان شيخ أكمل من ذلك الشيخ؛ وجب على المريد طلب شيخ كامل، فإن لم يجد ووقف عند شيخه أجرى الله له التربية من حيث لا يعلم.

قال العفيف العلوي: التفت إليّ الشيخ أكثر من مائة مرة تحقيقًا وتفهيمًا إليّ أنه قد أطلع على خاطري.

وأخبرنا الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد المعيبدي أن شيخنا ﷺ حين بلغه موت الكبير العارف بالله تعالى أبي بكر بن سلامة سُئل عن سر الولي إذا مات هل يشترك أولاده فيه علم حكم الميراث، ما حكمه؟ فقال: أما ما يكون للولي من نتائج الأعمال والأحوال فهو لأولاده، وأما المرتبة فأمرها إلى الله يوليها من يؤهله لها من أولاده أو من غيرهم، كهذه الولايات لأرباب الدولة كالوزارة وغيرها، إذا مات أحد من الولاة كان كسبه من المال وخلع الملك وهباته لأولاده.

وأما المرتبة فتكون إلى نظر السلطان إن كان في أولاده من يستحقها ويتأهل لها جعل فيها مكان أبيه، وإن لم يكن فيهم من يتأهل لها أولاها السلطان من أراد.

وأخبرنا الشريف الكبير العالم شهاب الدين أحمد الفاسي المكي بشعب المعلاة في مشينا لزيارة أهل الأبطح قال: اجتمعت بالشيخ إسماعيل في عام ست وثمانين وسبعمائة، فجئته يومًا وقد وقع عندي أن أتجرد وأردت مشاورته في ذلك، فلما دخلت عليه المسجد قال للفقراء قبل أن أتكلم: العين ما لم يستقر ماؤها، وما دام يضطرب فيها يمينًا وشمالاً لا يقدح، ففهمت أن مراده جوابي أن المريد مادامت الخواطر تتواتر عليه بالورود لا يتجرد.

قال: وقال لي يا أحمد حجابك عن الله اثنتان حب النساء، وحدة الخلق، قال: ولم أكن قد علمت من نفسي محبة النساء ولا حدة الخلق فما كان إلا أن تزوجت، فوجدت ما قال الشيخ من محبة النساء وحدة الخلق.

وأخبرنا بعض أصحابنا الصادقين عن بعض إخواننا الصالحين أن شيخنا ﷺ قال سورة: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾، ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ﴾، مفاتيح الرزق، وفي رواية: «ألم نشرح لك ولإيلاف».

وأخبرنا شيخنا رضي الدين عن شيخنا وخليفته قال: سمعت الشيخ يقول كان الفقيه عليّ بن موسى إذا سئل عن شيء ولم يكن عنده له جواب يقرأ ﴿فَسُبْحَانَ اللهِ

حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ إلى ﴿وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم 17- 19]ويجيب وربما يعيد قراءتها مرتين، أو ثلاث.

قال شيخنا أحمد الرداد: وسمعت شيخنا يقول: إن هذه مفاتيح الغيب.

وأخبرنا شيخنا أحمد الرداد -أفاض الله علينا من بركاته- والشيخ النجيب إبراهيم ابن شيخنا ولفظه قال: سمعت الشيخ يقول: «ادفع همك بالله فإن الهم لا يندفع بالهم»، ولفظ شيخنا أحمد الرداد: «ادفع همك بالله ولا تدفع همك بهمك فإن الهم لا يندفع بالهم».

وأخبرنا شيخنا الصالح أبو القاسم ابن الشيخ عيسى السراج السلامي أنه سمع شيخنا ﷺ يقول: «إن الله يغضب لأولياء وإن لم يغضبوا».

وأخبرنا بعض الإخوان قال: قال لي الشيخ: لا تجالس أولياء الله إلا بالأدب، فإنهم جواسيس القلوب.

وأخبرنا بعض إخواننا أنه تعلق ببعض الأسماء، فكاشفه الشيخ، وقال له: «اذكروا الله لله لا كمن يأتي بجمعة ريحان يريد عليها درهمًا».

وأخبرنا بعض الإخوان أن بعض المشايخ انقطع إلى اسم الله تعالى الوكيل وأدام ذكره ووجد فيه ذوقًا حسنًا فنابته نائبة فتوجه فيها بهذا الاسم، فلم يجد له أثرًا فأهمه أمرها، فجاء إلى الشيخ فبدأه الشيخ بأمره، وقال له: قد من ينقطع إلى اسمه تعالى الوكيل؛ فإذا جاء المقدور بما لا يريد لم تصح عنده وكالته، وكرر عليه هذا القول فزال عنه الاهتمام بذلك الأمر جملة ولم يبق فيه من أثر.

وأخبرنا عفيف الدين العلوي- رحمه الله- قال: سمعت الفقيه عمر الجنبة يقول: سمعت الشيخ قديمًا يقول: «الأولياء على ثلاث مراتب: منهم من لا يطلع على سيئات مريده ولا يقدر على حفظهم، ومنهم من لا يطلع على سيئاتهم ويحفظون به، ومنهم من يطلع على سيئاتهم ويحفظهم وأنا اليوم أطلع وأحفظ».

وأخبرنا الشيخ النجيب إبراهيم ابن شيخنا ﷺ والشيخ الولي ناصر الدين إبراهيم بن أبي القاسم بن مريعد أن شيخنا ﷺ قرأ عنده قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لاَ يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا﴾ [الدخان: 41] فقال: هذا في حق أناس، وأما نحن ففتح علينا في هذا طريق إليه.

وأخبرنا الشيخ الكبير الولي الشهير رضي الدين سليمان بن محمود البنجالي أحد أكابر شيوخ الهند في اجتماعي به بعدن في وصوله من الحج أنه صحب شيخنا مرة وذكر لي أشياء مما رواه وسمعه منه، قال حضر العشاء فامتنعت من الأكل من الشبع، فقال لي

الشيخ: «يا سليمان كُل فإن طعام الفقراء لا يضر».

وأخبرنا إبراهيم ابن شيخنا أن الأمير غياث الدين عيسى بن حسان -رحمه الله- أخبره بقصة فيها أن الشيخ قال له: أما علمت أن أيدي الفقراء مدبغة تطهر النجس، وتقلب الأعيان.

وأخبرنا شيخنا محيي الدين أحمد الرداد كثر الله فوائده، فيما قرأته عليه وسمعته منه غير مرة قال: قال لي الشيخ وأنا أماشيه في بعض الطرق: ما تقول يا فلان هل يجوز الاتصاف بصفات الذات؟ فقلت: الله أعلم، فقال: اختلف أهل المعرفة في ذلك، فمنهم من أجازه، ومنهم من لم يجزه، وأنا اليوم أصبحت قائم قيومًا.

وأخبرنا الأخ الصالح الشيخ الولي جمال الدين محمد بن إسحاق القرشي قال: سمعت الشيخ إبراهيم الجبلي، والشيخ حسين بن الهبل يقولان سمعنا الشيخ يومًا يقول: «أصبحت اليوم قائمًا قيومًا».

قلت: التخلق بأخلاق الحق غير صفات الذات جائز، بإجماع الشيوخ ﭫ، والتخلق بصفات الذات جائز عند المحققين، قال بعض الأكابر المحققين من أهل الله تعالى: فيتخيل من لا معرفة له بالحقائق أنها -يعني القيومية- من خصائص الحق ولا فرق عندنا بينها وبين سائر الأسماء الإلهية كلها في التخلق بها على ما يعطيه حقيقة الخلق، كما هي لله بحسب ما تعطيه ذاته تعالى وتقدس.

وأخبرنا بعض الأصحاب عن الطبقة الثانية من أصحاب شيخنا ﭬ أنه سمع الشيخ يقول: كنت في أيام البداية ألعب مع الشباب، فإذا خطر بقلبي غير الله صرخت تضرعًا إلى الله ألا يخطر بقلبي سواه، فيقولون: اسمعوا صوت إسماعيل طرب للعب.

وأخبرنا الشيخ أبو بكر العباصري أنه سمع الشيخ يقول: «وقفت سبع سنين لا يخطر بقلبي شيء غير الله في الصلاة» يعني: في أيام البداية.

وأخبرنا الشيخ محمد بن الحسام أنه سمع شيخنا يقول: كنت أنا وأصحابي في البداية، وكانوا يصومون، ويقومون وكنت آكل، وأشرب، ولكني كنت شارحًا يعني حارسًا على قلبي فسبقتهم ورحت وخليتهم.

وأخبرنا شيخنا أحمد الرداد، والفقيه العالم النجيب شهاب الدين أحمد ابن القاضي نور الدين عليّ النويري القرشي المكي واللفظ له، أنهما سمعا شيخنا ﷺ يذكر أيام البداية، وأنه قال: أتى عليه من قبض الوقت وضيق الحال أنه كان إذا صلى تكاد عورته تبدو من ضيق إزاره، قال: فخرجت مرة من المسجد يعني في تلك الأيام، فلقيني رجل على باب

المسجد فناولني قرطاسًا كبيرًا، وقال لي: خذ هذا يا إسماعيل، فقلت له: ما هذا ؟ فقال:هذا الكبريت الأحمر، الذي إذا طُرح على كذا، وكذا قنطارًا من النحاس صار ذهبًا، فقلت: ما أريده، قال: فما تريد؟ قلت: ما أريد إلا الله ﷻ.

قال شيخنا أحمد: أخبره الشيخ أن الذي أعطاه الكبريت الأحمر هو الخضر ﵇.

وأخبرنا بعض المريدين أنه سمع شيخنا يقول: «إذا وقع على المريد فترة وهو مع الجماعة لم يخف عليه، وإن انفرد خيف عليه».

وأخبرنا الشيخ أحمد الحجازي أن الشيخ قال له: عليك بالسهر وإن لم تكن تعتاده، فالمراد: الاستيقاظ وإن استطعت لا يكون آخر الليل إلا مستيقظًا فافعل، فذلك وقت اجتماع العالمين عالم الغيب وعالم الشهادة، وحصول الفيض الإلهي.

قال: وسمعته يقول: ما عقد قط عقد ولاية إلا بالليل.

وأخبرنا الشيخ جمال الدين محمد المزجاجي أنه سمع شيخنا يقول: ما عقدت ولاية ولي إلا بالليل.

قلت: قال بعض مشايخنا الأكابر المحققين: «الليل محل التجلي الإلهي، والنزول الرباني، فإن الحق ما جعل تجليه لعباده في الحكم الزماني إلا في الليل، فإن فيه ينزل ربنا، وفيه كان الإسراء برسول الله ﷺ وفيه معارج الأرواح في النوم لرؤية الآيات».

وأخبرنا أيضًا هو والشيخ إبراهيم ابن شيخنا وأحمد الحجازي أنهم سمعوا شيخنا ﵁ يقول: أعظم نعمة أنعمها الله بعد نعمة الإيمان تلاوة القرآن واجتماع الإخوان.

وأخبرنا الشيخ الصالح محمد بن أبي بكر الموزعي أنه سمع الشيخ يقول: من أعطى ثلث القرآن فقد أعطى ثلث النبوة، ومن أعطى ثلثين فقد أعطى ثلثين، ومن أُعطى القرآن فقد أدرجت النبوة بين كتفيه.

وأخبرنا بعض الإخوان أنه سمع الشيخ يقول كل من يصحبني لا يمكنني أصحبه إلا على ما فيه.

وأخبرنا النقيب الصالح عمر المستريح أنه سمع الشيخ أبا بكر بن سلامة الموزعي يقول لشيخنا: أصحابك يصحبونك ويموتون في صحبتك، ولا ينفر أحد عنك، فقال له الشيخ: أسقطت حقوقي عنهم من حيث لا يعلمون، وأقمت حقوقهم عليَّ من حيث لا يعلمون.

وأخبرنا شيخنا رضي الدين ولد شيخنا وخليفته، أن شيخنا ﵁ كان إذا علم من حال المريض بشدة التعلق به لا يدخل عليه ليتعلق المريض بالله وليجمع همه على الله تربية

له وإعلاءً لهمته، ونحن كنا إذا مرضنا -يعني أولاده- يقول لنا: تعلقوا بالله فهو أقرب إليكم مني، قال الله تعالى ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: 16] وقال: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: 186].

وأخبرنا الشيخ سالم بن حسين أنه سمع رجلاً يسب الأولياء فغضب غضبًا شديدًا، فدخل مسجد الشيخ وهو في اضطراب عظيم من الغضب، فاطلع الشيخ على حاله كشفًا فخرج إليه من البيت في ثوب واحد قد جعل طرفيه في يديه مسرعًا قال: فقال لي: يا سالم! قال رسول الله ﷺ: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال»[1]، وكرر هذا الحديث عليَّ ثلاثًا، فزال عني ما عندي من الغضب.

وأخبرنا الشيخ الكبير جمال الدين محمد بن محمد المزجاجي قال: سمعت الشيخ -قدس الله سره- يقول: مررت ببعض الناس، فلما جاوزتهم وجدت في خفة عظيمة جنينا مندوقًا، فرجعت على أثري متعجبًا من ذلك الحال، فأخبرني شخص أنهم وقعوا فيَّ، فعلمت أن تلك الخفة من تخفيف الذنوب، قال: وكان هذا في أيام البداية.

ومما سمعت عنه في فضل زبيد، أخبرنا شيخنا رضي الدين ابن شيخنا وخليفته أنه سمعه يقول: يكون الأموات من داخل باب سهام في حالة، وبعد أن يخطى بهم أحجار الباب في حالة غيرها قال فقلت له: ما سبب ذلك؟ فقال: يتلقونهم أهل المقابر ويشفعون لهم.

وأخبرنا الشيخ إبراهيم ابن شيخنا أنه سمع الشيخ يقول: قالوا إن مسجد الأشاعر مدبغة الذنوب، فمن داوم على الصلاة فيه صحت توبته.

قلت: وقد تقدم فيما سمعته أني سمعت شيخنا ﷺ يقول: «لا يقام صلاة العصر فيه -يعني: الأشاعر- إلا وقد اجتمع أربعون صديقًا عشرون من البادية وعشرون من أهل البلد».

أخبرني شيخنا رضي الدين أن بعض الأولياء أظنه قال الفقيه الكبير عبد الرحمن بن زكريا قال: إن هؤلاء الأربعين: هم من أصحاب الشيخ والحمد لله.

وأخبرنا بعض الإخوان أنه سمع الشيخ يقول وصلاة الصبح أيضًا يعني يجتمع فيها أربعون صديقًا في مسجد الأشاعر.

وأخبرنا شيخنا رضي الدين الصديق ابن شيخنا وغيره أنهم سمعوا الشيخ يقول: قال

---

(1) سبق تخريجه.

بعض المؤرخين: إن في مقبرة باب سهام تسعة آلاف ولي، وانظروا إلى ما أتى بعده.

وأخبرنا الشيخ العالم الولي سفيان بن عبد الرحمن الحنفي والشيخ العالم الصالح إبراهيم الجحوي، والفقيه العالم أحمد بن عبد اللطيف السرجي، وشيخنا رضي الدين أبو بكر الصديق أن شيخنا ﷺ تكلم معه بعض أصحابه في الأخذ من النبي ﷺ بغير واسطة، والأخذ منه بواسطة إبراهيم عليه السلام، وقال: إن الأخذ منه ﷺ بغير واسطة أتم.

فقال شيخنا: الأخذ منه ﷺ بواسطة إبراهيم عليه السلام؛ لأن الآخذ من النبي ﷺ إنما يأخذ على قدر استعداده وقبوله، وإبراهيم ما أخذه من النبي ﷺ على قدر استعداده وقبوله واستعداده أتم وقبوله أكمل، والأخذ بواسطة إبراهيم أتم استعدادًا وأكمل قبولاً من الذي يأخذ بغير واسطة لا يستعد لما أخذه إبراهيم عليه السلام.

قلت : كان بحث هذا الرجل مع شيخنا في هذه المسألة مطلقًا من غير تقييد الأخذ ومقامه، فتكلم الشيخ معه بذلك ولا شك في أن الآخذين من النبي ﷺ من هذه الأمة، لا بدَّ أن يصادف أخذهم في فتحه شيئًا مما قد كان في شرع نبي من الأنبياء - عليهم السلام- مما قررته شريعة نبينا محمد ﷺ وثبت بتقرير ما، فإنها تضمنت جميع الشرائع فيكون ذلك النبي واسطة إلى محمد ﷺ في ذلك ويكون أخذه بواسطته فينسب حينئذ إلى ذلك النبي فيقال فيه إبراهيمي؛ إن كان ما أخذه مما هو في شرع إبراهيم عليه السلام، أو موسوي، أو عيسوي، ولهذا الحكم يكون أخذ ما هو في شرع أحد الأنبياء كإبراهيم عليه السلام بواسطته أتم، فإن حاله ومقامه يحكم عليه، فيكون أخذه على قدر حاله ومقامه، وأين استعداد الولي من استعداد النبي؟ وأين حاله من حاله؟ وأين مقامه من مقامه؟ بل لا يصح أخذه لذلك إلا بواسطة عَلم ذلك أو جهله، وهذا منشأ بحث الرجل، وما بقي بعد ذلك إلا الخصائص المحمدية التي اختص بها محمد ﷺ من الله دون سائر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، فيكون أخذها بغير واسطة لشخصين: شخص أخذ من هذه الخصائص أمرًا ما بقدر حاله ومقامه فلا يقال فيه أن أخذه أتم ممن يأخذ بوساطة أحد الأنبياء مطلقًا، والشخص الآخر هو الذي كملت له الوراثة المحمدية وجاز جميع المقامات، وحاز جميع الكمالات ونال المقام الأتم الأكمل الأعم ورجع إلى المقام، فهو المحمدي الكامل الذي أخذه بغير واسطة أتم قطعًا حقيقة وشرعًا، وهذا لا يعرف عن علم شيخنا، بل حاله ومقامه ﷺ وقد جرت عادة الشيوخ ﷺ أن يتكلموا مع دونهم بلسان حالهم ومقاماتهم كما كان ﷺ مع أصحابه وحتى كتم من أكثرهم ما كتم وكتم عن كتم منهم ما اختصه به من الخصائص خوفًا من أن يقولوا كافر ومن قطع البلعوم.

وقد أشار شيخنا ﷺ إلى شيء من ذلك بقوله ما أتكلم مع أحد فيما أنا فيه، بل فيما هم فيه.

وأما الأخذ من الله فلا بدَّ فيه من الوسائط، وبذلك تعبدنا فما تعبد الله خلقه إلا بما جاءت به من الوسائط وهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم الذين قال فيهم وفي هذا المعنى قال شيخنا وشيخ الإنس والجن والملائكة عبد القادر الجيلاني ﷺ: فالأنبياء رضعاء أثداء غيب الأزل، وندماء مخاطب سر الوحي وطمساء حضرة القدس، وسفراء وجوه الحق فما قام داووق عز في الأفق الأعلى إلا لجلالتهم عُقد لواه، ولا مُد بساط مجد في المقام الأعلى الأسنى إلا على مهابتهم تسجت أركانهم، ولا سكن صوامع القدس الأشرف شيخ نوري إلا كان له من جلالهم جليسًا، ولا آوى إلى مطل التسبيح الأرفع لطف معنوي إلا كان له بهاؤهم أنيسًا، ولا رقى صديق صاعدًا إلى مقامات القرب إلا كانت بقواهم معارجه ولا سلك ولي سائر إلى مولاه إلا كانت في مناهجهم مدارجه، ولا رُفع علم كرامة لبشر لا كان شرفهم عماده، ولا شيد بنيان مكانة لعبد إلا كان تأسيس أثرهم تأثيله، انتهى كلامه ﷺ.

وإن أخذ، أخذ من الله ما يرى أنه بخصوصية له، أو من الوجه الخاص الذي لكل أحد من الله فهو مما استولى عليه سر نبيه محمد ﷺ فإنه بجمعية مرتبته وكمال صورته التي هي مخلوقة على صورة الحق، وشمول خلافته لكل خليفة عن الله واسطة للوسائط والخصائص، فهو مظهر الألوهية الجامعة لجميع الأسماء والصفات، مجلى تجليات الذات، مفيض الفيض الأقدس، والنور المقدس على القوابل والاستعدادات.

صلى الله عليه صلاته الخاصة به منه عليه، وسلم بالسلام العائد منه إليه.

ثم الأخذ بالوسائط أتم فإنه يكون على قدرهم وأين قدر الولي من قدر النبي ﷺ؟ وإلى ذلك أشار العارف الأكبر أبو يزيد ﷺ بقوله لبعض مريديه: لأن ترى أبا يزيد مرة؛ خير لك من أن ترى الله ألف مرة، فقول أبي يزيد هذا، هو من أن تجلى الحق سبحانه لأبي يزيد على قدر علمه بالله واستعداده، وقبوله واعتدال مزاجه وكمال مرآته، فلأن يرى المريد الله تعالى في مرآة أبي يزيد مرة، خير له من أن يراه في مرآة نفسه ألف مرة، ثم الأخذ بالوسائط أيضًا انضمام أسرارهم إلى سر الآخذ بهم وقواهم إلى قوته.

كما روى عن أبي عبد الله بن خفيف أنه مر على بغداد حاجًا، فخطر به زيارة الجنيد ﷺ وأخذ اليد منه فقال: لا أجعل ذلك ضمنًا في عمل من الأعمال فلما قضى حجه قصد زيارة الجنيد فجاء وقد مات، فلقي أبا محمد رويمًا أحد أصحاب الجنيد فأخذ

وأخبرنا بعض الإخوان الذائقين أن سائلاً سأل في حضرة الشيخ عن رجلين وصلا إلى الله، فوقف أحدهما مع الله، ورجع الآخر إلى الخلق وإلى ما هم فيه وعليه، أيهما أفضل؟ فقال الشيخ ﷺ: الذي رجع إلى الخلق أكمل لأنه رجع إلى الخلق بالحق.

وأخبرنا أيضا أنه سمع شيخنا ﷺ يقول: أنا أحب أن أدعو لغيري ليحصل لي مثل ما أدعو به، لقول رسول الله ﷺ: «وإذا دعا أحدكم لأخيه بظهر الغيب أمنت الملائكة، وقالت: ولك مثله»[1].

قال: وسمعته كثيرًا يطلب الدعاء ممن كان ويوصي فيه لأجل هذا.

وأخبرنا أيضا أنه سمع الشيخ يقول: ما من نعمة أحسن بعد الإيمان من اجتماع الإخوان على قراءة القرآن.

وأخبرنا أيضًا أنه سمع الشيخ يقول: بالله يا فقراء هل ترضون أن تكونوا عبيد النعم، لا بالله عليكم لا تكونوا عبيد النعم بل كونوا عبيد المنعم. ما أنعم الله به عليكم اطلبوا غيره، فما والله انقطع عن الله من انقطع ووقف من وقف إلا من هذا.

وأخبرنا الشيخ الصالح إبراهيم الأكوع قال سمعت الشيخ يدعو: اللهم إني أسألك أنت فلا تحول بي دونك ولا تقطعني عنك.

وأخبرنا الشيخ الصالح أحمد بن أحمد المعيبدي أن شيخنا -قدس الله سره- ذكر له شخص من الفقراء وأنه يفعل شيئًا لا يليق بطريق الفقراء لكنه يتردد إلى مسجد الشيخ، وإلى الجماعة ومجالسهم لا يفارقهم، فقال الشيخ: من لازم الجماعة وتردد إليهم لا يضره ما كان منه، ومن فارق الجماعة وانفرد لا يُؤمن عليه ولو كان منه من الصالحات ما كان.

وأخبرنا أيضًا أنه كان مع شيخنا -قدس الله روحه- في سماع فسمع القوال يقول:

وَمَا سُفْنُنَا إلا القَواضِبُ والقَنَا ... إذَا مَا رَكِبْنَا فَوقَ مقْوَدة ضمرًا

فحصل عليه حاصل عظيم وتحرك حركة عظيمة عجيبة طويلة، وكان يدور ويدار منا حتى جاء البناء، وكنت أنا وولده الصديق الشيخ والشيخ إبراهيم بن مريفد، وقال لنا: من يتكلم على معنى هذا البيت وأشهد له بذلك عند الله، فلم يتكلم منا أحد؛ فتنحى عنا وتوسط حلقة السماع، وقال الأسماء مراكب المحققين، والصفات مراكب العارفين.

وأخبرنا أيضًا نفع الله به أنه جاء ليلة مع شيخنا أدام الله ذكره بعد هوى من الليل بيت الأمير الغياث -رحمه الله- وكان معهم الشيخ إبراهيم الأكوع وأبو القاسم الحجري

---

(1) ذكره المناوي في «فيض القدير» (343/1) بنحوه.

خادم الشيخ بمشيان قبل دابة الشيخ.

وقال: وكنت أمشي خلف الشيخ قريبًا منه، فلما بلغنا الموضع وذكره رأيت الشيخ وهو على دابته متوجهًا إلي مقبل بوجهه الكريم عليّ وأنا وراءه؛ فحصل عليّ هيبة عظيمة واستمر على الحال كذلك وأنا أشهده كذلك يشهد للشيخ وجهًا في قفاه، فوقع في نفسي أن هذا الأمر الذي أشهدني الله إياه ببركات الشيخ.

حكمته: أنه من سر وراثته لأحوال رسول الله ﷺ هم ورثة أحواله وأنه ينبغي للمريد أن يلزم الأدب والاحترام مع شيخه حضورًا وغيبة، لأنه مطلع عليه في غيبته وأن سر سيدي الشيخ بذلك تنبيه على هذا ثم انستر ذلك الحال حال نزوله عن دابته على باب بيته، فبعد أيام حكيت له هذه الواقعة ولم أذكر ما وقع لي في حكمة ما رأيت فقال لي: فما وقع لك في ذلك فحكيت له، فقال: هذا فائدة هذه المشاهدات وإلا لو أشهدك الله من هنا إلى مكة ولم يقع لك حكمة ذلك فلا فائدة فيه، بل في أول رؤية هذا تقوية لقلوب المريدين، فإذا وقع مثل هذه الحكم كانت طريق العارفين.

والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

فهرس المحتويات

تقريظ 3
المقدمة 7
مقدمة في الكرامة وما يتعلق بها 9
التعريف بالشيخ المترجم له 19
مصنف الكتاب 21
شاذج من صور المخطوط 23
مقدمة المصنف 25
باب الكتاب ومنه يكون الدخول إلى معرفة وضعه على بينة وصواب 32
القاعدة الأولى إثبات الكرامات للأولياء 35
القاعدة الثانية وجوب التصديق بالكرامات والعلوم الإلهيات 83
القاعدة الثالثة إثبات ما جاز كونه للأول أن يكون للآخر 103
القاعدة الرابعة النظر في حكايا المواهب والكرامات التي تثير الهمم إلى طلب المراتب العاليات 112
فصل جليل 113
فصل في حُسن الظن 117
فصل في عُلو الهمّة وطلب الأعلى 122
فصل في ذكر طريقته إلى الله سبحانه وتعالى . 139
فصل في تتمة من صفته 150
فصل في ذكر من صحبه من ملوك اليمن الغسانيين 151
فصل في ذكر من صحبه شيخنا من سادات شيوخ اليمن وأكابرهم 153
فصل لذكر الأئمة الحفّاظ المحدثين المتهدين لشيخنا 156
فصل في ذكر لبسه رضي الله عنه 162
فصل في ذكر نسبه ومولده وحياته ووفاته .. 170

قسم الكرامات

الكرامة الأولى 173
الكرامة الثانية 173
الكرامة الثالثة 173
الكرامة الرابعة 174
الكرامة الخامسة 174
الكرامة السادسة 175
الكرامة السابعة 175
الكرامة الثامنة 175
الكرامة التاسعة 176
الكرامة العاشرة 176
الكرامة الحادية عشرة 176
الكرامة الثانية عشرة 177
الكرامة الثالثة عشرة 177
الكرامة الرابعة عشرة 178
الكرامة الخامسة عشرة 178
الكرامة السادسة عشرة 178
الكرامة السابعة عشرة 179
الكرامة الثامنة عشرة 179
الكرامة التاسعة عشرة 179
الكرامة العشرون 180
الكرامة الحادية والعشرون 180
الكرامة الثانية والعشرون 180
الكرامة الثالثة والعشرون 180
الكرامة الرابعة والعشرون 181
الكرامة الخامسة والعشرون 181
الكرامة السادسة والعشرون 182
الكرامة السابعة والعشرون 182
الكرامة الثامنة والعشرون 183
الكرامة التاسعة والعشرون 183
الكرامة الثلاثون 184
الكرامة الحادية والثلاثون 184
الكرامة الثانية والثلاثون 185
الكرامة الثالثة والثلاثون 185
الكرامة الرابعة والثلاثون 185
الكرامة الخامسة والثلاثون 185
الكرامة السادسة والثلاثون 186
الكرامة السابعة والثلاثون 187
الكرامة الثامنة والثلاثون 187
الكرامة التاسعة والثلاثون 188
الكرامة الأربعون 189
الكرامة الحادية والأربعون 189
الكرامة الثانية والأربعون 189

الكرامة الثالثة والأربعون 190
الكرامة الرابعة والأربعون 190
الكرامة الخامسة والأربعون 190
الكرامة السادسة والأربعون 191
الكرامة السابعة والأربعون 191
الكرامة الثامنة والأربعون 191
الكرامة التاسعة والأربعون 192
الكرامة الخمسون 192
الكرامة الحادية والخمسون 192
الكرامة الثانية والخمسون 193
الكرامة الثالثة والخمسون 193
الكرامة الرابعة والخمسون 194
الكرامة الخامسة والخمسون 194
الكرامة السادسة والخمسون 195
الكرامة السابعة والخمسون 195
الكرامة الثامنة والخمسون 195
الكرامة التاسعة والخمسون 196
الكرامة الستون 196
الكرامة الحادية والستون 197
الكرامة الثانية والستون 197
الكرامة الثالثة والستون 198
الكرامة الرابعة والستون 199
الكرامة الخامسة والستون 199
الكرامة السادسة والستون 199
الكرامة السابعة والستون 199
الكرامة الثامنة والستون 200
الكرامة التاسعة والستون 200
الكرامة السبعون 201
الكرامة الحادية والسبعون 202
الكرامة الثانية والسبعون 203
الكرامة الثالثة والسبعون 203
الكرامة الرابعة والسبعون 203
الكرامة الخامسة والسبعون 204
الكرامة السادسة والسبعون 204
الكرامة السابعة والسبعون 204
الكرامة الثامنة والسبعون 204
الكرامة التاسعة والسبعون 205
الكرامة الثمانون 206
الكرامة الحادية والثمانون 206
الكرامة الثانية والثمانون 206
الكرامة الثالثة والثمانون 207
الكرامة الرابعة والثمانون 211
الكرامة الخامسة والثمانون 211
الكرامة السادسة والثمانون 211
الكرامة السابعة والثمانون 211
الكرامة الثامنة والثمانون 212
الكرامة التاسعة والثمانون 213
الكرامة التسعون 214
الكرامة الحادية والتسعون 214
الكرامة الثانية والتسعون 214
الكرامة الثالثة والتسعون 215
الكرامة الرابعة والتسعون 215
الكرامة الخامسة والتسعون 218
الكرامة السادسة والتسعون 219
الكرامة السابعة والتسعون 219
الكرامة الثامنة والتسعون 219
الكرامة التاسعة والتسعون 219
الكرامة المائة 220
الكرامة الأولى بعد المائة 220
الكرامة الثانية بعد المائة 220
الكرامة الثالثة بعد المائة 220
الكرامة الرابعة بعد المائة 220
الكرامة الخامسة بعد المائة 221
الكرامة السادسة بعد المائة 221
الكرامة السابعة بعد المائة 221
الكرامة الثامنة بعد المائة 221
الكرامة التاسعة بعد المائة 222
الكرامة العاشرة بعد المائة 222
الكرامة الحادية عشرة بعد المائة 223
الكرامة الثانية عشرة بعد المائة 223
الكرامة الثالثة عشرة بعد المائة 224
الكرامة الرابعة عشرة بعد المائة 224
الكرامة الخامسة عشرة بعد المائة 225
الكرامة السادسة عشرة بعد المائة 225

الكرامة السابعة عشرة بعد المائة 225
الكرامة الثامنة عشرة بعد المائة 225
الكرامة التاسعة عشرة بعد المائة 225
الكرامة العشرون بعد المائة 226
الكرامة الحادية والعشرون بعد المائة 226
الكرامة الثانية والعشرون بعد المائة 227
الكرامة الثالثة والعشرون بعد المائة 227
الكرامة الرابعة والعشرون بعد المائة 227
الكرامة الخامسة والعشرون بعد المائة 228
الكرامة السادسة والعشرون بعد المائة ... 228
الكرامة السابعة والعشرون بعد المائة 228
الكرامة الثامنة والعشرون بعد المائة 230
الكرامة التاسعة والعشرون بعد المائة 230
الكرامة الثلاثون بعد المائة 231
الكرامة الحادية والثلاثون بعد المائة 231
الكرامة الثانية والثلاثون بعد المائة 232
الكرامة الثالثة والثلاثون بعد المائة 232
الكرامة الرابعة والثلاثون بعد المائة 233
الكرامة الخامسة والثلاثون بعد المائة 234
الكرامة السادسة والثلاثون بعد المائة 234
الكرامة السابعة والثلاثون بعد المائة 234
الكرامة الثامنة والثلاثون بعد المائة 235
الكرامة التاسعة والثلاثون بعد المائة 235
الكرامة الأربعون بعد المائة 235
الكرامة الحادية والأربعون بعد المائة 235
الكرامة الثانية والأربعون بعد المائة 236
الكرامة الثالثة والأربعون بعد المائة 236
الكرامة الرابعة والأربعون بعد المائة 236
الكرامة الخامسة والأربعون بعد المائة 236
الكرامة السادسة والأربعون بعد المائة ... 236
الكرامة السابعة والأربعون بعد المائة 237
الكرامة الثامنة والأربعون بعد المائة 237
الكرامة التاسعة والأربعون بعد المائة 238
الكرامة الخمسون بعد المائة 238
الكرامة الحادية والخمسون بعد المائة 239
الكرامة الثانية والخمسون بعد المائة 239
الكرامة الثالثة والخمسون بعد المائة 239
الكرامة الرابعة والخمسون بعد المائة 239
الكرامة الخامسة والخمسون بعد المائة ... 240
الكرامة السادسة والخمسون بعد المائة ... 240
الكرامة السابعة والخمسون بعد المائة ... 241
الكرامة الثامنة والخمسون بعد المائة 241
الكرامة التاسعة والخمسون بعد المائة ... 241
الكرامة الستون بعد المائة 241
الكرامة الحادية والستون بعد المائة 242
الكرامة الثانية والستون بعد المائة 242
الكرامة الثالثة والستون بعد المائة 242
الكرامة الرابعة والستون بعد المائة 244
الكرامة الخامسة والستون بعد المائة 244
الكرامة السادسة والستون بعد المائة 245
الكرامة السابعة والستون بعد المائة 246
الكرامة الثامنة والستون بعد المائة 246
الكرامة التاسعة والستون بعد المائة 246
الكرامة السبعون بعد المائة 246
الكرامة الحادية والسبعون بعد المائة 247
الكرامة الثانية والسبعون بعد المائة 247
الكرامة الثالثة والسبعون بعد المائة 247
الكرامة الرابعة والسبعون بعد المائة 248
الكرامة الخامسة والسبعون بعد المائة ... 248
الكرامة السادسة والسبعون بعد المائة ... 248
الكرامة السابعة والسبعون بعد المائة 249
الكرامة الثامنة والسبعون بعد المائة 249
الكرامة التاسعة والسبعون بعد المائة 249
الكرامة الثمانون بعد المائة 250
الكرامة الحادية والثمانون بعد المائة 250
الكرامة الثانية والثمانون بعد المائة 250
الكرامة الثالثة والثمانون بعد المائة 251
الكرامة الرابعة والثمانون بعد المائة 251
الكرامة الخامسة والثمانون بعد المائة 252
الكرامة السادسة والثمانون بعد المائة ... 252
الكرامة السابعة والثمانون بعد المائة 252
الكرامة الثامنة والثمانون بعد المائة 252
الكرامة التاسعة والثمانون بعد المائة 252
الكرامة التسعون بعد المائة 253

الكرامة الحادية والتسعون بعد المائة 253
الكرامة الثانية والتسعون بعد المائة 253
الكرامة الثالثة والتسعون بعد المائة 253
الكرامة الرابعة والتسعون بعد المائة 254
الكرامة الخامسة والتسعون بعد المائة 254
الكرامة السادسة والتسعون بعد المائة 255
الكرامة السابعة والتسعون بعد المائة 255
الكرامة الثامنة والتسعون بعد المائة 256
الكرامة التاسعة والتسعون بعد المائة 256
الكرامة المائتان 257
الكرامة الأولى بعد المائتين 257
الكرامة الثانية بعد المائتين 258
الكرامة الثالثة بعد المائتين 258
الكرامة الرابعة بعد المائتين 258
الكرامة الخامسة بعد المائتين 258
الكرامة السادسة بعد المائتين 258
الكرامة السابعة بعد المائتين 259
الكرامة الثامنة بعد المائتين 259
الكرامة التاسعة بعد المائتين 259
الكرامة العاشرة بعد المائتين 259
الكرامة الحادية عشرة بعد المائتين 260
الكرامة الثانية عشرة بعد المائتين 260
الكرامة الثالثة عشرة بعد المائتين 260
الكرامة الرابعة عشرة بعد المائتين 261
الكرامة الخامسة عشرة بعد المائتين 261
الكرامة السادسة عشرة بعد المائتين 261
الكرامة السابعة عشرة بعد المائتين 261
الكرامة الثامنة عشرة بعد المائتين 262
الكرامة التاسعة عشرة بعد المائتين 262
الكرامة العشرون بعد المائتين 262
الكرامة الحادية والعشرون بعد المائتين ... 264
الكرامة الثانية والعشرون بعد المائتين 265
الكرامة الثالثة والعشرون بعد المائتين 265
الكرامة الرابعة والعشرون بعد المائتين ... 265
الكرامة الخامسة والعشرون بعد المائتين ... 265
الكرامة السادسة والعشرون بعد المائتين .. 266
الكرامة السابعة والعشرون بعد المائتين ... 266
الكرامة الثامنة والعشرون بعد المائتين ... 266
الكرامة التاسعة والعشرون بعد المائتين 269
الكرامة الثلاثون بعد المائتين 269
الكرامة الحادية والثلاثون بعد المائتين ... 269
الكرامة الثانية والثلاثون بعد المائتين 270
الكرامة الثالثة والثلاثون بعد المائتين 270
الكرامة الرابعة والثلاثون بعد المائتين 271
الكرامة الخامسة والثلاثون بعد المائتين ... 271
الكرامة السادسة والثلاثون بعد المائتين .. 271
الكرامة السابعة والثلاثون بعد المائتين ... 271
الكرامة الثامنة والثلاثون بعد المائتين 272
الكرامة التاسعة والثلاثون بعد المائتين ... 272
الكرامة الأربعون بعد المائتين 272
الكرامة الحادية والأربعون بعد المائتين ... 272
الكرامة الثانية والأربعون بعد المائتين 273
الكرامة الثالثة والأربعون بعد المائتين 273
الكرامة الرابعة والأربعون بعد المائتين ... 273
الكرامة الخامسة والأربعون بعد المائتين .. 273
الكرامة السادسة والأربعون بعد المائتين .. 274
الكرامة السابعة والأربعون بعد المائتين 274
الكرامة الثامنة والأربعون بعد المائتين ... 274
الكرامة التاسعة والأربعون بعد المائتين ... 275
الكرامة الخمسون بعد المائتين 275
الكرامة الحادية والخمسون بعد المائتين 275
الكرامة الثانية والخمسون بعد المائتين ... 276
الكرامة الثالثة والخمسون بعد المائتين ... 276
الكرامة الرابعة والخمسون بعد المائتين ... 276
الكرامة الخامسة والخمسون بعد المائتين .. 276
الكرامة السادسة والخمسون بعد المائتين .. 277
الكرامة السابعة والخمسون بعد المائتين .. 277
الكرامة الثامنة والخمسون بعد المائتين ... 277
الكرامة التاسعة والخمسون بعد المائتين 278
الكرامة الستون بعد المائتين 278
الكرامة الحادية والستون بعد المائتين 279
الكرامة الثانية والستون بعد المائتين 279
الكرامة الثالثة والستون بعد المائتين 279
الكرامة الرابعة والستون بعد المائتين 279

الكرامة الخامسة والستون بعد المائتين ... 280
الكرامة السادسة والستون بعد المائتين ... 280
الكرامة السابعة والستون بعد المائتين 280
الكرامة الثامنة والستون بعد المائتين 280
الكرامة التاسعة والستون بعد المائتين 280
الكرامة السبعون بعد المائتين 281
الكرامة الحادية والسبعون بعد المائتين ... 281
الكرامة الثانية والسبعون بعد المائتين 281
الكرامة الثالثة والسبعون بعد المائتين 281
الكرامة الرابعة والسبعون بعد المائتين 282
الكرامة الخامسة والسبعون بعد المائتين ... 282
الكرامة السادسة والسبعون بعد المائتين ... 282
الكرامة السابعة والسبعون بعد المائتين ... 283
الكرامة الثامنة والسبعون بعد المائتين 283
الكرامة التاسعة والسبعون بعد المائتين ... 283
الكرامة الثمانون بعد المائتين 284
الكرامة الحادية والثمانون بعد المائتين ... 284
الكرامة الثانية والثمانون بعد المائتين 284
الكرامة الثالثة والثمانون بعد المائتين 284
الكرامة الرابعة والثمانون بعد المائتين 285
الكرامة الخامسة والثمانون بعد المائتين ... 285
الكرامة السادسة والثمانون بعد المائتين ... 285
الكرامة السابعة والثمانون بعد المائتين ... 286
الكرامة الثامنة والثمانون بعد المائتين 286
الكرامة التاسعة والثمانون بعد المائتين ... 287
الكرامة التسعون بعد المائتين 287
الكرامة الحادية والتسعون بعد المائتين ... 287
الكرامة الثانية والتسعون بعد المائتين 288
الكرامة الثالثة والتسعون بعد المائتين 288
الكرامة الرابعة والتسعون بعد المائتين 288
الكرامة الخامسة والتسعون بعد المائتين ... 289
الكرامة السادسة والتسعون بعد المائتين ... 289
الكرامة السابعة والتسعون بعد المائتين ... 290
الكرامة الثامنة والتسعون بعد المائتين 290
الكرامة التاسعة والتسعون بعد المائتين ... 290
الكرامة الثلاثمائة 290
الكرامة الأولى بعد الثلاثمائة 291
الكرامة الثانية بعد الثلاثمائة 291
الكرامة الثالثة بعد الثلاثمائة 292
الكرامة الرابعة بعد الثلاثمائة 292
الكرامة الخامسة بعد الثلاثمائة 292
الكرامة السادسة بعد الثلاثمائة 293
الكرامة السابعة بعد الثلاثمائة 293
الكرامة الثامنة بعد الثلاثمائة 293
الكرامة التاسعة بعد الثلاثمائة 293
الكرامة العاشرة بعد الثلاثمائة 293
الكرامة الحادية عشرة بعد الثلاثمائة 294
الكرامة الثانية عشرة بعد الثلاثمائة 294
الكرامة الثالثة عشرة بعد الثلاثمائة 295
الكرامة الرابعة عشرة بعد الثلاثمائة 295
الكرامة الخامسة عشرة بعد الثلاثمائة 296
الكرامة السادسة عشرة بعد الثلاثمائة ... 296
الكرامة السابعة عشرة بعد الثلاثمائة 296
الكرامة الثامنة عشرة بعد الثلاثمائة 297
الكرامة التاسعة عشرة بعد الثلاثمائة 297

قسم المبشرات

فصل 299
فصل مهم لتنبيه قاعدة مهمة يبتني عليها قواعد المرائي الصالحات 301
البشرى الأولى 301
البشرى الثانية 302
البشرى الثالثة 302
البشرى الرابعة 304
البشرى الخامسة 304
البشرى السادسة 305
البشرى السابعة 305
البشرى الثامنة 306
البشرى التاسعة 306
البشرى العاشرة 307
البشرى الحادية عشرة 307
البشرى الثانية عشرة 307
البشرى الثالثة عشرة 308
البشرى الرابعة عشرة 308
البشرى الخامسة عشرة 308

البشرى السادسة عشرة 309
البشرى السابعة عشرة 309
البشرى الثامنة عشرة 309
البشرى التاسعة عشرة 309
البشرى العشرون 310
البشرى الحادية والعشرون 310
البشرى الثانية والعشرون 310
البشرى الثالثة والعشرون 310
البشرى الرابعة والعشرون 310
البشرى الخامسة والعشرون 311
البشرى السادسة والعشرون 311
البشرى السابعة والعشرون 311
البشرى الثامنة والعشرون 311
البشرى التاسعة والعشرون 313
البشرى الثلاثون 313
البشرى الحادية والثلاثون 313
البشرى الثانية والثلاثون 314
البشرى الثالثة والثلاثون 314
البشرى الرابعة والثلاثون 314
البشرى الخامسة والثلاثون 314
البشرى السادسة والثلاثون 315
البشرى السابعة والثلاثون 315
البشرى الثامنة والثلاثون 315
البشرى التاسعة والثلاثون 316
البشرى الأربعون 316
البشرى الحادية والأربعون 316
البشرى الثانية والأربعون 317
البشرى الثالثة والأربعون 317
البشرى الرابعة والأربعون 318
البشرى الخامسة والأربعون 318
البشرى السادسة والأربعون 318
القسم الثاني من الكتاب قسم المعارف والإلهيات والعلوم اللدنيات
النوع الأول من القسم الثاني 324
النوع الثاني من قسم العلوم 388
فهرس المحتويات 435